سلسلة النقد الأسلوبي

(دراسة أدبية)

حَكِّمْ سُيُوفَكَ في رِقَابِ العُذَّلِ ... وإذَا نَزَلْتَ بِدَارِ ذُلٍّ فَارْحَلِ
وإذَا بُلِيتَ بِظَالِمٍ كُنْ ظَالِماً ؛ ... وإذَا لَقِيتَ ذَوِي الجَهَالَةِ فَاجْهَلِ
وإذَا الجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... خَوْفاً عَلَيكَ مِنَ ازْدِحَامِ الجَحْفَلِ
فَاعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفِلْ بِهَا ... وَاقْدِمْ إذَا حَقَّ اللِّقَا في الأوَّلِ
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلاً تَعْلُو بِهِ ... أوْ مُتْ كَرِيماً تَحْتَ ظِلِّ القَسْطَلِ (١)
فَالمَوْتُ لا يُنْجِيكَ مِنْ آفَاتِهِ ... حِصْنٌ، وَلَوْ شَيَّدْتَهُ بِالجَنْدَلِ (٢)
مَوْتُ الفَتَى في عِزَّةٍ خَيْرٌ لَهُ ... مِنْ أنْ يَبِيتَ أسِيرَ طَرْفٍ أكْحَلِ

نحو نقد عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

دراسة أسلوبية في شعر عنترة بن شدَّاد

نقد وتحليل

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

سلسلة النقد الأسلوبي

(دراسة أدبية)

نحو نقد عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

دراسة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد

نقد وتحليل

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

سلسلــة النقــد الأدبــي

(قراءة أسلوبية في شعر أبي الفوارس:)

عنترة بن شداد العبسي

نقد وتحليل

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدَوريات والجرائد

ومُراجعة ومُصحّحة ومُحَققة ومُنقحة ومَزيدة

الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي أنشأ وبنى وخلق الماء والثرى ، وأبدع كل شيء ذرا ، لا يغيب عن بصره دبيب النمل في الليل إذا سرى ، ولا يعزب عن علمه ما عن وما طرا ، اصطفى آدم ثم عفا عما بدر منه وجرى ، وابتعث نوحًا فبنى الفلك وسرى ، ونجى الخليل من النار فصار حرها كالثرى ، ثم ابتلاه بذبح الولد فأدهش بصبره الورى ، (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)! أحمده سبحانه ما قطع نهار بسير وليل بسرى ، وأصلي على رسوله محمد المبعوث في أم القرى ، وعلى أبي بكر صاحبه في الدار والغار بلا مِرا ، وعلى عمر المحدث عن سره فهو بنور الله يرى ، وعلى عثمان زوج ابنتيه ما كان حديثاً يفترى ، وعلى علي بحر العلوم وأسد الشرى ، وعلى عمه العباس الرفيع القدر الشامخ الذرى! كما أصلي على أصحابه الذين هم في الذرى ، وأصلي على كل متبع لهديه من بين الورى! فالحمد لله الذي أحكم الأشياء كلها صنعا ، وتصرف كما شاء إعطاء ومنعا ، أنشأ الآدمي من قطرةٍ فإذا هو يسعى ، وخلق له عينين ليبصر المسعى ، ووالى لديه النعم وتراً وشَفعا ، وضم إليه زوجة تدبر أمر البيت وترعى ، وأباحه محل الحرث وقد فهم مقصود المرعى ، فتعدى قومٌ إلى الفاحشة الشنعا ، وعدوا ستاً سبعا ، فرجموا بالحجارة فلو رأيتهم صرعى ، (ولما جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعا)! أحمده ما أرسل سحابًا وأنبت زرعا ، وأصلي على رسوله محمدٍ أفضل نبي علم أمته شرعا ، وعلى أبي بكر الذي كانت نفقته للإسلام نفعا ، وعلى عمر ضيف الإسلام بدعوة الرسول المستدعى ، وعلى عثمان الذي ارتكب منه الفِجار بدعا ، وعلى علي الذي يُحبه أهل السنة طبعا ، وعلى العباس أبي الخلفاء أئمة المسلمين قطعا! وعلى أصحابه الكرام سمتاً وهدياً وصُنعا ، وعلى التابعين له إذ اختاروا سُنته نبعا! ابن آدم من لك إذا ألمّ الألم ، وسكت الصوت وتمكّن الندم ، ووقع بك الفوت ، وأقبل لأخذ الروح ملك الموت ، وجاءت جنوده وقيل من راق ، ونزلت منزلاً ليس بمسكون ، وتعوضت بعد الحركات السكون ، فيا أسفًا لك كيف تكون وأهوال القبر لا تطاق ، وفرّق مالك وسكنتِ الدار ، ودار البلاءُ فما دار إذ دار ، وشغلك الوزر عمن هجر وزار ، ولم ينفعك ندمُ الرفاق ، أما أكثر عمرك قد مضى؟ أما أعظم زمانك قد انقضى؟ أفي أفعالك ما يصلح للرضا إذا التقينا يوم التلاق؟ يا ساعيًا في هواه تصور رمسك ، يا موسعاً إلى خطاه تذكر حبسك ، يا مأسورًا في سجن الشهوات خلص نفسك ، قبل أن تعز السلامة وتعتاق الأعناق ، وينصب الصراط ويوضع الميزان ، وينشر الكتاب يحوي ما قد كان ، ويشهد الجلد والملك والمكان والنار الحبس والحاكم الخلاق ، فحينئذ يشيب المولود ، وتخرس الألسن وتنطق الجلود ، وتظهر الوجوه بين بيض وسود ، يوم يكشف عن ساق! فبادر قبل أن لا يمكن ، وحاذر قبل أن يفوت الممكن ، وأحسن قبل أن لا تحسن ، فاليوم البرهان وغدًا السباق ، فانتهب عمرًا يفنى بالمساء والصباح ، وعامل مولىً يُجزل العطايا والأرباح ، ولا تبخل فقد حدث على السماح ، (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)! أيها الناس أيامكم قلائل ، وآثامكم غوائل ، ومواعظكم قوائل ، وأهواؤكم قواتل ، فليعتبر الأواخر بالأوائل ، يا من يوقن أنه لا شك راحل ، وما له زادٌ ولا رواحل ، يا من لج في لجة الهوى متى يرتقي إلى الساحل ، هل لا تنبهت من رقادٍ شامل ، وحضرت المواعظ بقلب قابل ، وقمت في الدجى قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تحف بها زفرات الندم كالوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى بساحل ، هل من سائل ، وأسفا لمغرور غفول جاهل ، قد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل ، وضيع في البضاعة وبذر الحاصل ، وركن إلى ركن لو رآه مائل ، يبني الحصون ويشيد المعاقل ، وهو عن شهيد قبره متثاقل ، ثم يَدّعي بعد هذا أنه عاقل ، تالله لقد سبقه الأبطال

إلى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل ، هيهات ما علق بطال بطائل ، قال: بلى! قال: فتنام بالليل وأنت حامل القرآن! أما تخاف أن يأخذك وأنت نائم! يا غافلاً طول دهره ، عن ممر يومه وشهره ، يا موعوظاً في سره وجهره ، بجفاف النبات وزهره ، يا منبهاً في أمره ، بأسره على حبسه وأسره ، يا مذكوراً في عسره ويسره ، سل حادثات الزمان عن يسره ، يا عصفوراً لا بد من ذبحه وتخريب وكره ، ثم لا يجول ذلك على فكره ، متى يُفيق سكران الهوى من سكره ، فيستبد العرف بنكره ، ألا يتنبه هذا المبذر لبذره ، ألا يتيقظ الجاني لإقامة عُذره ، والله لو سكن قلبه خوف حشره ، لخرج في أعمال الجد من قشره ، بل لو تفكر حق التفكر في نشره ، لم يبع ثوباً ولم يشره ، مضى الزمان في مد اللهو وجزره ، وما حظي المفرط بغير وزره ، تالله لقد اغتبط المحسن في قبره ، وندم المسيء على قلة صبره ، بأحسن ما أطاع بترتيل القرآن أبو عمرو ويا خسر ما أضاع أبو نواس في خمره! يا لاحقًا بآبائه وأمهاته ، لا بد أن يصير الطلا إلى مهاته ، يا من جل همته جل خياطه وطهاته ، يقلبه الهوى وهو غالب دهاته ، إن كان لك في تفريطك عُذرٌ فهاته ، يا متيماً بالدنيا في ثياب صب يا من أتى المعاصي ونسي الرب ، يا مدنفًا بالخطايا وما استطب ، يا أسير فخ الأماني وما نال الحب ، إخواني ذهبت الشبيبة الحبيبة ، ونبال المصيبة بها مصيبة ، كانت أوقات الشباب كفصل الربيع وساعاته! (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) ، أصحاب فهم ويقين ، أصحاب جد وتمكين ، أصحاب عز مكين ، أصحاب خوف ودين ، يتنزهون عن شمال ويمين ، (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين)! أصحاب ملك لا يزول ، أصحاب فخر لا يحول ، أصحاب تقديم ووصول ، أصحاب شرف بالقبول ، أصحاب تمكن في مقام أمين ، (ما أصحاب اليمين)! أصحاب قرب وحضور ، أصحاب عز ونور ، أصحاب جنان وقصور ، فيها حِسانٌ من الحور ، أصحاب مكنة ليس فيها قصور ، أصحاب مثمن ثمين! وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأصلي وأسلم وأبارك على محمد وآله وصحبه وسلم! أما بعد ، فأهدي هذا العمل المتواضع: (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي) لأسرتي وأساتذتي وأهلي وأصدقائي وكل من له ولع بدراسة الأدب العربي! وسوف أقوم باديء ذي بدء بتوضيح مسألةٍ مهمةٍ وهي بيانُ مقدار العذاب والبلاء الذي عانيته في كتابة وإعداد وصف وإخراج هذه القراءة الأسلوبية! ناهيك عن جمع المقالات الخاصة بها من الجرائد والمجلات وإعادة ترتيبها وتنسيقها! وكنت قد غامرتُ بالطباعة والتوزيع فأصبحتُ والله من الغارمين المدينين! وهنيئاً لدور النشر والتوزيع آلاف النسخ وآلاف الدنانير ، ولقاؤنا يوم القيامة! وساعتها فليقولوا ذات الكلمات: (عندما تنتهي الدورة التوزيعية نعطيك حسابك! الناس عزفوا عن قراءة الشعر وشراء دواوينه! اعذرنا إذا تأخرنا عنك! لقد وزعناه مجاناً للترويج والتعريف بالشاعر!) إلى غير ذلك من المعاذير التي تفوحُ منها رائحة الكذب الفجّة! ولنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وإليه سبحانه المشتكى ، وعليه وحده التكلان! وإنه لمما يُهوّن على النفس أنا نرى قامات في الشعر والأدب والعلم من أهل التصانيف البديعة والتآليف الثمينة كان لهم ذات النصيب وذات الحظ! فاستسلموا آسفين غيرَ نادمين لما كان من خسارتهم المادية محتسبين الأجر عند الله تعالى! على العموم هذا هو جهدي ، ويشهد عليّ ربي لو استطعت أكثر من هذا ما تأخرت! ولقد كان تفرغي للكتابة والصف والإخراج والتنقيح والتحقيق والتنسيق وإعداد المقدمات والخواتيم والتحقق من الأخبار الوادرة في القراءة الأسلوبية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة ، كل هذا الاجتهاد احتاج مني لوقتٍ وجهدٍ وبذل ومال! والحقيقة أن عملي في التدريس لم يكن يُتيح لي الفرصة أبداً! ولكنني اعتدتُ أن أضرب في كل غنيمةٍ بسهم ، وأن أسدّد وأقارب! وهو جهدٌ لا يدركه على حقيقته ولا يتصور كُنهه إلا من كتب وألف وصف وأخرج! والله المستعان!

موضوع الغلاف

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي أسرى لطفه ففك الأسرى ، وأجرى بإنعامه ومنه للعاملين أجرا ، وأسبل بكرمه على العاصين سترا ، وقسم بني آدم عبداً وحرا ، ودبر أحوالهم غِنىً وفقرا ، كما رتب البسيطة عامراً وقفرا ، وقوّى بعض عباده على السياحة فقطعها شبراً شبرا ، (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا)! أحمده سبحانه حمداً يكون لي عنده ذخرا ، وأصلي على رسوله مقدم الأنبياء في الدنيا والأخرى ، وعلى أبي بكر الذي أنفق المال على الإسلام حتى مال الكف صفرا ، وعلى عمر الذي كسرت هيبته كسرى ، وعلى عثمان المقتول من غير جُرم صَبرا ، وعلى علي الذي كان الرسول يُعزه بالعلم عزا ، وعلى عمه العباس أعلاهم في النسب قدرا. وأصلي على أصحابه وأتباعه الذين هم خيرٌ مقاماً وذكرا! الحمد لله أحسن الخالقين ، وأكرم الرازقين ، مكرم الموفقين ، ومعظم الصادقين ، ومُجلّ المتقين ، ومُذل المنافقين ، حفظ يوسف لعلمه بعلم اليقين ، فألبسه عند الهم دروع اليقين ، وملكه إذ ملك عنان الهوى ميدان السابقين ، فذل له إخوته يوم قالوا: وما كنا سارقين ، (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين)! أحمده سبحانه حمد الشاكرين ، وأصلي على رسوله محمد أشرف الذاكرين ، وعلى أبي بكر سابق المبكرين ، وعلى عمر سيد الآمرين بالمعروف والمنكرين ، وعلى عثمان الشهيد بأيدي الماكرين ، وعلى علي إمام العباد المتفكرين ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء الراشدين ، وعلى سائر الصحابة والقرابة والتابعين! تركوا لأجلنا لذيذ الطعام ، وساروا يطلبون جزيل الإنعام ، وقاموا في المجاهدة على الأقدام ، وتدرعوا ملابس الأتقياء الكرام ، نشرت لهم بصدقهم الأعلام ، وحُلوا حِلية الرضا وأحلوا محل التوفيق ، (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق)! طال ما عطشوا في دنياهم وجاعوا ، وذلوا لسيدهم صادقين وأطاعوا ، وخافوا من عظمته وجبروته وارتاعوا ، وبأخراهم ما يفنى من دنياهم باعوا ، وحرسوا بضائع التقى فما فرطوا ولا أضاعوا! وجانبوا ما يشين وصاحبوا ما يليق ، فطاف الولدان على شِفاه يبستْ بالصيام وأتى الريق ، (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق)! تحملوا أثقال التكليف ، ورفضوا التمادي والتسويف ، وقطعوا طريق الفوز للتشريف ، وجانبوا موجب العتاب والتعنيف! فتولاهم مولاهم وحماهم في الطريق ، وأقاموا الولدان تسقيهم من الرحيق ، (بأكواب وأباريق)! عبادٌ أطاعوا الملك المعبود ، وأوصلوا الركوع والسجود ، وسألوا من يتفضل ويجود ، فوفر نصيبهم من الرفد المرفود ، (في سدر مخضود)! وردوا إليه أكرم ورود ، وأمنوا في وصالهم عائق الصدود ، وأتعبوا الأعضاء في خدمته والجلود ، فمنحهم طيب العيش في جنات الخلود ، (في سدر مخضود)! تصافوا فاصطفوا في خدمته كالجنود ، واستلوا سيوف الجهاد من الغمود ، وقمعوا بالصدق العدو الكنود ، وأرغموا بسبقهم أنف الحسود ، فخصّهم مولاهم بالفضل والسعود ، (في سدر مخضود)! طلبوا بالصدق الصادق الودود ، وسعوا إليه يسألون إنجاز الوعود ، وطمعوا في كرمه أن يتفضل ويعود ، وأسبلوا دموعهم من خشيته على الخدود! فيا لنعيمهم وأطيب منه الخلود ، (في سدر مخضود)! شكروا من أخرجهم من العدم إلى الوجود ، وتفضل عليهم بكل خير وجود ، وعلموا أن الإخلاص هو المقصود ، فاستعدوا وأوعدوا لليوم المشهود ، (في سدر مخضود)! تمكنوا بالكتاب القديم ، وطلبوا من المنعم الكريم ، أن يعمهم بالفضل والتكريم ، فمن عليهم بالخير العميم ، فهم في الجنان في أحلى نعيم ، عند ملك كبير عظيم ، ليس بوالدٍ ولا مولود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! أعد لهم أوفى الذخائر ، وهذب منهم البواطن والظواهر ، وجعلهم بين عباده كالنجوم الزواهر ، وبنى لهم الغرف باللؤلؤ والجواهر ، فهم في مجدٍ كريم وسعدٍ غير محدود ، (في سدر

مخضودٍ وطلح منضود)! استزارهم إلى جنته ، وخصهم بكرامته ، وأنعم عليهم برؤيته ، وجعلهم في حصن حصين من رعايته ، في ظل نعيم دائم ممدود ، (في سدر مخضودٍ وطلح منضود)! طال ما حُمّلوا تكليفه واستقلوا ، وسعوا إلى مَراضيه فما ضلوا ، وتفيأوا ظلال التوكل عليه واستظلوا ، ورضوا بقضائه صابرين فما مَلوا ، وائتمنهم على الإيمان فما خانوا ولا غلوا ، وكفوا أكفهم في غير ثقةٍ به وغلوا ، فعزوا بخدمته إذ لخدمته ذلوا ، فأثابهم نعيمًا ليس بمجدودٍ ولا محدود ، (في سدر مخضود وطلح منضود)! مالوا إليه وتركوا المال ، وعلقوا بالطمع في فضله الآمال ، وأعرضوا عن الدنيا شغلاً بالمآل ، وألفوا خدمته وهجروا المَلال ، وراضوا أنفسهم بالفقر ورضوا بالإقلال ، وأنسوا بمناجاته ونسوا الآل ، فإذا تلقاهم مولاهم قال مرحباً بالوفود ، (في سدر مخضودٍ وطلح منضود)! أين من جمع الأموال وتمولها ، وطاف البلاد وجولها ، وشق أنهار الأرض وجدولها ، رأت والله كل عاملة عملها ، ونزلت بعد سفرها منزلها! عنتِ الوجوه على جسور المنايا الحوابس ، وأذل قبر الموت الشوامس ، وصير الفصحاء في مقام الهوامس ، يا لليالي المرض والسقام إنها ليال دوامس! يا لساعة اللحد حين تحثو الروامس! كم لقيت وجوه نواعم من أكف طوامس! كم ترحلت من دار السلامة إلى عسكر البلى فوارس! أين ابن آدم المذل بسلطانه غيره؟ لقد هلكت في الزمان جديسه وطسمه ، ولقد ذهب من كان وكان اسمه ، فلا عينه ترى ولا رسمه ، ولا جوهره يحس ولا جسمه ، تبدد والله بالممات نظمه ، ولحق بالرفات عظمه ، كم طوفوا بالبلاد وجولوا ، كم أوعدوا أعداءهم وهولوا ، كم جمعوا وكم تخولوا ، كم اقتنوا وكم تمولوا ، كم طالوا وما تطولوا ، والمحنة أنهم على الأمل عولوا ، فما كان إلا القليل وتغولوا ، وجملة الأمر أنهم تحولوا ، واستطالت على الورى عصب ما تطولوا ، ظهروا في البلاد عصراً وطافوا وجولوا ، خولوا نعمة فلم يشكروا ما تخولوا ، فانظر الآن فيهم أي غول تغولوا ، وأقاموا فما قيل فازوا ولكن تحولوا! كم ملأوا سهلاً وجبلا ، شاءً وإبلا ، فلما سلكوا إلى الموت سبلا ، وعاينوه يوم الرحيل قبلا ، وتهيأوا للنزول في دار البلى علموا ، أن ما كانوا فيه عين البلا! وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فموضوع الغلاف واختياره ، موضوع غاية في التعقيد! حيث إن الديوان الشعري يسهل انتقاء غلافٍ يناسب مادته وموضوعه! أما حينما يُخير الشاعر بين ثلاثةٍ وعشرين ديوان شعر على أن ينتقي لهم جميعاً عنواناً واحداً! ثم هو يختار غلافاً ينتظمها جميعاً هنا تكمن المشكلة بأبعادها! وأعاننا الله سبحانه وتعالى واخترنا (السليمانيات) عنواناً للديوان بأكمله ، وعللنا ذلك من قبل أننا جارينا في ذلك الشاعر أحمد شوقي ، أي على غِرار (الشوقيات) ليس غيرة من شوقي ، وإن كان شوقي ليغار منه – ولكن مجاراة له ولسواه في التميز! ثم عنت لنا فكرة الغلاف الموحد لديوان (السليمانيات)! وحاولت قدر المستطاع أن أبتعد عن الصور (صور ذوات الأرواح من الإنس والحيوانات والطيور) لرجاحة أدلة التحريم! وحاولتُ أن أصل لتصميم زخرفي ينتظم المعاني والقيم والمبادئ التي أردنا توصيلها للناس من خلال ديوان: (السليمانيات) ، إلى أن اجتزنا هذه المرحلة ، ومنّ الله علينا في اختيار غلافٍ لطيفٍ ظريفٍ يدل على ما أردناه وأسلفنا ذكره وتفصيل القول فيه! وأسأل الله تعالى أن ينفع بديوان: (السليمانيات) كل من كتبه ونشره ووزعه وطالعه ودرسه! أما في هذه القراءة الأسلوبية فالأمر مختلف تماماً! وما أردتُ لها أن تحتوي غلافاً تقليدياً عليه فارسٌ يمتطي صهوة جواده بألوان مزخرفةٍ مزركشة! وإنما اخترتُ أبيات مشهورة لعنترة تصور إباءه وعزمه ومضاءه ورفضه للظلم وتنديده بالظالمين! وقمتُ بتصويرها بالأبيض والأسود للإشارة إلى القديم! وللإشارة كذلك إلى رق العبودية (اللون الأسود) وجمال الحرية (اللون الأبيض) لتكون رمزاً على مادة القراءة الأسلوبية في شعر أبي الفوارس الجاهليين عنترة بن شداد العبسي!

المقدمة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل القدير الوهّاب ـ الملك الذي ابتعث بلطفه السحاب ، فروى الأودية والهضاب ، وأنبت الحدائق وأخرج الأعناب ، وألبس الأرض نباتًا أحسن من ثياب العناب ، يَبتلي ليُدعى وإذا دُعي أجاب ، قضى على آدم بالذنب ثم قضى أن تاب ، ورفع إدريس بلطفه إلى أكرم جَناب ، وأرسل الطوفان وكانت السفينة من العُجاب ، ونجّى الخليل من نار شديدة الالتهاب ، وكان سلامة يوسف عبرة لأولي الألباب ، وشدد البلاء على أيوب ففارقه الأهلُ والأصحاب ، وعضه البلاءُ إلى أن كل الظفر والناب ، فنادى مستغيثاً بالمولى فجاء الجواب ، (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)! أحمده حمد من أخلص وأناب ، وأصلي على رسوله أفضل نبي نزل عليه أفضل كتاب ، وعلى صاحبه أبي بكر مقدم الأصحاب ، وعلى الفاروق عمر بن الخطاب ، وعلى عثمان شهيد الدار وقتيل المحراب ، وعلى علي المهيب وما سل سيفًا بعد من قراب ، وعلى عمه العباس المقدم نسبه على الأنساب! وعلى جميع الآل والأحساب ، وعلى جميع الأزواج والأنساب وعلى جميع المهاجرين والأنصار من الأصحاب ، وعلى كل من اتبع السنة والكتاب ، إلى يوم البعث والتغابن والحشر والنشر والعقاب! الحمد لله الذي لا ند له فيُبارى ، ولا ضد له فيُجارى ، ولا شريك له فيُدارى ، ولا معترض له فيُمارى ، بسط الأرض قرارًا ، وأجرى فيها أنهارا ، وأخرج زرعًا وثمارا ، وأنشأ ليلاً ونهارا ، خلق آدم وأسكنه الجنة دارا ، فغفل عن النهي وما دارى ، أمر أن يأخذ يمينًا فأخذ يسارا ، وأهبط فقيرًا قد عدم يسارا ، غير أنه جبر منه بقبول توبته انكسارا ، وأقامه خليفة ويكفيه افتخارا ، ثم ابتعث الأنبياء من ذريته ونصب لهم من أدلته منارا ، وجعل إدريس ونوحاً والخليل رؤوسا (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا)! أحمده سراً وجهارا ، وأصلي على رسوله محمد الذي أصبح وادي النبوة برسالته معطارا ، وعلى صاحبه أبي بكر المنفق سراً وجهارا ، وعلى عمر الفاروق الذي لاث عن وجهه الإسلام خمارا ، وعلى عثمان ذي النورين الذي صرف على جيش العسرة بإنفاقه إعسارا ، وعلى علي أخيه وابن عمه الذي لا يتمارى ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء ويكفيهم افتخارا! وعلى أصحابه وأتباعه الذين حازوا المجد مِغزاراً ومِدراراً ومِكثارا! أيها الناس كم نائم على فراش التقصير ، مُغتر بعمر قصير ، صاح به فلم يبال النذير ، فاستلبه الخطأ والتبذير ، فلما أحس الباس ثارت من نيران الندم شعل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! كم مستحل شراب الهوى ، شرب من كأسه حتى ارتوى ، بينا هو على جادة إعراضه هوى ، فما نفعه عند الموت ما حوى ، ولا ما شرب ولا ما أكل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! لا تغترر بنعيم القوم ، فإن غدًا بعد اليوم ، دعهم فما يؤثر فيهم اللوم ، وهل ينفع التحريك ميتاً (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! يجمعون الحُطام ، بكسب الحَرام ، ويتفكرون في نصب شرك الآثام ، والناس نيام ، يرقدون في الليل وفكرهم في الويل طويل لا ينام ، والأقدام فيما لا يحل إقدام ، تسعى في هواها سعي الرمل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! ما عندهم خبر من الساعة ، والعمر يمضي ساعة فساعة ، خسروا في أشرف تجارة وأغلى بضاعة ، يتثاقلون تثاقل عطارد في الطاعة ، فإذا لاح الذنب فزحل ، (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! كيف بكفٍ يَعيا ويَعيث؟ كيف نحذرها شر الخطايا وكل فعلها خبيث؟ كيف نخوفها قليل الذنب ولسان الحال يستغيث: أنا الغريق فما خوفي من البلل؟ (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)! أيها الناس متى أصبح الهوى أميرًا أمسى العقل أسيرًا ، التقوى درع والدرع مجموع حلق ، فغض البصر حلقة ، وحبس اللسان حلقة ، وعلى هذا سائر ما يتوقى ، فإياك أن تترك خللاً في درعك ، فإن الرامي يقصد الخلل متى فسحت لنفسك ، في تفريط وإن قل انخرق

حرز احترازك ، كان بعض المتعبدين يمشي في وسط الوحل ، ويتقيه ويشمر عن ساقيه إلى أن زلقت رجله فجعل يمشي في وسط الوحل ، ويبكي ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب حتى يقع في ذنب وذنبين ، فعندها يخوض الذنوب خوضًا! قيل لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ فقالت: الموت! فقيل: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي ، انظر إلى أيام الآخرة يا مستورًا على الذنب ، انظر في ستر من أنت لو عرفتني أعرضت عن غيري ، لو أحببتني أبغضت ما سواي ، لو لاحظت لطفي لتوكلت ضرورة ، علي خاصمت عنك قبل وجودك ، (إني أعلم ما لا تعلمون)! واستكثرت قليل عملك (والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات) ، واعتذرت لك في زللك (فدلاهما بغرور) ، وغطيت قبيح فعلك ، (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله) ، ولقنتك عذرك عند زللك (ما غرك بربك الكريم) ، وأربحتك معاملتك (فله عشر أمثالها)! من خاصم عنك وأنت مفقود لا يسلمك وأنت موجود؟ فاعرف عليك حقي ، ولا تكن من شرار خلقي ، فكم أرى زلة فأحلم وأبقي ، يا قائمًا في مقام الجهالة قد رسخ ، يا متكبرًا على إخوانه قد علا وشمخ ، يا خارجًا عن الحد شغلاً باللهو والمطبخ ، يا من في بصره كمه وفي سمعه صمخ ، يا طامعًا في السلامة مع ترك الاستقامة ألقيت البذر في السبخ ، متى ينقى قلبك من هذا الدرن والوسخ؟ متى تتصور نفخة إسرافيل في الصور إذا نفخ؟! وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فتأتي هذه (القراءة الأسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي) خلاصة جهدٍ جهيد وتجربةٍ شعوريةٍ صادقةٍ مريرةٍ مع شعر أبي الفوارس الجاهليين عنترة بن شداد العبسي! ذلك الشعر الذي لا يرحم باحثاً ولا قارئاً ولا متذوقاً ولا دارساً! وتأتي هذه القراءة الأسلوبية مع غربةٍ أيضاً لا ترحم! بل ومع جمهور لا يملك أن يرحم أو هو أصلاً لا يرحم! يصف الأستاذ موسى ديب الخوري التجربة الشعورية عند الشاعر بقوله: (يجب عليَّ أن أميِّز بين الشعور الصادق الصافي المنطلق من أعماقنا القصيَّة ، الذي يعبِّر عن تجلِّي "الكائن – الحقيقة" فينا بامتداده في الإنسانية جمعاء ، وبين الانفعال العاطفي المضطرب والأحاسيس والرغبات غير المتوازنة التي تشكِّل بمجموعها ، فيما أرى ، الجزء الأعظم من "شعرنا الحديث"! عندما يعي الشاعرُ الفكرةَ يكون قد اقترب من الإفصاح عنها والتعبير عن جوانبها المختلفة ، بأسلوبه وبطريقته الخاصة. لكن ما لم يشعر الشاعر بمضمون الفكرة ، وما لم يترك شعورَه ذاك يعبِّر عن ذلك المضمون الباطني الذي لا يختلف عن مضمون شعوره ويفصح عنه فإن وعيه للفكرة يبقى ناقصاً ، ويبقى شعرُه مجرَّد كلمات مفكَّكة وأفكار غير منسجمة وصور باهتة هزيلة وموسيقى مفتعلة ، وتظهر فيه ، بدون شك ، العواطف المنفعلة التي ليست سوى محاولة لملء ذلك الفراغ وتعويض ذلك الجفاف. كلُّ ذلك – وهو ظاهر جليٌّ – في شعرنا المعاصر ، لا يُعَدُّ شيئاً أمام ما يجتاح "قصائدنا" هذه الأيام من إشارات ورموز وأعداد لا ندري أيَّ بركان فجَّرها ، ولا أيَّ زلزال بعثرها ؛ إنْ هي إلا رُقَع فوق رُقَع ، وقيود على سلاسل! يحاول "شعرنا الحديث" أن يتحرر من قيود الشعر القديم ، ويحاول كذلك أن يجد لنفسه موضوعات جديدة تناسب عصره وتتَّفق وواقعَه ، بعيداً عن الموضوعات المعتادة التي تناولها سلفُه. لكنه مع الأسف لمَّا يعرف كيف يتحرَّر من قيود الماضي ، فكبَّل نفسه من جديد ، ولمَّا يعرف كيف ينطلق في عصره وواقعه ، فيعي مشكلات الإنسان وصعوباته في هذه الأيام ، فيعبِّر عن معاناته الحقيقية فضاع بين الماضي والحاضر).هـ. وأنا والحمد لله لم أعش هذه الحيرة التي أشار إليها الأستاذ الخوري في هذا الجزء من مقاله! بل كانت تجربتي الشعورية صادقة ومتناسقة مع ما عشته من المواقف في غربتي هذي! وأتت القصائد كما لو كانت مصاغة من عجينةٍ واحدةٍ موحّدة! وكذلك في قراءتي الأسلوبية تلك!

الافتتاحية

الحمد لله عز وجل ، ما بزغتْ شمسُ وأضاء بدرٌ وأطل ، وأشهد أن لا إله إلا الله جليل القدر والفضل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو البيان الأكمل ، أضاء للمؤمنين طريقهم. أحبهم وحبَّب إليهم ربهم. فتنوع العطاء والحب السبب. إمام الغر المحجلين. وخاتم الأنبياء والمرسلين. وجهك بدر وصوتك طرب. سيد كل قبيلة وفريق. بالمؤمنين رحيم وشفيق. نبيي ورسولي ، وقدوتي وأسوتي ، سيدي وحبيبي. ومولاي وشفيعي. الشوق مشتعل والدمع للخدِّ خضب. فهل تنعم برؤية وجهك عيناي؟ وتهنأ بلثم قدميك شفتاي؟ فالعمر ولى والزمان قد اغترب. فيا رب يا أكرم مسؤول. ويا خير مُرتجىً ومأمول. كسرتَ ظُهور الأكاسرة ، قصَّرت آمال القياصرة ، هدمت معاقل الجبابرة ، وأرديتهم في الحافرة. من أطاعك أكرمته ، ومن خالفك أدبته ، ومن عاداك سحقته ، ومن نادَّك محقته ، ومن صدّ عنك الناس مزَّقته. تصمد إليك الكائنات ، وتعنو إليك المخلوقات ، وتُجيب الدعوات ، بشتى اللغات ، وبمختلف اللهجات ، على تعدد الحاجات ، تُفرج الكُرُبات ، وتُظهر الآيات وتَعلم النيات ، وتُظهر الخَفِيات ، وتُحيي الأموات. دعاك الخليل وقد وُضعِ في المنجنيق ، وأوشك على الحريق ، ولم يجد لِسواكَ الطريق ، فلما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل صارت النار عليه برداً وسلاماً في ظلٍّ ظليل ، بقدرتك يا جليلَ. وفَلَقت البحر للكليم ، وقد فرّ من فرعون الأثيم ، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم. ودَعاكَ المختار ، في الغار ، لمّا أحاط به الكفّار ، فحميته من الأشرار ، وحفظته من الفُجّار. قريب تُجيب كل حبيب. صلِّ على سيد الأعاجم والأعارب. وعلى الصحب ومن تبع وكل من إليه انتسب. ما لاح في الأفق نجم أو غرب. أو ظهر في السماء هلالٌ أو احتجب. وكلما انحنى لك في الصلاة ظهرٌ أو انتصب. اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء همنا وغمنا وحزننا. اللهم علمنا منه ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، اللهم ارزقنا حفظ القرآن ، وارزقنا علم القرآن ، وارزقنا هداية القرآن ، وارزقنا نور القرآن ، وارزقنا حلاوة القرآن ، وارزقنا متعة القرآن ، وارزقنا العمل بالقرآن ، وارزقنا قيام الليل بالقرآن ، واجعلنا من أهل القرآن ، الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين ، اللهم عافنا من سوء الحساب ، اللهم لا تعرض عنا يوم نلقاك ، وارزقنا نفع عملنا يوم لا ينفعنا عمل غيرنا ، اللهم كما مننت علينا بالإسلام فامنن علينا بطاعتك وبترك معصيتك أبداً ما أبقيتنا اللهم لا تفضحنا في سرائرنا ولا تخذلنا بكثرة فضائحنا ، سبحانك أنت ربنا ، تائبون فاقبل توبتنا واستجب دعاءنا ، وارحم شبابنا ، وأقل عثرتنا ، وارحم طول عذرتنا ، ولا تفضحنا بالذي كان منا ، سبحانك ربنا أنت غِياث المستغيثين ، وقرة أعين العابدين ، وحبيب قلوب المستغيثين إليك مستغاثنا ومنقطعنا ، فارحم ربنا ضعفنا ، واقبل توبتنا ، واستجب دعوتنا ، ولا تخذلنا بالمعاصي التي كانت منا ، ولا تجعلنا لنار جهنم وقوداً بعد توحيدنا والإيمان بك ، إلهنا عبادك نحن نحب اجتناب سخطك فأعنا على ذلك ، يا أيها المنان يا الله ، عبادك نحن عظيمو الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءك يوم يفرح الفائزون ، اللهم اقذف في قلوبنا رجاك ، وانزع من قلوبنا رجاء من سواك ، ما أشوقنا للقائك وما أعظم رجاءنا لجزائك ، فلا تخذلنا يوم العرض عليك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك ، أن تطاع فيه وهو الإيمان والتوحيد ، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك والكفر ، اللهم إنك قلت سبحانك: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت" ، ونحن نقسم جهد أيماننا أن الله يبعث من يموت! فاللهم أمتنا على الحق والإيمان والهداية والإسلام! إلهنا تعاليت عن النديد والمثيل والشبيه! يا من

تستجيب دعاء المظلوم ولو بعد حين ، ظلِمنا يا ربنا فانتصر لنا ممن ظلمونا! وفرطنا في جنبك يا مولانا كثيراً فاغفر لنا واعف عنا!

سبحان ذاتك يا من لا شبيهَ لهُ ... وما رأيناك لكنّا عرفناكَ

يا سامعاً دعوةَ المظلومِ صاعدةً ... وظالمُ النفس يخشاها ويخشاكَ

رُحماك فالطَف بنا فيما قضيتَ بهِ ... واغفر لنا ، واهدِنا دوماً لنُعماكَ

ولا تُخيّب رجاءً لي ، وخُذ بيَدي ... ما لي سِواك ، وما لي عنكَ إلاّكَ!

إلهنا لم نيأس من الوقوف على بابك طمعاً لما في يديك الكريمتين من العطاء والغفران والقبول! فاللهم لا تحرمنا غفران الذنوب وستر العيوب!

وقفتُ ببابك يا خالقي ... أقِلّ الذنوبَ على عاتقي

أجُرّ الخطايا ، وأشقى بها ... لهيباً من الحُزن في خافقي

يسوقُ العبادُ إليكَ الهُدى ... وذنبي إلي بابكم سائقي

أتيتُ ، وما لي سوى بابكم ... طريحاً أناجيكَ يا خالقي

اللهم اجعل شعري طريقاً إلى هدايتك ، ولا تجعله سبيلاً إلى الغواية شأن كثير من أشعار بني آدم! اللهم اهد به عقول الحائرين ، وانفع به الناس كل الناس في الأرض كل الأرض. واغفر ما فيه من الزلل والعيب والنقص! فهذا الجهد وعليك يا ربنا التكلان! وهذا السعي وعليك يا ربنا القبول! والحقيقة أنني اجتهدتُ قدر المستطاع وبذلتُ كل طاقتي في إخراج هذا الشعر إلى النور ، لينتفع به الناس كل الناس في الأرض كل الأرض! وأنوي في المستقبل ترجمته للغة الإنجليزية فعسى الله أن يوفقني إلى ذلك! وكان الهدف من إخراج هذه الطبعة أنْ لا يقول قائل عن شعري يوماً: لقد مات أحمد سليمان آخذاً شعره معه ليُدفن في قبره! وذلك ككثير من الشعراء في القديم والحديث ، يموت الشاعر وقد وكل شعره إلى من لا يسعى في نشره ومنفعة الناس به! ويعلم الله كم بذلت من الوقت والجهد والمال في سبيل إخراج وتحقيق وتنقيح وترتيب وصف هذه الأشعار! كما أنني حرصت أن لا أدع القارئ في حيرةٍ من أمره عن أي نص كتبته! وما أردتُ لقارئي أن يسأل: لماذا كتب الشاعر هذا النص؟ وماذا يقصد بهذه الفكرة؟ بل زودتُ جُل القصائد بمقدماتٍ ما بين الطويلة والقصيرة لتكون بمثابة المدخل للقارئ ليدرك هذا كله ولا يتحير! فإذا كان بعض القراء يستطيلون المقدمات ويصفونها بالمملة أحياناً فأنا أقترح عليهم أن يتجاوزوها ويطالعوا القصائد مباشرة! وإذا فعلوا فأنا على مثل اليقين من أنهم سوف يرجعون للمقدمات ليدركوا بعض الأسرار! وإنني حاولت أن أجعل من شعري شاهداً على العصر الذي أعيش! فلقد طرقتُ جُل القضايا إن لم يكن كلها في أشعاري! كما أنني حرصتُ على الكتابة على كل بحور الشعر العربي الستة عشر! الأمر الذي ليس عليه أغلب الدواوين الشعرية من عصر الجاهلية وامرؤ القيس مروراً بصدر الإسلام ووصولاً إلى عصرنا الحديث هذا. وأنا على

يقين من أن عمر هذا الشعر سيكون أطول من عمري ، وسيعيش بعدي ليعلم الأجيال والأبناء والأصدقاء والناس أجمعين ماذا كنتُ وعلى أي منهج حياة عشتُ وبأي دِين دِنت! إن شعراء كثيرين يرحلون عن حياتنا ولا ندري عنهمُ الكثير كما لا نعرف عن ميولهم ولا اتجاهاتهم ولا آرائهم ولا عن عقائدهم! أما شعري فهو يقدم لمن يقرأ فيه ويطالع بحيدةٍ وموضوعيةٍ كل هذه الأشياء عني بكل صدق وشفافية! ولقد قلت بالشعر كل الذي أدين به الله – عز وجل – وأتابع به النبي – صلى الله عليه وسلم -. وكنتُ صريحاً كل الصراحة فيما أوردت وتناولت! إذ الشعر عندي له رسالة وحقيقة ، والشاعر عندي له رسالة وحقيقة! ما الشعر إن لم يقدّم الحلول لمشكلات الواقع المُعاش؟ وما الشاعر إن لم يذد عن القيم والفضائل في شعره؟! وأنا مع الأستاذ رياض عبد الله الزهراني الذي يحدد حقيقة الشعر والشاعر فيقول ما نصه: (للشاعر وظيفة ورسالة! فهو لسان القبيلة وأداتها الفاعلة! فكم من قبيلة حملت العار دهراً بسبب قصيدة! وكم قبيلةٍ نالت الفخر زمناً بسبب قصيدة! كل ذلك كان في الجاهلية فخرٌ وحماسة وعنصرية وغزل وحُب وأشياء كثيرة يذكرها التاريخ وتذكرها كُتب الأدب العربي الجاهلي. ففي الجاهلية كانت القبيلة تفتخر بولادة شاعر وتفتخر بنبوغ أحد أبناءها في الشعر ، فالثقافة والبيئة الصحراوية القاحلة جعلت الشعر يحتل مكانة عالية لدى المجتمعات ، واليوم وتجاوزاً لما بعد العصر الجاهلي من عصور وقرون وأُمم يبقى الشعر يحتل مكانة لدى المجتمعات خصوصاً بمنطقة الخليج ، حيث الثقافة المجتمعية والعادات والتقاليد والسلوم والأعراف والتاريخ وحوادثه القديمة جعلت من الشعر خصوصاً النبطي منه "العامي" يتصدر المشهد الثقافي الخليجي ، ولا تستطيع مجتمعات الخليج التخلص منه لارتباطه بالمناسبات الاجتماعية ، كالأفراح والحفلات الرسمية فضلاً عن جذوره التاريخية العميقة ، الشاعر والشّعراء خصوصاً العاميون بعيدون عن نظر الناقد والراصد وبعيدون عن منصة النقاش الأدبي العلمي المنهجي ، وقد تكون هناك محاولات لكنها لا ترقى لمستوى يُمكنها في كشف الركاكة في بعض النصوص وكشف الإجادة في بعضها ، الشعر العامي بمختلف أنواعه الأدائية والحركية نابعٌ من البيئة وليس طارئاً ، وهذا حافز يجب أن تستغله مؤسسات الثقافة والفنون والمّهتمين بالأنواع الأدبية والأدائية لدراسة الشعر العامي ووظيفته على مدى قرون مضت من عمر الثقافة الشعبية القروية والصحراوية. والشعر الحقيقي أياً كان عامياً أو فصيحاً فإنه يحمل رسالة بأمانة وصدق ، فهو يهتم بالتفاصيل ويصور المشاعر بشكلٍ حقيقي ، فالشعر فلسفة قبل أن يكون موهبة ، والشاعر الحقيقي يهتم بالتفاصيل ويصورها بشكلٍ يجعل منها أيقونة تُحفز الآخرين على الإبداع ، الشاعر الحقيقي يختلف عن المصور والرسام ، فالمصور والرسام يُخرج الصورة كما هي مع إضافات بسيطة في بعض الأحيان. أما الشاعر فإنه يُخرج الصورة بشكلٍ مُختلف ، وهذه ميزة الشاعر الحقيقي الذي يختلف عن الشاعر الركيك راكب موجة الشعر والموهبة والحضور ، الشعر رسالة ومشاعر! وأغلب شعراء اليوم بينهم وبين الشعر والمشاعر بَونٌ شاسع. وتلك مشكلة لها تداعياتها الثقافية والاجتماعية في المستقبل القريب وهذه بحاجةٍ لمن يّفكك رموزها وتعقيداتها اللفظية والسببية ، المشاعر في شعر شعراء اليوم خصوصاً النبطي منه لا تتجاوز وصف الأجساد الأنثوية والأرداف الشاكية والعيون الحزينة والصدور المّلتهبة والنهود الشامخة. "كما يقول أحدهم" وقل أن نجد نصوصاً تتحدث بصدق عن المشاعر الصادقة والشوق الطاهر والحّب الحقيقي).هـ. وإن كنت أقررتُ الباحث في التعريف بحقيقة الشعر والشاعر ولكنني لست معه في الترويج للشعر النبطي ، بل بالعكس فأنا أراه يزاحم العربية الفصحى مزاحمة شديدة! كما أنني أراه إقليمياً لا يفهمه إلا أهل محلته! وإنك لواجد في المدن أناساً لا يفهمون شيئاً من شعر أو عزيف شعراء البادية ، وإن كان الكل ينتمي لدولةٍ واحدةٍ ويحمل جنسيتها! وإن كنتُ أرى أن الروايات والقصص

والدراما طغت على الشعر في زماننا ، إلا أنني متفائلٌ للشعر العربي الأصيل بمستقبل مشرق في قابلات الأيام! ذلك أن الروايات والقصص لم تعد تهتم كثيراً بالواقع على حين يهتم الشعر بالواقع! وهناك قضية أخرى على الساحة وهي قضية شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر الحديث المتحرر من الوزن والقافية والمتفلت من قواعد الشعر العربي! وتلك قتلناها بحثاً في أكثر من قصيدة ومقدمة ولا أريد أن أكرر شيئاً قلته من قبل! وهذه المحاولات تجاوزت إلى اليوم نصف قرن ، فهل كتب لها البقاء والاستمرار؟ بالطبع لا! ذلك أنها تقوم على أيدي أناس مفلسين لا لغة ولا علم عند أغلبهم! والشعر العربي الأصيل جزءٌ من لغتنا العربية ، ولغتنا العربية جزءٌ من قرآننا وسُنتنا ، وعلى هذا فاللغة العربية بشعرها ونثرها جزء لا يتجزأ من ديننا الإسلامي! يقول الأستاذ إبراهيم أحمد الوافي عن هذا الصدد بالنص: (إن المَدّ الروائي لدى كثير من شعراء العصر هو ثرثرة كثيرة لا تليق بقصيدة النثر. وتحول (عصري) من موسيقى الصوت الى فضاء الرؤية متماهياً مع المدعو (فيديو كليب!) ربما وهذا في نظري مردّه لأزمة حقيقية يمر بها الشعر في العصر الراهن لعل أهمها غياب (المجد) الذي التصق بالشعر على مدى تاريخه ، ناهيك عن الأزمة الحقيقية التي يمر بها الشاعر في العصر الراهن ، وللحديث عن الشعر المعاصر وزاوية الرؤيا له لا بد من الحديث عن الشاعر ، فالشاعر الذي كان قديماً وزارة إعلام القبيلة ، وجد بوناً شاسعاً في العصر الحديث بين تصوراته المسبقة وبين واقع الحال ، فالشاعر الذي مازال يحلم دائماً بدور المرشد والمخلص ، تفاجأ بعصر لا يرحب بالمرشدين ولا المخلصين ، والشاعر الذي مازال يتوهّم أنه سيغير العالم بالكلمات سيفجع بحقيقة أن العالم اليوم لا يتغير بالكلمات وحدها ، وكذلك الشاعر الذي يتخيل نفسه خطيباً على منبر تحتشد حوله الجماهير المتعطشة لتتلقف كل كلمة يتفوه بها ، سيشعر أن هناك أزمة ما. وفي الحقيقة فإن الشاعر في العالم لم يعد مرشداً ولا زعيماً ولا خطيباً (كما يرى الشاعر السوري نزار بريك في كتابه صوت الجوهر) وإنما هو فرد من أفراد المجتمع ، يتميز عن غيره بطريقته الخاصة في رؤية الأشياء والتعامل معها وصياغتها فنياً وجمالياً ، وفي قدراته على التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته واكتشاف المسارات العامة للوجود الإنساني واستشراف الآفاق المستقبلية ، وممارسة تأثيره على وجدان الناس من خلال العلاقة الحميمة والهادئة معهم ، والتي ربما صار مسرحها الحقيقي اليوم هو القراءة الفردية لا المهرجانات الحاشدة ، وهذا المآل ليس أزمة في الشعر نفسه وإنما هو محصلة طبيعية لمجموعة واسعة من العوامل والشروط التي أملاها العالم المعاصر ، وبالتالي وجد كثير من الشعراء أن الأسلوب السردي أجدى نفعاً في ظل هذه التداعيات وربما كنت واحداً منهم).هـ. وإن اختلفت مع هذا الباحث فيبقى شكره على ما قدّم من رأي! والله ولي التوفيق ومنه العون والسداد! وأما عن قراءتنا الأسلوبية لشعر أبي الفوارس الجاهليين عنترة بن شداد العبسي فلم تبعُد كثيراً عن هذا الطرح الذي أسلفنا في حديثنا عن الشعر العربي! وحاولتُ جاهداً أن أحلل نصوص عنترة الشعرية تحليلاً أسلوبياً يستهدف ما وراء كل قصيدةٍ أو مقطوعةٍ شعريةٍ من معان! وكان طبيعياً أن أشير إلى جو النص الشعري والهدف من كتابته! واخترتُ عنترة نموذجاً للشعراء الجاهليين الذين لم يُدركوا البعثة المحمدية! ويخطيء من يقول لم يُدركوا الإسلام! بل الإسلام دين الناس أجمعين من عهد آدم ونوح وإلى قيام الساعة! وكان على عنترة ومن شاكله من أهل زمانه أن يلتمس الحنيفية السمحة دين إبراهيم! وذلك بدلاً من أن يعيش على عبادة الأصنام والأوثان ويموت على ذلك!

ترجمة عنترة بن شداد

لقد درج أصحاب دراسة النقد بأنواعه التحليلي والأدبي والأسلوبي أن يُوردوا ترجمة دقيقة موجزة للشخصية التي يتناولونها أو بالأحرى للشاعر الذي ينقدون ويُحللون شعره! وجرياً على منهجهم واقتفاءً بسنتهم وسيراً على دربهم ، نورد هذه الترجمة المختصرة عن أبي فوارس زمانه وشاعرهم عنترة بن شداد العبسي! وذلك في مستهل قراءتنا الأسلوبية لشعره! جاء في (الويكيبيديا الحرة) عن عنترة ما نصه: (عنترة بن شداد بن قراد العبسي (525 م - 608 م) هو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام (البعثة النبوية) ، واشتهر بشعر الفروسية ، وله معلقة مشهورة. وهو أشهر فرسان العرب ، وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف (بعبلة بنت مالك ابنة عمه)! وأما اشتقاق اسم عنترة فهو مشتق من ضرب من ضروب الذباب يقال له العنتر! وإن كانت النون فيه ليست بزائدة فهو من العَثْرِ والعَثْرُ الذبح! والعنترة أيضاً هو السلوك في الشدائد والشجاعة في الحرب. وإن كان الأقدمون لا يعرفون بأيهما كان يُدعى: بعنتر أم بعنترة فقد اختلفوا أيضاً في كونه اسماً له أو لقباً. وكان عنترة يلقب بالفلحاء ، من الفلح أي شق في شفته السفلى! وكان يُكنى بأبي الفوارس لفروسيته ، ويُكنى بأبي المعايش وأبي أوفى وأبي المغلس لجرأته في الغلس ، أو لسواده الذي هو كالغلس ، وقد ورث ذاك السواد من أمه زبيبة ، إذ كانت أمه حبشية وبسبب هذا السواد الكثيف عده القدماء من أغرب العرب! و(عنترة) و(عنتر) مسمىً لشخص واحد! درج بعض الرواة على تسمية عنترة باسم عنتر ، ولربما استناداً إلى ما سمعوه من قوله:

(يدعُونَ عنتــرُ والرّمــاحُ كأنّها --- أشطانُ بئــر في لبَان الأدهمِ)!

وقوله متحدثا عن نفسه ذاكراً اسمه في موضع ثان:

(ولقَد شفَى نفسِي وأبرَأ سُقمها --- قيل الفَوارس ويْك عنتر أقدمِ)!

ولقد شرح الخطيب التبريزي البيت الأول بقوله: "ويروى عنتر- أي بالضم - فمن رواه بفتح الراء فإنه رخّم عنترة وترك ما قبل المحذوف على حاله مفتوحاً ، ومن روى عنتر وضمّ الراء احتمل الوجهين: أحدهما أن يكون قد جعل ما بقي اسماً على حاله إلّا أنه قد صار طرفاً كحرف الأعراب ، والثاني مارواه المبرّد عن بعضهم أنه كان يسمى "عنتراً" ، فعلى هذا الوجه لا يجوز إلا الضمّ ، هكذا ذكره النحاس ، ويجوز أن يكون عنتر على هذا الوجه منصوباً بـ"يدعون" ". ويذكر شارح القاموس أنه "قد يكون اسمه عنتراً كما ذهب إليه سيبويه". على أن المتواتر في الكتب المعتمدة وما عليه الكثيرون هو أن اسمه "عنترة" لا "عنتر" والعنترة السلوك في الشدائد والشجاعة في الحرب ، وهذا أقرب إلى مسمى فارس بني عبس. ولد عنترة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي ، وبالاستناد إلى أخباره ، واشتراكه في حرب داحس والغبراء فقد حدّد ميلاده في سنة 525م. تعزّز هذه الأرقام تواتر الأخبار المتعلّقة بمعاصرته لكل من عمرو بن معدي كرب والحطيئة وكلاهما أدرك الإسلام. وأمه كانت أميرة حبشية يقال لها زبيبة! وكانت قد أُسرت في هجمةٍ على قافلتها ، وأعجب بها شداد فأنجب منها عنترة ، وكان لعنترة إخوة من أمه عبيد هم جرير وشيبوب. وكان هو عبداً أيضاً لأن العرب كانت لا تعترف ببني الإماء إلا إذا امتازوا على أكفائهم ببطولةٍ أو شاعريةٍ أو سوى ذلك. وأما نسبه فهو: عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة ، وقيل عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن

سعد بن قيس عيلان بن مضر. وُلد عنترة لأب عربيّ وأمّ حبشيّة ، فجاء مختلفاً عن بقية أقرانه في ضخامة خلقته وعبوس وجهه وتلفلف شعره وكبر شدقيه وصلابة عظامه وشدة منكبيه ، وطول قامته ، وشبه خلقته لأبيه شداد. وحياته في العبودية كانت حياة مريرة ، فلقد ذاق عنترة مرارة الحرمان وشظف العيش ومهانة الدار لأن أباه لم يستلحقه بنسبه ، فقد كان أبوه هو سيده ، يعاقبه أشد العقاب على ما يقترفه من هنات ، وكانت سُمية زوجة أبيه تدس له عند أبيه وتحيك له المكائد ، ومن ذلك أنها حرشت عليه أباه مرة ، وقالت له: "إن عنترة يراودني عن نفسي". فغضب أبوه غضباً شديداً وعصفتْ برأسه حَمِيّته ، فضربه ضرباً مبرحاً بالعصا وأتبعها بالسيف ، ولكن سمية أدركتْها الرحمة في النهاية – وكانت رقيقة المشاعر - فارتمت عليه باكية ، تمنع ضربات أبيه التي ما كانت إلا بسببها وبكيد الأنثى ، ولكن رقة قلبها منعتها من التمادي في الكذب والادعاء الذي كاد يودي بعنترة ، فرقّ أبوه وكفّ عنه. فاعتبر عنترة بشعر يقول فيه:

أَمِن سُهَيَّةَ دَمعُ العَينِ تَذريفُ ... لَو أَنَّ ذا مِنكِ قَبلَ اليَومِ مَعروفُ

كَأَنَّها يَومَ صَدَّت ما تُكَلِّمُني ... ظَبيٌ بِعُسفانَ ساجي الطَرفِ مَطروفُ

تَجَلَّتنِيَ إِذ أَهوى العَصا قِبَلي ... كَأَنَّها صَنَمٌ يُعتادُ مَعكوفُ

المالُ مالُكُمُ ، وَالعَبدُ عَبدُكُمُ ... فَهَل عَذابُكَ عَنّي اليَومَ مَصروفُ؟

تَنسى بَلائي إِذا ما غارَةٌ لَقِحَت ... تَخرُجُ مِنها الطُوالاتُ السَراعيفُ

يَخرُجنَ مِنها وَقَد بُلَّت رَحائِلُها ... بِالماءِ يَركُضُها المُردُ الغَطاريفُ

قَد أَطعَنُ الطَعنَةَ النَجلاءَ عَن عُرُضٍ ... تَصفَرُّ كَفُّ أَخيها وَهوَ مَنزوفُ

لا شَكَّ لِلمَرءِ أَنَّ الدَهرَ ذو خُلُفٍ ... فيهِ تَفَرَّقَ ذو إِلفٍ وَمَألوفُ

وأما عن مسألة استلحاقه بنسب أبيه فكانت غاية في الغرابة ، ذلك أن قبيلة طيء أغارت على عبس في ثأر لها ، إذ سبق لقبيلة عبس أن غزتها واستاقت إبلها ، وكان عنترة مع بني قومه في حومة النزال ، ولكنه اشترك مدافعاً لا مهاجماً ، وسبب ذلك ما روي أنه شارك من قبل في غزو طيء ، ولكنهم بخسوه حقه في الغنائم ، إذ فرضوا له نصيب العبد منها وهو النصف فأبى ، ومن ثم تقاعس عن الخوض في المعركة. واشتد الخطب على بني عبس حتى كادت أن تُسلب خيراتها وتدور عليها الدوائر ، وحينئذ صاح بعنترة أبوه قائلاً: "كُرّ ياعنترة!" ، فأجاب عنترة على النداء: "لا يُحسن العبد الكرّ إذ ليس يحسن إلا الحلاب والصر". وفي تلك اللحظة لم يجد أبوه بدلاً من أن يمنحه اعتباره فصاح به: "كُرّ وأنت حر". وعنترة يدرك طبيعة العرب الذين ينتسب وأبوه إليهم! وهنا تأكد من عزم أبيه فكرّ عنترة وراح يعدو وهو ينشد مرتجلاً مرتجزاً:

كل امرئ يحمي حِرَه ... أنا الهجينُ عنترة

والشعرات المشعره ... أسودَه وأحمرَه

الواردات مشفره

وكان النصر لبني عبس فاحتفلت القبيلة بعنترة وكرمتْه. وحب عنترة وعبلة كان حباً عجيباً ، فلقد كان لقاء الحبيبين هناك في البادية قبلاً لصخرة في منطقة الجواء ، السعودية حالياً ، حيث يقال بأن عنتر كان يقابل حبيبته عبلة هناك. ومن هنا ذكر (الجواء) في مستهل معلقته! ولقد أحبّ عنترة ابنة عمه عبلة بنت مالك أعظم الحب وأشده ، وكانت من أجمل نساء قومها وأبعدهم صيتاً في اكتمال العقل ونضرة الصبا ، ويقال إنه كان من أقسى ما يعيق هذا الحب صلفُ أبيها مالك وأنفة أخيها عمرو. تقدم عنترة إلى عمه مالك يخطب ابنته عبلة ، ولكنه رفض أن يزوج ابنته من رجل أسود. ويقال: إنه طلب منه تعجيزاً له وسداً للسبل في وجهه ألف ناقة من نوق النعمان المعروفة بالعصافير مَهراً لابنته ، ويقال: إن عنترة خرج في طلب عصافير النعمان حتى يظفر بعبلة ، وإنه لقي في سبيلها أهوالاً جساماً ، ووقع في الأسر ، ثم تحقق حلمه في النهاية وعاد إلى قبيلته ومعه مهر عبلة ألفاً من عصافير الملك النعمان. ولكن عمه عاد يماطله ويكلفه من أمره شططاً ، ثم فكر في أن يتخلص منه ، فعرض ابنته على فرسان القبائل على أن يكون المهر رأس عنترة! ثم تكون النهاية التي أغفلتْها المصادر القديمة وتركت الباحثين عنها يختلفون حولها ، فمنهم من يرى أن عنترة فاز بعبلة وتزوجها ، ومنهم من يرى أنه لم يتزوجها ، وإنما ظفر بها فارس آخر من فرسان العرب. وقد سكتت المصادر العربية عن ذكر عبلة إلا في مجال تشبيب عنترة بها وحبه لها ، فلم تنوّه عما إذا كان قد تزوج بها أم بقي حبه معلقاً. حيث ذهب البعض إلى القول بأن عنترة لم يتزوج عبلة ، بل تبتل في حبها ، وأن أباها وأخاها منعاه من زواجها ، وأنها زوجت من أحد أشراف قومها على رغم عنترة. وقد قاس أصحاب هذا الرأي قولهم هذا قياساً على عادة العرب من منعها بناتها أن يزففن إلى من يشبب بهن قبل الزواج! ويميل البعض إلى الرأي القائل أن عنترة تزوج عبلة لعوامل وأسباب ، منها أنه قد استحلق بنسب أبيه فزالت عنه هجنة النسب وأصبح ابن عم لعبلة ، ثم إنه كان من أشهر فرسان قبيلة بني عبس بل أشهر فارس من فرسان العرب ، وقوته وفروسيته مما لا يغفله من حسابه من يريد زواج عبلة ، إذ إنه سيتعرض لانتقام عنترة وثأره لكرامته. وانتهت حياة عنترة بعد أن بلغ من العمر تسعين عاماً تقريباً ، فقد كانت حياته منحصرة بين سنتي 525 و615 ميلادية ، وذكر الزركلي في الأعلام أن وفاته كانت في عام 600 ميلادية ، وهو ما يوازي العام الثاني والعشرين قبل الهجرة. وذكر في نهاية عنترة روايات عدة ، على أن الرواية المتداولة والمرجّحة هي رواية صاحب الأغاني بقوله أن عنترة أغار على بني نبهان من طيء ، فطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول: (آثار ظُلمان بقاعٍ محربِ)! قال: وكان زرّ (وقيل وزر) بن جابر النبهاني في فتوّة ، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سلمى ، فقطع مطاه (أي ظهره) ، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله ، وواجه عنترة الموت بشجاعةٍ وبطولةٍ فقال عنترة وهو مجروح:

إِنَّ اِبنَ سَلمى فَاِعلَمــوا عِندَهُ دَمــي ... وَهَيهاتَ لا يُرجـى اِبنُ سَلمى وَلا دَمي

يُحِلُّ بِأَكنـــافِ الشِعـــابِ وَيَنتَمي ... مَكـــانَ الثُرَيّـــــا لَيسَ بِالمُتَهَضِّمِ

رَماني ، وَلَم يَدهَش بِأَزرَقَ لَهــذَمٍ ... عَشِيَّةَ حَلّــوا بَينَ نَعــفٍ وَمَخــرَمِ

قال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص الطائي).هـ. ونحن لا نعوّل كثيراً على الرواية التي أوردتها الويكيبيديا الحرة عن الأصفهاني في أغانيه! وموقفنا من (الأغاني) معروف! وهو موقف كثير من النقاد والباحثين المنصفين المحققين الثقات الذين طعنوا في نزاهة ودين وأخلاق وتحقق الأصفهاني! فلم

يعد له وازع من دين أو خلق أو مهنية ليتحقق من رواياته فلا يورد الضعيف أو المكذوب! وإنما كان الأصفهاني في أغانيه – كما هو في سائر كتبه – حاطب ليل! وأعتقد أنني تناولته في مقدمة إحدى قصائد ديواننا المبارك الميمون: (السليمانيات) وكنت قد أسميتها: قصيدة (السيف اليماني في نحر صاحب الأغاني)! وقبل أن ننتقل إلى فكرة أخرى نناقشها ونقدمها ، يطيب لي أن أبين حقيقة يعلمها كثيرون ويتغاضي عنها كثيرون! هذه الحقيقة تتعلق بالكتاب الملعون (الأغاني) للرافضي الخبيث (أبي الفرج الأصفهاني) عليه من ربه المنتقم الجبار ما يستحقه! لقد غلا أناس كثيرون في هذا الكتاب النشاذ الحقير وفي كاتبه الخبيث الحقير! قال الدكتور علي الصلابي عن كتاب الأغاني وصاحبه: (كتاب الأغاني للأصفهاني: يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه ، وله طنينٌ ورنينٌ في آذان أهل الأدب والتاريخ ، فليس معنى ذلك أن يُسكت عما ورد فيه من الشعوبيَّة والدس ، والكذب الفاضح والطعن والمعايب. وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيِّم الذي سماه: "السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني" ، فقد شمر – جزاه الله خيرًا - عن ساعد الجد ليميز الهزل من الجد ، والسم من الشهد ، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب والأغاليط ونيران الشعوبية والحقد ، وهي تغلي في الصدور كغلي القدور ، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة ، تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف ، وتُجرّح سيرتهم ، وتشوه سلوكهم. كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين ، بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات. وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيِّم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب ، والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي ، وتفضِّل الجاهلية على الإسلام ، وغيرها من الأباطيل. ولننظر رأي القدامى في الأصفهاني! لقد تحدث العلماء فيه قديمًا: قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ، ثم تكون كل روايته منها. وقال ابن الجوزي: ومثله لا يوثق بروايته ، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني ، رأى كل قبيح ومنكر! وقال عنه الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يُضعِّفه ، ويتهمه في نقله ، ويستهول ما يأتي به!).هـ. وتحت عنوان: (فضائحُ أبي الفرج الأصفهانيّ في كتابِهِ الأغاني) يقول الدكتور أيّوب جرجيس العطيّة ما نصه بتصرف: (إنّ كتاب (الأغاني) للأصفهاني له وقعه عند أهل الأدب والتاريخ ، خاصّتِهم وعامّتِهم ، وله صدى أكثر من غيره من الكتب ، لا لدسمه ، ولكن لما حوى من أخبار متعددة وكثيرة عن الغزل والغناء والنوادر وغيرها! ومازال الكثير منا مخدوعاً بهذا الكتاب الطويل العريض لهذا السبب ، وللأمانة العلمية ، ودفاعاً عن العقيدة والرجال الأفذاذ ، وكشفا لفضائح الأصفهاني ، رأيت أن أتحدث عنه ، وقد أثار قلمي ما كتبه (عبد الستار فرّاج) من مدح فيه فيقول: "ويجيء أبو الفرج الأصفهاني فيؤلف كتاباً يبلغ الغاية من الروعة والنهاية في الإبداع! والأصفهاني هو عليّ بن الحسين ، ولد في أصفهان سنة284هـ ، ونشأ في بغداد والكوفة ، وأخذ العلم عن ابن دريد الأنباري ، والأخفش وغيرهم وله تصانيف منها: أخبار القِيان ، وأدب الغرباء ، الأخبار والنوادر ، وله شعر كثير فيه فحش وبذاءة! ألف كتابه (الأغاني) في عهد آل بويه ، فتكلم عن الغناء منذ الجاهلية إلى عصر المعتضد بالله المتوفى سنة289هـ ، وسكت عما بعد ذلك وكأنه أراد رضا آل بويه ، وكأنّ الهدف من تأليف كتابه لم يكن الأدب ولا الشعر ، إنما كان هدفه ذكر الغناء والمغنين ، لذا نرى أغلبه يتضمن الغناء وأخبار اللهو والطرب والسخرية ، ونذكر أقوال العلماء فيه: قال فيه ياقوت: (كان أبو الفرج الأصفهاني إذا أورد عنه شيئاً في

كتابه أعقبه بالوقيعة فيه ، والتنقيص له ؛ ويقول: إنه كثير التخليط ، قليل التحصيل. ومن تصانيفه: كتاب المسالك والممالك ؛ كتاب أدب السماع ؛ كتاب الطبيخ ؛ كتاب اللهو والملاهي ؛ كتاب جمهرة الأنساب للفرس ؛ كتاب الأنواء ؛ كتاب الندامى والجلساء ؛ كتاب الشراب. وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد الخصيصين به ، وكان وسخاً قذراً لم يغسل لنفسه ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه ، وكان المهلبي شديد التقشف عظيم التنطس ، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم. وقال فيه: كان أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني ، أموي النسب عزيز الأدب.....وله تصنيفات منها: كتاب الأغاني ، وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه ، وله شعرٌ جيد إلا إنه في الهجاء أجود ، وإن كان في غيره غير متأخر ، وكان الناس في ذلك العهد يحذرون لسانه ، ويتقون هجاءه ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره ، لأنه كان وسخاً في نفسه ، ثم في ثوبه ونعله ، حتى إنه لم يكن ينزع دراعة الأ بعد إبلائها وتقطيعها ، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلاً ، ولا قال الأستاذ شوقي أبو خليل مقوماً مصادر فيليب حتَّى في كتابه تاريخ يطلب! منه في مدة بقائه عوضاً العرب المطوّل ما نصه: (واعتمد حتى كتاب الأغاني للأصفهاني ، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً ، إنّه كتاب أدب ، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة ، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرِّواية. إن كتاب الأغاني الذي جعله حتَّى مرجعاً تاريخياً معتمداً ، صاحبه متَّهم في أمانته الأدبيَّة والتاريخية ، جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: أن الأصفهاني في كتابه الأغاني كان يأتي بالأعاجيب بقوله: حدثنا وأخبرنا. ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً .. وهذا يناسب المؤلِّف وخياله وحياته ، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب ، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به! و قال ابن الجوزي: (ومثله لا يوثق بروايته ، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني ، رأى كل قبيح ومنكر! ولقد امتلأ كتاب (الأغاني) بالكفر والسخرية من الوحي واليوم الآخر والصلاة والافتراءات على آل البيت والقدح في سلوكهم ، ويسمهم بالغفلة والجبن ، ويتهمهم بسماع الأغاني وقضاء أوقاتهم في اللعب واللهومن ذلك سخريتُهُ من اليوم الآخر حينما لفق قصة من نسخ خياله المريض وهي أن (الغريض) المغني غنى للقوم ، وأعجبه غلام فطلب أن يكلم الغلام خلوة فوافقوه وقال: "فانطلق مع الغلام ، حتى توارى بصخرة ، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم: وأقبل الغريض يتناول حجراً ، يقرع به الصخرة ففعل ذلك مراراً. فقالوا له: ما هذا يا غريض؟ قال: كأني بها قد جاءت يوم القيامة رافعة ذيلها تشهد علينا بما كان منا إلي جانبها ، فأردت أن أجرح شهادتها على ذلك اليوم. ما أقبح الخبر ، وما أتفهه! يستخف من اليوم الآخر ومن علم الجرح والتعديل ، إنها إساءة إلى دين الله ، وإلى العقيدة! أما سخريته من الصلاة ، فقد نسج قصة من خياله المريض أن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس اجتمعوا يوماً فشربوا وسكروا ثم قاموا فتذكروا أنهم ما صلوا منذ أيام قال في: " فقام مطيع ، فأذن وأقام ، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا لذلك ، فقال مطيع للمغنية: تقدمي فصلي بنا. فتقدمت تصلي بهم عليها رقيقة مطيبة بلا سراويل فلما سجدت ، بان فرجها ، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبله ، وقطع صلاته ثم قال...(أبياتا)..... فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا ثم عادوا إلى شربهم. ثم يعلن الكفر البواح ولكن على لسان زانية اسمها (بُصَيبصة) جارية ابن نفيس عندما أرادت أن تدبر حيلة لتأخذ درهما من (مزبد) البخيل المديني صاحب النوادر فيقول: "بعد أن شربوا الخمر وأكلوا ، قالت: أبا إسحاق – مزبد - كأن في نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة؟! فقال: زوجتي طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ. فغنته ، فقالت:

أبا إسحاق كأنّ في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلي جانبي فتقرصني قرصات ، أغنيك. فقال: زوجتي طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وماذا تكسب نفسي غداً ، وبأي أرض تموت. فغنته ، ثم قالت: برح الخفاء ، أعلم أنك تشتهي أن تقبلني. فقال: أنت نبية مرسلة. فقالت: إيْ أبا إسحاق هلمَّ درهما نشتري به ريحاناً. فوثب فصاح: واحرياه ، أي زانية! أخطأت ، استك الحفرة. انقطع عنك الوحي الذي كان يوحي إليك هكذا يسخر أبو الفرج من الوحي ، ومن النبوة ، وهكذا الكفر لم يستطيع أبو الفرج أن يعلنه ولكن زور حكاية على ألسنة المغنيين الذين يطربون أبا الفرج ، فينطلق لسانه بالطعن وبث السموم ليعلم الناشئة ذلك الكفر. ويشبه الخلفاء بقوادات القرن العشرين قال: فدخل ـ أشعب المغني ـ فلما رآه الوليد (بن يزيد) كشف عن أيره وهو منعظ. قال أشعب: فرأيته كأن مزمار أيفنوس. قال لي: أرأيت مثله قط؟ قلت: لا يا سيدي. قال: فاسجد له. فقال أشعب: فسجدت له ثلاثاً. فقال: ما هذا؟ قلت: واحدة لأيرك ، واثنتين لخصيتك. لقد سخر الأصفهاني من السجود ، والخلافة ، والصلاة. وكأنّ الرجل طبع على المُجون والدعارة فلطخ بها الأطهار حقداً وكيداً! وسخريته واضحة بآل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، فيذكر أن المنصور كان يريد البيعة لابنه المهدي وكان ابنه جعفر يرفض ذلك فيجتمع الناس وتحدثوا ، وفيهم مطيع بن أياس فقال للمنصور: يا أمير المؤمنين حدثنا فلان أن النبي قال المهدي منا محمد بن عبد الله... يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، فتمت البيعة له وشهد على ذلك العباس بن محمد أخو المنصور ، فشهد خوفاً من المنصور ، فلما انفض المجلس قال العباس: أرأيتم هذا الزنديق: إذ كذب على الله ورسوله ، حتى استشهد على كذبه فشهدت له خوفاً... قال وكان جعفر بن أبي جعفر ماجناً ، فلما سمع قول مُطيع بن أياس هذا غاضه وشقت عليه البيعة لمحمد ، فأخرج أيره وقال: إن كان أخي محمد هو المهدي ، فهذا القائم من آل محمد! إلى هذا الحد بلغتِ الوقاحة بالأصفهاني حتى يصف بني العباس بالناس الأراذل ، ويُجري على ألسنتهم الألفاظ التي لا يتلفظ بها إلا الماجنون من أمثاله؟ ويذكر أنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان يشرب الخمر ويحرك رأسه ، و(عزة الميلاء) بين يديه (أي المغنية). أما عن حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عنه أنه كان يستمع للغناء ، ويطرب لعزة الميلاء. ويصور أبو الفرج أن الخليفة وحجاج بيت الله الحرام أولاد زنا ، فقال على لسان الوليد بن يزيد للبندار ـ الخازن ـ: "ثم قال: البندار ولد زنا ، والوليد ولد زنا وكل من ترى حولنا ولد زنا أفهمت؟ قلت نعم..." واختلق حكاية لقذف المسلمين على سبيل المزاح. ويلفق خبراً يُعلي به شأن أجداده ، فادعى أن أهل فارس هم الذين بنو الكعبة: "وكان سعيد بن مسجح مولداً.... فرأى الفرس وهم يعملون الكعبة لابن الزبير ، ويغنون الفارسية". ولم تشر مصادر التاريخ أن الفرس هم الذين بنوا الكعبة في يوم من الأيام! إن هو إلا اختلاق أبي الفرج. ويذكر الأصفهاني أن أباعتيق توسط وطلب من الحسن والحسين إرجاع لبنى إلى قيس ففعلا ذلك ، ثم حصل بينهما فراق ، حتى طلقها أبوه ، ثم جاء ثانية أبو عتيق يطلب منهما التوسط عند زوجها الثاني ، وهما لا يعرفان القضية فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن لأبي عتيق. قال: هي قضية كائنة ما كانت..... قال تهب لهم ولي لبنى زوجتك وتُطلقها.قال: أشهدتهم أنها طالق ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا إليه ، وقالوا: والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا أنها هذه ما سألناها إياك؟ فهل كان الحسن والحسين أبلهين لا يعرفان فيم يمشيان! ثم لماذا يطلبون الطلاق من زوجها الثاني؟ تلبية لهوى قيس؟ أم هوى الأصفهاني في اللعب والدس؟ ويذكر أن يزيد يشرب الخمر بمجلس الحسين فلا ينكر عليه. قال: ولما رجع في خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب فاستأذن عليه عبد الله بن العباس والحسين بن على فأمر بشراب..... فقال: اسق أبا عبد الله يا غلام. فقال الحسين:عليك شرابك. أيها المرء ، لا يمين عليك مني. وقال أبو الفرج إنّ "أشعب

دخل يوما على الحسين بن علي ، وعنده أعرابي قبيح المنظر ، مختلف الخلقة ، فسبح أشعب حين رآه. وقال للحسين عليه السلام: بابي أنت وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه. إنّ الإنسان ليخجل أن يذكر خبراً فيه بذاءة أو فحش أمام زميله فكيف إذا كان الخبر مع علم من أعلام الصحابة؟ وما الدافع لذكره؟ هكذا أراد الشعوبي الحط من أقدار الرجال. أما زوجة الحسين بن علي فيقول عنها: (أسنّتْ فلما مات عنها زوجها كشفتْ قناعها ، وبرزتْ للرجال ، ولما جاءها معبد (المغني) في حاجة غنى لها... فطربت العجوز لذلك... وقالت: أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّ (الباردة). وقال أبو الفرج عن الحسن بن الحسن بن علي أنه طلب من ابن عائشة أن يغني له: "قال لئن لم تغن مائة صوت ، لآمرنهم - إشارة إلى من حوله - بطرحك في البئر ، وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما...". إنها الرعونة وفساد الأخلاق ، يصور الحسن بن الحسن رجلاً سفاحاً وشريراً ، وهمه اللهو والطرب ما أسفهك يا أبا الفرج! ويحكي أبو الفرج أن سكينة بنت الحسين أرجعت أبن سريح المغني إلى الغناء بعد توبته منه ، فيورد قصة طويلة بين سكينة وأشعب يقول في آخرها أنها تقول: "برئت من جدي ، إن برحت داري ثلاثاً ، وبرئت من جدي إن أنت لم تغن. أيفرح مسلم برجوع إنسان إلى المعاصي فضلاً عن شخص من آل البيت؟ وهل سكينة لهذه التفاهة لتتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أهكذا تكون أخلاق أحفاد الرسول؟ أم هي صفات أجداد الأصفهاني في بلاد فارس؟ ثم يذكر قصة بين سكينة والفرزدق ، أنه مر بها يسألها عن شعره ومن أشعر الناس فطردتْه فقال لها: "ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري ، وبي ما قد عِيل صبري ، وهذه المنايا قد تروح لعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإذا أنا مت ، فمري لي أن أدرج في كفني وادفن في حر هذه - إشارة إلى جارية أعجبته - فضحكت سكينة وأمرتْ له بالجارية. أكانت هذه الألفاظ التي تعاف الألسن عن ذكرها تمر على لسان المرأة الطاهرة التقية؟ ثم هل ذكر التاريخ أن الفرزدق كان بذيء اللسان لهذه الدرجة؟ ويحكي أن بنت الخليفة تعطي ثوبها الداخلي للشاعر عمر بن أبي ربيعة. ويذكر أن أبا الأسود الدؤلي (كان كثير الركوب ، فسأله أحدهم عن السبب فقال: أشد أعضائي...واسمع الأخبار... ولو بقيت في بيتي لاغتم أهلي... حتى لعل العنزات تبول على فلا يقول لها أحد هش). ويقول: إن أبا الأسود كان يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط. فقال لمعاوية: استرها عليّ. فقال معاوية: نعم. ثم يذكر أن الناس كانوا يسخرون منه باختلاف حكايات عليه وهذا ديدن أبي الفرج في كتابه. وذكر الشاعر الأحوص المعروف حفيد الصحابي عاصم يراود وصفاء الوليد : "فكان الأحوص يراود وصفاء الوليد - بن عبد الملك - عن أنفسهم ويريدهم أن يفعلوا به. وقد وصف القرنين الثاني والثالث والرابع بشيوع الفاحشة ، فأراد أن يسود تاريخ الإسلام ويبعد حديث: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" حسداً من نفسه وحقداً على الإسلام. ولم يكتف أبو الفرج صاحب القلب الأسود والخيال المريض من نسخ قصصه ، بل ظل يؤلف ويسخر من دين الله ومن رجاله ، فيذكر أن ابن جريج وعطاء بن رباح - وهما من سادات التابعين - قام ابن سريح المغني ليغني لهما.." وغناهما...فغشي على ابن جريج ، وقام عطاء يرقص". هكذا يفتري على أجلاء علماء التابعين الذين يشهد لهم التاريخ بالعلم والتقوى. ويذكر أن "دخل النعمان بن بشير الأنصاري المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال: والله لقد أخفق أذناي من الغناء فأسمعوني ، فقيل: لو وجهت إلى عزة الميلاء ، فإنها من قد عرفت. قال : إي ورب البيت ، إنها لمن يزيد النفس طيباً ، والعقل شحذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتي فأن آبت صرنا إليها.. فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف. النعمان رجلٌ معروفٌ بتقواه وكرمه ، وأبوه الصحابي الجليل بشير الأنصاري الذي روى الأحاديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم. هذا ما ذكرناه من فضائح الأصفهاني ومخازيه في كتابه "الأغاني" وما لم نذكره

أكثر! فهو لا يترك خبراً أو مناسبة في الجاهلية أو في الإسلام خاصة ، إلا ولطخها بالافتراء والحقد والحسد والطعن والكفر. وبعد هذا كله يقول عبد الستار فراج "ويجد أكثر المتأدبين في عصرنا أن المشكلة التي يضيقون بها في مثل كتاب الأغاني هي كثرة الأسانيد وحدثنا فلان عن فلان ، وتعدد الروايات للخبر الواحد... وتلك إحدى الميزات التي يعتز بها المؤلفون القدامى ، ليؤلفوا عملهم ، وليبرأوا مما قد يكون في الخبر من غرابة... والحق أن المشتغلين بالدراسات الأصلية والباحثين وراء الخبر الصحيح ينتفعون كل الانتفاع بذكر الرواة ، لأن ذلك يرشد إلي المنبع الذي تسلسل عنه الخبر" يمدح ويزكي فراج أبا الفرج بأنه ذكر تسلسل الخبر ، وما درى فراج أن أخبار أبي الفرج أغلبها كذب وافتراء لا حقيقة له على الواقع. لقد مرت كل هذه الأخبار والافتراءات المحزنة من الشعوبي الأصفهاني بلجنة التحقيق التي حققت الكتاب ومنهم طه حسين وشفيق جبري ولم تعلق اللجنة شيئا عليه! فطه حسين قد شك في الأدب والتاريخ ، ولم يشك في كتاب الأغاني. يقول (فراج) "مما جعل كتابه مرجعاً أدبياً وتاريخياً حافلاً... وظلت الأساليب الأدبية والأوصاف الباهرة والمعاني العميقة والألفاظ الرشيقة تتحدى الزمن عذوبة وحلاوة وتقيم الألسن وتيسر الصياغة البارعة لمن تشاء. حافلاً بماذا؟ حافلاً بالأعاجيب والأكاذيب والافتراءات على الإسلام والنبوة والوحي وعلى أعلام الصحابة والتابعين ، وهل يكون مرجعاً أدبياً ولا أدب فيه؟ وتاريخياً وكله تزوير واختلاق؟ والألفاظ الرشيقة ، أية رشاقةٍ يا (فراج) فيه بل هي ألفاظ بذيئة ودنيئة وقبيحة. وكيف يقوم اللسان بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة ، وبالألفاظ التي يندى لها الجبين خجلاً من ذكرها؟ ويقول(فراج): "إنه كتاب فيه مجال للدراسات عظيم للدراسات عظيم ومعين للبحث لا ينضب ، وروضة تنعم في مغانيها النفوس. أقول: إنّ الأغاني فيه كفر عظيم ، ومعين لا ينضب من المهازل ، وحفرة وحضيض تنعم في جحيمها النفوس المريضة ويقول: "فهو أمين فيما يسرد علينا...." وما ذكرنا من مطاعن ومهازل أبي الفرج لكفيلة ببيان تفاهة الكتاب وكفر وطعن الأصفهاني في دين الله ورجاله ، وكفيل بالرد على (فراج وأمثاله).انتهى. ويقول الأستاذ محمد يسري أبو هدور تحت عنوان: (الأغاني: كل قبيح منكر) ما نصه بتصرف: (يُعدّ كتاب الأغاني أحد أشهر الموسوعات الأدبية التي دونت باللغة العربية على الإطلاق ، وقد تحدث فيه مؤلفه أبو الفرج الأصفهاني المتوفى 356 هـ عن عشرات الموضوعات ، وتطرق فيه للحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والفنية في القرن الرابع الهجري. ورغم ذلك ، لم يسلم الكتاب من الانتقاد والطعن ، ولا سيما من أصحاب التوجهات المحافظة والسلفية ، وذلك لسببين رئيسين ، الأول ، هو تشيع الأصفهاني ، وتوسعه في الاحتجاج بالرواية التاريخية المعارضة للتوجه السني التقليدي ، والثاني ، هو كثرة قصص المجون والخلاعة التي تضمنها الكتاب! والمؤرخ والفقيه الحنبلي عبد الرحمن بن الجوزي في القرن السادس الهجري، كان من أوائل من طعنوا في الكتاب وفي مؤلفه ، فكان مما قاله في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عن أبي الفرج الأصفهاني (... وكان يتشيع ومثله لا يوثق بروايته ، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر). هذا التوجه السلفي الحنبلي المُعادي للكتاب ، سيظل قائمًا في العصر الحديث ، فعلى سبيل المثال ، أجاب عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو المجمع الفقهي بمكة المكرمة الشيخ السعودي صالح الفوزان عن سؤال وجهه له أحد الطلبة بخصوص حكم اقتناء كتاب الأغاني ، بـ «الأصفهاني شيعي ، وكتابه الأغاني لا يعتمد عليه... طالب العلم لا يجوز أن يقتنيه أو يقرأ فيه حتى لا ينخدع بما فيه. أما الشيخ السوري السلفي محمَّد مصطفى المجذوب ، والذي عمل لفترة طويلة بالتدريس في المملكة العربية السعودية ، فكان أكثر من توسع في انتقاد كتاب الأغاني في العصر الحديث ، إذ خصص

كتابًا كاملاً بعنوان «جولة في كتابي الأغاني والسيف اليماني» للرد عليه والطعن فيه ، وكان من أهم ما ورد في هذا الكتاب ، التأكيد على حقد الأصفهاني على الإسلام ، وأنه ما كتب ما كتب إلا للطعن في الإسلام والعروبة ، فيقول (وُيقْدم هذا الشعوبي – الأصفهاني - على التمكين لسمومه تحت غطاء من التظاهر بالإسلام ، إذ يعرض لاسم واحد من أفاضل الأمة مشفوعًا بما يليق به من صيغ التكريم ، حتى إذا استوثق من ثقة القارئ المغفَّل رماه بباقعة تجعله موضع الهزء والسخرية! وقلما سلم من بوائقه هذه فرد أو جماعة أو حزب ممن لهم حميد الذكر بين العرب والمسلمين منذ العهد). ويلفت المجذوب النظر في موضع آخر من كتابه إلى منهجية الأصفهاني التي وصفها بـ«الخبيثة» في كتابه «وقد ساعده على تسديد طعناته استتاره وراء طرائق المحدثين عند إيراده أخباره ، فهو يمهد للخبر بإسناده إلى سلسلة من الرواة ، بينهم ثقات من أولي العلم والفضل...». وبعدها يحذر المجذوب من خطورة الكتاب ، وكيف رحّب به المستشرقون للطعن في الإسلام ، فيقول: (وقد بدأت الطامة الكبرى بإقبال المستشرقين على «الأغاني» ، إذ راحوا يروّجون له ويشيدون بقيمته ويبثون حبَّه في قلوب تلاميذهم من أبناء المسلمين ومن العرب الحاقدين على الإسلام).هـ. وطبعاً الشيخ الفوزان والشيخ المجذوب قد أقاما الأدلة من كتاب (الأغاني) على ضلال الكتاب وضلال صاحبه! والدكتور الصلابي بذكره الأدلة التي بسطناها بسطاً من كتاب (الأغاني) تكفي للإدانة! وسبق الكل الأستاذ الناقد الأدبي الكبير / أنور الجندي الذي يُعتبر من أوائل المعاصرين الذين كشفوا أباطيل الأصفاني وأضاليل كتابه (الأغاني)! ونشكر للجميع جهودهم ، ونقول: إذا كان هذا موقف أبي الفرج الأصفهاني مع الله تعالى ، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومع الأصحاب المباركين رضوان الله عليهم ، ومع آل بيت رسول الله ، ومع الخلفاء والعلماء رحمهمُ الله ، فهل يُقبل كلامه عن عنترة وسيرته؟! إن أخباره عن عنترة وحقبته الجاهلية ، تعتبر أخباراً مطعونة مجروحة لا يوثق بها ولا بسردها ولا بتنميقها! يا قوم الأصفهاني مخرفٌ ضِليل حاطب ليل جاهل لا ينبغي أن تؤخذ رواياته الصحيحة ولا غيرها! لم؟ والجواب: لأن الله قد كفانا بالعلماء والمؤرخين النحارير المحققين الدارسين الورعين الثقات!

ماهية القراءة الأسلوبية!

إن قراءة ما وراء النص من معان هي لب القراءة الأسلوبية! فلئن كان النقد الأدبي يعنى بالسياق فإن النقد الأسلوبي يعنى بما وراء النص من معان يرمي إليها الأديب ناثراً أم شاعراً من وراء نصه! ولقد هدفتُ إلى دراسة نموذج شعري من نماذج شعراء الجاهلية قارئاً وقائع البيئة العربية الجاهلية قبيل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم -. وبالطبع متعرضاً للخلفيات الاجتماعية والظروف الثقافية والمذاهب الاقتصادية التي واكبت تلك الحقبة من حقب التاريخ الغابرة. وإن كنت أنسى فلا أنسى الظروف والمعتقدات الدينية والتصورات التي كان يدين بها عربُ الجاهلية ، تلك التي كان لها أكبر الأثر في أشعارهم وخطبهم وأقوالهم! إن قراءتنا الأسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي هي بمثابة النافذة التاريخية والأدبية والنقدية التي نطل منها على البيئة العربية القديمة في محاولة منا للتعرف على مدى ما كانت عليه تلك البيئة من عادات وتقاليد وأعراف وسلوم صبغ التوحيد بعضها بصبغة لا إله إلا الله ، ووضع البعض الآخر تحت الأقدام ، فلم يُقرها ولم يعترف بها ، ونبين في قراءتنا هذي أثر البيئة والخلجان الانفعالية في الشعر ، ونثبت كذلك كيف أن عنترة شاعر العشق والحب وشاعر التحدي والمواجهة وشاعر الرثاء وشاعر اللوم والعتاب والتوبيخ وشاعر الفخر والحماسة والحمية والأنفة في آن واحد! والحقيقة أنه قد تبين لي فعلاً من خلال هذه القراءة الأسلوبية كيف أن عنترة علاوة على الذي ذكرت هو بطل اللسان وبطل السنان ، فلقد كان شاعر الكلمة كما هو فارس المعركة! إن الأسلوب يقوم في حقيقته على ركائز منها الاستعداد النفسي لدى الشاعر ومدى انفعاله بالأحداث من حوله ، وكأنما الأحداث هي التي تصنع الشاعر ، ومن هنا فالشعر وليد المعاناة ، وكل شعر لم يُعان صاحبه فيه ولم يَشْق في صياغته وموضوعه ومادته وتركيبه واختيار أسلوبيته فإنه شعرٌ لا روح فيه! ومن هنا رحنا ندرك أثر العذاب في الأسلوب. فالأسلوب الذي ينتهجه الشاعر ليعبر عن لواعج الأسى يختلف عن الأسلوب الذي يستخدمه ذات الشاعر ليعبر عن الفرحة والسعادة الغامرة! ولقد أدركتُ ذلك عندما بدأتُ كتابة الشعر وإنشاده ، خاصة عندما عمدتُ إلى معالجة الواقع بالشعر ، فأدركت الأسلوبية الدرامية للشعر بشقيها الملهاوي والمأساوي! إن شاعراً يحلل الأحداث يختلف عن شاعر لا علاقة له بالأحداث وكأنه ليس يعيش معنا على الأرض! ومن هنا يخرج شعر الأول ترجمة للواقع ومحاكاة له! بينما يخرج شعر الثاني هراءً في هراء! إن الأسلوبية الدرامية تحلل الأحداث التي يمر بها الشاعر! لا سيما إن كان ذلك التحليل تحليلاً محايداً موضوعياً ليس بالجاف الصلب وليس بالرخو اللين ، وإنما هو عوان بين ذلك! وعسى الله أن يستفيد من قراءتنا الأسلوبية هذي قراء الأدب في كل مكان! ويشهد الله ربي سبحانه وتعالى كم شقيت في إخراج هذه القراءة الأسلوبية تأليفاً وتحقيقاً ونقداً وجمعاً من المجلات والجرائد! وكان لي ذلك كله في وقتٍ ليس بالكافي أبداً لعملية الإخراج الفني والإشراف النهائي! وكنتُ قد كتبتُ حلقات القراءة الأدبية والتي عنونتُ لها بـ (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي) وبعثت بها إلى مختلف الجرائد والمجلات ، وكان لجريدة (الوحدة العربية) الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من هذه الحلقات! وبعد أن أتممتها نشراً من ألفها إلى يائها أشار علي بعض الأصدقاء بأن ألم شتاتها وأجعلها في كتاب يستفيد منه من أراد نقد شعر عنترة بن شداد! وتحمستُ لهذا العمل الذي كنت أظن بأنه سهل يسير فإذا به جملة من المشاق والمتاعب! وتم العمل في صورته النهائية وتم إصدار الفسح الطباعي وفسح الإفراج والتداول ولله الحمد ومنه العون والسداد! وبالنسبة لعنترة بن شداد كشاعر جاهلي كان لا بد من البدء بدراسة البيئة وأثرها على الشعر وأسلوبيته! إن تأثر الشاعر ببيئته أمرٌ ملحوظ محسوسٌ

ملموس! وليس هذا حِكراً على بيئتنا العربية فقط! بل وجدنا الشاعر الغربي يتأثر ببيئته بما فيها من موروث ثقافي وعادات وتقاليد! وكذلك الآسيوي والأمريكي وغيرهم! والبيئة غنية بأشياء كثيرة يستمدها الشاعر منها ويتأثر بها اتباعاً أو تركاً! وما الشاعر إلا نتاج بيئته واعتقاده ومعاناته وتجربته الشعرية والشعورية! إن المعتقدات الجاهلية الفاسدة التي سادت في الجاهلية الأولى كان لها أكبر الأثر وأشده عند الشعراء الذين ارتأوا فيها صلاحهم وعزهم! بينما نقدَ شعراءُ آخرون البيئة ذاتها في أشعارهم فكانوا على طرفي نقيض مع الفريق الأول الذي تابعها ووافقها ودان بدينها! كان ذلك في الجاهلية الغابرة ، والشيء ذاته موجود في الجاهلية الحاضرة حيث نجد من الشعراء من يوافق على ما تحويه جاهليته المعاصرة من تغييب للشرع وتأصيل للعلمانية والمذاهب الملعونة الأخرى! فيخرج شعره ترجمة لبيئته الساقطة الجاهلية المرذولة! فطبعتْ أشعاره وتدوولتْ كتبه وحاز النياشين والجوائز وذاع صيته وطارت شهرته في الآفاق! وهذا كله لن يغير من حقيقته وأنه وضيع خسيس مرتزق يأكل بالشعر ويتطفل على موائده! وإن أجاد الشعر والنثر والنظم فهو لا شك إلى مزبلة التاريخ سائر ، وفي الآخرة عذاب شديد إن لقي الله تعالى على ذلك لأنه بذلك واحد من المفسدين في الأرض! وهناك على الطرف الآخر فريق من الشعراء آثر التحدي والمواجهة فراح ينتقد الجاهلية ويبين عوارها وقبحها ويكشف للناس بطلان حكمها وحقارة تبرجها وسوء ظنها ودناوة حميتها هكذا بأبعادها الأربعة! ومن خلال الأساليب تتضح الأفكار بطبيعة الحال! وهذا النوع من الشعراء لم تطبع أشعارهم في الغالب الأعم ، بل ظلت ملازم وفقرات ومذكرات هنا وهناك ، ولم تُتداول لهم كتب ولا مجموعات شعرية ولا دواوين ، ولم يَحُوزوا النياشين لا عظيمها ولا حقيرها ، ولم تُوزع عليهم أي جوائز ، ولم يكرموا من كبير ولا صغير ، ولم يعرف أو يسمع بهم أحد! هذا إن لم يُقتلوا ، أو يُصلبوا ، أو يُسجنوا ، أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو يُنفوا من الأرض! وكنتُ أعتقدُ أن هذه العقوبات تحدث للشاعر في بُقعة من الأرض دون بُقعة ، أو في مجتمع دون مجتمع ، فإذا بي أكتشف أنها سمتٌ عام وطابع أغلب البقاع والمجتمعات منذ فجر التاريخ وإلى اليوم! إن شعراء القيم والمبادئ يحدث لهم هذا في الغالب الأعم من المجتمعات عندما لا تكون الدينونة فيها لله تبارك وتبارك وتعالى! وكنتُ إلى عهدٍ قريب أستثني المجتمعات الغربية والأمريكية ، بزعم أنها تُعطي لأدبائها وكُتابها وشُعرائها حرية الفكر والكتابة والتعبير وتناول الواقع المُعاش ، فيما يُقدمونه من كتابات أو روايات أو قصص أو أشعار! فإذا بي أكتشف أن هذه المجتمعات – مثلها مثل غيرها من المجتمعات الأرضية – تُحارب العلم والثقافة والشعر عندما تمس هذه الأشياء واقعَها المُعاش! وقد درستُ حياة ألف شاعر وكاتب غربي وأمريكي وروسي وصيني وهندي واسترالي تقريباً! وإذن فلم أقرر هذه القاعدة من فراغ! وكنتُ أعتمد على مصادر موثوقة لتوثيق حياة هؤلاء الشعراء والكُتاب! من هذه المصادر دواوينهم وكتاباتهم ، بوصفهم أدرى الناس بما حدث لهم من تضييق وعقوبة! ونسأل الله تعالى العفو والعافية ، كما نسأله سبحانه التثبيت على الحق!

الفصل الأول

لا يمكننا التحدث عن الأسلوب قبل أن نتناول شيئاً عن العربية والعرب! حقيقة إن اللغة العربية الحبيبة غنية على اختلاف عصور الأدب بالتعبيرات والأساليب التي حفظها الله إلى يوم الناس هذا! وإلى أن تقوم الساعة! وعندما نريد أن نقرأ بطريقة نقدية أسلوبية في شعر الجاهلية ، فإنه يتعينُ علينا دراسة أحوال العرب في تلك الفترة من فترات التاريخ! وربنا تعالى حكيم عليم ، يجدد لهذه اللغة أمر رفعتها وسموها والحفاظ عليها بتجنيد من يقوم عليها فيجدد للناس ألفاظها وتعبيراتها وحركاتها وسكناتها. والعربية بطبيعتها ودودٌ ولود ، فهي تعطي من أعطاها وتثري من أثراها. ولا تمنع من منعها ولا تحرم من قطعها من الوصل! إن العرب في الجاهلية استعملوا اللغة العربية لأغراضهم المعيشية حيث البداوة والحل والترحال والانتقال ، حيث الكلأ والعشي والغيث والمطر والرعي والزرع ، وما إلى ذلك من مظاهر حياتهم آنذاك! فاستخدموا اللغة وهم يرعون أغنامهم وماشيتهم وإبلهم. واستخدموها وهم يرتحلون وينتقلون ، فخرجت تعبيراتهم وألفاظهم وإيقاعاتهم ترجمة عملية حية للبيئة البدوية القاحلة. كذلك استخدموا اللغة في إثارة الخلافات وإيقاد نيران المشاحنات والنزاعات القبلية وما إلى ذلك من الفخر والحماسة وإظهار الفروسية والشجاعة والشهامة والقوة والمباهاة بالأصالة والكرم وإظهار خلال وشيم الجدود الأوائل وإحياء ما اندثر من مناقبهم وعاداتهم وتقاليدهم! وقاموا بشرح المشاهد والمعارك والوقائع وغير ذلك. وساعدتهمُ اللغة على تدوين تاريخهم الطويل الحافل بالأحداث والمواقف والغزوات والمشاهد! وكان الشعر رائدهم في هذا كله! وكان عيباً أي عيب عندهم ألا يكون الرجل شاعراً مجيداً للشعر! وكان عيباً أي عيب ألا يكون العبد مجيداً للشعر. وها نحن أولاء نستمع إلى تجار النخاسة وهم يمتدحون عبيدهمُ الأرقاء أمام السادة ليغروهم بشراء العبيد قائلين: (عبدي فلان اسمه مرجان ، مفتول الساعدين ، قوي البنية ، رابط الجأش قوي العزيمة رصين البيان يجيد الشعر العربي بجميع أغراضه وفنونه وأشكاله وألوانه)! لقد نسِب إلى آدم عليه السلام وإبليس عليه اللعنة كما نسب إلى الملائكة والجن والعرب البائدة قول الشعر وتمثل أبياته! وهو بحق حديث خرافة فهو باطل! وإنما الشعر الذي صحت روايته منذ أوائل القرن الثاني قبل الهجرة ، حيث ينتهي أقدم مطولاته إلى المهلهل بن ربيعة ، وأقدم مقطوعاته تعود إلى نفر لم يبعدوا عنه طويلاً مثل العنبر بن عمر بن تميم ودريد بن زيد بن نهد وأعصر بن سعد بن قيس عيلان وزهير بن جناب الكلبي والأفوه الأودي وأبو داوود الأيادي. والحقيقة أن الأبيات البسيطة تذكر هذا. وأول من قصّدَ القصائد وقطع الشعر إلى قطع متساوية هو المهلهل بن ربيعة التغلبي ، وذلك عندما قتل أخوه كليب! ثم تبعه الشعراءُ مثل امرؤ القيس وعلقمة وعبيد ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة. والذي يريد المزيد عليه بمطالعة كتب الأدب العربي مثل جواهر الأدب للهاشمي وكذلك كتب المغازي والسير والبداية والنهاية لابن كثير. ولقد تعددتْ كذلك فنون الشعر العربي وأغراضه عندهم مثل التشبيب والغزل والفخر والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوصف والحكمة والمثل. وتنوعت البحور والأوزان والقوافي. وتنوعتْ تبعاً لذلم مله الألفاظ والأساليب والصور الشعرية. وقل أن تجد قبيلة ليس فيها شاعر واثنان وثلاثة فأكثر! وكانت القبيلة العربية إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها ، وصنعت الولائم والأطعمة ، وذبحت الذبائح وصنعت اتلحلوى وقدمت الأطايب والفواكه وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس تماماً بتمام بل ويزيد! ويستبشر الرجال والولدان لأن حماية لأعراضهم بشعره

وبلاغته وفصاحته وإبانته. وسوف يُدافع عنهم لا محالة ، ويُخلد مفاخرهم ويَشيد بذكرهم. وكانوا لا يهنأون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس أو ناقة تنتج! حاولتُ بهذه المقدمة البسيطة أن أجعلها توطئة قصيرة للدخول في قراءتنا الأسلوبية في شعر عنترة بنت شداد العبسي ، وإن كان ضرورياً أن ندرس مع هذه المقدمة كذلك أحوال البيئة العربية من جميع النواحي ، خاصة الناحية الاعتقادية والأسلوبية. ولسوف نتعرض لذلك في حينه! كلما عنت فكرة أو لا تصور. ذلك أن الذي أتانا عن هذه الفترة من فترات التاريخ إنما هو القليل. وحتى هذا القليل وجدناه لا في صورة كتاب يجمع المعلومات الكثيرة عن هذه البيئة وهؤلاء الأقوام ، بل وجدناه متبعثراً في كتب الأدب وكتب المغازي والسير وكتب التاريخ وبعض الأشعار التي تناقلتها الألسن إلينا. والحقيقة أنه وكما قال عمر – رضي الله تعالى عنه -: (لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية)! وكانت كارثة كبرى عندما نشأ في الإسلام أقوامٌ لم يعرفوا عن الجاهلية شيئاً ، فظنوها راحت وانتهى زمانها ، ولا سبيل إلى عودتها في أي صورة من صورها العفنة. عموماً ليس هذا مجال الحديث عن الجاهلية وأهلها ، حيث إننا ألمحنا إلى أن ذلك سيكون في حينه! واخترنا عنترة من بين شعراء المعلقات الذين نبغوا في الجاهلية لشيء في نفس يعقوب ولأشياء أخرى نفصح عنها إن شاء الله! إن عنترة لم يكن شاعراً ولا ناثراً ، بل كان فارساً ، إنما نظم الشعر والنثر تحدياً لعُرف القبيلة وللقبائل الأخرى وللدنيا بأسرها في زمانه! وهذا الذي يجعل للشعر رونقاً. يعتبر عنترة من الشعراء المجيدين في الصياغة والتركيب والوحدة العضوية ، على أنه لم يكن له في الشعر ولا في الشعراء من البداية. ولكنه استطاع بعزمه أن يتحدى كل من حوله ، ويُقرّض القريض ، وينظم القوافي ، ويبرع في صياغة الفكرة في قالب شعري! والحقيقة أن عنترة تجربة شعرية وشعورية نادرة. وهذه التجربة لم تنل حظها من الدراسة والتحقيق والنقد كما ينبغي! ولم تُوضع تحت مجهر القراءة الأدبية الأسلوبية بالقدر الذي يجعلها أمام الأعين بالصورة التي كان ينبغي أن تكون عليها! شأنها في ذلك شأن القبائل العربية التي كانت موجودة في الجزيرةى العربية قبل بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -. لم تنل حظها من الدراسة وعلى وجه الخصوص الأعراف والتقاليد والموروثات والثقافات سواء على نطاق المعتقدات ، أم على نطاق الأنظمة التعبدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والمعرفية واللسانية واللغوية والعسكرية التي هي كلها عوامل أساسية في تشكيل الصورة الفنية التي تحتويها قصيدة الشاعر أي شاعر في تلك الفترة من تلك الفترات. وإننا لواجدون أنهم كانوا أهل فصاحة وإبانة وبلاغة ولهم تصورات عن الحياة والأحياء. وعن الموت والأموات ، وتصورات عن الأرض والسماوات والأفلاك والطير والجمادات والحيوانات والحضر والبوادي. وإن كانوا في أغلبهم لا يدينون دين الحق. إلا أنهم كان من بينهم الأحناف الذين اعتزلوا عبادات المشركين ودانوا لله الواحد الأحد. وعبدوه على البقية الباقية من ملة إبراهيم ، وللتدليل على أنهم كانوا أهل فصاحةٍ وإبانةٍ قولُ الله لهم: (فأتوا بسورةٍ من مثله) وقوله: (فأتوا بعشر سور مفتريات)! إن هذا التحدي القرآني لهم دلالة قاطعة صارمة على أنهم أهل فصاحة وإبانة ، وأنهم كانوا على قدر كبير من البلاغة والمعرفة والثقافة! أقول: كانوا على شِركهم لهم مناسك كالحج والعمرة وتعظيم الكعبة وتقديس شهر رمضان وحرمة الأشهر الحرم ، وعندهم بعض الحدود: مثل حد الزنا وحد السرقة وحد شرب الخمر والدية والقسامة والعاقلة والصوم والنذر والطواف بالبيت والاعتكاف فيه ، وكانوا يقسمون بالبيت تعظيماً له. وهذا كلامٌ يحتاج إلى تفصيل كبير ، لأن له كبيرَ الأثر على الأساليب التي يستخدمها الشاعر في شعره! والحقيقة أننا سوف نتعرضُ لشيءٍ بسيط من سيرة عنترة بن شداد في البداية ثم بعض النماذج لأشعار كانت في زمانه صاغها غيره ، ونعرض لأحوال العرب قبيل بعثة النبي محمد صلى الله عليه

وسلم ، ثم نتناول نماذج من شعر عنترة! عسى الله أن ينفع بها وباختيارنا لها ، لأن الأمة اليوم تحتاج لمثل عنترة ، ولكن حنيفاً مسلماً. يعني يضيف إلى رجولته وفحولته وشجاعته وبسالته ومروءته وشرفه الإسلام! وإلا فلا خير فيه بالمرة! (واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)! يفتخرُ عنترة بأمه في لاميته ، ويحاول أن يرقى بنسبه الذي وضعته القبيلة وفقاً للعادات المهترئة ، والتقاليد البالية ، والسلوم المنحطة ، فيقول:

منهم أبي حقاً ، فهم لي والدٌ والأم من حام ، فهم أخوالي

والمعنى المراد هنا قوله: (منهم) أي من العرب ، فعنترة حريص كل الحرص على أن يلحق نسبه بالعرب وبأبيه مهما كان! وطبيعي أن هذا المطمح كلفه الكثير ، ولقد ظن أحد الكتاب المعاصرين أن عنترة كما قال:

منهم أبي شداد أكـــــرمُ والدٍ والأم من حام ، فهم أخوالي

وإنما الأصل هو الذي أوردناه ، وذلك ثابتٌ موثقٌ في ديوان عنترة! ولا يجوز اليوم وبعد ألف وخمسمائة عام تقريباً على زمان عنترة أن نحرف ديوانه ، ونخترع عنه من الكلام والحَكايا ما نريد! لأن التاريخ لا يرحم ، وسوف يأتي الجيل الذي يتلقف ويحقق ويدرس وينقح. فعنترة يريد أن ينتسب إلى العرب أولاً وآخراً. وأما شداد فلا يهم عنترة أن يكون بخيلاً أو جواداً ، حقيراً أو كبيراً ، شجاعاً أم جباناً! إنما يهمه أن تصح نسبته إلى أبيه فقط! وعنترة من قبيلة بني عبس. ولذا فهو عبسي ، وهي قبيلة عربية خالصة كما أورد الجوهري والأعشى وصاحب الأغاني (على أننا لا نعوّل كثيراً على الأغاني ولا على صاحبه). والعبس كما يقول الجوهري: الأسد ، وبه سمي الرجل والقبيلة المنسوبة إليه. وعنترة منذ صغره كان قوياً جلداً يذكر في غير موقف أنه كان يقول: كنت أبيتُ اليومين لا أذوق فيهما طعاماً ولا شرابا! أما صفات عنترة وسجاياً فقد شرّق القوم فيها وغربوا! وما أعجبني واقعية فيها مثل الذي ذكره الأستاذ خليل شرف الدين وهو يقدم لديوان عنترة حيث يقول وتحت عنوان: (السجايا العنترية) ما نصه: (إذا كان بين أغربة العرب أو شعراء العرب الذين أدركوا البعثة النبوية أو كادوا. فمن هو مثل عنترة بطولة وقوة جسدية أو يفوقه كعمرو بن ود العامري وعامر بن الطفيل وقيس بن زهير وسواهم؟ فإني لأجد في عنترة شاعراً من نسيج آخر وبطلاً يكاد ينفرد بامتيازاتٍ وسجايا قل نظيرها في أقرانه! ولعل هذه السجايا الفريدة هي التي جعلته يتفرد بها بين شعراء عصره! لقد عاش عنترة يتحدى ذلك العرف البدوي الجاهلي الوثني الذي لا يزال يقدس الفوقية الصنمية للسادة البيض! بينما يكيل للعبيد السود العذاب ألوانا ولا يعترف بنسبهم إن كانوا ذوي نسب! والمرأة في ذلك المجتمع لم تبرح إلا موؤودة ، أو مستعبدة ، أو سلعة ، أو ألهية من ألهيات امرؤ القيس وعلقمة وطرفة والمنخل ، فينبري عنتـرة لها وحده ليرد اعتبارها حين بدت له فيقول:

وأغض طرفيَ إن بدت لي جارتي حتى يُواري جارتي مأواهـــــا

إني امرؤٌ سمحُ المكــارم ماجــدٌ لا أتْبعُ النفـسَ اللجــوجَ هواها

ولعله أمام الحبيبة أروع موقفاً وأكثر تحفظاً وأدباً وأنبل وأرقى شاعرية حين يخاطبها هاتفاً متوددا:-

أثنـــي عليّ بما علمــت فإننـــي سهــل مخالقتي إذا لـم أظلـــم

فإذا ظلمت فإن ظلمي باســـــل مـــر مذاقتـــه كطعـم العلقـــم

ونحن حين نقول: إن عنترة انبرى ليرد للمرأة اعتبارها لم نكن نقصد أن عنترة كان صاحب منهج اجتماعي إصلاحي يريد أن يقوم به اعوجاج هذا المجتمع ويحارب بموجب ذلك المنهج تلك القيم البالية التي تحط من شأن المرأة وكرامتها لم يكن شيئاً من ذلك أصلاً. بل كل ما هنالك أنه شاعر مرهف الحس وفارس محب للخير والعدل بمفهومه العام كشخص يعاني من الاضطهاد والاستعباد والاسترقاق والاستذلال! ويشعر بالمعاناة والمشقة والمكابدة. وهذا كله يدفع إلى أن يسمو على الصغائر والرضا من العيش بالدون ليبدو في نظر الحبيبة البيضاء الحرة فارساً شهماً يليق بها وتليق به! ورجلاً غير مبتذل ، بل هو أهل لأن تتخذه بعلاً! ولهذا الشأن فقط راح عنترة يؤكد فروسيته ، ويثبتها بهذه السجايا والشمائل والخلال التي يحياها بل يجسدها تجسيداً حياً. والأروع من كل هذا أنه استطاع أن يغنيها في شعره غناءً عذباً رقيقاً يذيب الفؤاد! مازجاً أخلاقية الفروسية الخاصة بكثير من التحدي والاستعلاء المقبولين من عاشق أسود البشرة أبيض الفعال مثل عنترة! مظلوماً الظلم كله من قوم أدنين ليسوا بأفضل منه ولا أشجع! بل أكاد أقول بأن عنترة كان فارس تحدٍ من نوع آخر ، نوع غير اجتماعي ، إذ لا مجتمع يحميه ولا دين يلوذ به ولا سيد قبيلة يطلب منه الشفاعة لدى الأب أو الحبيبة! كان عليه أن يكون هو الدين أو السيد أو الشفيع ، وبالتالي المجتمع هو الفارس المعاند الآخر الذي على عنترة أن يصارعه ويغلبه ويُجالده ومن داخله وبلا أي سلاح خارجي ، في حين أن هذا الآخر الزمان والمكان والإنسان يملك كل الأسلحة المضادة ، فانقبلت بطولة عنترة بهذا المعنى مغامرة وتقحماً ، بل مجالدة حية صارخة في ساحة هذا الثالوث المرعب ، ساحة خالية مما يسمى إنساناً! فعلى عنترة أن يكون هو ذلك الإنسان الأفضل وبعضاً من ذلك صنيع الأقدار لينتصر كي لا يستشهد أو يذهب لقمة سائغة بين أشداق الذئاب الكافرة. وهكذا كون عنترة في واقعه ولا وعيه ثالوثاً بديلاً وعاشه في أعماق وجدانه. ومن هنا نفهم احترازه في تقحمه ومغامراته! فأي خطأ في الحسبان أو تسرع ينهار كل شديد ويعيده عبداً ذليلاً! هذا التمايزُ أو التفردُ كان السمة البارزة في شخصية هذا البطل الشاعر العاشق الذي جعل في وجدانه عالمه الخاص على حساب عالمه الجديب المقفر. عالم خاص رطيب مرطب بالشعر والحب رطب الشاعر بألف ماء وماء! ماء الوجه الكرامة ، وماء وجه المرأة الظل الظليل ، وماء الانتصار على المادة والظرف والعرف! وللانتصار ماء في آخر المطاف! ثم مائية الآخر أي البديل البطل المقابل! وذلك أن الفارس الجاهلي لم يكن بهلوانياً يحارب الهواء ادعاء ، بل كان فارساً مقاتلاً فعلاً! يحارب كل يوم في مجابهة الآخر. الثالوث السابق ذكره! ويحارب الآخر الند والمثيل نزوعاً إلى المثال وتحقيق الذات! وبالتالي إلى التغيير لا بالمعنى الرسالي طبعاً ، بل نزوعاً إلى التفرد والعيش في ذلك العالم الخاص الذي يخترعه الفارس لنفسه هروباً من الأرض. من تلك الرمال المتحركة تحت قدميه صباح مساء. عالم المرأة والخمرة والشعر والبطولة وكل منها ينسي الأرض والرمال المتحركة كما ينسي الزمان القلق الرتيب والواقع الأرض البليد. وإذن فالفارس الجاهلي بطولته تغييرية عبر قنوات تعبيرية وأسلحة ذاتية ليس لها أي رافد سوى الذات! حقيقة لقد كان عنترة آية في الفروسية والشاعرية قل أن يجود الزمان بمثلتها! كما أنه كان لذلك بالطبع أكبر الأثر على أسلوبية شعر عنترة سواء الأسلوبية الصياغية التركيبية ، أو أسلوبيته التغييرية الموضوعية في القضايا التي يناقشها شعره! كان عنترة فارساً في الشعر وفارساً في الحرب! وقراءتنا الأسلوبية هذي هدفها الرئيس الوقوف على تحقيق بديع دقيق لشعر عنترة المتناثر في الكتب يمنة ويسرة! ناقشنا كيف أن البيئة البدوية الجاهلية العربية الصحراوية التي عاش فيها عنترة كانت بيئة ذات خصائص معينة وتقاليد وأعرافٍ معينة ، وإن كانت في ميزان الله تعالى لا تدين دين الحق إلا أنها كانت لها خصائص على الأقل كان من شأنها أن يجعل الله من جزيرة العرب نبي هذه الأمة الخاتمة لذلك

النبي الخاتم ، ونقطة انطلاق دين هذه الأمة! قلنا إنه من الناحية التعبدية كانوا أهل مناسك وإن كانت منحرفة عن ملة إبراهيم عليه السلام إلا أنها منسوبة زوراً وبهتاناً إلى إبراهيم الحنيف عليه السلام ، فعلى الرغم من وجود إحدى وعشرين كعبة قبل البعثة في الجزيرة العربية إلا أن القبائل العربية الجاهلية قاطبة أجمعتْ على تقديس الكعبة ، التي رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل! تلك كعبة مكة التي هي الأقدم والأعرق والأشرف! وحرصت تلك القبائل على الحج إليها ، ويستوي في ذلك القبائل من كانت لديه كعبة خاصة مثل قبيلة غطفان أم لا! وهذا كثير في أشعارهم ذكـره. فمثلاً يقول زهيـر بن أبي سلمى:-

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوه من قريش وجرهـــــم

بل إن رواة السير والمغازي ذكروا أن عدداً من القبائل انتشرت بين أبنائها اليهودية والنصرانية ، ومع ذلك كانت تشارك في موسم الحج ، ومن شدة تقديسهم للكعبة أن الرجل منهم كان يرى قاتل أبيه في البيت الحرام فلا يمسه بسوء ولا يتعرض له لحرمة البيت! وقال ابن الكلبي في كتابه: (الأصنام) بأن العرب كانوا يعظمون الكعبة ومكة ، ويسيرون على إرث أبيهم إسماعيل من تعظيم الكعبة وفريضة الحج وشعيرة العمرة والاعتكاف والنذر والطواف وكانت كل القبائل تحترم وتجل قريشاً ويكبرونهم ويسمونهم أهل الحرم ، وكان الإصهار إليهم يعتبر شرفاً لا يتطاول إليه إلا بعض شيوخ القبائل وأهل الرفعة فيهم. وكذلك اعتبر الانتساب إلى قريش هو الذؤابة العليا في المكانة والشرف كذلك كان العرب قبل البعثة يحجون في شهر ذي الحجة من كل عام! يرحلون إليها إلى مكة من كل مكان من الجزيرة في موسم الحج لتأدية فريضة الحج. وكان عندهم التلبية ، وكانت قبيلة نزار تلبي فتقول: (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك)! فهو توحيد داخله وزاحمه وخالطه شرك! وكان عندهمُ الإحرام وارتداء ملابس الإحرام وسوق الهدي وإشعاره والوقوف بعرفة والدفع إلى مزدلفة والتوجه إلى منى لرمي الجمرات ونحر الهدي والطواف حول الكعبة أيضاً سبعة أشواط ، يعني لم تزد أو تنقص في اللإسلام ، وتقبيل الحجر الأسود (تعظيماً له) والسعي بين الصفا والمروة ، وكانوا أيضاً يسمون اليوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية ، ويقفون بعرفات في التاسع من ذي الحجة ، زتبدأ من العاشر من أيام منى ورمي الجمرات ، وكانوا أيضاً يسمونها أيام التشريق كما كانوا يعتمرون في غير أشهر الحج! ومنهم من كان يعظم رمضان وخاصة العشر الأواخر منه فيطعم المساكين ويكثر من الدعاء والإحسان والقربات والصدقات! وكانت العرب قاطبة تعتبر أشهر ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب أشهراً حرماً لأنها الأشهر التي يقع فيها الحج إلى أكبر الكعبات وأقدسها كعبة مكة وهي: (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما رجب فهو شهر العمرة) فهي ثلاث سرد وواحد فرد! وقيل إن سبب التسمية بالحُرُم أن العرب كانت لا تستحل القتال فيها إلا بعض القبائل ومن كان كذلك فهو محلل ما حرم الله! وهذا هو الشيء الموجود في القرآن الكريم! فلقد كان القتال كثيراً ما ينشب بين القبائل لأسباب عديدة كاعتباره مورد رزق وكان يسمى الإغارة أو الغزو ، والغارة وهو العلامة المميزة للحياة العربية القبلية البدوية الجاهلية آنذاك! فاتخذت الأشهر الحرم الأربعة المذكورة آنفاً فرصة لوقف القتال ولأداء فريضة الحج والعمرة. كذلك كان العرب الأقدمون يعتقدون أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان أقاما بناء الكعبة في مكة المكرمة وفرضا لهمُ الحج ، وهم بعد ذلك يعظمون الكعبة ويسيرون على إرث إبراهيم وإسماعيل! كذلك عرفوا يوم الجمعة! ففي القرطبي وعند تفسيره لسورة الجمعة يقول: (قال أبو سلمة: أول من قال أما بعد هو كعب ين لؤي ، وكان أول من سمى الجمعة بهذا الاسم ، وكان يقال ليوم الجمعة يوم عروبة).هـ. وإذن فعنترة بن شداد كان نتاجاً لهذه البيئة ، ولم

يلتمس الحنيفية السمحة ، بل استمر على معبودات قومه (الأصنام والأوثان)! نشأ عنترة وعنده الأحناف الذين كانت لهم مناسكُ عُرفوا بها مثل: النفور من عبادة الأصنام ، ونبذ عبادة الأوثان ، والتخلف عن المشاركة في أعيادها ومواسمها ، وكذلك تحريم الأضاحي التي تذبح لها ، أي الأصنام التي يتقرب بذبحها أصحابها للأصنام والأوثان ، وعدم أكل لحومها ، وتحريم الربا (الفضل والنسيئة) ، وتحريم شرب الخمر ، بل كانوا يحدون شاربها ، وتحريم الزنا ، بل كانوا يحدون الزاني ، وكذلك الاعتكاف للتحنث في رمضان وغيره والإكثار من عمل البر وإطعام المساكين طوال شهر رمضان ، وعلى الأخص رجلٌ شهدَ له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة ، وهو (زيد بن عمرو بن نفيل – خال عمر بن الخطاب)! وكانوا أيضاً يقطعون يد السارق ، ويحرمون أكل لحم الميتة ولحم الخنزير ، وكانوا ينهون عن وأد البنات ، بل ويتحمل بعضهم تكاليفهن ومؤنتهن وتربيتهن ولا تُقتل ولا تُوأد ، وكانوا يصومون ، ويختتنون ، ويغتسلون من الجنابة ، ويؤمنون بالبعث والنشور والحساب والقيامة ، وكانوا يعتقدون أن من يعمل صالحاً يدخل الجنة ومن يعمل سوءاً فإلى النار مصيره! كل هذه الأشياء فعلها تعبداً واعتقدها ديناً وصدق بها اعتقاداً وقولاً وعملاً الحنفاء! كل هذا إلى جوار العقيدة في الله ، فآمنوا بإلهٍ واحدٍ أحدٍ لا أله غيره ولا رب سواه ، فهو رب السماوات والأرض رب العالمين ، ودعوا إلى عبادته ونبذ ما يُعبد من دونه! في مثل هذه البيئة عاش عنترة بن شداد العبسي ، فأخذ الكثير والكثير من الموروثات ، ولكن كما قلنا كان عنترة – شأنه شأن المُعرضين في زمانه أو زماننا – جاهلياً مشركاً لا يدين دين الحق ، بل عابد مخلص للأوثان والأصنام! إلا أنه كان شاعراً مرهف الحس له عالمه الرطب الرطيب الرحيب! عاش البطولة والقبيلة ، عاش يريد أن ينتصر للونه ولعبديته ، ولهذا الواقع الآسن من الاستعباد ومن هنا كما يقول أستاذنا خليل شرف الدين في مقدمته لشعر عنترة عاش عنترة مرجّحاً بتوتر بين عالم مفترض ومرغوب فيه عالم يحلم به قريب: المرأة والحرية وعالم يتمناه ويحياه! عالم الحلم وهو بعيد إلا أنه لذيذ وجديد يسعى إليه ولا يمل السعي الحثيث في نزوع لا انتمائي قادر على الغلبة! لذلك رأى الفارس الجاهلي وهو في عز المعركة في منتهى خطورتها حيث الدماء والأشلاء ، وقد تكون هذه الدماء دماءه هو نراه مبتسماً راضياً عن نفسه ومصيره ، إذ سرعان ما يستحضر وجه الحبيبة من خلال لمعان السيوف ، وتلك كانت شيمة عنترة في قتاله وهذا قوله:

ولقد ذكرتُكِ والرمـــــــــاحُ نواهـــلٌ مني ، وبيضُ الهند تقطرُ من دمـــي

فـــوددتُ تقبيـــــلَ السيـــــوف لأنها لمعـــت كبـــــارق ثغرك المتبســـم

وسرعان ما يتمثل قوته ، وإن غلبت أحياناً بأنها ليست وحيدة في الميدان ، بل هناك قوة أخرى تُضاهيها إن لم تفقها ، فيبتسم ابتسامة الثقة بالنصر ، وفي تقبل الخصم وامتداحه ابتسام القبول إن صح التعبير وابتسام الرضا عن الذات! وعن القوة مقابل القوة. الرضا بأن الفروسية البطل الجاهلي لها شأنها وقيمتها وكرامتها. فهي ليست قوة أمام اللاشيء أو أمام الأصغر والأحقر. إنها قوة هائلة أمام قوةٍ هائلةٍ مثلها أو أعتى منها تقابلها. وينقل لنا عن صاحب العقد قوله على لسان أحد المعاصرين من الباكين على التقاليد العربية الأصيلة معجونة بالتصور الإسلامي فيقول: وودت لو أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية ألا ترى عنترة الفوارس جاهلي لا دين له! والحسن بن هانئ (أبو نواس) شاعر إسلامي له دين! فمنع عنترة كرمه ما لم يمنع الحسن بن هانئ – وبالمقارنة يتبين القصد المراد ـ فقال عنترة كما أسلفنا:

وأغض طرفي إن بدت لي جـــــارتي حتى يـــــواري جارتي مأواهـــــــا

وقال أبو نواس مع إسلامه:

كان الشبـــــــــاب مطيــة الجهـــــل ومحسّـــــن الضحكـــــات والهـــزل

والشعرُ يتأثرُ جداً بالواقع المُعاش! والحروب والثارات القبلية قديماً على زمان عنترة بن شداد كانت لها بصماتها على الشعر وعلى أساليبه! وفي كل زمان يحدث الشيء ذاته! ولنأخذ شعر الشام المعاصر مثالاً لما نقول ، وذلك في محاولةٍ منا لربط أسلوبية الشعر في قديم عصرها بمعاصره! وتحت عنوان: (الشعر الشامي بين داخل وخارج: قصيدة واحدة مكتوبة بقلم الحرب) يقول الناقد الأستاذ سامر إسماعيل ما نصه: (لا تزال الحرب تُنبئ بتداعياتٍ كثيرة على مستوى الكتابة الجديدة في سوريا على سبيل المثال ، فمن «هجمة الستينيات» التسمية التي أطلقها الشاعر شوقي بغدادي على جيله في تصديره لأنطولوجيا الشعر السوري المعاصر ، مرورًا بـ «منعطف السبعينيات» أكثر المراحل تمردًا على القوالب الشعرية الجاهزة كما أطلق عليها الشاعر منذر مصري ، الذي أصْدر في الحرب كتابه اللافت «لمن العالم» ، وصولًا إلى شعراء الحرب في عامها السادس ، والانقسام الذي أصاب النخب الأدبية بين داخل وخارج ، نلحظ سمات جديدة لنصوص مفخخة حملت لعنة الاقتتال الدائر ، مثلما حملت وزر أحلامها المنكوبة. فالشعر السوري المعاصر وجد انحسارًا في السنوات الأخيرة ، في رأي الناقد جمال شحيّد الذي يقول: إن «الرواية أخذت حيزًا كبيرًا ومهمًّا في الثقافة العربية ؛ إذ إن الانحسار الذي تم للشعر عوضت عنه الرواية ولو كان جزئيًّا ؛ لكن موت الشعر في بعض البلدان الأوربية والمجتمع الاستهلاكي لا يعني موته في بلداننا ، فالشعر في سوريا ما زال إلى حد ما بخير رغم النكسة التي حصلت لهذا الفن الأدبي العظيم ، علمًا بأن شعوب العالم الثالث بشكل عام تهتم بالشعر ، فكل شاب في مرحلة حياته وبخاصة مرحلة المراهقة يكتب شعرًا كون القصيدة في النهاية هي تعبير عن الحياة والإنسان ، وبحاجة لأن يعبّر عن مشاعره وأحاسيسه فيبدأ بالشعر ويتركه عندما ينضج إذا أراد. ويضيف الناقد شحيّد أنه شخصيًّا بات متأكدًا من أن الحرب التي تمر بها سوريا أنتجت شعرًا جميلًا ، فالشعر يصبح نشيطًا في الأزمات. ولم ينج الشعر السوري بطبيعة الحال مما ألمّ بالوطن برمته من كوارث. وكما انقسم الوطن إلى شظايا انقسم الشعر وشعراؤه إلى شظايا ، يقول الشاعر تمام تلاوي المقيم حاليًّا في السعودية ويضيف: «ثمة شعراء وقفوا إلى جانب النظام ، وآخرون وقفوا إلى جانب الحِراك ، وآخرون اختاروا الحِياد ، وثمة من آثر الصمت. وتبعًا لهذه المواقف جاءت أشعارهم ، على أن هنالك من صمت عن قول الشعر ليس لأنه لا موقف له مما يحدث ، وإنما لأن الكارثة ألجمت لسانه. ولا ملام عليه ، فمن يستطيع النطق أمام كارثة كهذه ، سوى أشخاص لديهم قدرات استثنائية على الكلام ، فكلما اتسعت الكارثة ضاقت العبارة. إننا نحتاج زمنًا حتى نستوعب هول الصدمة ، نحتاج زمنًا حتى نستطيع أن ننظر بعين شاعرية إلى هذا الخراب العميم وهذا الموت المجاني وهذا التشرد المليوني عبر الحدود والبحار - يستطرد الشاعر تلاوي الحائز على جائزة الشعراء الشباب في دمشق عاصمة للثقافة العربية 2008م: على المستوى الشخصي كان موقفي واضحًا منذ البداية مع التغيير السلمي ولاحقًا ضد السلاح وضد الأسلمة ؛ لأنني أعتقد أن الموقف الأخلاقي والثقافي والوطني يجب ألا يكون منحازًا إلا لما يخدم مصلحة الوطن والتغيير نحو الأفضل بالوسائل الوطنية والسلمية التي لا تؤدي إلى مزيد من القتل والخراب ، فكتبتُ قصائد عدة تتناول في الأساس البعد الإنساني لما آلت إليه حال الإنسان السوري منذ آذار

2011م ، كما كتبتُ عن الموت وعن الهدم وعن التشرد وعن الشرخ الإنساني الذي جاء نتيجة للشرخ على المستوى الوطني. وثمة شعراء كثر تهجّروا في المنافي ، وكانوا في معظمهم مؤيدين للحراك ، وكتبوا له وغنوا لشهدائه. ومنهم من التحق بالعمل الإعلامي أو الميداني ، وهم شعراء مبدعون ومعروفون على نطاق واسع ، بينما ظل معظم الشعراء المحايدين أو المؤيدين داخل سوريا - يضيف صاحب ديوان «تفسير جسمكِ في المعاجم»: ثمة شعراء استشهدوا بالقصف كالشاعر محمد وليد المصري ، وشعراء آخرون أسِروا كالشاعر وائل سعد الدين الذي أفرج عنه مؤخرًا ، وثمة شعراء تهجّروا من بيوتهم ومدنهم أو هربوا ، وهؤلاء أسماؤهم لا حصر لها. الشعر السوري في رأيي الشخصي حاليًّا يشبه مصاير هؤلاء الشعراء ، فهو إما شاعرٌ مقتول أو أسير أو مهجّر أو هارب).هـ. وفي كتاب الأغاني (المجلد السابع ص 158) قال: قيل لعنترة: إنك أشجع العرب وأشدها قال: لا! قيل فيما شاع لك هذا بين الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ، ولا أدخل موضعاً لا أرى لي منها مخرجاً ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير بها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله. في هذا التصريح مع ما يحمله من حنكة ودراية في أساليب القتال إشارة إلى أنه لم يكن ذلك البطل الفرد الذي لا يجارى ، البطل الذي هو متهور في العادة يقتحم ولا يبالي سقط على الموت أم سقط الموت عليه. فلا توسط لديه ولا اقتصاد. أما البطل الذي يجاري فهو مقتصد المدبر الحذر ، ففي أعماقه شعور بأن هناك من قد يكون أقوى منه وأفتك. وعنترة من هذا النوع العاقل المحتاط! زد على ذلك أنه بطل أسود بين أبطال بيض مشهود لهم يجمعون إلى قوتهم الجسدية قوة السيادة وكثرة الأعوان. أما هو فمفرد وحيد لا سلاح له سوى قوته الشخصية. وإذا كان قد حقق نوعاً من السيادة بتحرره إلا أنه نوع غير موروث ، في زمن كانت السيادة الأصيلة على السيادة الموروثة في نظرهم. يقول امرؤ القيس متفاخراً بنفسه وبقبيلة في أبيات نقطف منها:

ونحن أنـــــاس بعد غـــزوة حرمل ورثنا الغنى والمجـــد أكبر أكبـــرا

وبالرغم من أن عامر بن الطفيل يؤمن بالسيادة المنتزعة انتزاعاً ، فإنه يقول بكل حيدة وموضوعية:

وما سودتنـــي عامـــر عن وراثـــةٍ أبى الله أن أسمـــو بـــــــأم ولا أب

ولكننـــي أحمـــي حماها وأتقـــي أذاها وأرمـــي من رماها بمنكبـــــي

غير أن السيادة الموروثة ظلت هي القانون السائد الأعم في هذه الفترة بالذات وعلى أرض الواقع هناك أخبار تؤكد أن عنترة لم يكن فارساً أوحداً في الجاهلية ولا في بني عبس وذبيان كان من أبرزهم ، ولم يكن أبرزهم من أشجعهم ولم يكن من انجبهم! نعم قد يكون أوحدياً في صفاته وشمائله لكنه بالتأكيد ليس واحدي العزائم. وأغربة الجاهلية ثلاثة هو واحدهم وليس أوحدهم: (سليك وأم العبد هذا هي السلكة ، وخفاف بن عمر الشريدي وأمه ندبة وعنترة بن شداد وأمه زبيبة) وكانوا يكنون بأمهاتهم لعدم اعتراف آبائهم بهم إلا حين أنجبوا وتفوقوا. إن البطولة الحقة بالنظرة الحديثة لمفهوم البطولة ليست هي التفرد في حال بل هي الامتياز بالموقف وحسن التصرف. إنها البطولة العاقلة إذا صح التعبير. وقد يكون الفارس خارج الميدان بطلاً في مواقفه ودفاعه عن الحق والخير والعدل. وعنترة بطل من هذا النوع ، وعنترة فوق هذا كله بطل من أبطال المعلقات البيع أو العشر على خلاف كبير بين النقاد والأدباء والمعنيين بدراسة الأدب العربي في القديم والحديث! عنترة رجل الكلمة إذا كان للكلمة مكانها ، وهو رجل الحسام إذا كان

للحسام مكانه! فهو فارس شاعر بكل ما تعنيه الكلمتان من معان! ومعلقته خيرُ دليل على ما نقول! إن كل شاعر هو نتاجُ تصوره وبيئته على وجع العموم. فالتصور والتدين عاملٌ مباشرٌ ، ثم يليه عامل البيئة. ونحن قطعنا شوطاً كبيراً في دراستها وفصاحتها وإبانتها ، ومفتخراً بعاداتها وتقاليدها وسلومها وأعرافها!

تأوي له قلـــص النعـــام كما أوت حـــزق يمانيـــة لأعجـم طمطـم

والطمطمُ كما يورد الزوزني في شرح المعلقات السبع أي العيي الذي لا يفصحُ وارد بالأعجم الراعي الحبشي الذي لا يفصحُ ، وهذا عائد إلى عادة قديمة كانت عند الرومان حيث كان ينظرون إلى من عداهم من الشعوب على أنهم همجيون برابرة. وكان كذلك العرب قبل البعثة المحمدية على صاحبها صلوات الله وتسليماته كانوا متعالين جداً. ويسمون ما عداهم بالعجم. والعجم ضد العرب ، والواحد عجمي وفي لسانه عُجمة ، والعجماء البهيمة ، والأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب وكل من لا يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم ، وهذا نفهمه من الرازي في مختاره في مادة عجم! فالعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بكلامهم أعجمياً. وقال الفراء: الأعجم الذي في لسانه عجمة وإن كان من العرب. والأعجمي الذي أصله من العجم. وإننا سوف نجد عنترة من خلال الشعر عربياً ذا لسان عربي لأصيل للغاية. فهو شاعرٌ فارسٌ أديبٌ غزيرُ المورد والصور والإيحاءات بليغ لغاية لا تتصور وعنده حسن ترسل وبلاغة عبارة وملاحة نكتة ولطف وكنايات وحلاوة وطلاوة ومجاز قل أن نجدها في غيره من الشعراء في زمانه! وإن المطالع للصورة الفنية في شعر عنترة يدرك إلى حدٍ بعيدٍ كيف أن عنترة خبير بالشعر ، وبصير ببحوره وقوافيه وهو صاحب القدح المعلى في صياغة الشعر الحماسي والبطولي من خلال الصراع والتجربة الشعورية الذاتية. فلننظر إلى عنترة الشاعر الثائر وهو يثور على السواد وشرعة التفرقة العنصرية ، وقانون الألوان الذي هو موجـــود ، في بعض الدول إلى اليوم! ولنستمع إلى أبيات من سينيته:

إذا اشتغلت أهل البطالة في الكـــاس أو اغتبقوها بين قس وشمـــــاس
جعلتُ منامي تحت ظـــــل عجاجـــة وكأس مدامي قحف جمجمة الـراس
رصـــــدت حسامي مطربي وبريقـــه إذا اســود وجه الأفق بالنقع مقباسي
وإن دمدمت أسد الشـــرى وتلاحمـت أفرقها والطعـــن يسبـــق أنفاســـي
ومن قال إني أســـــود ليعيبنـــــي أريـــــه بفعلي أنه أكـــــذب الناس
فسيرى مسيـــر الأمـــن يا بنت مالكٍ ولا تجنحي بعد الرجـــاء إلى الياس
فلو لاح شخص الحمـــــــــام لقيته بقلب شديـــد البأس كالجبـل الراسي

ويبدو من خلال المعنى العام لهذه الأبيات بتلك القصيدة أن عنترة أنشدها وهو صبي في ريع شبيبته. وإنه فيها لا يعترف بالعيب لمجرد السواد ، بل يرى أن العيب شيء آخر غير السواد. وإن على من يعيبون عليه سواده أن يفيقوا من هرائهم وادعائهم وافترائهم وكذبهم. إنما البياض في الفعال. ثم هو يهزأ بالحِمام أي الموت ، ولا يعبأ ولا يبالي بمن ينال من عرضه بسبب لونه هذا. وهكذا يستمر في فكرته بكل إباء كأننا

نشعر به. ونحن نطالع قصيدته تلك جاثم فوقها يتحدى ويُشهر سيفه. ثم مقطوعة أخرى يفخر ببيئته وقد أشهر الرماح وجهزها لمجالدة أعدائه – وهو فارس مغوار لا تُخطيء ضرباته! فيقول على البحر الكامل:

تمشي النعـــام به خـــــلاء حوله مشي النصـــــارى حول بيت الهيكـل
احـــذر محل الســـوء لا تحلل بـــه وإذا نبا بك منـــــــزل فتحـــول
تكفـــي خصاصـــــة بيتنا أرماحنـــا شالـــت نعامـــة أينا لم يفعـــــل

ويضمن شعره كما رأينا في المقطوعة السابقة شيئاً من الحكمة ليس بالهين عندما يقول: احذر محل السوء لا تحلل به ، فكأنه يدعو إلى خلق وحمة نادرين عفيفين. ولعل هذا ينصر فكرتنا أنهم كانوا جاهليين لا يدينون دين الحق ، ولكن عندهم سجايا أصيلة وشيم كريمة! ويرتجز عنترة ذات مرة فيقول مفتخراً بنفسه:

أنا الهجيـــن عنتـــــــرة كل امـــريء يحمي حـــره
أســـــوده وأحمـــــــره والـــــــواردات مشفـــرة

فكأنه في هذه الأرجوزة على بحر الرجز يغار على عِرضه وشرفه وكرامته ، ولو كان في ذلك حياته مُشهراً سيفه في وجه كل معتد. ويحكي لنا الأصمعي والبطليوسي أن بني عبس خرجوا من بني ذبيان ذات غداة. فانطلقوا إلى بني بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فخالفوهم وأقاموا عندهم ، وكانت لهم خيل عتاق وإبل كرام فرغبت بنو سعد فيها ، فهموا أن يغدروا بهم ، ففطن لذلك قيس بن زهير. وظنه ظناً وكان رجلاً مفكراً فطن ، فأتاه به خبر فأنذرهم حتى إذا كان الليل سراج في الشجر نيراناً ، وغلق عليها الإداري وفيها الماء يسمع خريرها ، فأمر الناس فاحتملوا فانسلوا من تحت ليلتهم وباتت بنو سعد وهو يسمعون صوتاً ، ويرون تاراً ، فلما أصبحوا نظروا فإذا هم قد ساروا. فاتبعوهم على الخيل فأدركوهم بالفروق وهو واد بين اليمامة والبحرين فقاتلوا حتى انهزمت بنو سعد. وكان قتالهم يوماً مطرداً إلى الليل. وقتل عنترة ذلك اليوم معاوية بن نزال جد الأحنف ، ثم رجعوا إلى بني ذبيان فاصطلحوا ، مؤملين أن يكون الصلح حاقناً للدماء وصائناً للأعراض! فقال عنترة يذكر الفروق في هذه القصيدة ، وهي يائية عنترية فذة على البحر الطويل:

أَلا قاتَـــلَ اللَّهُ الطُلـــولَ البَوالِـــيا وَقاتَـــلَ ذِكـــراكَ السِنينَ الخَوالِيـــا
وَقَولَكَ لِلشَـــــيءِ الَّذي لا تَنالُـــهُ إِذا ما حَلا في العَيـــنِ يا لَيتَ ذا لِيـــا
وَنَحنُ مَنَعنا بِالفَـــــروقِ نِساءَنـــا نُطَرِّفُ عَنها مُشعِـــلاتٍ غَواشِيـــــا
حَلَفنا لَهُم وَالخَيـــلُ تَـــردي بِنا مَعاً نُزايِلُهُم حَتّى يَهِـــرّوا العَوالِيـــــا
عَوالِيَ زُرقاً مِن رِمـــــاحِ رُدَينَـــةٍ هَريـــرَ الكِلابِ يَتَّقيـــنَ الأَفاعِيـــا
تَفادَيتُمُ أَستاهَ نيـــبٍ تَجَمَّعَـــــت عَلى رِمَّـــــةٍ مِنَ العِظامِ تَفادِيـــا
أَلَم تَعلَموا أَنَّ الأَسِنَّـــــةَ أَحـــرَزَت بَقِيَّتَنـــا لَو أَنَّ لِلدَهـــــرِ باقِيـــا
وَنَحفَظُ عَـــوراتِ النِساءِ ، وَنَتَّقـــي عَلَيهِنَّ أَن يَلقيـــنَ يَوماً مَخازِيـــا

أَبَينـــا أَبَينـــا أَن تَضِـــبَّ لِثاتُكُـــم عَلى مُرشِقـــــاتٍ كَالظِباءِ عَواطِيـــا

وَقُلتُ لِمَن قَد أَخطَـــرَ المَـوتَ نَفسَهُ أَلا مَن لِأَمرٍ حـــــازِمٍ قَد بَدا لِيـــــا

وَقُلتُ لَهُم رُدّوا المُغيـــرَةَ عَن هَـوى سَوابِقِهـــا وَأَقبِلوهـــا النَواصِيـــا

وَإِنّا نَقودُ الخَيـــلَ تَحكي رُؤوسُهـــا رُؤوسَ نِســـاءٍ لا يَجِـــدنَ فَوالِيـــا

فَما وَجَدونا بِالفُـــروقِ أُشابَـــــةً وَلا كُشُفـــاً وَلا دُعينـــا مَوالِيـــا

تَعالَـــوا إِلى ما تَعلَمـــــونَ فَإِنَّني أَرى الدَهـرَ لا يُنجي مِنَ المَوتِ ناجِيـا

وهكذا نجد استهلاله: (ألا قاتل الله الطلول البواليا) والطلول جمع طلل وهو بقايا أو آثار الديار التي كانت تسكنها المحبوبة أو المعشوقة ، أو مكان قديم سارت فيه! ونحن نتصور أهل الجاهلية لا يعرفون الله تعالى! وهذا منا محض افتراء عليهم لا يزيد ، فإن الذي يقرأ الآيات في سورتي: (المؤمنون من 84 : 89 وكذلك العنكبوت 61 : 63) يدرك أنهم أصحابُ توحيد ربوبية ، وهو وحده لا يُدخِل الإسلام. وأصحاب المغازي والسير وأصحاب التاريخ هذا كلامهم ، وكتبهم بين أيدينا ليست غائبة ، لندرك أن أصحاب الجاهلية كانوا جاهليين لاتخاذ الشركاء في عبادة الله تعالى. إنْ في صورة التوسل والدعاء والنذر لغير الله والاستغاثة والاستعانة بغيره ، وإنْ في صورة تشريع أو قضاء يأخذونه عن كبرائهم وعليتهم وسادتهم. وهذه آيات سورة (المؤمنون) التي أشرنا إليها ناطقة بأن القوم كانوا يدركون بأن الله تعالى ربهم: (قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)! وهذه آيات سورة العنكبوت كذلك: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)! ألا وإن المجال طويل في هذا المشهد وليس داخلاً في نطاق هذه القراءة الأسلوبية التحليلية للأدب والشعر والأسلوب وليس للعقائد! وإنما يبحث هذا في مظانه في كتب التوحيد والعقيدة! وأنى لمثلي أن يتناول مثل هذه القضايا مجترئاً على ابن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الوهاب؟! وإنما فقط أشير مجرد إشارة إلى أن القوم كانوا يعتقدون بربوبية الله وما كانوا بذلك مسلمين على ملة إبراهيم التي يزعمون أنهم كانوا عليها! فكانوا يعترفون بأن الله تعالى خلق ورزق وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأنزل المطر ، وبيده ملكوت السماوات والأرض ، وأنه يجير ولا يجار عليه ، وأنه يطعم ولا يطعم ، وأنه يمنع ويمنح ، ولا يسأل عما يفعل والبشر والجن يسألون ، وأن الله يملك تصاريف الأقدار إلى غير ذلك من مفردات توحيد الربوبية! وكانوا أهل مناسك تعبدية من صلاة وزكاة وصيام وحج ونذر واعتكاف وطواف وسعي وإطعام طعام وإفشاء سلام وصلة أرحام! ومع هذا كله كانوا مشركين! لماذا؟ والجواب: لأنهم كانوا يتخذون شركاء يعبدونهم مع الله أو من دونه! فلا نستغرب مع هذا كله قول عنترة: (ألا قاتل الله الطلول البواكيا)! وعنترة نفسه كنموذج للشاعر الجاهلي يقول لحبيبته عبلة:

يا عبـــلُ أين من المنيـــة مهربي إن كان ربـــي في السمـــاء قضاها؟

وإذن فهو يؤمن إيماناً جازماً لا شك فيه أن الذي يقدر الأقدار هو الله رب العالمين! لقد قلنا بأن القبائل العربية التي استوطنت الجزيرة العربية قبيل البعثة المحمدية على صاحبها صلوات الله وتسليماته يتعين دراستها دراسة مستفيضة واعية ، ونضم صوتنا لصوت الأستاذ خليل عبد الكريم في هذه النقطة ونذهب مذهبه فيها ألا وهو أن دراستنا للفترة الجاهلية قبل البعثة النبوية من كافة نواحيها أمر جدير بالأهمية! ودراسة كل قبيلة من حيث ما اشتهرت به من أنشطة وسجايا وأعراق وعادات وتقاليد ، فمثلاً اشتهرت قريش بالتجارة وحنيفة بالزراعة! فندرس لكل قبيلةٍ أعيادها وأصنامها وكعباتها وأساطيرها وأمثالها وخطبها وأسواقها التجارية التي كانوا يقيمونها ، وأماكنها وأيامها والبضائع التي كانت تباع وتشترى فيها! والمواسم الأدبية التي كانوا ينشدون فيها قصائدهم مثل المعلقات السبع أو العشر ، والخطب التي كانوا يلقونها فيها مثل خطب قس بن ساعدة الأيادي ، وندرس كذلك جغرافية البلاد مثل طبيعة الأرض والرياح والأمطار وأوقاتها ، ورؤساء القبائل وكهانها وعرافيها ودجاليها وحكمائها ونسابيها وشعرائها وكذلك خطبائها وصعاليكها ومتحنفيها وما خلفوه. والأحلاف التي انعقدت بين بعضها البعض والمعارك أو الغزوات أو الغارات التي كانوا يشنونها على بعضهم البعض أو على الغير مثل الفرس ، وعاداتهم في النكاح والطلاق والظهار والعتاق والرق والمكاتبة والتدبير إلى غير ذلك. وطرقهم في التداوي والعلاج والتطبيب والعلوم التاي عرفوها إن كان يصح أن يطلق عليها علوم مثل الفراسة والنسب والتنجيم ومعرفة الأنواء والرياح والبيطرة ، وحيواناتهم المختلفة وطعامهم وبيوتهم ومحاصيلهم الزراعية والصناعات التي عرفوها وطبقاتهم المختلفة من حيث النظرة الاجتماعية: الملأ وهم الأشراف أو الوجهاء أو علية القوم ، والزراع والحرفيون كالنجارين والبنائين والحدادين والرقيق ، ومعاملاتهم المالية وعقودهم التجارية مثل البيع والقرض والشركة وربا الفضل وربا النسيئة! وعلاقاتهم مع الدولتين الكبيرتين في ذلك الزمان: فارس والروم ثم الممالك التي كانت على أطراف الجزيرة العربية سواء في الشمال أو الجنوب: الغساسنة والمناذرة وكذلك اللخميين وملوك اليمن والحبشة وخاصة وأن هذه الممالك – ما عدا الحبشة – كانت عربية. ومدى التأثيرات التي أحدثتها روابطهم بكل أولئك الأقوام ، وندرس عقائدهم والأديان التي تفشت في بعض قبائلهم مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية والزندقة ودين الصابئة وملة إبراهيم التي التمسها الأحناف في الجاهلية وكانوا عليها ، وندرس كذلك حال المعرضين عن الحنيفية السمحة أو بالمعنى الأدق بقايا الحنيفية السمحة هذه. فكل هذه المعتقدات كان لها وجود في الجزيرة العربية ، والأديرة والكنائس التي كانت منتشرة خاصة في الأطراف وصلاتهم وزكاتهم وحجهم وعمرتهم وصومهم وصدقاتهم وطوافهم وسعيهم ونذرهم وقسمهم بالله! يعني باختصار ندرس: التاريخ والجغرافية والأدب واللغة والشعر والنثر والنحو والأديان والطب والقانون والاجتماع والزراعة وعلم السلوك. ندرس كل هذه الأشياء قبل البعثة النبوية في مجتمع الجاهلية. ذلك أنه لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وبعد دراسة هذه الأشياء ندرس علاقتها المباشرة أو غير المباشرة على الأسلوبية التي كان الشعراء يصوغون بها أشعارهم عامة وعنترة بن شداد خاصة! ذلك أن عنترة الفارس الشجاع والعاشق الرقيق كان نتاج هذه البيئة وغرس من غراسها ونتاج من نتاجها ونبت من نباتها! فإذا دخلنا في شعره وقرأناه دون التعرض لدراسة البيئة التي هو من نتاجها وغراسها ونباتها فإن هذا استنبات للبذور في الهواء! وأنى لنا أن نصل إلى فائدة. إن هذه الدراسة الأسلوبية لشعر عنترة ليست قصة أو رواية. إن نقد الشعر من حيث الصياغة فحسب يحتاج إلى مثل هذا بشدة ، فما بالنا إن كنا ندرس الأسلوب؟! ونحن نريد أن تكون لدينا رجولة إسلامية أو عنترية إسلامية شاعرية! وأيضاً نتعرف على لشاعر من خلال البيئة! إن قصيدة عنترة لها أثر في الوجدان ساعة

يطالعها المرء! وإنك لمستفيد من شعر عنترة كما يستفيد منه الجيل القرآني الفريد المنشود! بل وهو مدرسة في الشجاعة الشعرية غير مطروقة ولا مسبوقة من قبل! أنشد عنترة مرتجزاً ومرتجلً معاً مقطوعة عندما همّ بنو كعب بغدر بني عبس وكانوا حالفوهم ، وفطن لهم بنو عبس فأخذوا حذرهم فيقول:

قلت: من القـــوم ، فقالوا: سفـــره والقـــوم كعب يبتغون المنكـــــرة

قلت لكعـــب ، والقنا مشتجـــــرة تعلمني يا كعب وامشي مبصـــــرة

ثم اذهبي عني ، وكونـــــي حـــذرة

وإذن فهذه المُخمّسة العنترية آية في الشجاعة والإقبال وهي أهزوجة من نوع المسمطات كما يقول علم البحور والعروض والقوافي. وهو هنا يتحدى بني كعب ويدعوها إلى معركة لا ينفك أوارها على انتهاء وليس لها حد. وهو لون من الإقدام نأخذه من هذه المُخمسة العنترية! وقوله القنا مشتجرة يعني الرماح المتشابكة وهذه كناية عن صفة وهي احتدام المعركة لدرجة عدم تمايز الرماح بعضها من بعض! وعنترة مناظر شعري كبير فهو يرد الصاع صاعين ولا يتروى ولا يتمهل. وسوف نسوق هذه المناظرة الشعرية البديعة بينه وبين أحد الشعراء على زمانه. وقبلها نذكر من نوادر وملائح العرب الشعرية أن أحد الصالحين مر على مجموعة من النسوة وإذا بالرياح تعبث بحجاب إحداهن فانكشف وجهها فأعجبه حسن ذلك الوجه - الذي بدا بلا قصد - من مجرد نظرةٍ واحدة! أما عن نفسه فاستغفر ربه وأناب! وقبْل استغفاره أنشد يقول:

إن النســـــــاء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطيـــــــن!

فلما سمعت المرأة المعنية بهذا البيت أنشدت وفي التو واللحظة وعلى ذات البحر والروي والوزن والقافية والإيقاع - وهذا يعتبر من الأجوبة المسكتة للخصم ، إذ لم يستطع قط أن يرد عليها ، بل أطرق ملياً - تقول:

إن النســـــاء رياحيـــــن خلقن لكم فكلكم يشتهي شـــم الرياحيـــــن!

وهكذا كانت المناظرة لها وقعها على كل من قرأها أو سمعها! نعود إلى عنترة: قامت المعركة وشارك ضد عنترة رجلٌ فحل يُدعى ضمضم ، وكان ضمضم قد طعن عنترة في عينه وفي ذلك يقول حصين بن ضمضم:

أما بنو عبـــــس فإن زعيمهـــــــم أحلـــت فوارســـه وأفلت أعـــــورا

لمـــا رأيتُ العبـــد وسط صفوفنـــــا متكـــــرراً أكرهـــتُ فيه الأسمـــــرا

فرددتُ عن جمع الســـراة ســـواده ورددتـــــه عن جد مرة مدبـــــــرا

لما رأى فرســـــان مـــــــرة والقنا لم يستطـــــــع لقناهمُ أن يصبـــــرا

تركت بوجـــع العبـــد طول حياتـــه أرمـــــاح مـــــرة والأسنة منظـــرا

وتركـــــــت في كـــر الفوارس عمـــه شلـــواً بمعتـــرك الكُمـــــاة مجـــزرا

فأنشد عنترة وعلى نفس البحر وتغيير الروي والقافية والحركة يقول:

اصبـــر حصين لئن تركت بوجهـــــه أثـــراً ففإني لا أخالك تصبـــــــــــر

ما سرني أن القنـــــــان تخرفـــــت عما أصابـــت من حجـــاج المحجـــر

إن الكريـــم ندوبـــه في وجهـــه ونـــدوب مـــرة لا تُـرى في المنحـــر

لكـــــن في أكتافهـــم وظهورهـــم فبـذاك فافخـر بئـس ذاك المفخـــــر!

ولا يخفى أن في البيت الأول والرابع إقواء ، وذلك لأن كلمة (تصبر) وكلمة (المفخر) حقهما إعرابياً الرفع. لكن الذي نسلط عليه الضوء هنا هو الجزالة الشعرية وقرع الحجة بالحجة والمناظرة بالمناظرة – وعنترة هنا لا يبالي وشعاره وليكن ما يكون – وهذا الصمود وأمام هذا الغريم الشامت الذي يُكشر عن أنيابه ، ويشمر هنا عن ساق الخصومة. وكذلك يوم أمرته عروسه بالهروب ، في يوم غدير قلهي فيرد عليها قائلاً:

تقول ابنـــة العبسي قرب جمالنـــا وأفـــر سنائم انج إن كنت ناجيـــــا

فقلتُ لها: من يغنـم اليوم نفســـه وينظـــر غداً يلـــق الذي كان لاقيـا

وكذلك له قالب شعري مسمط صاغ فيه الحكمة التي تقول بأن لكل حي متحرك في الحياة نهاية ، وهي السكون عن حركته ، أو الموت فلا يتحرك أبداً ، وتلك سُنة الله – تعالى - يقول عنترة في قالبه الثلاثي هذا:

لكل جـــــار حين يجري منتهـــى

ما كل يوم تسعـف القـــوم المنـــى

حقاً ، ولا تُخطيهـــمُ سُبـــل الـــردى

وله موقف شهير جهير مع عروة بن الورد ، وذلك في قصة فرسه المشهورة ، ويطول المقام إذن لذكر القصة كاملة ، ولسنا بصدد القصة بقدر ما نحن بصدد تسليط الضوء على الأسلوب! يقول عروة بن الورد:

سقونـــــي الخمر ، ثم تكنفونـــي غـــــداة الله من كـــــذب وزور

فقال عنترة مُعَرّضاً بعرسه أي عروسه أو ابنة العبسي كما سماها من قبل ، ويذكر لعروة أنه خير فرسان بني عبس ، مبيناً التضحيات الجسام والمحن والإحن والعذابات واللواعج التي خاضها من أجل الظفر بها:

يا عـــــروة بن الـــورد خير عبـــس

أما ترانـــي قد بذلـــت نفســـــي

للمـــــوت والثـــارات دون عرســـي

وعندما قتل عنترة ابني قشير وهما من أعداء قبيلته بني عبس قال مقطوعة شعرية بديعة:

بـــــرح بالعينين كل مغيـــــرة أسِنتها من قانـــي الـــدم تـــردم

أمـــارس فيها ابني قشيـــر كليهما برمحي ، حتى بـــل عامله الـــدم

أمـــارس خيلاً للهجيـــم ، كأنهـــا سعال بأيديها الوشيـــج المقـــوّم

والسعال التي يعنيها عنترة في مقطوعته من كلمة سعلاة وهي رئيسة الجن أو الغول! ويُشكر الشعر العربي الذي هو (ديوان العرب) أن حافظ على سيرة عنترة الشعرية والنثرية! فهل يصنع الشيء ذاته اليوم مع الشعراء العرب المعاصرين؟! للأسف لا! وذلك لأنه جدت أنماط وأحداث استحال معها أن يقوم الشعر بدوره الحقيقي! فما الذي حدث لديوان العرب وفنهم الأول؟ يجيب عن هذا السؤال الأديب محمد عبد المطلب أستاذ الأدب العربي في جامعة عين شمس فيقول ما نصه: (المشكلة الحقيقية تكمُن في أن الشعر هو فن اللغة العربية الأول ، في حين نرى أن اللغة تضيع ضياعًا شبه كامل. إن الشعر الآن أصبح له منافسون لم يشهدهم طوال تاريخه ، وإن هؤلاء المنافسين أنتجتهم الحضارة الحديثة من خلال المسلسلات والبرامج التليفزيونية والعروض السينمائية ، منافسين استحوذوا على بعض من تقنيات الشعر الروحية والجمالية ؛ لذا فقد انحسر الواقع العام عن تلقي الشعر ، لكن ذلك لم يحدث في الواقع الأدبي، يدلنا على ذلك أن الشعراء يتزايدون ، ولو قمنا بإحصاء عدد شعراء الحداثة في زمن السبعينيات وشعراء الحداثة الآن لوجدنا العدد أكبر بكثير).هـ. وأوضح عبدالمطلب أن المشكلة في الفهم الخاطئ عن أن الشعر فن شعبي ، وهذا غير صحيح ؛ فالشعر منذ ظهر وهو فن الخاصة ، وللرسول ـ صلى الله عليه وسلم – حديث يقول فيه: «إنما الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها ، وتُسَلّ به الضغائن من بينها» ، أي أن الشعر جنس خاص من الكلام وليس كل كلام شعر ، والأمر الثاني أنه ليس فنًّا شعبيًّا عامًّا ، والأمر الثالث أن له جمالياته الخاصة وله وظائفه الاجتماعية ، كما أنه ليس فناً شعبياً كما يتصور الكثيرون حين يقولون بانحسار دور الشعر ، وربما كان في مراحل معينة من مراحله أقرب إلى الفن الشعبي ؛ من بينها مرحلة جرير والفرزدق ، ومرحلة شوقي وناجي ، وربما آخر هذه المراحل هي مرحلة نزار قباني ، لكن فيما عدا ذلك فالشعر في كل مراحله فن خاص ، وهو الآن على ما هو عليه طوال مساره ومراحله التاريخية ، فن خاص ، لكنه على الرغم من ذلك يظل هو الفن الأكثر قدرة على اختراق جوهر الإنسان». ويلفت إلى أنه في الرواية يمكننا أن نجد تقابلات الحياة ، ونجد صراعات الشخوص ، وتفصيلات الوقائع ، لكن حين يخترق الكاتب جوهر الشخصية ومكنوناتها الداخلية يتحول إلى شاعر، نجد ذلك عند نجيب محفوظ ، ويوسف إدريس ، وكل كتاب السرد ، ويبدو أن ذلك قديم قدم الشعر ذاته. ويذهب عبدالمطلب إلى أن المشكلة الحقيقية تكمن في أن الشعر هو فن اللغة العربية الأول ، ولا يمكن تذوق إبداعاته وجمالياته من دون الإلمام باللغة العربية ، نحن في زمن تضيع فيه اللغة ضياعًا شبه كامل في مختلف مستويات التعليم ، وهذا سبب عدم رواج الشعر ، فهناك مدارس وجامعات الآن لغتها الأولى هي اللغات الأجنبية ، فكيف ستخرج طلابًا يمكنهم تذوق الشعر أو معرفة جمالياته ، نحن مقبلون على مرحلة ينفصل فيها المواطن عن لغته ، وهو ما يعني انفصاله عن ثقافته ودينه ووطنه أيضًا ؛ فاللغة هي المواطنة. ويذهب مدرس الأدب العربي بجامعة أسيوط الدكتور أحمد الصغير إلى أن القصيدة بدأت في التراجع مع التقدم المعرفي ، لأسباب متعددة منها ، أولًا: تهميش دور الشعر ، فلم تعد المؤسسات السياسية والإعلامية ترحب بوجود الشعر ؛ لأن الشعر ينتصر للعدالة والحقيقة والمساواة ، رغبة من الشعر في وجود حياة إنسانية مناسبة يجد الإنسان فيها روحه المعذبة. ثانيًا: تشجيع الفنون الأخرى على حساب الشعر مثل فن (الرواية والقصة والمسرح) ، وإن كانت الرواية هي التي سحبت البساط من تحت أقدام الشعر ليصبح الشعر كالفارس الوحيد الذي يقف في ميدان المعارك معزولًا ومهمشًا ، حزينًا على نفسه لما ألم به من غياب. ثالثًا: سياسة الجوائز العربية التي أصبحت تفرد مساحات واسعة للرواية والقصة على حساب الشعر ، فتحول كثير من الشعراء إلى روائيين أو كتاب سيناريو ، رغبة في تحقيق مكاسب مادية سريعة أو شهرة واسعة. رابعًا: لم يعد الإعلام

يحتفي بدور الشعر المجدد ، بل يرتكن إلى استدعاء الشعراء التقليديين الذين ينفذون المطلوب منهم. فجاءت صورة الشاعر في السينما مشوهة ورديئة. وفي النهاية رغم تراجع الشعر المدوي فإنه ما زال يلملم جراحاته في وجدانات الإنسانية من خلال روحه التي تضيء من حين إلى آخر. وقال الصغير: إنه لن تقوم للشعر قائمة ، إلا إذا تبنت الدولة المصرية أفكار الشعراء ، وبدأت وزارة التربية والتعليم في تجديد مناهجها العقيمة التي تقف عند أحمد شوقي فقط ، لتطرح نصوصًا جديدة للشاعر الحي الذي يعيش بيننا الآن ، وأن يفرد الأساتذة في الجامعة مساحات لتدريس الشعر الجديد أو شعر الحداثة العربية ، واستضافة الشعراء الأحياء ؛ لأنهم هم وحدهم الأكثر قدرة على إحياء الشعر وممارسة دوره الحقيقي. وتحت عنوان: (الشعر أضحى ضيقًا على التعبير والتواصل) يرى الأستاذ علاء خالد (مؤسس مجلة أمكنة) أن تحول الشعراء إلى الرواية يعود إلى أن مجال الشعر أصبح ضيقًا على التعبير والتواصل مع الناس ؛ فالمجال الرمزي بين الشعراء والناس أصبح مقطوعًا ، ومن ثم توصيل المعنى لا يتم. والرواية لها مجال رمزي واسع ومشترك مع الناس ، لذا ينُتقَل إليها كوسيط له تقاليده ، وسهولته فى التواصل والتوصيل. ويضيف قائلًا: في لحظات الأزمة فى التوصيل كما نعيشها الآن داخل الشعر ، وعدم وجود مشترك عام ، يجب أن يتحرك طرفا الأزمة ، الشاعر والناس ، لشق طريق جديد داخل هذا النوع الأدبي وطريقة القراءة. أقصد المهم فى هذه اللحظات ألا ينصرف الشعراء عن الشعر ، بل يحاولون أن يطوروه ويكسبوه رمزية أوسع ، وهو ما حدث بالفعل في تغير شكل القصيدة واتجاهها نحو القص والسرد والسيناريو. ولكن على الرغم من هذا التحول يحدث الانتقال إلى الرواية ؛ لأنه انتقال وتطوير شكلي للقصيدة ، وربما كذلك أفقد الشعر شعريته. انتقال مشوه وشكلي ، أو بمعنى ما انفتاح شكلي على الأنواع الأخرى. في الوقت نفسه أصبحت الرواية مخزنًا للحس الشعري ، الذي امتصته من الشعر ، ولهذا أصبح المجال الشعري نشطًا داخل الرواية وليس داخل الشعر. وأضاف خالد أن الجمهور العريق اختفى منذ نزار قباني ومحمود درويش ، الذين كانوا يمثلون لحظة جماعية على كل المستويات، أو كانوا الضوء الأخير من لحظة جماعية سياسية، كانت لها رموزها المشتركة ، وكان الشعر يمثل الحياة فيها حتى لو كان كاذبًا أو مبالغًا فيه ، مثل أشعار نزار قباني مثلًا. الآن لحظة «الحقيقة» وكسر نموذجها الإيهامي ، الذي له أسباب كثيرة ، إذ لم ينتج بعد شعره أو أبطاله القوميين ، أو جمهوره ، بل أنتج جماعات صغيرة من الجمهور. مصطلح الجمهور تفتت من تلقاء نفسه مع تفتت النموذج الإيهامي. وخلص إلى أن الجوائز فكرة سياسية تريد أن تصل لمن له تمثيل اجتماعي واسع ، وإلى من يحقق لها الاستمرار والانتشار ؛ لذا فإنها تتجنب الشعر الذي يدور في مساحات ضيقة من المجتمع. والأستاذ محمد مظلوم يقول: (إذا كان انحسار المطبوع الشعري قد أصبح حقيقة واقعة يعرفها الناشر ويقرّ بها الشاعر نفسه ، فإن تفشّي ظواهر موازية لتداول الشعر في مواقع التواصل الاجتماعي ، قد تكون وفّرت رافعات مبتكرة وغير مشروطة لكل من يكتب الشعر بشكل تفاعلي أو يومي. وعلى الرغم من أن مثل هذه الفضاءات المفترضة لا يمكن الاحتكام إليها في تقويم وحضور أي منجز ثقافي أو أدبي في نهاية المطاف ، فالمراهنة هنا على الاحتكاك المباشر بين الأنواع الأدبية الأخرى التي أصبحت تتشابك في حقول شتّى من التجربة الإنسانية ، بين ما هو حاضر ومعبّر عن اللحظة ، وبين ما هو تأمّلي يتّخذ من العزلة والتعقيب لا المشاركة ملاذًا دائمًا. ومع ذلك ، بقي الشاعر العربي يؤمن بأنه لا يزال يمسك بصولجانه الموروث ، ولا ضير من بروز أزمة وجود هنا أو إشكالية رؤيوية وتقنية هناك ، بالمقارنة بين راهنية واقعه وما يواكبه من تجارب عالمية في مكان آخر. وحول هذه الراهنية في الشعر العراقي والعربي عمومًا ، وعن جملة الأسئلة والتّحديات التي يواجهها الشعر الآن ، وعن الشاعر نفسه الذي يوصف بأنه

كان يتيمًا فأصبح أكثر يتمًا في لحظة انحسر فيها قرّاء الشعر وغابت الجوائز المرموقة عنه ، لتحضر الرواية ومواقع التواصل الاجتماعي بقوّة. وحول هذه الأسئلة والمحاور نستعرض آراء أربعة شعراء عراقيين من أجيال مختلفة وأساليب كتابية عدّة).هـ. ويرى الشاعر والباحث العراقي محمد مظلوم أن الأسئلة والتحدّيات التي يواجهها الشاعر تكاد تكون واحدة في كلّ العصور ، وأنها أقربُ إلى الأزليَّةِ منها إلى الآنيَّة ، فالأسئلة التي كابدها هوميروس الإغريقي ، أو فيرجل الروماني ، تقاربُ المطامح الغامضة لامرئ القيس أو المتنبي العربيّين ، وهي ذاتها التي قد يصطدم بها أيُّ شاعرٍ حقيقيٍّ في كلّ عصر ومكان. ما يختلف هو الشرط التاريخي ، وخصائص المرحلة. الأسئلة الوجودية الداخلية لا تتغيّر ، ما يتغيّر هو المعطيات الخارجية. بهذا المعنى ، فإنَّ الأسئلة تأخذ صياغات متعدّدة ومختلفة لجوهرٍ واحد. وبهذا المعنى نفسه ، يضيف مظلوم ، «أعدت توجيه السؤال وأحلته [إلى] الشاعر نفسه، وليس [عن] الشعر؛ ذلك أننا يجب أن نبحث عن الشجرة ، قبل أن نسأل عن غياب الظلال والثمر ؛ إذ يبدو لي الشاعر الآن مثل الكائنات المهدّدة بالانقراض ، وثمّة مِنَ الأشجار ما انقرَضَتْ فعلًا ، أو مُسختْ إلى حجرٍ قاسٍ بلا ثمر أو ظلال ، وهذا الحشد غير القابل للإحصاء ممّن يكتبون الشعر حولنا الآن أبطال وشهود على مأزق الشعر: انحسار نموذجه العالي ، وشيوع الإسفاف والرداءة ؛ لذلك فالمحنة هنا ذاتية مزدوجة قبل كل شيء ، طرفها الأول أشرت إليه بتلك اللوثة الأزلية وغموض الأسئلة لدى الشاعر نفسه ، وطرفها الثاني النماذج السائدة التي توحي بالقحط بل تُفصح عنه ؛ حيث التضحية بالفضاء الإنساني ، والكوني ، والركون إلى التعبير عن أوهام هويات ضيِّقة ، والنزوع إلى مطامح رثة. وعن تعبير الانقطاع و«اليتم» اللذين انطوت عليهما محاور الظاهرة الشعرية الراهنة ، يعترض الشاعر محمد مظلوم على جانب الشفقة الذي توحي به المفردة ، فالشاعر بحسب قوله: «ليس مسكينًا إلى هذا الحدّ من التوصيف! فهو من جعل من هذا المصير - وإن بمازوخية مريبةٍ - هويةً جماليةً ؛ غربة المعري الباطنية ، أو منفى أوفيد ، مرض السياب لا يُتمُه الأموميُّ! أو متاهة رامبو ، كانت صورًا تقريبية ، مجازية ربما ، لما تسميه اليتم ، وأدعوه: لعنة الانشقاق وهاجس البحث الغامض. أما الشعر فهو المجدُ العربيُّ بلا مواربة ، فعمر الرواية العربية وأصول نشأتها ، لا تنطبق عليهما صفة المجد ، بينما نحن نتحدَّث عن شعر مكتمل عُمره أكثرُ من خمسة عشر قرنًا. ويرى مظلوم أن مواقع التواصل الاجتماعي جعلت من الشعر على قدر غير مسبوق من الإسفاف ، لا في مستواه فحسب ، إنما في طريقة عرضه. فنحن إزاء ما يشبه «سوق الهرج» تتداخل فيه الأصوات ، وتتكدَّسُ البضائعُ ويُطرح الشعرُ إلى جانب كلِّ شيء ، وأيِّ شيء! هكذا يتحوَّل «التواصل» المفترض إلى انقطاع وغيبوبة حقيقيين عن ذلك السحر القديم للشعر ، لصالح انبهار عابر هو سمة العصر. صحيح أن الشعر كان محاصرًا في كلّ عصوره ، إلّا أن هذا الانحسار الخطير الذي نراه في حياتنا المعاصرة هو نتيجة طبيعية لنكوص شامل في القيم الروحية والجمالية والثقافية. ويلفت إلى أن القراءة ، والنقد ، وطريقة التلقّي ، تراجعت كذلك ، «وربما كان الشاعرُ غيرَ معنيٍّ بهذه التغيُّرات الطارئة ، لكن ما يحيط به من هذه الظواهر أسهم في خلق «لحظة اليتم المفترض». أما «الجوائز» وعلى الرغم من أنها أقرب إلى طقوس اجتماعية وتقاليد صالونات ، فهي بدل أن تحتفي بالشعر الحقيقي ، كرَّستْ عُزلته. وعطفًا على محاور الموضوع بإشكالياته المطروحة نحو رؤى شابّة تشكّلت تجاربها في العقد الأخير ، يطرح في أولها الشاعر ميثم الحربي فهمًا خاصًّا يلتقي فيه مع الآخرين أو يتفرّد أحيانًا في طريقة قراءته. يقول ميثم: طالما فهمنا أن مفهوم (الراهن الشعري) يرتبط بالحياة الثقافية ، والسياسية ، وأطوارها المتحرّكة كما تختزن مفردة الراهن شحنة الزمن ، وتبذر لنا في كل مرّة مرحلة المحكّ ، ومرحلة الصعب ، وحضور الصراع. وعلى هذا

الأساس يتغذّى راهن الشعرَيْن العراقي والعربي من بنياته الاجتماعية الحافلة بحكايا المندثر والجديد ، والمغايرة ، والمشاكسة ، والاتهام ، ومواجهة سدنة الثوابت. ونكاد نجزم أنّ هواجس التحديث وقيمها نابعة من هذا المأزق أو المآزق المركّبة. لقد هبّت رياح كثيرة وملوّنة على الفنون ومنها فن الشعر ، وكانت الإفادة من ذلك تتمحور حول فكرة التخصيب بين الحاجات المحلّية لمجتمعاتنا وبين الرّجّات المَوْجيّة للتثاقف عبر الترجمات من اللغات المختلفة فيما يتعلق بالتأويل الجمالي للعالم. ويرى بخصوص ثنائية الشعر والقرّاء عدم وجود إشكالية تجاه القارئ المختصّ ، غالبًا ما يُغطي فهمنا لعوامل انحسار القراءة كتلة الجمهور العام. وهذا يمكن أن يحلّ عبر إنشاء برامج فعّالة للترويج. لكننا نصطدم هنا بعقبة دور النشر التي تضع الأرباح في المقدّمة وتتحرّك وفق هذه المعادلة. وبلا شك هناك تأثير واضح لعوالم التواصل الاجتماعي ، فالتثاقف عبر «السوشيال ميديا» أبرز غثّه وسمينه على السطح ، لكن تبقى التجارب الأصيلة مُفحمة لكل جدال. ولا يبدو الشاعر هاشم شفيق مرتاحًا لوصف الشعر بالتراجع والانحسار إزاء أجناس أدبية أخرى صاعدة على مستويي الحضور والتداول. فهو يعبّر عن وجهة نظره بطريقة ناقدة ؛ إذ يقول: (دائمًا يُثار حول الشّعر لغط ما؛ مثل أزمة الشعر العربي ، وفي حقبة الستينيات برزت مشكلة قصيدة النثر وأثرها في الأصالة والتراث والقدامة في الشعر العربي ، لنشهد بعد كل تلك الإرهاصات ، ومنذ أكثر من عقد ظاهرة الرواية التي نادى بها بعض النقّاد الذين لم يستطيعوا مجاراة فن النقد وتتبّع الأساليب الشعرية المتطوّرة في سياق الحداثة الشعرية ، حتى انبروا يردّدون أنه زمن الرواية التي أصبحت ديوان العرب. إنها تسمية خاطئة ، في الزمان الخطأ ، والمكان الخطأ ؛ الزمن العربي هو شعري بامتياز ، والمكان كذلك، نحن أمّة شعرية ، ومجبولون على الشعر وعلى قول الشعر حتى في جلساتنا وقعداتنا ، وفي مشوارنا الطويل مع الحياة. أما الناقد الذي اتّكأ على هذا التعبير ، فهو جهِد ساعيًا إلى تغطية قصوره في فهم النصوص الحديثة ، والأجدّ في كتابة القصيدة المعاصرة التي قطعتْ شوطًا كبيرًا ، من التحوّلات الفنية والأسلوبية والاستاتيكية في كتابة نسق جديد ومستحدث للقصيدة).هـ. ويمضي هاشم شفيق قائلًا: (لو رجعنا قليلًا إلى الوراء ، ورأينا حال الشعر وقارنّاه باليوم ؛ لوجدنا الشعر في هذه الأزمنة أكثر انتشارًا من السابق. الشعر اليوم بدأ يصعد معراجًا جديدًا مع التقنيات الحديثة والوسائط الجديدة للمجتمع الحديث ، فالفيسبوك ساعد على انتشاره رغم تسميته بفن القلّة ، كما جاء على لسان الشاعر الإسباني الكبير رامون خمينيث ، وتُدُووِل من بعده ، ووسّع من مدلوله الشاعر المكسيكي أكتافيو باث. الشعر لن يموت كما يشيع بعض حسّاده الذين توقفوا عند عتبة أسلوبية وتعبيرية وجمالية معيّنة ، هو مثل أيِّ فنٍّ آخر ، أصابه تطوّر جمالي ملحوظ ، وأفاد هذا التطوّر من بقية الفنون الصديقة والمجاورة له ، كالموسيقى والرسم والسرود عالية الفن والمُكنة. لقد تطوّر الشعر وشهد ثورات كثيرة ، استهدفت الشكل والمحتوى وطرائق التعبير ، وجاءت على كل تاريخه لتقدّمه بحُلّة مختلفة).هـ. ويقرّ شفيق بتحول الشعر إلى بضاعة كاسدة ، حيث يقول: (وهذا صحيح ؛ لأنه لا يباع مثل الكتب الإلكترنية التي ينشرونها ، أو مثل كتب المذكّرات ، وأستثني طبعًا الناشر المثقف والاستثنائي ، ناهيك عن المستوى الدراسي والتعليمي للشعوب العربية التي تدنّى مستواها العلمي والأكاديمي لأسباب لا تحصى ؛ أبرزها الحروب المجانية التي حصلت في المنطقة ، وهدَّدتْ أمنها وعرّضتها للتخلّف والتراجع لحقب طويلة. كل ذلك في اعتقادي أدّى إلى تراجع بيع الكتاب على نحو عام ، وجاء هذا الأمر على حساب التعليم ونهوضه ، ونشر الفكر التنويري ، ذلك الطامح إلى إلغاء الغايات والمطامح الضيقة كلّها ، التي تحاول زرع العتمة عوضًا من إنبات النور وانتشاره).هـ. وإذا كان ذلك كذلك تعين على كل شاعر جاد ذي قضية أن يحافظ على شعره من الضياع ، ويسعى في نشره بكل

السبل التي يستطيعها! أما التقوقع والتسويف والتأجيل والتريث لفرصة مواتية ينقح ويحقق ويدقق فيها شعره ، فكل هذه الأشياء يمكن من شأنها أن تقضي على الشعر تماماً! بينما الصواب أن يعجل ويجتهد ويحقق وينقح ويدقق أشعاره ، فإذا أحس بشيء من الرضا عنها بعد كل هذه الاجتهادات فلينشر بما استطاعته يداه من قدرات! وذلك ليرى أشعاره وقد أدت ثمرتها وانتشرت وتداولها النماس وعرفوا مراده منها! لن تأتي يوماً معجزة من السماء فتأخذ أشعـار شاعـر ما وتنشرها في العالمين بغير جهدٍ جهيدٍ منه! وينبغي علينا أن نفرق بين مسألتين جوهريتين: الأولى نشر الشعر ، والثانية كتابة الشعر! وإذا أدركنا ماهية الشعر العربي اليوم ، أدركنا لماذا يعزف عنه الكثيرون قراءة ونقداً وتحليلاً! الشعر في أصله شعور تحول من رحم العاطفة وصار على القراطيس مدوناً مكتوباً! هذا هو الأصل! ولما اصطبغ العصر بطابع المادية لم يعد للعاطفة والإحساس والشعور مكان فيه! وخاصة إن علمنا أن الشعر يحتاج إلى مجموعة من المؤهلات لكي يُقرأ ويُتذوق ، هذه الملكات يفتقد إليها كثير من مطالعي الشعر على قلتهم! ومن هنا تتحدد ما هية الشاعر ، بأنه الإنسان الذي يستطيع أن يحول عاطفته وشعوراه شهراً بالمفهوم الذي أبدأنا فيه القول وأعدناه! وتحت عنوان: (ما هو الشعر؟ ومن هو الشاعر؟) وتوضيحاً للعنوان أضاف: (بين النظم والبلطجة ضاع المبدعون) قال الأستاذ الناقد: (حسين فاعور الساعدي) ما نصه: (نتفق جميعاً أن الشعر هو كلام غير عادي يقوله إنسان غير عادي. وإلا فإن جميع الناس يستطيعون أن يكونوا شعراء ، كما يحدث في هذه الأيام. وفي الآونة الأخيرة أجول في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية ، وأجهد نفسي في البحث عن قصيدةٍ جيدةٍ تروي الظمأ ، فأضيع بين هذا السيل من القصائد التي يكتبها آلاف الشعراء في عالمنا العربي ، ومئات منهم هنا عندنا في الداخل. أدخل المكتبات بحثاً عن ديوان شعر جيد ، فأصاب بالصداع من كثرة الدواوين التي بمجرد تصفحها تزداد صُداعاً. فهل هذا يعني أن الشعراء الموهوبين والمبدعين قد انقرضوا؟ إن ما يميز الشعر عن الكلام العادي هو أن الشعر كلام موزون ومقفى أو غير مقفى. ولكن هل كل كلام موزون ومقفى أو غير مقفى هو شعر؟ الكلام الموزون والمقفى أو غير المقفى يكون شعراً عندما يصاب قارئه برعشة عند قراءته. رعشة تشبه الأورجزما في العملية الجنسية أو اللذة في عملية تناول الطعام الشهي أو النشوة في رؤية منظر خلاب أو امرأة فاتنة ، أو الارتواء من كأس ماء باردة بعد ظمأ شديد. وإلا فهو منظوم وليس شعراً ، وكاتبه ناظم وليس شاعراً. إن معظم الذين يكتبون الشعر هذه الأيام هم ناظمون ، يُجيدون الأوزان ويلتزمون القافية ، أو لا يلتزمونها لكنهم ليسوا شعراء ، ولا يمكن أن يكونوا شعراء. وهنالك مجموعة أخرى لا تقل عنهم عدداً ، لم يكلفوا أنفسهم عناء دراسة اللغة العربية ومتاعب الولوج إلى بحار الخليل بن أحمد ، يكتبون ما يسمى بالشعر الحر ، ساترين عجزهم وسطحيتهم بالتستر وراء الغموض والإبهام ، وصف الكلام المزين بالضمة والكسرة معتمدين على مظاهرهم الخارجية (إذا كانوا إناثاً) ، وعلى علاقاتهم العامة ووقاحتهم (إذا كانوا ذكوراً) ، وليس على ما يكتبون. بين هؤلاء البلطجيين وأولئك الناظمين ضاع الشعراء المبدعون. لماذا؟ وقد يقول قائل: المبدع يشق الصفوف ويأخذ مكانه. هذا صحيح وغير صحيح في نفس الوقت. صحيح عندما يملك الإمكانات المادية والوسائل للوصول إلى القارئ. وغير صحيح لأننا في عصر السرعة ، فلا وقت للقارئ للتفتيش عن قصيدة جيدة أو ديوان جيد في هذا الزحام والطوفان من القصائد والدواوين الهابطة. تماماً كما ليس للإنسان العادي الوقت والصبر للتفتيش عن فاكهة سليمة في صندوق متعفن من الفاكهة. وهنا دور الناقد الجريء والموضوعي والمتجرد من نزواته وغرائزه في توجيه القارئ وإسداء النصيحة له. ولكن أين هو هذا الناقد؟ أضف إلى ذلك أن الموضوعية والنزاهة وحدها لا تكفي لأن الناقد أو المحلل الموضوعي

والنزيه يحتاج إلى الذائقة أيضاً فالأدوات العلمية الأكاديمية وحدها لا تكفي. والشاعر لا يكون شاعراً بمجرد أن يجيد أوزان الخليل بن أحمد ، ويتمكن من نظم الكلام حسب هذه الأوزان كما حدث مع الكثير من الأكاديميين دارسي اللغة العربية الذين ظنوا أن تمكنهم من اللغة العربية ، وإجادتهم لأوزان الخليل بن أحمد يؤهلهم لأن يكونوا شعراء. لأن الشاعر هو الذي يمتلك الموهبة والسليقة وهذه لا تُكتسب. الموهبة أو السليقة تَخلق شيطان الشعر أو ما يسميه البعض الوحي ، أو الشاعرية. وهي حالة أو لحظة تفرض نفسها على الشاعر دون استئذان ودون مراعاة للزمان أو المكان. تصيبه في ساعات الصباح الباكر ، وفي لحظات ما قبل الإغفاء ، وفي المرحاض وفي أثناء السفر وعند رؤية الجمال بكل أشكاله. تأتي كالبرق أو كالومضة وقد تضيع لأبسط المنغصات. لا يمكن للشاعر استحضار هذه اللحظة وهي لا تخضع لرغبته وإرادته وإنما هي عصية متمردة تأتي متى تشاء وتفر متى تشاء وبسرعة إن لم يدخلها الشاعر ويعيشها بكل جوارحه وحواسه قاطعاً كل صلة له بالعالم المحيط به. سأسميها "الحالة الشعرية" أو "المخاض". أجمل الشعر هو نتاج هذه اللحظة المتمردة التي تستحوذ على الشاعر وتسيطر عليه قاطعة كل صلة له بالعادي والروتيني. في هذه الحالة يكون الشاعر منقطعاً عن ذاته وعن العالم المحيط به ، يكون غير عادي أو مجنون فتغيب اللغة العادية وتحضر لغة هي وليدة الحالة الشعرية تزول بزوالها وقد ينساها الشاعر إن لم يدونها. ينساها ولا يستطيع استحضارها ثانية ، حتى في حالات شعرية مثيلة. تماماً كمياه النهر التي تمر ولا تعود. و"الحالة الشعرية" هي التي تتحكم بالشاعر فتشله وتسيطر عليه ، وهو لا يستطيع استحضارها متى شاء ، أو التحكم بها أو تكريسها. لذلك فالشاعر الشاعر قد يكتب في اليوم أكثر من قصيدة ، وقد تمر الأيام والأشهر دون أن يستطيع كتابة كلمة واحدة. لأنه محكوم لشيطانه أو وحيه أو لحظته الشعرية! ما نشاهده هذه الأيام من كتب تغمر الأسواق ، وتملأ المكتبات ، ويسمونها دواوين شعر ظلماً وعدواناً ، ما هي بغالبيتها إلا محاولات بائسة لأناس يحاولون أن يفرضوا حالهم على الشعر. وما هي بمعظمها إلا كلام مصفوف ومُشكّل بالفتحة والضمة والكسرة والسكون كلام أقل من عادي. وتشكيل الجمل الموضوعة بشكل عامودي والمطعمة بالنقاط المتتالية وبعض الكلمات الغريبة المستخرجة من القاموس أو من جوجل والتي لا يستسيغها الشعر لا تؤهل كاتبها أو كاتبتها أن يكون شاعراً حتى لو دبلج له حاملي أل د. مئات المقالات والتحاليل المطولة والمدعمة بالنظريات الأكاديمية. فليس كل أكاديمي حتى لو كان تخصصه هو اللغة العربية بمقدوره أن يتذوق الشعر ولديه الكفاءة لإصدار الأحكام. ومتذوق الشعر لا يشترط فيه أن يكون أكاديمياً يحمل شهادة الدكتوراة ، فقد يكون هذا المتذوق فلاحاً أو عامل بناء لا يحمل أية شهادة. لكنه يحمل القدرة على التذوق ، وهذه غير مكتسبة كاللحظة الشعرية أو الوحي عند الشاعر. الذائقة الشعرية والشاعرية أو الوحي أو الحالة الشعرية هما الطرفان للتماس الكهربائي ، الذي يحدث بين الشاعر والقارئ فيجعل القارئ يعيش الرعشة أو اللذة أو الأورجزما التي عاشها الشاعر لحظة ولادة النص الأدبي. وما يكتبه من يسمون أنفسهم شعراء أو شاعرات من كلام أقل من عادي لا وزن ولا قافية له وخال من اللحظة الشعرية ، هو تخريب متعمد جعل الكثيرين من القراء يعزفون عن متابعة الشعر ويتوقفون عن قراءته. أما ما يكتبه الناظمون من أكاديميين وغير أكاديميين من شعر موزون ومقفى وشعر موزون غير مقفى فهو أشد خطورة على القارئ لأنه يصيبه بالخيبة والأخطر من ذلك يشوه ذائقته الشعرية. المصيبة أن هؤلاء الناظمون هم الأغلبية الساحقة ممن يكتبون الشعر عندنا وفي العالم العربي. وكثرتهم هذه وغزارة إنتاجهم جعلتهم يغطون أو يعتمون على المبدعين وهم قلة قليلة. لأنهم يغمرون السوق بإنتاجهم فهم لا يحتاجون للحظة الشعرية، أو المخاض، أو الوحي الذي يحتاجه المبدع وينتظر مجيئه طويلاً في كثير من الأحيان.

وفي الخلاصة أقول: الشعر هو الكلام الموزون والمقفى وغير المقفى ، الذي ولد في ما نسميه اللحظة الشعرية أو هبوط الوحي أو المخاض يقوله الشاعر بصيغ مختلفة وأساليب من الصور والرسم والزركشة والغموض المحفز وليس المحبط. أما الشاعر فهو الإنسان غير العادي ، المصاب ب "اللحظة الشعرية" أو "الشاعرية" أو "نوبة الوحي". هذه الإصابة لها تأثيرها على شخصيته وسلوكه وتصرفاته).هـ. ودارت معركة حامية بين النقاد قديماً وحديثاً حول الشعر بالوزن والقافية ، والشعر بدونهما! ولست أسمي المادة الأدبية التي تفتقد إلى الوزن والقافية شعرا أبدا! هذا هراء! يجب علينا أن نسمي الأشياء بمسمياتها! ولماذا يتحرج صحاب هذه المادة التي هي خالية من الوزن والقافية أن يسموها (نثراً)؟! وهناك مقالة بقلم الأستاذ الناقد مصطفى الآغا وتحت عنوان: (تعريف الشعر وعناصره وأنماطه). يقول فيها ما نصه: (أما تَعريفُ الشعر: فالشعر هو على المشهور كلام ذا معنى موزون مقفى ، مقصود ، هذا هو أبسط تعريف للشعر وهو الذي يخطر ببالنا عندما نسمع هذه الكلمة ، وقد تحمل بأسس الشعر وأنه كلام أي ألفاظ ذات معنى كُسِيَت حلة من الوزن والقافية. وقال عنه ابن منظور: "الشعر: منظوم القول غلب عليه ؛ لشرفه بالوزن والقافية ، وإن كان كل علم شعراً" ، وقال الفيومي: "الشعر العربي هو: النظم الموزون ، وحده ما تركّب تركباً متعاضداً ، وكان مقفى موزوناً ، مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو بعضها فلا يسمى (شعراً) ولا يُسمَّى قائله (شاعراً) ، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنة موزوناً ، فليس بشعر لعدم القصد والتقفية ، وكذلك ما يجري على ألسنة الناس من غير قصد ؛ لأنه مأخوذ من (شعرت) إذا فطنت وعلمت ، وسمي شاعراً ؛ لفطنته وعلمه به ، فإذا لم يقصده ، فكأنه لم يشعر به" ، وعلى هذا فإن الشعر يشترط فيه أربعة أركان ، المعنى والوزن والقافية والقصد. ويقول الجرجاني: "أنا أقول ـ أيدك الله ـ إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء". وأما عَناصِر الشعر: فإن الشعر يتكون ـ وكل عمل أدبي ـ من خمسة عناصر وهي: أولاً: العاطِفَة. وهي شعور الإنسان وما يختلج في صدره تجاه أمرٍ أو شخصٍ أو فكرةٍ ما ، والعاطفة إنما تعرف باسمها ، كالحزن والفرح والخجل والغضب والأنس والود والحب ، أو تميز بمظهر من مظاهرها ، كالابتسام والضحك والبكاء والدمع واحمرار الوجه وما إلى ذلك ، وكلها تصلح موضوعا للشعر ، وأختلف هنا مع اليوت حيث يقول: "ليس الشعر إطلاقاً لسراح العاطفة وإنما هو هرب من العاطفة وليس هو تعبيراً عن الذات بل هرب منها" ، فإنه لم يصب ، حيث أن الشعر تعبير عن العاطفة فيخرجها ، وقد صورت في صورة تقربها للأذهان ، وهذا من فضل الشعر ومما يتفرد به الشعراء ، حيث يعجز الفلاسفة عن تعريف العواطف وهو لاشك صعب إن لم يكن مستحيل ، بينما يستطيع الشاعر أن يترجمها إلى صور بديعة تخلب الألباب. والعاطفة إنما تكون عامة في المجتمع أو الأمة ، أو خاصة بالشاعر ذاته ، ويحسن بالشاعر أن يحيل العاطفة الخاصة إلى عامة حتى يشرك معه غيره فيها ، وإلا فإن نجاحه في أمر ما أو حصوله على عطية من شخص ما قد لا يعني السامع لكنه إذا تحدث عن فضيلة الكرم مثلاً إشارة إلى كرمه أو فرحة النجاح وعلو الهمة لأنس الناس بقولك ولأحبوه. يقول الدكتور شوقي ضيف: "وأجمل العواطف ما كان يبعث على القوة في الحياة كهذا الشعر الذي يتكلم عن مظاهر البطولة والشجاعة أو يعجب فيه الشاعر ببطل من أبطال الأمة ، فإنه يعجبنا وكأننا نشارك القوي في قوته". والأبلغ من وصف العاطفة نفسها وصف التقلب بين العواطف والحال التي يخرج بها المرء من عاطفة لأخرى، وكذلك اختلاطها، كاختلاط الحب بالحزن في الرثاء، والحب بالرغبة في النسيب وغيرها. وثانيا: الفِكرَةُ ، والفكر بكسر الفاء اسم للعمل الذي يقوم به العقل للوصول إلى معرفة مجهول من تصور أو تصديق ، لاستحضار صورة المجهول ، أو حكمه ، أو جلاء الشبهة حوله ، وأعمال العقل المسماة تفكيراً من أجل

الوصول إلى المجهول كثيرة كالتذكر والتصور ، والتخيل ، والتفطن ، والفهم ، والتمييز ، والمفارقة. ولابد للشاعر من فكرة يقوم عليها شعره ، يطرحها أو يناقشها ، فإن الإنسان بطبعه يرغب في أن يكون لكلامه معنى وأن يَستَمِعَ لما له معنى ، فالشعر كالموسيقى من حيث الطرب ولكنه يمتاز بمعناه ، بل ربما أحب المستمع ألا تكون الفكرة جلية فربما يرغب في أن يعمل فيها عقله ويفتش عنها ليستخلصها ، فإن الوصول للقصد بعد الفكر يشعرك بلذة القول وفضله ويُثبِتُ الفكرة ، يقول الجرجاني: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف". وقال الدكتور مجاهد عبد المنعم عن الفكرة أدبياً: "الفكرة هي بالنسبة للفنان الأساس الذي ينبني عليه العمل الفني ، وهي بالنسبة للقارئ الاستخلاص النظري عما عبر عنه الفنان بالصور.. إنها التعميم المباشر للهدف الذي قصد إليه الفنان.. وانعدام الهدف الواضح عند الفنان يرجع إلى سطحية نظريته للعالم وعجزه عن الوصول إلى جوهر الواقع.. والفكرة يجب أن تكون ذائبة في العمل الفني ولا نجدها بشكل مباشر.. وكلما اختفت الفكرة وتقنعت جاء العمل أكثر فنية.. وذوبان الفكرة في الصورة يخلق المثال في العمل الفني كما يقول هيجل.. وإذا تصادف وجود الفكرة بشكل مباشر كان هذا دليلاً على ضعف العمل الفني، أو عدم فنيته على الإطلاق". وثالثا: الخَيالُ ، والتخيل والخيال في النص الأدبي اختلاق صور لم يشهدها الحس بذلك التركيب ، وإنما كانت صور أجزائها مما جرده العقل ، واحتفظت به الذاكرة ، لذا فهناك ارتباط وثيق بين التخيل والتصوير ، ثم إن الصورة قد تكون معقولة بمعنى أن العقل لا يحيل وقوعها في الخارج ، وقد تكون غير معقولة ، ولابد أن يصدر عن وعي عقلي ، فليس هو كخيالات النائم ، وأن تكون تأليفة الخيال وتركيبيّته معقولة ، وأن تكون دالة. إن الشاعر يحتاج للتخيل لأنه لا يعبر تعبير مباشر مجرد كما يفعل العلماء ، بل يعبر تعبير تصويري كأن يقول "فلان أسد" ، إذا أراد أن يصف شجاعته ، وكأن يصور السماء كشخص يبكي ودموعه المطر ومقلته السحاب ، وغير ذلك كثير تجده في أشعار العرب ، وأبلغ التصوير هو ذلك الذي يجعل من الأشياء الروحية المعنوية واقعا يمكن لمسه أو تخيله فهذا ما يعجز عنه الفلاسفة والمفكرين ، ولكنه هين على الشاعر ، وهذا هو الدافع الذي يجعل الأدب والشعر أرضاً خصبة للمشاركة الوجدانية. ورابعاً: الأُسلوبُ ، وهو تلك البصمة التي تلمحها بين أروقة النص ، والتي يعتمدها الكاتب في كل كتاباته أو بعضها أو على مستوى عمله الواحد ، ولا تخلو هذه البصمة من أن تكون بصمة تصوير أو معنى أوما شابه وفي رأيي أنها ربما لحقت بالنظم حال استخدام الشاعر ألفاظ معينة عند مناقشته قضية بذاتها حيث قد يغلب عليه استخدام ألفاظ في ذلك الشأن بنظم معهود لديه فيكون ذلك أسلوبه. وإذا كان الاستمرار بالألفاظ على نسق معين يسمى نظماً ، فإن الاستمرار بالمعاني على نسق مرسوم يسمى أسلوباً ، فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية. والأسلوب في النص الأدبي ظاهرة دائمة أو أغلبية في نصوص كاتب أو فئة من الكتاب يتعلق بالشكل والمضمون ككون لغته تراثية ، أو متجددة ، أو عامية أو من السهل الممتنع ، ومن معاني الأسلوب إطلاقه على طريقة المؤلف في تنسيق أفكاره ، فالأسلوب بهذا المعنى هو الترتيب والانسجام. وتتغير سمات الأسلوب تبعاً لكل عصر ، تماماً كما تغير من شخص إلى آخر ، ومن هنا قالوا: الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير عن موقفٍ ما ، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها ، وهو أنواع أهمها: الأسلوب الأدبي: وأبرز صفاته الجمال ، ومنشؤه جماله وخياله وحسن استعماله للتراكيب والمفردات. ويتميز بالتصوير الدقيق ، وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشكلة ، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس ، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي. والأسلوب التجريدي: وهو الذي يعبر

عن الأفكار عوضاً عن الأشياء الحسية والمشاهد والأشخاص. والأسلوب الحكيم: وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله ، وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى كقوله تعالى: "ويسألونك ماذا ينفقون؟ قل: ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل". والأسلوب الخطابي: وتبرز فيه قوة المعاني والألفاظ ، وقوة الحجة والبرهان ، وقوة الخطيب ، ويستخدم فيه الخطيب تعبيراً يثير العزائم. ولجماله ووضوحه شأن كبير في تأثيره بالسامعين. ومن أظهر مميزات الأسلوب الخطابي التكرار ، والمترادفات ، وضرب الأمثال ، واختيار الكلمات الجزلة الرنانة. ويحسن أن تتعاقب ضروب التعبير من خبر إلى إنشاء ، ومن تعجب إلى استفهام لجذب المستمع إليه. والأسلوب العلمي: هو أهدأ الأساليب ، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم ، وأبعدها عن الخيال الشعري لأنه يخاطب العقل ، ويناجي الفكر ، ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء. وجماله في سهولة عباراته وحسن اختياره لألفاظه ، وتقديره لتقليب الكلام حسب الأفهام ، ويحسن التنحي عن المجاز وعن المحسنات إلا ما يجيئ عفواً (كتاب: جواهر البلاغة). والأسلوب المتكلف: وهو الأسلوب المفعم بألوان الصنعة البديعية يغطون به المعاني الضحلة وهو الأسلوب الذي عرف في العصور المتأخرة بدءاً من العصر العباسي السلجوقي (منذ القرن الخامس والسادس الهجري) حتى مطلع عصر النهضة. وأسلوب المولدين: هو أسلوب ظهر في مطلع العصر العباسي كتب به المولدون ، ويتميز أسلوبهم بالرصانة والجودة ، ويكون خالياً من الألفاظ الوحشية والغريبة ، والألفاظ العامية والمستهجنة كما يتميز بتجديد الأصيلة. وخامسا: النَّظمُ ، وربما دخل النظم ضمن الأسلوب ولكنني أحببت إفراده لأهميته فهو كالحائك الذي يستعمل خيط اللفظ مع إبرة المعنى لينسج ثوب الشعر. والنظم: هو مقدرة الشاعر على الجمع بين اللفظ والمعنى بحيث يتناسبان ، ومقدرته على استخلاص الألفاظ الملائمة للمعنى من ذاكرته الأدبية وترتيبها ترتيباً بلاغياً مستخدماً أصول هذا العلم للخروج بالشعر في أسمى صوره. يقول القرطاجني: "النظم صناعة آلتها الطبع. والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام ، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها ؛ فإذا أحاطت بذلك علما قويت على صوغ الكلام بحسبه عملاً ، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وأنحائه ، إنما يكونان بقوى فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها أبكار الشعراء". ويحتاج الشاعر إلى قوى عشر تعينه على نظم الشعر ذكرها القرطاجني كذلك وهي: القوة على التشبيه فيما لا يجري على السجية ولا يصدر عن قريحة بما يجري على السجية ويصدر عن قريحة. والقوة على تصور كليات الشعر والمقاصد الواقعة فيها والمعاني الواقعة في تلك المقاصد. والقوة على تصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن من حيث توالي أجزائها. والقوة على تخيل المعاني بالشعور بها. والقوة على ملاحظة الوجوه التي يقع بها التناسب بين المعاني. والقوة على التهدي إلى العبارات الحسنة الوضع والدلالة على تلك المعاني. والقوة على التخيّل في تسيير تلك العبارات متّزنة. والقوة على الالتفات من حيّز إلى حيّز والخروج منه إليه والتوصل به إليه. وأما أَنْمَاطُهُ: فالنمط الشعري هو ظل شكل القصيدة قبل عصر النهضة في الأدب الحديث ـ وهي فترة النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ـ يجري على نمطه الذي كان سائدًا خلال العصر العثماني. فظل ، بالرغم من تفاهة أفكاره وابتذال معانيه وأساليبه المثقلة بالصّنعة والبديع ، محافظًا على شكل القصيدة التقليدية سواء في بحورها الخليلية أو قافيتها الموحدة أو بيتها المكون من صدر وعجز. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ، بدأ الشعر العربي الحديث يغيِّر نمطه وكانت أهم تجديداته متصلة

بالموضوعات وإن ظل شكل القصيدة يتبع القالب التقليدي ولا يخرج عنه. وأصبح من أهم الأغراض الشعرية شعر الحماسة والكفاح ضد الاستعمار ، والغناء للوطن ، والدعوة للإصلاح الاجتماعي ، والثورة ضد الفقر والجهل والمرض ، والدعوة للحاق بركب الأمم. ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أخذت النهضة الفنية في الشعر العربي الحديث تتبلور في اتجاهات فنية محددة بلغت ذروتها خلال القرن العشرين. وعلى يد روّاد هذه الاتجاهات ، بدأ التجديد في القصيدة الحديثة يتجاوز المعاني والصور والأفكار إلى تجارب فنية تتصل بالشكل ، فبدأت محاولات الشعر الحر والشعر المرسل الذي لا يتقيد فيه الشاعر بالوزن وقد لا يتقيد بالقافية أيضًا. ومن أهم هذه الاتجاهات والمدارس: مدرسة الإحياء ، وجماعة الديوان ، وجماعة أبولو ومدرسة المهجر. وعندما تصل مسيرة الشعر الحديث إلى الأربعينيات من هذا القرن يتحول نمط القصيدة العمودية أو ما يسمَّى بالقصيدة التقليدية إلى نمط جديد هو الذي عُرف بالشعر الحُر. وقد تعددت أشكاله بين الشعر المنثور والشعر المطلق وقصيدة النثر أو ما يسمى بالشعر الحر ، فهي مجموعة قصائد تعتمد الشطر الواحد ، ولا تتقيد أشطرها بعدد معين من التفعيلات ، فقد يرد الشطر ذو تفعيلتين ، يليه آخر ذو أربع تفعيلات ، وثالث ذو تفعيلة واحدة وهكذا. ويجوز كذلك تغيير التفعيلة لكن ضمن ضوابط وأصول وهي أن يقوم النص على وحدة التفعيلة في كل سطر شعري).هـ. وجاء الإسلام لهذا الشعر بصبغه بطابع العقيدة وخضبه بخضاب التوحيد! وانبثقت لنا قصائد تصف عظمة الخالق في خلقه ، وأخرى تشيد بجمال التشريع الإسلامي ، وأخرى تصف مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتشيد ببطولات أصحابه ومناقبهم! فجمع الشعر بين قافيته ووزنه قيمه الإسلامية الأصيلة! وتحت عنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه: (إن الأدب من منظور إسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحثُّ الفرد والمجتمع على اتباع الحق ، وقول الحق ، والشهادة بالحق في كل شيء. والأدب هو فنُّ العبارة ذات الكلمة الصادقة ، ولذا كان لزامًا على المسلم أن يَلتزم في سلوكه ومُعاملاته وأفعاله وأقواله بما هو خير ، والنقد الأدبي مِن منظور إسلامي يُعنى عناية تامَّة باستجلاء النصوص الأدبية ليضعها تحت المِجهَر النقدي فيُخرج صالحَها مِن خبثِها. ولقد لازم النُّقاد الإسلاميون إدامة النظر في العطاء الأدبي الإسلامي حين أدركوا - عن قناعة تامة - أن الإسلام هو الكفيل بإصلاح الناس مِن خلال معتقداتهم وأخلاقهم وعطائهم الأدبي ، ومن خلال هذا المنهج في النقد الأدبي الإسلامي يتعيَّن على كل ناقد واعٍ بصير مُنصِف أن يقول: إن أول مصادر هذا الأدب هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب السماوي الذي غيَّر العقلية العربية ، ورفع النظر مِن الأرض إلى السماء ، وعلَّم الناس أن يَقرأوا كتاب الطبيعة في فصوله المختلفة مِن إنسان ونبات وجبال ونجوم وأرض وسماء ، وأن يقرأوا ما بعد الطبيعة مِن إلهٍ فوق العالَمين هو نور السموات والأرض. وبذلك كشف القرآن عن العيون غطاءها فأصبح بصرها حديدًا فنظرت إلى العالم مِن أعلى ، ورأته وحدة مُتناسِقة الأجزاء تخضَع كلها لإرادة الله - تعالى - وأعلنَ القرآن الكريم الثورة على النظرة المادية الأرضية التي كان يَنظر بها الجاهِلون وغيرهم مِن أمم الأرض ، فكانت ضربة المعول في الأصنام دعوةً إلى النظر الجديد فدوَّت كلمة: "لا إله إلا الله" في جزيرة العرب مُعلنةً ضياع الوثنية وعبادة المادية ، كان هذا في القرآن وأكثر مِن هذا ، وكان لزامًا أن تتغيَّر نظرة الأدب ، وخاصة نظرة الشِّعر والشعراء ليرتفع نظر الشاعر الإسلامي ارتفاعه في عقيدته ، وأن يكون له جانب روحي - كجانبه المادي - يرى القرآن يدعو إلى العزة ، ليكف الشاعر عن المبالغة في المدح ، ويدعو إلى عفَّة اللسان ، ليكفَّ الشاعر ويتحرَّج عن الإقذاع في الهجاء ، ويرفع القرآن من شأن المرأة لتعظم في قصيدة الشاعر فيتسامى في الكلام عن جسدها إلى الكلام عن رُوحها أمانة وعفَّة وخلُقًا. ولكن الشعر الإسلامي في الحقبة

الزمنية من تاريخ الأدب في العصر الأموي لم يتخذ له إمامًا غير الشعر الجاهلي ؛ فقالبه قالبه ، وموضوعاته ومادته مادته ، وإن كان هناك جديد فجدة في العَرض لا في الجوهر ، في الشكل لا في المضمون ، جدة لا تتجاوَز رقَّة اللفظ بدل خشونته ، وتحوير المعنى بدل ابتكاره ، وهذا الحكم حكم ليس عامًّا ، وإنما يخصُّ الكثير مِن شعراء العصر الأموي ؛ لأن واقع ذلك العصر يشهد بوجود عدد من الشعراء انفردوا باتجاه جديد نحو العقيدة الإسلامية يُعبِّر عن شِعر الجهاد الإسلامي فيُصوِّر معارك الفتوح الإسلامية. ويزن الفضائل الإسلامية بميزان الإسلام داعيًا إلى الفداء بكل غالٍ ونفيس داعيًا إلى كريم الأخلاق وسموِّ الروح ، وعفَّة النسيب ، وسماحة الأريحة ، وسخاء اليد).هـ. ولله الحمد وله الفضل والمنة كانت هناك محاولات جميلة ورائعة من شعراء كثيرين آثروا إثراء الشعر بالقيم الإسلامية فصاغوا هذه القيم والأخلاقيات شعراً مؤمناً مسلماً موحداً ، يُضاف إلى رصيد الشعر الإسلامي على مر العصور وتعاقب الدهور! إننا نفخر بهم وندعو لهم ونشيد بتراثهم الشعري الجميل الذي أثبت لنا أن هؤلاء الشعراء جادون!

الفصل الثاني

إن أهل الجاهلية – والذين عنترة واحدٌ منهم – كانوا قد أعماهم تقليد الآباء والأجداد عن اتباع الحق الذي جاء به الأنبياء ، وصار أمر الحياة كله عندهم قائماً على الأهواء والتقليد الأعمى ، وعاشوا على ذلك كأنه نمط الحياة الثابت الذي لا يتبدل! ويصدق ذلك قول شاعرهم مشيداً بمبدأ التقليد واتباع الآباء والأجداد:

وكنا على مِلـــــة آبائنـــــــــــا ويقتـــدي الآخـــــــر منا بالأول

ويصف أتباع القبيلة وما هي عليه من ضلال أو غي أو رشاد هذا الذي يقول متحدثاً عن قبيلته: (غزية):

وما أن إلا من غـــــزية إن غــوت غويـــــتُ ، وإن ترشد غزية أرشد

يقول العلامة الأستاذ محمود شكري الآلوسي معلقاً على مسائل الجاهلية في المسألة الرابعة تحديداً: (إن دينهم – أي دين أهل الجاهلية – مبني على أصول عظيمة أعتاها بإطلاق التقليد ، فهو الأصل الأصيل والقاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال الله تعالى في سورة الزخرف : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون). فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الأعراف: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون). وقال في سورة البقرة: (وإذا قيل لهمُ اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون). مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد ، لا يحكمون لهم رأياً ولا يشغلون لهم فكراً ، فلذلك تاهوا في أودية الجهالة ، وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان).هـ. والشاهد من هذا الكلام أنهم صرفهم التقليد عن الحق الذي هو من عند الله ، ثم هم بعد ذلك احتجوا بهذا الذي كان عليه الآباء والأجداد بلا دليل. وهذا الذي يقرره في التعليق على مسائل الجاهلية في المسألة السادسة حيث يقول بالنص: (الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح. وقد أبطل الله تعالى ذلك الباطل بقوله: (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتى كلوا وارعوا أنعامكم) ، وقال: (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) ، وقال: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هو إلا رجلٌ به جنة فتربصوا به حتى حين) وقال: (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يُراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق). فجعلوا مدار احتجاهم على عدم قبول الحق الذي جاءت به الرسل أنه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم. فانظر إلى سوء مداركهم وجمود قريحتم ، ولو كان لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمون بها لعرفوا الحق بدليله ، وانقادوا لليقين من غير

تعليله. وهكذا أسلافهم ووراثهم ، فلقد تشابهت قوبهم).هـ. وهذه والله حقيقة ملموسة محسوسة ، إن أهل الجاهلية من المنحرفين عن صراط الله المستقيم يحتجون بالذي عليه الآباء والأجداد ، ويفترون على الله الكذب فينسبونه إلى رب الناس تبارك وتعالى ، وأنه ميراثٌ طاغوتيٌ يرثه اللاحق عن السابق ، وصدق الله إذ يقول: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها). ودائماً وأبداً ينخدع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ، ويكون ذلك الأمر على أشده إذا صدر عن أهل الجاهلية هؤلاء ، بل يعتبرون القوة والمنعة مقياس الهداية ، فالقوي الجبار عندهم لا بد وأن قوته لا تقوده أبداً إلى الضلال ، بل هي قائده إلى الحق والهداية. وهذا هو شكري الآلوسي في تعليقه على المسألة التاسعة من مسائل الجاهلية يؤيد الذي نقرره هنا من اعتداد أهل الجاهلية في القوة حيث يقول بالنص: (الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم أعطوا من القوة في الفهم والإدراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال ، فرد الله تعالى عليهم بقوله سبحانه: (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) ومعنى الآية: ولقد مكناهم أي قوينا عاداً ، وأقدرناهم و(ما) في قوله تعالى: (فيما إن مكناكم فيه) موصولة بمعنى الذي أو موصوفة ، و(إن) نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادئ التصرفات ، كما في قوله تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم) ، ولم يكن النفي بلفظ (ما) كراهة لتكرير اللفظ وإن اختلف المعنى (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) ، ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا لكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ، ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره جل ثناؤه (فما أغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ رسل الله – عليهم صلوات الله وسلامه – (ولا أبصارهم) حيث إنهم لم يستعملوها في معرفة الله تعالى ، (من شيء) أي شيئاً من الأشياء ، و (من) مزيدة للتوكيد. وقوله (إذ كانوا يجحدون بآيات الله) تعليل للنفي ، (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ، ويقولون: (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين). فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من الفهم والإدراك وفي القدرة والملك ، ظناً منهم أن ذلك يمنعهم من الضلال. ألا ترى أن قوم عاد ، كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من العمالقة ، وكانت لهمُ البسطة في الأموال والأبدان والإدراك وسعة الأذهان ، وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الإسلام ، ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل وكذبوا الرسل – عليهم الصلاة والسلام – بالأباطيل ، فالتوفيق للإيمان بالله ورسله والإذعان للحق وسلوك سبله إنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، لا لكثرة مال ولا لحسن حال. ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسن منه حالاً لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله إليه الدليل ، فقد سلك سبيل الجاهلية ، وحاد عن المحجة المرضية. ومثل هذه الآية قوله تعالى: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين). وكان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب ، وكانوا قبل بعثته يستفتحون على المشركين ببعثته ويقولون: (يا ربنا أرسل النبي الموعود إرساله حتى ننتصر على أعدائنا ، فلما جاءهم ما عرفوا – وهو محمد صلى الله عليه وسلم ـ كفروا به)! حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب ، وهم بزعمهم أحسن أثاثاً ورئياً. ولم يعلموا أن النبوة والإيمان بها فضل من الله يؤتيه من يشاء. ومثلها قوله تعالى: (الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) والضمير في قوله: (يعرفونه) عائد على العلم في قوله: (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين) ، ألا وإن كتمانهم الحق وعدم جريهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية والاعتقاد أن فضل الله مقصورٌ عليهم لا يتعداهم لغيرهم ، وآية الأنعام موافقة لهذه الآية لفظاً ومعنىً ، وهي قوله تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما يشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ، والحقيقة أن أهل الجاهلية في كل زمان وما كان عندما تقوى شوكتهم يحاربون الله وأولياءه أنى وجدوا وكيفما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ويقولونها صريحة بذات الكلمات التي نطق بها الصناديد العماليق في حاشية ملكة سبأ – رضي الله تعالى عنها – (نحن أولو قوةٍ وأولو بأس شديدٍ والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) ، وهنا يتجلى لنا واضحاً مشهد الاعتداد بالقوة ومدى قابلية النظرية المجردة بتلك القوة العاتية وهو مبدأ العُتاة دائماً ومنطق الجبارين في كل مرة. أما ما علاقة هذا كله بقراءتنا الأسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي؟ فالجواب بكل وضوح لأننا يجب أن نقف على بعض الحقائق عن الخلفية التاريخية لحياة عنترة بالقدر الذي يعرفنا مميزات وخصائص الأسلوبية التركيبية والإيحائية في شعره ، ذلك أن كل شعر يعكس الجانب الكبير من هذه الخلفية أو يتبلور حولها أو يتأثر بها ولا شك في ذلك البتة. لا بد وأن يتأثر الشاعر بالمؤثرات والموروثات البيئية والخلفية الاجتماعية والعصر الذي يعيش فيه ، إن الأديب (شاعراً كان أم ناثراً أم ناقداً) نتاج بيئته من حيث الأسلوب ويسبق عامل البيئة عامل العقيدة التي يدين بها ، ومعرفة البيئة الجالية وخصائصها يعين كثيراً في معرفة الحنيفية السمحة على كل حال ، فلقد كان من الموروثات الجاهلية تعيير الرجل بفعل أبيه وأمه وبألوان الأب والأم وبكون أحدهما ليس حراً ، وكلنا يعرف أن عنترة بن شداد كانت أمه الزبيبة أمة عند سيدها شداد ، وكان عنترة يعير بهذا أشد ما يكون التعيير! وبدا ذلك في شعره بصوره غير قليلة ، ودلتنا الحنيفية السمحة على مبدأ التعيير بأفعال الآباء والأمهات وألوانهم وطباعهم وسوءاتهم ، إنما هو من أخلاق الجاهلية التي جاءت الحنيفية السمحة لتلقيها ظهراً وتحل محلها هداية الله وشريعته ، أقول وقبل أن نسوق الدليل على ما نقول الآن من أمر الجاهلية ، إن مبدأ التعيير هذا بالنسبة لعنترة كان له أكبر الأثر على الأسلوبية العنترية الشعرية الفنية. أما عن مبدأ الجاهلية في التعيير بأفعال الآباء والأمهات وعوراتهم فنقرأ سوياً المسألة الخامسة والثمانين من (مسائل الجاهلية). وذلك بعد أن شرحها الآلوسي حيث يقول بالنص: (تعيير الرجل بفعل غيره لا سيما أبوه وأمه ، فخالفهمُ النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية! والحديث في صحيح البخاري في باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – إنك امرؤ فيك جاهلية! وقول الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)! والحديث عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلة وعلى غلامه حُلة ، فسألته عن ذلك ، فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي – صلى الله عليه وسلم -: يا أبا ذر ، أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم. وقد أطنب شراحُ الحديث في شرحه ، والذي يعنينا أن تعيير الرجل بفعل ليس من شأن كامل الإيمان. فإن أبا ذر – رضي الله تعالي عنه – قبل بلوغه المرتبة القصوى من المعرفة تساب هو وبلال الحبشي المؤذن ، فقال له: يا ابن السوداء! فلما

شكا بلال إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال له: شتمت بلالاً وعيرته بسواد أمه؟ قال: نعم. فقال له: حسبت أنه بي فيك من كبر الجاهلية. فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال: ل أرفع خدي بقدمه. والناس اليوم – والأمر لله – قد كثرت فيهم خصال الجاهلية ، فتراهم قد يعيرون أهل البلد كلهم بما صدر عن واحدٍ منهم ، فأين من ذلك خصال الجاهلية؟).هـ. وإذن فمسألة التعيير هذي والتي كانت موضوع قصائد عنترية سوف نراها في قراءتنا الأسلوبية تلك قد كان لها أكبر الأثر على أسلوبية الميل إلى الانتصار للنفس والميل إلى العدوان ومحاربة التفرقة العنصرية في عصر ما قبل البعثة المحمدية وأهل الجاهلية عندما تركوا الحق الذي هو من عند الله متمثلاً في الحنيفية السمحة دين إبراهيم وولده إسماعيل – عليهما السلام – كانوا قد تفرقوا في دينهم وغرهم في دينهم ما كانوا يعمهون ، وأصبحوا أمماً شتى ، فمن عابدٍ لوثن ، ومن عابدٍ لصنم ، ومن عابد للنجوم ، ومن عابدٍ لهوى ، ومن عابدٍ للقمر ، ومن عابدٍ للشمس ، ومن عابدٍ للنار ، ومن متبع لأمة الصليب ، ومن متبع لأمم التلمود ، ومن عابدٍ للكبراء والسادة وعِلية القوم ، ومن عابدٍ لعُرف القبيلة وتقاليدها وأهوائها إلى غير ذلك من المعبودات الباطلة! وعندما تناقضوا في المذهب والطريقة تبع ذلك بالطبع تفرقهم في الكلمة والتعبير عن أي قضية ، وأصبح الإنسان يطالع في أشعارهم العديد من هذه القضايا المتعلقة بكل نحلة وكل مذهب وكل ديانة! وما الشاعر إلا واحدٌ من هؤلاء الذين يُصورون قضايا عصورهم في جُل أشعاره إن لم يكن كلها ، وعنترة صوَّر لنا وللتاريخ جانباً كبيراً من هذه الأشياء بأسلوبية متنوعة متباينة ، لكن موضوعها واحد ، ألا وهو اختلاف أهل الجاهلية وتناقض مذهبهم كنتيجة لتركهم الهداية الي خصهم الله بها (حنيفية إبراهيم – عليه سلام الله -) وهم في ذلك ككل جاهلية تعرض عن وحي اله تعالى فيتناقض مذهبها ، وما جاهلية البشرية المعاصرة منا ببعيد ، عندما أعرضت عن ذكر اله – عز وجل – فتناقض مذهبها وأصبحت تعبد آلهة شتى في عصر العلم والحضارة ولا حول ولا قوة إلا بالله. وإذن فللبيئة أثرها المباشر على أسلوب الشاعر في التعبير عنها وعن الصراع بين معاصرها وبين الموروث الثقافي الذي هو موروث عن الآباء والأجداد! ومنطقة الخليج بصفة عامة مرت بهذه التجربة ، وكان من بين شعرائها من استفاض في تشخيص هذا الواقع! والشعر العماني على سبيل المثال عاش هذه التجربة! وتحت عنوان: (الشعر العُماني المعاصر) يقول الأستاذ والشاعر العماني سماء عيسى ما نصه بتصرف: (كان على الشاعر العُماني المعاصر أولًا أنْ يلتفت إلى موروثه الشعري الخصب ، الضارب عميقًا في التاريخ ، منذ أنْ كتب مالك بن فهم الأزدي مراثيه الأولى ، مودعًا أرض السراة إلى عُمان ، والثانية راثيًا نفسه بعد أنْ اخترق سهم سُليمة أحب أبنائه إليه. كان عليه الالتفات إلى التجربة الروحية التي حظيت بمعظم الموروث الشعري العُماني ؛ فالشعر في عُمان أساسًا ابن روحي للذاكرة الدينية! ومن كتب الشعر العُماني معظمهم من الفقهاء ورجال الدين ، الذين تشربوا بلاغة اللغة العربية منذ نعومة أظفارهم ؛ لذلك حظيت ثيمات الزهد والسلوك والندم والمدائح النبوية والحب الإلهي ، بمعظم نتاجهم الإبداعي ؛ بل ذهب الفقهاء أيضًا إلى صوغ دروسهم في الفقه نظمًا ، أخذ من الشعر قوانين تدفقه المعروفة في العروض والقافية ، بل أخذ من بلاغة الشعر العربي الجمال الذي أسبغه على تدفق معانيه وسلاستها. والشاعر هنا ابن لخصوبة التنوع الجغرافي الذي وهبه الله لعمان ، هذا التنوع الذي تشكلت عليه خصوصيات ثقافة تختلف في عطائها عن المجاورة الأخرى ، وإن كانت تقف على أرض روحية واحدة. أعطت تجربة تأسيس المجتمع الزراعي العماني أساطيرها الخاصة المعتمدة على تأسيس مؤسسة اقتصادية عرفت بمؤسسة الفلج التي هي شكل من أشكال الاقتصاد الآسيوي المختلف في تطوره وتكوينه عن أشكال التطور الاقتصادي الأوروبي. لذلك جاء الشعر هنا محافظًا على خصوصيات وملامح التجربة

الدينية ، والتي انبثقت نتاجًا لمؤسسة الفلج الاقتصادية ، المؤسسة الدينية التي أضحت مؤسسة ثقافية اجتماعية سياسية في آن واحد ، هيمنت هذه المؤسسة على المخيال الإبداعي ، تقل لدى المجتمعين البحري والصحراوي ، إلى درجة خلق أساطير عن خلق العالم مختلفة كليًّا عما هو في القرآن الكريم ، كما هو في هذه الأسطورة لدى البطاحرة ، وهي قبيلة بحرية تعيش في جنوب عُمان: «هنا في البداية لم يخلق البطاحريون ، ولم يوجد أحد منهم ، جرى خلق رجل وامرأة ، واتفقا فيما بعد بينهما على الزواج ، لم يكن بينهما ملبس ، اللهم سوى شعر البحر الذي ينجرف إلى الشاطئ ، ثم لفَّاه حولهما ، ولم يكن لديهما ما يأكلانه سوى المحار ، ثم تناسل البطاحريون وتكاثروا وزاد عددهم ، ولم يكن هناك غيرهم في البلاد ، لقد وجدوا في الصحراء وفي البراري وعلى طول الساحل. ولم يكن غيرهم منْ يعيش معهم. لم يكن هناك سواهم. والشاعر العُماني المعاصر ابنٌ لتراثه الوطني ، ظلَّ ولا يزال وثيق الصلة بالحركات الوطنية التي عصفت ولا تزال بترابه ، يصل به ذلك إلى أن يكون صوتًا سياسيًّا ناطقًا باسمها ، كما هو في حال عدد من كبار شعرائنا ، مثل الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، الذي لا تكتمل دراسة ثورة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي إلا بدراسة شعره ، والشاعر سالم بن ناصر ابن عديم الرواحي ، الذي كان الصوت الشعري الأكبر لثورة الإمام سالم بن راشد الخروصي. وكذلك الحال مع من جاء بعدهم ، منذ خمسينيات القرن الماضي ؛ إذ حفلت التجربة الشعرية العمانية بأصوات شعرية متعددة ، عملت على تجديد الشعر العماني ؛ إذ تخلصت المفردة من ثقلها الكلاسيكي البلاغي كما هو لدى عبد الله الطائي ، وذهب الشاعر الكبير عبد الله الخليلي إلى كتابة المسرح الشعري ، وقدم سليمان بن سعيد الكندي أول محاولة لاستخدام بحور شعرية مختلفة في القصيدة الواحدة ، وحفلت موضوعات شعرهم - ولأول مرة - بالتفاعل مع ثورات التحرر العربي في الجزائر ومصر وفلسطين. ونقرأ التجربة الشعرية الراهنة ، انطلاقًا من منجزها التاريخي ، والصوت الشعري العماني الراهن ، وإن كان أكثر اقترابًا من منجز الحداثة الشعرية العربية في عقودها الأخيرة ، إلا أنه من جهة موضوعات شعره ، يتميز بتدفق عطاء أسلافه التاريخي ، وأي قراءة نقدية جادة له ، عليها الالتفات إلى المنجز التاريخي حتى يتبين لها خصوصية وخصوبة الصوت الرثائي والصوفي ، واتساع مساحة ثيمات الموت والرحيل والفراق والهجر في تجارب شعرائها. وتتسع أرضية الشعر لتشمل تجارب شعرية شابة ، تكتب بأشكال شعرية مختلفة: الشعر العمودي ، وشعر التفعيلة ، وقصيدة النثر. هذا التنوع شكل مصدر خصوبة ، تعدد الأشكال الشعرية يضفي على التجربة ثراءً ، تسبب في تعايشها وعدم إلغاء بعضها الآخر ؛ بل تحول بعضها من شكل لآخر ، وبخاصة في توجه عدد من شعراء التفعيلة إلى قصيدة النثر ، التي تشهد اليومَ انتشارًا واسعًا استقطب معظم المواهب الشعرية الجديدة. أدى تحرر شعراء الأجيال الجديدة ، واكتسابهم ثقافات فكرية وسياسية متنوعة إلى انطلاق الكتابة لديهم بوعي مختلف عن أسلافهم ؛ إذ نقرأ لديهم روح الضياع والتمرد والتمزق الوجودي ، وتطرح تجاربهم أسئلة متواصلةً حول معنى الوجود ومصير الإنسان به ، حس الاغتراب هذا وإن كان متجذرًا فيما مضى ، إلا أنه كان يجدُ ملاذه في الشعور الديني الذي وضع سقفًا لمعاناة الاغتراب وأسئلة الوجود الكبرى لدى الشعراء العمانيين فيما مضى ، تجد الآن انطلاقتها الكبرى لدى شعراء التجربة الجديدة في توجهاتهم المختلفة ، نحو البحث عن سر الخلق والكون ومجراته المختلفة. وروح الاغتراب هذه تطال الواقع الاجتماعي والسياسي أيضًا ، فشعراء التجربة الجديدة كثيرًا ما يلجأون إلى طفولتهم ، وإلى ذكريات قراهم البعيدة الريفية الهادئة ، قبل أن تصل إليها جرارات الأسمنت ، وتحول علاقتها الاجتماعية البريئة إلى علاقات تعتمد على المصالح الشخصية المتبادلة. وينتشر بها الولاء المزيف للسلطات الاجتماعية والدينية والسياسية المختلفة. خلقت

هذه التحولات الاجتماعية ظاهرة يمكن تسميتها بالمنفى الداخلي للشاعر ، الذي وجد نفسه منفيًّا في وطنه. إلا أنَّ ذلك لم يحل دون التزام عدد منهم بروح النضال السياسي ، ونظير مواقفهم السياسية دخل عدد منهم السجون مثل الشاعر محمود حمد ، واحتجز عدد آخر مددًا مختلفة ، مثل الشعراء: صالح العامري ، وعبد الله حبيب ، وإبراهيم سعيد ، وناصر البدري ، وخميس قلم ، وحمد الخروصي رحمه الله. واحتفاء الشاعر العُماني بالحياة ذهب به إلى الاحتفاء بما هو محيط حوله ، والنظر إلى الأشياء بحميمية بالغة ، ذاهبًا إلى تفصيلاتها الدقيقة ، ساردًا ذكرياته معها في ألفة ، ندر التطرق إليها من قبل ، كالحجارة والأشجار والأفلاج والأطلال ، وكل ما ترسب في ذاكرة الشاعر منذ طفولته ، معتمدًا في ذلك على القبض على المحسوس وتجريده ، وصولًا به إلى عالم خفي غير مرئي هو عالم الشعر ، الذي يدرك الشعراء العمانيون صعوبة الوصول إليه ، مع صعوبة التخلي عن محاولة بلوغ ذراه البعيدة. لذلك فإن الشعر لأبناء التجربة الشعرية الجديدة في عمان ، طريق نضال صعب وشاق ، والإنجاز يكمن في عدم التخلي عن مواصلة محبته وعشق كتابته).هـ. فلم يكن الشعر العماني غائباً عن تشخيص الواقع بشتى الأساليب! تماماً بتمام كما كان أهل الجاهلية الأولى وأكثر ، وأصبحنا نرى ذلك في أشعار الشعراء الذين يصورون الواقع المعاش في جُل قصائدهم (إلا من رحم الله وعصم)! يقول الآلوسي معلقاً على المسألة الحادية والستين: (تناقض مذهبهم لما تركوا الحق): (قال الله تعالى: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) فقوله: (بل كذبوا بالحق) إضراب تبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر (فهم في أمر مريج) مضطرب ، وذلك بسبب نفيهم النبوة عن البشر بالكلية تارة ، وزعمهم أن اللائق بها أهل الجاه والمال كما ينبئ عنهم قولهم: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ، وزعمهم أن النبوة سحر مرة ، وأنها كهانة أخرى ، حيث قالوا في النبي – صلى الله عليه وسلم – مرة ساحر ومرة كاهن ، أو هو اختلاف حالهم ما بين التعجب من البعث وكذا استبعاده وتكذيب وتردد فيه ، أو هو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو سحر أخرى. قال الله تعالى: (إنكم لفي قول مختلف) أي متخالف متناقض في أمر الله – عز وجل – حيث يقولون: إنه جل شأنه خلق السماوات والأرض ، ويقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه. وفي أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فتقولون تارة إنه مجنون ، وأخرى إنه ساحر. ولا يكون الساحر إلا عاقلاً ، وفي أمر الحشر فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلاً ، ويزعم جمعكم أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله يوم القيامة. وكل ذلك سببه الاختلاف ، يقول الله تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يعملون) ، وهذه الآية استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين. (إن الذين فرقوا) ، هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة ، فيكون الكلام حينئذٍ استئنافاً لبيان حال المبتدعين إثر بيان حال المشركين ، إشارة إلى أنهم ليسوا منهم ببعيد. والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كانوا كتابيين قد فرقوا دينهم وتغايروا في الاعتقاد ، فكان عباد الأصنام كل قوم لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها جداً فمنهم من كان يعبد كوكباً ومنهم من كان يعبد الشمس ، ومنهم ومنهم كما أسلفنا القول! وكذلك كان الكتابيون على ما أثبتنا ، فالافتراق ناشئ عن الجهل ، وإلا فالشريعة الحقة في كل زمان لا تعدد فيها وكذلك لا اختلاف ، ولذلك ترى القرآن يوحد الحق ويعدد الباطل. يقول الله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ، نرى أن كلمة (النور) مفردة ، وكلمة (الظلمات) جمع ، فتفرقة الآراء والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية ، وما

كان عليه أهل الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحقة هو من دأب أتباع الرسل والمتمسكين بما شرعه الله تعالى) ، رحم الله مؤلف المسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ورحم الله المعلق عليها الأستاذ محمود شكري الألوسي ، فلقد أفادنا جداً ذلك التفصيل عن أحوال أهل الجاهلية في دراستنا الأسلوبية هذي جداً وجعلنا على بصيرة من خصائص الجاهلية تلك التي كان لها أكبر الأثر على أسلوبية كثير من شعرائها ، والذين كان عنترة بن شداد العبسي واحداً منهم! ألا وهناك قصيدة وردت في ديوان الشريف الرضي ووجدتهما في أكثر من عشر مجلدات من التي عنيت بدراسة شعر الجاهلية ونسبتها لعنترة ، وهذا الذي يجعلني أرجح أنها لعنترة وهي تتحدث بصفةٍ عامةٍ عن الحال يضيق بصاحبه ويدفعه إلى النحيب والشكوى من عظم البلاء ، والمحن والإحن ، والحزن والضيق. وعلى البحر الطويل ، والقافية الدالية يقول عنترة: -

لِأَيِّ حَبيـــبٍ يُحسُنُ الرَأيُ وَالـــوُدُّ ... وَأَكثَـــرُ هَذا الناسِ لَيسَ لَهُم عَهـــدُ

أُريـــــدُ مِنَ الأَيّـــامِ ما لا يَضُرُّها ... فَهَل دافِـــــعٌ عَنّي نَوائِبَها الجَهـــدُ

وَما هَذِهِ الدُنيـــــــا لَنا بِمُطيعَـــةٍ ... وَلَيـــسَ لِخَلـــقٍ مِن مُداراتِها بُـــدُّ

تَكونُ المَوالـــي وَالعَبيـــدُ لِعاجِـــزٍ ... وَيَخـــــدُمُ فيها نَفسَهُ البَطَلُ الفَـــرِدُ

وَكُلُّ قَريـــــبٍ لي بَعيدُ مَـــــوَدَّةٍ ... وَكُلُّ صَديـــــقٍ بَينَ أَضلُعِهِ حِقـــدُ

فَلِلَّهِ قَلـــبٌ لا يَبُـــلُّ غَليلَـــــهُ ... وِصـــــالٌ ، وَلا يُلهيهِ مِن حَلِّـــهِ عَقـدُ

يُكَلِّفُني أَن أَطلُـــــبَ العِـــزَّ بِالقَنا ... وَأَيـــنَ العُلا إِن لَم يُساعِدنِيَ الجَـــدُّ

أُحِبُّ كَما يَهواهُ رُمحـــــي وَصارِمي ... وَسابِغَـــةٌ زَغـــفٌ وَسابِغَةٌ نَهـــدُ

فَيا لَكَ مِن قَلبٍ تَوَقَّـــــدَ في الحَشا ... وَيا لَكَ مِن دَمـــعٍ غَزيـــرٍ لَهُ مَـــدُّ

وَإِن تُظهِـــرِ الأَيّـــــامُ كُلَّ عَظيمَةٍ ... فَلي بَيـــنَ أَضلاعي لَها أَسَـــدٌ وَرِدُ

إِذا كانَ لا يَمضي الحُســـامُ بِنَفسِـــهِ ... فَلِلضـــــارِبِ الماضي بِقائِمِهِ حَـــدُّ

وَحَولِيَ مِن دونِ الأَنـــامِ عِصابَـــةٌ ... تَـــوَدُّدُها يَخفى ، وَأَضغانُهـــا تَبـــدو

يَسُـــرُّ الفَتى دَهـــرٌ ، وَقَد كانَ ســاءَهُ ... وَتَخدُمُـــهُ الأَيّـــامُ ، وَهْوَ لَها عَبـــدُ

وَلا مـــــــالَ إِلّا ما أَفادَكَ نَيلُـــهُ ... ثَنـــــاءً وَلا مالٌ لِمَن لا لَهُ مَجـــدُ

وَلا عـــــاشَ إِلّا مَن يُصاحِبُ فِتيَـــةً ... غَطاريـــفَ لا يَعنيهِمُ النَحسُ وَالسَعـــدُ

إِذا طولِبـــوا يَوماً إِلى الغَـــزوِ شَمَّروا ... وَإِن نُدِبـــوا يَوماً إِلى غـــارَةٍ جَـــدّوا

أَلا لَيتَ شِعـــري هَل تُبَلِّغُـــني المُنـــى ... وَتَلقـــى بِيَ الأَعـــداءَ سابِحَةٌ تَعـــدو

جَـــوادٌ إذا شَقَّ المَحافِـــــلَ صَـــدرُهُ يَـــــروحُ إلى ظُعنِ القَبائِـــلِ أَو يَغدو

خَفيفٌ عَلى إثـــرِ الطَريـــدَةِ في الفَـلا إذا هاجَـــتِ الرَمضـــاءُ وَاِختَلَفَ الطَـردُ

وَيَصحَبُنـــي مِن آلِ عَبسٍ عِصابَـــــةٌ لَها شَرَفٌ بَينَ القَبائِـــــلِ يَمتَـــــدُّ

بَهاليـــلُ مِثلُ الأُســـدِ في كُلِّ مَوطِـــنٍ كَأَنَّ دَمَ الأَعـــــداءِ في فَمِهِم شَهـــدُ

وهكذا علا الجرس الموسيقي في الأبيات السابقة ، وكثرت الصور البلاغية التي من شأنها أن تزيد الأسلوب جمالاً وإبداعاً. فالقصيد عند عنترة لونٌ من ألوان التعبير عن النفس والحال والمتقلبات التي يعيشها في حياته ، خاصة هذا النوع من الضيق الوجداني الذي يدرك القارئ كيف كان عنترة يعيش فيه لكثرة ما قد ألم به ونزل من عاديات الأيام ، حتى أننا نحس بعنترة لعلو جرس أسلوبه أنه يصارع الرزايا بسيفه ، ويحقق المجد فوق هام الأحزان ، ويعتبر المجد المتحقق بعد ذلك أفضل من المال والنعيم. وهكذا كانت القصيدة آية في الصياغة وجزالة في التركيب وقوة في الإبداع. ونراه يصحح عندنا نحن المنتسبين للعرب كلمة (البهاليل) حيث إننا اليوم نعني بها الدراويش الذين لا يفهمون ، ونعني بالبهلول الأبله الذي لا يعي ولا يدرك من أمر الدنيا أو الحياة والأحياء شيئاً بل البله ليس من البهلول في شيء من ذلك! تقول المعاجم: البهلول هو السيد الشريف المقدم على أهل قبيلته وذويه في كل شيء يحف المروءات والنبالة مثل الكرم والجود والعطاء والشعر والخطابة وقوة الإقدام والشجاعة والوفاء والبسالة ، ولقد حاكى بيت عنترة الرائع هذا كثير من الشعراء قديماً وحديثاً! وأبو الطيب المتنبي صاغ بيت عنترة الذي يقول فيه هنا:

ولا مـــــــــال إلا ما أفادك نيلـــــــه ثنـــــاءً ، ولا مـــال لمن ماله مجـــــدُ

ولكن المتنبي قال:

ولا مجـــــــد في الدنيا لمن قل مالـــــه ولا مـــــــــال في الدنيا لمن قل مجـــده

وأما عن أيهما أفضل فأقول: السبق لمن حفر البئر لا لمن أعاد حفرها! وهناك قصيدة جمعت بين الغزل والمدح في آن واحد. وهذا يدل على براعة الشاعر ، ففي الوقت الذي يتغزل فيه بمحبوبته يمتدح الملك زهير بن جذيمة الذي كان يدافع عنه كثيراً ويرى شرعية حبه لعبلة ويذود عنه في اجتماعات القبيلة ، وكانت تستويه بصورة لا وصف لها فروسية عنتر وشاعريته. وهذه القصيدة قالها عنترة في صباه يقول:-

هَذِهِ نـــــــــارُ (عَبلَـــةٍ) يا نَديمي قَد جَلَـــت ظُلمَةَ الظَلامِ البَهيـــــــــمِ

تَتَلَظّى ، وَمِثلُها فـــــي فُـــــؤادي نـــــــارُ شَوقٍ تَـــــزدادُ بِالتَضريـــمِ

أَضرَمَتْها بَيضـــــاءُ تَهتَزُّ كَالغُصـــ ـــــــنِ إذا ما اِنثَنى بِمَـــرِّ النَسيـــمِ

وَكَسَتـــــــهُ أَنفاسُهـــــــا أَرَجَ الـ ـــــــنَدِّ فَبِتنا مِن طيبِها في نَعيـــــمِ

كاعِـــــبٌ ريقُها أَلَذُّ مِنَ الشَهـــــ ـــــــدِ إذا ما زَجَتهُ بِنتُ الكُـــــرومِ

كُلَّما ذُقـــــتُ بـــــــارِداً مِن لَماها ... خِلتُهُ في فَمـــي كَنـــــارِ الجَحيـــمِ

سَرَقَ البَـــدرُ حُسنَها ، وَاِستَعـــارَت ... سِحْـــــــرَ أَجفانِها ظِبـــاءُ الصَريـمِ

وَغَرامـــــــي بِها غَرامٌ مُقيـــــمٌ ... وَعَذابـــــي مِنَ الغَـــــرامِ المُقيـــمِ

وَاِتِّكالي عَلى الَّـــذي كُلَّمـــا أَبـــــ ... ـــــصَرَ ذُلّـــي يَزيـــدُ في تَعظيمـي

وَمُعينـــي عَلى النَوائِـــبِ لَيـــثٌ ... هُوَ ذُخـــري وَفـــــارِجٌ لِهُمومـــي

مَلِكٌ تَسجُـــــدُ المُلـــــوكُ لِذِكرا ... هُ ، وَتومـــــــي إِلَيـــهِ بِالتَفخيـمِ

وَإِذا ســـــارَ سابَقَتْـــــهُ المَنايـــا ... نَحـــــــوَ أَعـــداهُ قَبلَ يَومِ القُـدوم

ولا نكاد نشعر بشيء من الركاكة أو الابتذال أو الانتقال من غرض شعري ملحوظٍ كالغزال إلى غيره من الأغراض كالمدح وقل أن يجتمعا ، وقلنا في هذا دلالة على قوة الشاعر وعمق تجربته ، وأعجبنا بيت هو:

ســـــرق البـــدر حسنها واستعـارت ... سحـــر أجفانها ظبـــاء الصريـــم

وعلى عادة الشعراء العشاق ساعة يقطع الهجرُ بهم ، ويكاد الشوق إلى المحبوب يقتلهم! فكأنهم ضحايا لهذا الشوق والهجر والبعد! نجد لعنترة قصيدة بائية نحاول أن نستمع إليها ثم نقف حيالها بالنقد والفحص:

حَسَناتـــي عِندَ الزَمـــانِ ذُنـــوبُ ... وَفَعالـــــي مَذَمَّـــــةٌ وَعُيـــوبُ

وَنَصيبـــي مِنَ الحَبيـــبِ بِعـــادٌ ... وَلِغَيـــري الدُنُـــوُّ مِنهُ نَصيـــبُ

كُلُّ يَومٍ يُبـــري السُقـــامَ مُحِـــبٌّ ... مِن حَبيـــبٍ ، وَما لِسُقمـــي طَبيـــبُ

فَكَأَنَّ الزَمـــانَ يَهـــوى حَبيبـــاً ... وَكَأَنّـــي - عَلى الزَمـــانِ – رَقيـــبُ

إِنَّ طَيفَ الخَيـــالِ يا (عَبـــلَ) يَشفـــي ... وَيُـــداوى بِهِ فُـــؤادي الكَئيـــبُ

وَهَلاكـــي في الحُـــبِّ أَهـــوَنُ عِندي ... مِن حَياتـــي ، إِذا جَفانـــي الحَبيـــبُ

يا نَسيـــمَ الحِجـــازِ لَولاكِ تَطفـــا ... نـــارُ قَلبي ، أَذابَ جِسمـــي اللَهيـــبُ

لَكِ مِنّي إِذا تَنَفَّســـتُ حَـــرٌّ ... وَلِرَيّـــاكِ مِن (عُبَيلَـــةَ) طيـــبُ

وَلَقَد نـــاحَ في الغُصـــونِ حَمـــامٌ ... فَشَجاني حَنينُـــهُ ، وَالنَحيـــبُ

باتَ يَشكـــو فِـــراقَ إِلـــفٍ بَعيـــدٍ ... وَيُنـــادي أَنا الوَحيـــدُ الغَريـــبُ

يا حَمـــامَ الغُصـــونِ لَو كُنتَ مِثلـــي ... عاشِقاً لَم يَرُقـــكَ غُصـــنٌ رَطيـــبُ

فَاتِـــرُكِ الوَجـــدَ وَالهَـــوى لِمُحِبٍّ ... قَلبُـــهُ قَد أَذابَـــهُ التَعذيـــبُ

كُلَّ يَـــومٍ لَهُ عِتـــابٌ مَعَ الدَهـــ ... ـــرِ ، وَأَمـــرٌ يَحارُ فيهِ اللَبيبُ

وَبَلايـــا ما تَنقَضـــي وَرَزايـــا ... ما لَها مِن نِهايَـــةٍ ، وَخُطـــوبُ

سائِلي يا (عُبَيـــلَ) عَنّي خَبيـــراً ... وَشُجاعـــاً قَد شَيَّبَتـــهُ الحُـــروبُ

فَسَيُنبيـــكِ أَنَّ في حَـــدِّ سَيفـــي ... مَلَكَ المَـــوتِ حاضِـــرٌ لا يَغيـــبُ

وَسِناني بِالدارِعيـــنِ خَبيـــرٌ ... فَاسأَليـــهِ عَمّا تَكـــونُ القُلـــوبُ

كَم شُجـــاعٍ دَنـــا إِلَيَّ ، وَنـــادى ... يا لَقَومـــي أَنا الشُجـــاعُ المَهيـــبُ

ما دَعانـــي إِلّا مَضى يَكـــدِمُ الأَر ... ضَ ، وَقَد شُقَّـــت عَلَيهِ الجُيـــوبُ

وَلِسُمـــرِ القَنا إِلَيَّ اِنتِســـابٌ ... وَجَـــوادي إِذا دَعانـــي أُجيـــبُ

يَضحَكُ السَيـــفُ في يَـــدي وَيُـــنادي ... وَلَهُ في بَنـــانِ غَيـــري نَحيـــبُ

وَهوَ يَحمـــى مَعي عَلى كُلِّ قِـــرنٍ ... مِثلَما - لِلنَسيـــبِ - يَحمي النَسيـــبُ

فَدَعَونـــي مِن شُـــربِ كَـــأسِ مُـــدامٍ ... مِـــن جَـــوارٍ لَهُنَّ ظَرفٌ وَطيـــبُ

وَدَعونـــي أَجُـــرُّ ذَيـــلَ فَخـــارٍ ... عِندَمـــا تُخجِـــلُ الجَبـــانَ العُيـــوبُ

وهكذا كانت نظرته للتأبي على الأحزان والأكدار. فهو أكبر من الحزن والألم ويعيش بقلب أقوى من الحديد. والسيف في يده يقاتل به حتى حزنه وألمه والجواد طوع بنانه يجالد به كروبه وصوارف الدهر. وكأنه يستسلم لقدر الله استسلاماً لا يستسلمه اليوم بعض من يدعون الإسلام! إن الرجولة طابع يزيدها التصور الإسلامي صرامة وجزماً وبسالة. وهذا هو الفارق الكبير بين أسلوبية عنترة الفنية في شعره وبين أسلوبية عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير وأبي دجانة. إنه الإيمان والتوحيد. أما عند افتقادهما فيصبح الشعر بلا روح وإن كان جميلاً! وتحت عنوان: (شعراء يمنيون بين تغريبة الحرب وأهوالها) يقول الأستاذ فتحي أبو النصر ما نصه: (ماذا بوسع القصيدة أن تفعل وهي تواجه تفاصيل الحروب المتلاحقة ؛ من تشرد وفقدان وخراب وهلع ورجاء ويأس؟! ثم ما الذي يتبقى من الوطن ، حين يتحول نصفه إلى قتلى ونصفه الآخر إلى قتلة؟! لقد أثخنت الحرب يوميات الشعراء في اليمن ، كباقي الفئات المجتمعية ؛ وهي الحروب الدؤوبة التي فاقت المخيلة ، كما تنطوي على واقعية سريالية ذات مفارقات صادمة وعجيبة ، لم يتحملها العقل ، بقدر ما أثخنت العاطفة. وعلى سبيل المثال ، أعرف شاعرًا تشرد كلاجئ في أربع محافظات هو وعائلته. وآخر طالته ثلاث رصاصات آثمة وسط العاصمة من بلاطجة ، والأرجح بسبب آرائه ، فيما أجرى ثلاث عمليات في ثلاث دول. وآخر قطعت الميليشيات راتبه ومصدر دخله الوحيد ، فقرر ترك المدينة والعودة إلى قريته علّه ينجو. وآخر وقعت قذيفة عشوائية على منزله وما زال يسكن فيه متصالحًا مع كل هذا العبث. وآخر غادر اليمن لمدة وجيزة كما قال ، ولم يستطع العودة منذ عام ونصف ؛ لأن الحرب دمرت

منزله وتشردت عائلته وهو بعيد لا يملك قيمة تذكرة العودة. وآخر قُتل شقيقه في انفجار انتحاري ؛ لأنه كان موجودًا في مكان الحادث بالصدفة ، وحتى اللحظة لا يزال ممسوسًا لشدة وقع الحادث على ذهنه. وآخر زادت حالته النفسية سوءًا ؛ لأنه يخضع لعلاج عصبي لا يتاح بسهولة من جراء الحرب. وآخر انضم للمقاومة. وآخر فقد مصدر رزقه ؛ لأنه يعمل في صحيفة قرر الانقلابيون إغلاقها. وآخر صار يبيع منتجات غذائية مهرّبة على أحد الأرصفة ليسدّ رمقه. وهكذا على نحو فجائي وصلت اليمن إلى مصاف اللحظتين العراقية والسورية الأكثر مرارة عربيًّا ، فيما تملشن وتعسكر كل شيء حول اليمنيين على نحو طائفي ومناطقي بغيض. ثم ها نحن في خضم اللحظة المارقة التي صارت مملوءة بالحقد والهوس والخيبات واللاتسامح واللاعقلانية. والحال أن معظم الخطابات في ظل التجاذبات السياسية والعنفية الحادة ، لا تهمها فكرة الوطن والمواطنة للأسف ، ما بالكم بالإبداع والتجريب. كما أن اللغة من الطبيعي أن تأتي هشة وخاوية إلا ما ندر. والأستاذ أحمد العرامي جلال الأحمدي يقول تحت عنوان: (السخط هوية للشاعر) ما نصه: (فحيث تدور المعارك في كل الجهات ؛ صارت العزلة أحيانًا ـ وغالبًا السخط ـ هوية الشاعر اليمني الحديث ، إضافة إلى المثقف الذي يحترم ذاته والأكثر حساسية ، كأقل احتجاج ضد ما يجري. ووسط هذه التغريبة وأهوالها المزدوجة ، يعيش الشاعر اليمني خاصة والمثقف عامة. في خضم الصراعات المعقدة القائمة اليوم ، يحاول المثقف الموضوعي جاهدًا الانحياز إلى ما يمثل جامعًا وطنيًّا ، والتموضع داخل حلم المدنية والعدالة والقانون. والحاصل أنها الهزة الأشد عنفًا في المجتمع اليمني التائق للتغيير. كما طالت اللغة ومحمولاتها. لذلك فإن التفاؤل تقابله امتيازات التشاؤم بما تحمله هذه الامتيازات من إدانة مثلى للواقع. ويبقى الشهداء أقل ضحايانا ، نحن الضحية لا الراحلون. كما يقول الشاعر فارس العلي ، ويضيف: (ربما ذهبت القصائد أحيانًا لأداء لعبة الغموض عندما تنحذف من شعرية الإحساس الدائم بأنك شاعر ومكون لموقف ينحاز دائمًا للخفة ، لا أدري كيف أشعر الآن على نحو مخاتل يحفز إيقاع سلوك عامل بلدية أو فلاح مهمل للأرض ويشعر بلا جدوى الاستمرار في الاعتناء بها).هـ. ويتابع العلي: (إنه شعور يلخص اعتقاد إمكانية أي شاعرية داخلية ، شعور عابث مغمور بالضياع وشعور بالقلق واللاجدوى من الشعر وأن لا وظيفة يمكن أن يرتبها في الوجود الإنساني ، سوى المواقف غير المكتملة لجمل وعبارات تتنافر في الجمال بما لا يفضي بدلالة تقول على وجه التحديد شيئية ، وطالما تستمد الحداثة الشعرية بصورتها الحالية هذه الفوضى والعشوائية والتسارع المحموم للنقائض حد تلاشي الإشارات وتوهجاتها الفجائي ، فإن الصورة المنعكسة من الاضطرابات العملية لتقدم العالم نقوم نحن الشعراء بتكريسها في النصوص بصورة تعقيدية تنال مما تبقى من هوامش بالإمكان الإمساك عندها برأي يأخذ مكانه في العالم).هـ. لكنه يستدرك: (لست ضد هذا إنما أشعر بالامتعاض من التأويل والأسلوبية وإصرار التفكيكية على تشتت الوجود ، والتلقي المقرفص ونحن هناك في السريالية غائطين حينًا وجافين دون قطرة واقعية لتبليل ريق فجائعنا من تخوم لا معقولة وتفوق التصور والاحتمال. ومن ناحيتها تتأسف الشاعرة والروائية نبيلة الزبير ، على تحول أصدقائها إلى أطراف وخصوم ، لكن الأكثر إيلامًا أن يكون في أصدقائك من هم أطراف وخصوم بالمؤازرة. حيث تقول: (أنا لا خصم لي سوى من يباعد بيني وبين وطني. وطني يتسع لهم جميعًا ووطنهم يضيق بي). وتضيف: لكثرة أعداد القتلى والموتى التي تشهدها أيامنا هذه تعذر علي القيام بواجب العزاء أولًا بأول. فليعذرني المحزونون وليتقبلوا حزني. كذلك ؛ لكثرة جرائم الحرب وسرعة تواليها بات يتعذر إدانتها أولًا بأول).هـ. أما الشاعرة نبيلة الخطيب ، فتقول: (إن حديث الواقع يختلف عن حديث التاريخ ، وإن كانت العلاقة بينهما جذرًا وساقًا ، أو ساقًا وفرعًا ، أو فرعًا وثمرًا).هـ. وتضيف: (إن هذا

يصْدُقُ على الأردن ؛ ذلك أن هذا البلد مرّ بخطّ لا عوج فيه ، ولا مفارقات كبيرة ، بحكم «دكتاتورية» موقعه الجغرافي الذي فرض عليه نمطًا متشابهًا من الأحداث والمواقف ، فإذا نظرنا إلى مصطفى وهبي التل (عرار) نراه امتدادًا لشعراء النهضة في ديار الشام في وجه الاستعمار ، حتى شكّل مدرسة ما زالت مؤثِّرة في الواقع الحديث ، وإن دخل على الشعر بعض الاستحداث الفني).هـ. ولأن الشعر الأردني هو ابنُ واقعه بالضرورة ، كما تؤكد الخطيب ، فإنه لا يستطيع أن ينسلخ من لحم عروبته وفلسطينه وقدسه وأقصاه ، فكانت هذه الجمرة المتقدة التي قبض عليها الشاعر الأردني ، وبخاصة بعد هزيمة 1967م ، فعاش الهمّ القومي والإقليمي والوطني مشبعًا بمضامين الوحدة والتحرر والتحرير ، وعذابات الأخ الشقيق حتى وصل اليوم إلى مآسي الإخوة الأشقاء. والخطيب تردّ عدم اهتمام الناس بالشعر في زمننا إلى عاملين: أولوية المعيشة ، والبحث عن مستوى من الكرامة مفقود ، وعدم وصول الشاعر إلى مستوى تطلعات وحاجيات الفرد العادي ولا حتى المثقف ، فكانت المسافة بين الشاعر والناس بائنة ، بل هي تزداد بينونة! هذا هو المأزق الحقيقي الذي يواجه الشعر ويجعله ينحسر حتى يكاد يغلق على نفسه الأبواب ، رغبًا ورهبًا إذ لا ينفصل واقع الشعر العربي اليوم عن الواقع المتشظي).هـ. أما الشاعر والناقد والأكاديمي ناصر شبانة فلا يتردّد في القول بأن الساحة الأدبية في الأردن تغصُّ الآن بعشرات الشعراء ومئات الأدعياء ، الذين يطلق عليهم «شعراء الفجأة» ويظهرون كالفطر على المواقع الإلكترونية ، كما تمتلئُ الساحة بالمجاميعِ الشعرية ، وتشهد إقامة الأمسيات والفعاليات سنويًّا ، لكن النقد يبدو غائبًا أو شبه غائبٍ عن الساحة ، فبات أبطال العلاقاتِ العامّة والصفحاتِ الإلكترونيةِ ، يتسيّدون المشهد ، وانزوى الشعراءُ الحقيقيون المنشغلون بمشاريعِهم الشعريةِ الحقيقية إلى الظلّ ترفُّعًا ونشدانًا للسلام ، في حالةٍ غرائبية لا نعرفُ كيف ولا متى ستنتهي. ويعود شبانة إلى الوراء ليبين أن عنوان المرحلة هو «عقود متتالية من الشعر والهزائم» ، فلو عدنا بذاكرتنا خمسين عامًا إلى الوراء ، وتأملنا المشهد الشعري في الأردن ، لوجدناه بكائيًّا بامتياز ، يقفُ على أطلالِ الأمجادِ الغابرة ، يتأملُ اللحظةَ الراهنة ، يعقدُ مقارناتِه المكرورة ، ويعيدُ تقييمَ رهاناتِه الخاسرة ، كلما ارتفعَ منسوبُ الأملِ لديه حاصرتْه الخيبةُ مع كلِّ هزيمةٍ جديدة». ويستنتج شبانة من ذلك أن قدرَ الشعرِ في الأردن أنْ يظلَّ سياسيًّا بامتياز ، وأنْ يظلَّ يرنو بعيونِه إلى غربِ النهر ، حيث البوصلة ؛ ليعيدَ إنتاجَ الواقع ، بقليلٍ من اليقين ، وكثيرٍ من الألم. ويربط شبانة بين سقوطِ ما تبقّى من فلسطينَ في أيدي عصاباتِ اليهود ، وسقوطِ الجولانِ وسيناء ، وبين عجز العربِ – ومنهم الأردنيون - عن التحرُّر سوى على مستوى القصيدةِ والشعر ، فراح الشعراءُ يوسِّعون جنباتِ القصيدة ، ويغيِّرون شكلَها ، ويتخلَّصون من قوافيها ، وأنظمتِها القديمة ، في ردةِ فعلٍ غيرِ واعيةٍ على هزائمِ السياسيين والعسكريين على السواء. ويلفت إلى أن الشعر الأردنيّ صوّر انكساراتِ الشاعرِ الذاتية والجمعية ، فقد نشأ الشاعرُ العربيُّ على الخيبة والانكسار والهزيمة ، وما كان بقادرٍ على تزييف وعيه ، أو الخروج من عباءة الواقع ، حتى غدا تيسير سبول بوضْع حدٍّ لحياتِه نموذجًا لحالةِ الرفضِ والهزيمةِ التي يعيشُها الشاعر. وتمثل حقبة الثمانينياتِ أغنى الحقبِ الشعرية في الأردن ؛ لأنّها شهدتْ ولادةَ جيلٍ شعريٍّ متعلمٍ ومثقّفٍ من جهة ، وبات لديه وعي سياسيٌّ وحصانة ضدّ أنواع الوهم التي سقط فيها الشعراء السابقون ، فلم يعد ينخدعُ بالأملِ الكاذب ، وبات أقربَ إلى فهم الواقعِ على سوداويَّته وكآبته ، ومن هؤلاء مثلًا: زهير أبو شايب ، وعبد الله رضوان ، وطاهر رياض ، ويوسف عبد العزيز ، وحبيب الزيودي ، وعمر شبانة ، وجريس سماوي ، وراشد عيسى ، وأحمد الخطيب ، وعمر أبو الهيجاء ، ومحمد سلام جميعان. وفي التسعينيات بزغ نجمُ جيلٍ جديدٍ من الشعراءِ

الشبابِ أُطلق عليهم «شعراء التسعينيات» مالوا إلى تشكيلِ جماعاتٍ أدبية تحملُ طابعًا شلليًّا ؛ كجماعة النوارس ، وجماعة «سين» الأدبية وغيرهما ، كما جنحوا في طابعٍ لافتٍ إلى «الصعلكة والتسكُّع» ، فكان لهذا أثرٌ في شعرِهم الذي مال إلى الحزن والعبثية واللوذِ بالمرأة ، والشكوى والتذمر. ووفقًا لما يراه الشاعر والأكاديمي خلدون إمنيعِم ، فإنّ ثمة مسارات ورؤى ومشارب متنوعة تحكم ذهنية منتج النص الشعري ، لم تنجُ من «أفخاخ الثنائيات» التي حكمت الشعر العربي الحديث ، بين مسرب التقليد والاتباع مثلما هو في نصوص زهير أبو شايب ومحمد سمحان وحيدر محمود – مع اختلاف الرؤى- وغيرهم من جهة ، والتجريب والإبداع مثلما هو في نصوص زياد العناني ومحمد العامري وراشد عيسى من جهة أخرى. غير أن ما رسخه منتج النص الشعري في الأردن دار في «فلك الاتباعية» ، فنأى الشعرُ كما يقول إمنيعِم ، عن كونه نصًّا إبداعيًّا تجاوزيًّا في الرؤى ، وإن كانت مشاربه متنوعة بين التقاليد الموروثة وفق معجميات الأمكنة والأزمنة للنص المنتَج على مقاس السلطة الأدبية والنقدية ، وتوجيه الذائقة القرائية الملهمة والمثقّفة لتطور تقاليد القصيدة الغربية. ويتوقف إمنيعِم عند تجارب انماز أصحابُها في تقديم مشاريع متفردة ، مخضعةً الموروثَ لسلطة التساؤل والتجاوز والمغايرة» ؛ لتكون بعض المجموعات الشعرية مشاريع رؤيوية لأصحابها ، من مثل «شمس قليلة» لزياد العناني ، و«ممحاة العطر» لمحمد العامري ، و«ما أقل حبيبتي» لراشد عيسى. وهو يرى أن الشعر في الأردن استطاع أن يحظى بمكانة لائقة - على قلّة جمهوره - ذلك أن الرواية تحديدًا تحتل المساحة الأوفر حضورًا ومقروئية ، إضافة إلى دور الحراك المسرحي في تراجع حالة التلقي الشعري ، خلافًا لما كان عليه الأمر في عقود سابقة ، غير أن الشعر ما زال يشكل مرجعية الذائقة الأدبية ، وثمة جمهور للشعر قادر على تمييز ما يُطرح بعيدًا من شكلانية التواصل وأدواته. وبشأن الأسئلة والتساؤلات الجذرية الملقاة على عاتق الشاعر ، التي يَجْهَد ويُجْهِد في تقصّيها وتتبّعها ، فمن أبرزها بحسب إمنيعِم ، ما يتعلق بالراهن الثقافيّ والشعريّ العربيّ ومآلاته ، وانعكاسات «الربيع العربي» الدموي على الإنسان والأرض من جهة ، وأسئلة الحرية والهوية والذات والكينونة من جهة أخرى ، غير أن أكثر هذه الأسئلة إلحاحًا - ما يشكل حالةً تعالقية - سؤال المدنية والمواطنة ، ومحاولات تأسيس جذر ديمقراطي ناهض يطمح إلى النجوز من خلال حوارات فكرية رصينة مع الموروث العربي وراهنه من تحديات معاصرة من دون إغفال حالة الاشتباك مع الثقافات الوافدة. ويؤكد إمنيعِم أن تبوّؤا الشعر في الأردن مكانة لائقة لا ينفي كونه عالقًا في مآزق تتعلق ببنية النص وآليات تشكيله وتشكّله ؛ لهيمنة التقليد وافتقاد الخبرة الشعرية لدى الأجيال الشعرية المتأخرة ، إضافة إلى افتقار كثير من المجموعات الشعرية الصادرة حديثًا للمحمولات الثقافية والفكرية والفلسفية ؛ إذ «يتوهم كثيرون أن النص الشعري رهن المفردة والصورة المبتورتين عن سياقاتهما ، لتقرأ نصًّا يفتقد لأدنى مقومات شعريته. ولستُ أريد أن نتمادى مع الشجون. فلنطالع مستهل قصيدة لعنترة على البحر الطويل يقول فيها:

إِذا فاضَ دَمعي وَاِستَهَلَّ عَلى خَدّي ... وَجاذَبَني شَوقي إِلى العَلَمِ السَعدي

أُذَكِّرُ قَومي ظُلمَهُم لي وَبَغيَهُم ... وَقِلَّةَ إِنصافي عَلى القُربِ وَالبُعدِ

بَنَيتُ لَهُم بِالسَيفِ مَجداً مُشَيَّداً ... فَلَمّا تَناهى مَجدُهُم هَدَموا مَجدي

يَعيبـــونَ لَوني بِالسَـــــــوادِ ، وَإِنَّمـــــا فِعالُهُمُ بِالخُبـــــثِ أَســـــوَدُ مِن جِلـــدي

فَوا ذُلَّ جيرانـــــي إِذا غِبـــــتُ عَنهُـــــمُ وَطـــالَ المَـــدى ماذا يُلاقونَ مِن بَعـــدي

أَتَحســـبُ قَيـــسٌ أَنَّني بَعـــدَ طَردِهِـــــم أَخـــافُ الأَعـــادي ، أَو أَذِلُّ مِنَ الطَـــردِ

وَكَيفَ يَحُلُّ الـــــذُلُّ قَلبـــــي ، وَصارِمـــــي إِذا اِهتَزَّ قَلـــــبُ الضِدِّ يَخفُـــقُ كَالرَعـــدِ

مَتى سُـــــلَّ في كَفّي بِيَـــــومٍ كَريهَـــــةٍ فَلا فَـــــرقَ ما بَينَ المَشايِخِ وَالمُـــــردِ

وَما الفَخـــــرُ إِلّا أَن تَكـــــونَ عِمامَتـــــي مُكَـــــوَّرَةَ الأَطرافِ بِالصارِمِ الهِنـــــدي

نَديمَـــــيَّ إِمّا غِبتُما بَعدَ سَكـــــــــــــرَةٍ فَلا تَذكُـــــرا أَطلالَ سَلمى وَلا هِنـــــــدِ

وَلا تَـــــذكُرا لي غَيرَ خَيـــــلٍ مُغيـــــــرَةٍ وَنَقـــــعَ غُبـــــارٍ حالِكِ اللَـــونِ مُســـوَدِّ

فَإِنَّ غُبـــــارَ الصافِنـــــــــــــاتِ إِذا عَلا نَشِقـــــتُ لَهُ ريحـــــاً أَلَـــذَّ مِنَ النَـــــدِّ

وَرَيحانَتي رُمحي وَكاســـــاتُ مَجلِـــــــسي جَماجِـــمُ ســـاداتٍ حِراصٍ عَلى المَجـــدِ

وَلي مِن حُسامي كُلَّ يَـــومٍ عَلى الثَّـــــرى نُقـــوشُ دَمٍ تُغني النَدامـــى عَنِ الـــوَردِ

وَلَيسَ يَعيـــبُ السَيـــفَ إِخلاقُ غِمـــــــدِهِ إِذا كـــانَ في يَومِ الوَغـــى قاطِعَ الحَـــــدِّ

فَلِلَّهِ دَرّي كَم غُبـــــــارٍ قَطَعتُـــــــــه عَلى ضامِـــرِ الجَنبَيـــنِ مُعتَـــدِلِ القَـــــدِّ

وَطاعَنتُ عَنهُ الخَيـــلَ حَتّى تَبَـــــــدَّدَت هِزامـــاً كَأَســـرابِ القَطـــاءِ إِلى الـــوِردِ

فَـــزارَةُ قَد هَيَّجتُمُ لَيـــــــثَ غابَـــــــةٍ وَلَم تُفرِقـــوا بَينَ الضَلالَـــــةِ وَالرُشـــدِ

فَقولـــوا لِحِصـــنٍ إِن تَعانـــى عَداوَتـــــي يَبيـــتُ عَلى نـــــارٍ مِنَ الحُـزنِ وَالوَجـدِ

ويصدق عنترة نظرته للحرب والدماء والأشلاء بالقول والفعل. وهذا واضحٌ جليٌ من خلال الألفاظ والإيقاعات والإيحاءات التي لمسناها من خلال هذا النص الشعري من نصوص أبي الفوارس. ولعل هذه القصيدة وثيقة الصلة ببيتين من معلقته ، حيث يقول يخاطب محبوبته من قلب المعركة معبراً عن اشتياقه:-

ولكم ذكرتـــك والرمـــاح نوايـــل منـــــي وبيـــض الهنـــد تقطـــر من دمـــي

فـــوددتُ تقبيـــل السيـــوف ، لأنهـــا لمعـــتْ كبـــارق ثغـــرك المتبســـم

فهو إذن فارس شاعر أو شاعر فارس! ففي الوقت الذي يجالد أعداءه ويحصد رؤوسهم يتذكر محبوبته ، ونضيف إلى الوصفين وصفاً ثالثاً فنقول: عنترة فارس شاعر عاشق. ويشيع على ألسنة العامة مثل غير حقيقي وليس له أدنى مصداقية كما أنه ليس له رصيد من الواقع! هذا المثل هو: (الأقارب عقارب)!

والحقيقة أنه من الناحية التصورية هو غير وارد! حيث: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله). وإذن فالمسلم أخ المسلم ، وإذا كان رحماً كان ذا أخوتين: أخوة الإسلام وأخوة الأرحام! فكيف بهم يقولون: الأقارب عقارب؟ وإذن فسبب هذه الترجمة قصيدة لعنترة تحمل ذات المعنى ، ولعل عنترة صاحب حق في هذا المذهب ، حيث إنه لم يجد من قبيلته وعشيرته وذويه إلا كل سخرية واستهزاء واحتقار واستعباد واسترقاق واضطهاد وتعسف. فهو – إلى حدٍ ما – على حق فيما ذهب إليه. وكنا نتصور أن يكون للقبيلة دور آخر في الاعتزاز بشاعرها ونشر أشعاره يمنة ويسرة! ولكن للأسف لم يكن الحال يختلف في بني عبس بشأن شاعرها عنترة بن شداد عن القبائل والعوائل المعاصرة التي صرفها الحقد والغل والغيرة والشنآن عن أن تقوم بدورها حيال شاعرها المتقن المبدع ونشر تراثه للعالمين! كما كانت دور الطباعة والنشر والتوزيع هي الأخرى صارفاً عن القيام بالدور ذاته! فقد صرفها الطمع والجشع عن أن تكون في عمومها صاحبة قضيةٍ ورسالة! الأمر الذي حدا بالكاتب أو الشاعر أن يعمد إلى (السوشيال ميديا) ليقوم بنشر تراثه الوسطي المعتدل البناء الهادف المنصف الرائع! ولو لم يحصل شيئاً من الثمن والأجر على ذلك كله! إلا من الله الواحد الأحد! فكانت تقنيات العصر بديلاً عن الرواة من العائلة أو القبيلة أو من غيرهما! نعم! كان اليوتيوب والويب والتويتر والفيس بك سبيلاً بسيطاً وتقنياً ورائعاً لنشر تراث الشاعر! وإذا أردنا أن نعلم كيف أصبحت التقنية تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الشعر المعاصر ، فلنستعرض النقاد في آثار هذه التقنية بمواقعها الرقمية في الشعر العربي من ناحية السلبيات والإيجابيات! وهذه بعض أراء صحيفة العرب ، وتحت عنوان: (أي تأثير للفضاء الالكتروني على مستقبل الشعر العربي؟) تقول الصحيفة: لقد وجد الشعراء العرب في وسائل التواصل الاجتماعي قنوات لنشر نصوصهم والتعريف بكتاباتهم أو الترويج لها ، لكن هذا الفضاء الإلكتروني سرعان ما فرض شروطاً على الشعراء في نمط الكتابة الشعرية ، بداية بفرض النصوص القصيرة ثم النصوص يسيرة الفهم لتناسب مختلف الشرائح ، وربما لهذه الاشتراطات وغيرها تأثير سلبي وإيجابي على الشعر العربي. لم يغفل التقرير الأول لحالة الشعر العربي الذي أصدرته أكاديمية الشعر العربي بجامعة الطائف السعودية 2019 م ذكر ما وصلت إليه تجارب الشعر الرقمي أو الشعر الإلكتروني على يد بعض الشعراء في عدد من الدول العربية. وتوقف النقاد والباحثون المشاركون في كتابة التقرير عند هذا الرافد الجديد في إبداعنا الشعري والذي يواكب الثورة الرقمية التي تجتاح العالم الآن ، وهو ما لفت في الوقت نفسه القائمين على ملتقى القاهرة الدولي السابع للإبداع الشعري الذي عقد خلال الفترة 13 ، 16 يناير 2020 م فخصصوا محوراً عن الشعر الإلكتروني ، ما يعني أن الأمر بات مُلحاً وبات يشغل الساحة الشعرية والنقدية ، ولم يعد مجرد ترف أو تجارب لا لزوم لها ، حيث تناول التقرير ، الذي صدر أخيرا في 900 صفحة ، أثر وسائل التواصل الاجتماعي على حركة الشعر إيجاباً وسلباً. ويلاحظ الناقد السعودي عبدالله المعيقل أن الشعراء أصبحوا ينشرون كثيراً من نصوصهم في الشبكة العنكبوتية ، وأصبحت النصوص تصل إلى مساحة من القراء لا تتوفر عليها وسيلة أخرى ، واقتضى هذا النوع من النشر أن يراعي الشاعر هذا الجمهور الواسع من القراء الذين تختلف مستوياتهم الثقافية ، من حيث اختيار أبيات قريبة الفهم وقصيرة في شكل مقطوعات ، نظرا لضيق مساحة النشر. أما الناقد الجزائري عبد القادر رابحي فيرى أن الثورة الرقمية أحدثت زلزالاً في البنيات الأشد انغلاقاً ، وأثرت أيما تأثير على الأطراف البعيدة المتراكمة في الهامش بمثقفيها ومتلقيها بعيدا عن المجازفة الإبداعية. وكان لا بد أن تعيد هذه الوضعية صياغة مراكز جديدة للتصور الإبداعي والجمالي بناء على سهولة اندراجها في الواقع الافتراضي المعاصر. ويلاحظ رابحي أن العالم الافتراضي فتح المجال لعودة الأنساق الإبداعية التقليدية ،

إلى واجهة التلقي ، وعودة انتشار قيمه الجمالية من منظور جمهور عريض يعكس البيئة المحافظة للمجتمعات المغاربية. وعن حضور الشعر السوداني الحديث في الفضاء الإلكتروني بين الإيجاب والسلب يتحدث الناقد عز الدين ميرغني ، لافتاً إلى المشاركات والعضوية الضخمة لهذه المواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية ، حيث العضو له مطلق الحرية في أن يكتب ما يشاء من نصوص ، وينبه إلى أن خطورة تلك الكتابات قد تأتي من المجاملة ، من عضو لزميله الآخر ، ويسود شعار: (اشكرني وأشكرك ، وامدحني وأمدحك) ، وقد يأتي المدح من غير المتخصص ، أو مجاملة دون حتى قراءة النص كاملاً. أما الناقدة بشرى موسى صالح فتشير إلى دخول الشعراء إلى العالم التقني دخولاً واسعاً مع قصيدة التسعينات وما تلاها ، لتأثير وسائل التواصل الاجتماعي التي أسهمت في ابتداع أشكال شعرية أسلوبية جديدة أطلق عليها الشاعر التسعيني مشتاق عباس معن القصيدة التفاعلية ، وشاع المصطلح وتكرس في مشروع له رؤيته وإجراءاته القائمة على العناية بحضور المتلقي (التقني) وإسهاماته في قراءة النص وإعادة إنتاجه. وتوضح أن القصيدة التفاعلية هي من أشد النصوص الشعرية التحاماً بالوسيط الإلكتروني وفضائه التواصلي التقني ، وما اشتق منها من النص المترابط و العروض الإلكترونية بما أتاحت من منافذ تلق متنوعة ومفتوحة: سمعية وبصرية وفنية ثرية. ويرى الناقد اللبناني شربل داغر أن ما ينشر في الشبكة العنكبوتية من شعر عربي يتوسع ليشمل شعراً في إنستغرام وتويتر ويوتيوب بالإضافة إلى فيسبوك ، وغيرها. ويتوقف عند التجربة النقدية للأكاديمية الأردنية د. امتنان الصمادي في عام 2018 م وتناولت فيها استجابة الجمهور لشعر محمود درويش في التطبيق الإلكتروني تويتر في يوم بعينه من شهر أبريل 2018 م وجعلته مادة لفحص ودرس. ومن ناحية أخرى يرى الباحث المصري د. أحمد مجاهد أنه لا يوجد في مصر الآن موقع إلكتروني واحد متخصص في نشر الشعر ، بينما المواقع الإلكترونية للمجلات الثقافية لا تنشر سوى نسخة (بي.دي.أف) من المطبوعة الورقية ، وهي ليست مواقع تفاعلية مع القراء ، ولهذا لم يعد للشعراء سوى صفحاتهم الخاصة على الفيسبوك ، ويؤكد أن الشعر وجد متنفساً حقيقياً على الصفحة الزرقاء بعد اختناقه في أزمات النشر الورقي. وخطورة الكتابات الرقمية قد تأتي من المجاملة واضطرار الشاعر إلى اختيار أبيات قريبة الفهم وقصيرة في شكل مقطوعات. ويوضح الكاتب السعودي خالد أحمد اليوسف أن ثورة التقنية والاتصالات ودخول الإنترنت في جميع المواقع والأمكنة أتاح للشعر العربي الاستفادة من هذه القناة السريعة ، فأنشأت المواقع الخاصة والعامة منذ منتصف التسعينات ، وكان موقع جهة الشعر الذي أسسه ورعاه الشاعر البحريني قاسم حداد ، من أوائل المواقع. ثم بدأ الاهتمام بالمواقع الشخصية لكل شاعر بمفرده ، بعد أن تيسر التعامل مع الإنترنت ، وانخفضت التكاليف والمصروفات على متابعة ورعاية المواقع ، وأصبح باستطاعة كل واحد تأسيس موقع يخصه شخصياً ، فجاء من هنا النشر الإلكتروني ، واتسعت آفاقه ودوائره ومواقعه ، فسارت المعطيات والإنتاج الشعري جنباً إلى جنب ، ورقياً وإلكترونياً).هـ. ونقلاً عن جريدة الدستور يقول الأستاذ الناقد محمد عريقات ما نصه: (من يقرأ لبعض الشعراء القدماء ، دون الالتفات إلى المسافة الزمنية التي تفصل فيما بينه وبين هذا الشعر ، سيشعر أن هؤلاء الشعراء هم من معاصريه ومشاركيه في الحياة الاجتماعية إضافة إلى الحالة النفسية الراهنة وانفعالاتها مع الواقع. في هذا السياق قد تخدم هذا القارئ قصيدة لشاعر في العصر الجاهلي ، تعكس رأيه الذاتي والاجتماعي والسياسي دون تلك القصيدة التي يكتبها شاعر معاصر يسكن على بعد شارعين منه ، من هنا تتلاشى هذه المسافة الزمنية بين الشعر وقارئه ، وتتحقق الحداثة ويكون هذا الشعر مضارعاً على الدوام. هنالك شاعر قديم ، لكن ليس هنالك شعر قديم تأسيسًا على هذه المقولة ، فإن امرأ القيس ، على

سبيل المثال ، شاعر قديم لكن شعره الذي يخترق الزمن على الدوام بتأثيره وفاعليته ليس قديماً ، كذلك كم من شاعر معاصر تعود بك قصيدته إلى عصور سحيقة في النسيان؟ أنت لا تطالبه برؤيوية حداثوية أكثر من تلك التي يختار بها ثيابه ، لكن فيما يتعلق بالقصيدة تجد أن هذا الشاعر الحديث *زمنيا* لا يجد أصالة وجزالة لها إلى بعلاقتها المباشرة المشوّهة ، بطبيعة الحال ، مع الموروث والتقوقع فيه دون تجاوزه ، ظنه أن مستقبل الشعر في ماضيه كما لو أن الكمال الشعري قد تحقق وانتهى مع الشعر الجاهلي. كلنا نتذكر الرصاصة التي أطلقها محمود درويش في مهرجان قرطاج الدولي حين قال قاصداً مجايليه من الشعراء: إن أبا الطيب المتنبي أكثر حداثة من كل الشعراء المعاصرين ، فما يسمى بالشعر العربي الحديث وقع في نمطية مبكرة وأصبح مصاباً بالتشابه والتكرار. نقرأ آلاف القصائد اليوم ، ولا نعرف من يكتبها لتشابهها وتطابقها. وفي كلامه هذا إشارة كبيرة على أن المسافة الزمنية بين الشعر والقارئ ليست معياراً أو مقياساً لأن يكون الشعر حديثاً أو قديماً. ولعل من أبرز شعرائنا القدامى الذين حقق شعرهم هذا العبور الدائم للأزمنة هم بالدرجة الأولى *أبو تمّام* ، و*المتنبي* ، و*أبو نواس ، حيث أن الأول تجاوز مخترقاً النطق الشعري الذي كان سائدًا في عصره بأن أسس للغة جديدة لها أبعادها ودلالاتها المتجاوزة بحركتها لصنمية المعنى ، مما أنقذها من الشيخوخة وتحنيط الزمن لها داخل مرحلة معينة ، حيث أنها ترفض الواقع المألوف وتعمل على منحى جدلي مجازي ، جاءت كشاهدة على شرعية العمل على تطور القصيدة ، وهو الشاعر العباسي الأول الذي جذّر للغموض والإبهام في الشعر ، وذلك يرد ادعاء النقاد المعاصرين الذين يدعون إلى العودة إلى الماضي في سبيل التخلص من الإبهام. قيل لأبي تمام: *لماذا لا تقول ما يفهم؟ فرد عليهم: *ولماذا لا تفهمون ما يُقال!* ، الغموض ليس قضيتنا ، بقدر ما هو إعلان عن حداثة أبي تمام في عصره ، حداثته التي اخترقت بشعره العصور التي تلته. ويؤكد في أكثر من شاهد أن قصيدته ابنة الفكر ، وأن لغته عصية على الهرم ، مهما تعاقبت عليها الأزمنة ، ولعل استعاراته المركبة لمجايليه جعلته يتجاوز عصره بمراحل ، ومن قصص غرائبيته أن قال أحد التقليديين وهو *ابن الأعرابي* عن شعر أبي تمام: *إن كان هذا شعراً ؛ فكلام العرب باطل. أما أبو نواس ، شاعر المدينة الأول ، وشعره. خيالي لم يتحقق بعد كذلك وصفه أدونيس في كتابه *زمن الشعر* ويضيف بأن شعره يقدم نفسه عارياً من أي سلاح عدائي ، إنه يقول الحرية ، حرية كل فرد ، ويحضنها ، ويطوف معها ، ويغنيها ويغني لها ، يتبنى الرغبة ويهمل المؤسسة ، يختار الحالة ويطرح البنية ، وأنها تلغم الاستيهام السياسي ، ورهانه التغييري ، واستغراقه في هذا الرهان إلى درجة لا يعود يرى فيها التاريخ ، أو لا يرى من التاريخ إلا قشرته الحديثة وتسلسله الأعمى كأن هذه الشعرية تموج الرغبة نفسها في أعماق الإنسان حيث لا إكراه وحيث يتلاشى العنف من تلقائه ، ولا يعود له أي سلطة. ومن المؤكد أن هذه البراعة الشعرية لدى هؤلاء الشعراء ، وتحقيقهم للحداثة الدائمة لشعرهم جاءت أولا من ثورتهم على السائد ، وخروجهم على عمود الشعر المسيطر آنذاك ، وإن كان لأبي تمام الفاعلية الأكبر في هذا المضمار حيث شمل تجديده بنية الشعر ، وتراكيب لغته ، ونسف عاموده. أما أبو نواس فتجديده وخروجه عن النموذج ، أي عن بنية ومواضيع النص الجاهلي ، فبدل الوقوف على الأطلال استعاضها بإطلالة قصيدته المادحة للخمر ، إضافة إلى تشخيص وتصوير الروحاني والشعوري ، ومن حيث الإيقاع لم يكن ليعتمد على العروض كمصدر له ، بل من خلال التكرار واستخدام الجناس والطباق ، أي الموسيقى الداخلية للغة ، كما أنه استعان بالاستعارة لتشكيل صورته الشعرية. فأنتج أدباً يعكس عصره وزمنه الذي أعاد بناءه بعد تفكيكه بالفن ليحقق اختراق هذا الزمن وتجاوزه. وهنا يقول أدونيس أن جماليات وأسباب ديمومة شعر أبي نواس تكمن في أنها لا تدفع القارئ لأن يحن أو يتذكر أو

يستعيد ، بل يدفعه إلى الحلم والأمل وتلك هي ، على حد تعبير أدونيس ، سياسة الشعر ، فالإنسان طاقة رغبة وحلم ، فشعر أبي نواس إذا لا يعلم وإنما يمزق الحجب ويخترق ويضيء. كما أن موقفه من موضوعات الشعر الجاهلي ، الأطلال تحديداً ، موقفا ساخرا يكشف عن ثورته عليها ، ثورة لم تكن هادئة بقدر ما كانت عاصفة مدمرة. وبما أننا تكلمنا عن التجديد على أنه من أهم مظاهر الحداثة ، فمن الضروري التأكيد على أن هذا التجديد لا يكون على مستوى الشكل والبناء الشعري فقط ، بل عليه أن يشمل فكر وسلوك الشاعر ، تجديداً أصيلاً لا تقليداً لموروث أو لنتاج أجنبي ، والحداثة لا تقاس بين شاعر وآخر بمدى ارتباطهما أو ابتعادهما مع وعن التراث ، بقدر نجاح أحدهما في تفكيك التراث واعادة بنائه بذهنية التجربة الجديدة ، وإضافة أساليب وأشكال ورؤى جديدة ، فالحداثة بحقيقتها مرتبطة بالأصالة غير منفصلة عنها ، كما أنه لا يوجد حداثة مطلقة ، فشعر امرئ القيس ، وبشار بن برد ، والمتنبي ، وأبو نواس ، وأبو تمام وغيرهم من الشعراء ، حقق فرادته من خلال اختلافه عن أسلافه ومجايليه ، ومن هنا كانت انطلاقته الماضية أبداً باتجاه المستقبل).هـ. وصاغ عنترة على البحر الطويل بائيته الشهيرة التي اقتطع منها كثيرون وكتبوا على غرار ما اقتطعوه:

أُعاتِبُ دَهـــراً لا يَلِيـــنُ لِعاتِـــــبِ ... وَأَطلُـــبُ أَمناً مِن صُروفِ النَوائِـــــبِ

وَتوعِدُنـــي الأَيّـــامُ وَعـــداً تَغُرُّني ... وَأَعلَـــمُ حَقّاً أَنَّهُ وَعـــدُ كـــــــاذِبِ

خَدَمـــتُ أُناســـاً وَاِتَّخَـــــذتُ أَقارِباً ... لِعَونـــي ، وَلَكِـــن أَصبَحـــوا كَالعَقـــارِبِ

يُنادونَني في السِلـــمِ يا اِبـــنَ زَبيبَـــةٍ ... وَعِندَ صِـــدامِ الخَيـــلِ يا اِبنَ الأَطايِـــبِ

وَلَولا الهَـــوى ما ذَلَّ مِثلـــي لِمِثلِهِـم ... وَلا خَضَعَـــت أُســـدُ الفَلا لِلثَعالِـــبِ

سَيَذكُرُنـــي قَومي إِذا الخَيـــلُ أَصبَحَت ... تَجـــولُ بِها الفُرســـانُ بَينَ المَضارِبِ

فَإِن هُم نَسونـــي ، فَالصَـــوارِمُ وَالقَنـــا ... تُذَكِّرُهُـــم فِعلـــي وَوَقـــعَ مَضارِبـــــي

فَيا لَيتَ أَنَّ الدَهـــرَ يُدنـــــي أَحِبَّتـــي ... إِلَـــيَّ كَما يُدنـــــي إِلَـــيَّ مَصائِبـــي

وَلَيـــتَ خَيالاً مِنكِ يا عَبـــلَ طارِقـــاً ... يَـــرى فَيضَ جَفني بِالدُمـــوعِ السَواكِبِ

سَأَصبِـــرُ حَتّى تَطَّرِحنـــي عَواذِلـــي ... وَحَتّى يَضِـــجَّ الصَبـــرُ بَينَ جَوانِبي

مَقامُكِ في جَـــوِّ السَمـــــاءِ مَكانُـــهُ ... وَباعـــي قَصيـــرٌ عَن نَـــوالِ الكَواكِبِ

أقول: هذا هو عنترة الفارس الشاعر العاشق في حربه لا ينسى قضيته الأم التي هي أكبر من الحرب والدم والجماجم والأشلاء والعذاب الذي يصب في ساحة القتال صباً من كل صوب وحدب! هي القضية ذات الشقين: الأول شق العبودية والرق الذي يرزح فيه عنترة ويندحر. والثاني شق العشق والغرام والهيام والحب شق عبلة. وإن كان بين الشقين تلازمٌ مطابقة كما يسمونه. بمعنى أنه إذا تحرر من الشق الأول شق الرق والعبودية والسواد كان الثاني ثمرة طبيعية للأول فتصبح عبلة زوجة وعاشقة وابنة عم بكل جد

ووضوح وبغير مماراة ولا مواربة. عنترة لا ينسى قضيته تلك ، وحتى ولو كان في معركة يمكن عبرها ألا يعود لا إلى القبيلة ولا إلى عبلة! وغرض آخر من أغراض الشعر الجاهلي وهو الرثاء! فلنطالع شيئاً من رثائيات عنترة. وهذه القصيدة الرثائية الحدائية قالها أبو الفوارس في رثاء مالك بن زهير العبسي ، وكان صديقاً حميماً لعنترة ، وكان ظهيراً له مثل الملك زهير بن جذيمة تماماً بتمام! فهو الذي يذود عنه ويكابح ويدافع دائماً. ولكننا نركز في دراستنا الأسلوبية هذي على عنترة الشاعر أكثر من تركيزنا على عنترة الفارس! فأصحاب السير الشعبية قد كفونا عن الإشادة بعنترة كفارس! فأضافوا لسيرته الكثير والكثير من المبالغات التي تُزري بالأخبار وتجعل منها ضروباً من الخيالات والأوهام! والشعر ديوان العرب! وأراه قد حفظ تراث عنترة الشعرى فإذا بقصائده ومقطوعاته كما هي نطالعها اليوم وكأن شاعرها مات البارحة! لقد حظيت بمستقبل عظيم! فهل يقوم الشعر العربي اليوم بحفظ أشعار الشعراء المعاصرين كما فعل بالأمس؟! بمعنى هل تستمر أشعارنا ويكون لها ذات المستقبل الذي كان لأشعار عنترة؟ أكاد أقول لا! وبرغم التقنيات ووسائل الطباعة والنشر والتوزيع المتقدمة ، ولكنني لا أظن أن يكون الشعر العربي المعاصر له ما كان لأشعار عنترة بالأمس من المحافظة والذيوع والانتشار! ودعونا نطالع ذات الرؤية بأقلام بعض الباحثين والنقاد! تحت عنوان: (مستقبل الشِّعر العربيّ) يقول الأستاذ الدكتورعبد الله بن أحمد الفَيفي ما نصه: (ما مستقبل الشِّعر العربيّ ، بوصفه لسان العرب ، وذاكرتهم ، وديوانهم ـ في ظلّ الوسائط الاتصاليّة المعاصرة والنهج العربي الموظِّف إيّاها في خدمة الأهواء ، والشعبيَّات ، والعاميَّات ، والعصبيَّات؟ إن الشِّعر فنٌّ نخبويٌّ بطبيعته ، وفي كُلّ العصور. على أنّ طبيعة الشِّعر المعاصر قد زادت الهُوَّةَ بين القصيدة والجمهور. بل بين ناقد الشِّعر وهو ما وصفه الشاعر الأمريكي (دانا جيويا) مؤلِّف كتاب (أما زال للشِّعر مَحَل؟) بقوله: أما زال هناك شعر؟ ما لو كانت مناظَرةً في السياسة الأجنبيَّة ، أقطابها أجانبٌ ، منفيُّون في مقهىً مهلهل! وبذا يعبِّر جيويا عن أن من أهم مشكلات الشِّعر اليوم مشكلة التلقِّي ، لا مشكلة الإنتاج ؛ فهو يتحدَّث عن غزارة غير مسبوقة اليوم في طباعة الدواوين والمجلّات الشِّعريّة ، والنقدُ المطبوع الذي يعالج قضايا الشِّعر المعاصر يملأ صفحات الدوريّات الأدبيَّة والجرائد اليوميَّة الجامعيَّة. وحتى الكونجرس الأمريكيّ أوجد منصب الشاعر القوميّ ، كما فعلتْ ذلك خمسٌ وعشرون ولاية. ولكن أين الجمهور؟ لقد غُيِّبَ الشِّعرُ كثيرًا على الرغم من تفاؤل جيويا في وسائل الإعلام في العالم أجمع ، وما زال ، إذا ما قورن بالفنون الأخرى ، السرديَّة أو البصريَّة. ثم تأتي تلك الوسائل لتتّهم الشِّعر بالتراجع عن مواكبة الحياة. صحيح أن الشِّعر ـ قديمًا وحديثًا ـ لا يُراهِن عن الجمهور الآنيّ ، بالضرورة ، وإنما على الجمهور الافتراضيّ الزمنيّ وكم من الشعراء تأخَّر حضور الجمهور إلى أصواتهم عن الجيل الذي عاشوا فيه إلاّ أن السؤال ، ونحن في عصر السرعة والصورة والحاسوب و«الإنترنت»: ألا يمكن للشِّعر ، بطبيعته الاختزاليَّة التكثيفيَّة ، إنْ هو خرج من قواقعه ، أن يكون المرشَّح الأوّل لمواكبة عصر ثورة الاتصالات وتقنية المعلومات؟ ألا نلحظ ، مثلًا ، أن القصيدة الآن هي الأكثر مواتاة من أيّ جنسٍ أدبيٍّ آخر للبثّ والتلقّي عبر البرمجيَّات وشبكات المعلومات المختلفة؟! وهذا ما استغلَّه أرباب الشِّعر العامِّيّ ، حتى عبر الرسائل النصيِّة القصيرة في الهاتف الجوّال. فهل يُبادر الشِّعر الحديث إلى استثمار خصائصه النوعيَّة ، الموائمة للتقنية الحديثة ، لتوسيع رقعة انتشاره وتأثيره؟ إن آليات الاتصال التقليديَّة ـ كما قال جيويا ـ قد تفكَّكت ، ويجب البحث عن بدائل معاصره. وتأتي تجربة النّصّ الإلِكترونيّ التفاعليّ ـ الذي قد يُطلَق عليه: النص المترابط أو النصّ الإنترنتّي لتشكِّل ، وعلى نحو أفضل من التقنية التقليديَّة التي ركَّز عليها جيويا في حديثه عن أهميّة الراديو لنشر الشِّعر، رافدًا اقتحاميًّا للحركة الشِّعريَّة ، الآنيَّة والمستقبليَّة ، ومن خلال عصرنا الإلِكتروني هذا ،

الذي يُشاع أنه لم يَعُد عصر شِعر ؛ لأنه لا يراد له أن يكون كذلك ؛ لأن الشِّعر ثورة ، وتحريضٌ على التغيير وتهييجٌ للمشاعر ، التي قد يُبغَى لها أن تظلّ مخدَّرةً ، ساكنةً ، هامدةً ، مجترَّة. ذلك أن الشِّعر الحقيقي مُقِضٌّ مضاجع ، سياسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة ، أكثر من أي جنسٍ أدبيٍّ أو فنِّيٍّ آخر. وإذا كان هنالك من نَعَتَ المسرح بأنه أبو الفنون ، فإن الشِّعر أبو الفنون وأمُّها ؛ من حيث هو ، تاريخيًّا ، رَحِم الأجناس الأدبيَّة الأخرى ، بما في ذلك المسرح ، ومن حيث ظلّ يحمل في جيناته عناصر الفنون والآداب المختلفة ، من صوتيَّة وبصريَّة وتشخيصيَّة ، يفجِّرها تفجيرًا ، وإنْ على نحو سِحريّ ، في وجه كلّ طاغيةٍ أو واقعٍ عليل. ذلك هو الشِّعر ، الذي ما انفكَّت المحاولات ، التاريخيّة والمستمرة ، في سبيل تشويهه ، وتحريفه ، وتهجينه ، أو إقصائه ، واعتقاله ، واغتياله. وميزة الشِّعر الحيويَّة الأخرى ، إلى ما سبق ، أنه حاضر الاستجابة ، آنيّ التلقِّي والتفاعل. وإنْ كان ذا شروطٍ صعبة المزاج في تحقُّقها ، يَضِن بنفسه على غير أهله إنْ هم لم يَفِرُّوا من وجهه طائعين ، عاجزين أو جافلين ، طَرَدَهم شرّ طِردة ، شامسًا كالفرس الأصيل. ومهما يكن من شأن ، فما نبالغ في القول إن بإمكان القصيدة أن تنغرس في نسيجنا العالميّ العولميّ ، أكثر من أيّ جنسٍ أدبيٍّ آخر ؛ كي تُثبت أنها ـ وقد صحبتْ رحلة الإنسانيَّة منذ الأزل ـ هي أكثر الأجناس الإبداعيَّة قدرةً على مسايرة العصور ، وصولًا إلى روح الإنسان ، أنَّى كان. على أنْ لا مراء في أن لكلّ جنسٍ أدبيٍّ عبقريَّته وطاقاته التعبيريَّة الخاصَّة ، وله تلبياته لحاجاتٍ إنسانيَّةٍ أكثر من سواه ، ولا يعوِّضها جنسٌ أدبيٌّ آخر ، كما أنّ لكلّ جنسٍ متلقِّيه وجماهيريَّته النوعيَّة. لأجل هذا كثيرًا ما تكون المقايسات في هذا المضمار مضلِّلة. علاوة على أن بعض المفاضلات قد لا تنجو ، في كلّ حالٍ ، من سياقاتها المتعالقة بتيّاراتٍ عولميَّة ، تنحو إلى مناسخة الشعوب في تجاربها ، واجتثاث الثقافات القوميَّة من جذورها ، وتذويب اللغات الوطنيَّة ، أو تفتيتها في لُغيَّات لهجيَّة شتَّى ، ومحاصرة قِيَم حادَّة يظلّ الشِّعر رسولها ، وديوانها ، لدى الأُمم جميعًا. وليست الحملة الشِّعريَّة التي شنَّها بعض الشعراء الأميركيِّين ضِدّ حرب (أمريكا) على العراق في العِقد الماضي ، مثلًا ، وما قوبلت به من قَمْعٍ ، إلّا نموذجًا تاريخيًّا واحدًا ، يدلُّنا على مقدار إمكانيَّة أن تغدو الكلمة الشِّعريَّة مزعجةً لنوازع من اللا إنسانيّ في الإنسان. لماذا؟ لأن الشعراء بطبعهم يرفضون الانحناء للعاصفة كي تمرّ! وقد ضاق بحماقتهم تلك حتى أفلاطون ، فأوصد أبواب مدينته الفاضلة دونهم! أمّا في فضائنا العربيّ ، فتأتي من مؤشِّرات اليقظة الشِّعريّة ، العِلميَّة والإعلاميَّة ، بعض المؤتمرات حول الشِّعر ، والملتقيات النقديَّة ، ومهرجانات الشِّعر ومسابقاته ، بما لهذه الأخيرة من إيجابيّات وما عليها من سلبيَّات. وتأتي أهميّة هذا الفعل الإعلاميّ الشِّعريّ من حيث إن الشِّعر يظلّ روح اللغة ، ولاسيما في لغةٍ شِعريّةٍ كاللغة العربيَّة ، يبدو في انهيار شِعرها مؤشرٌ على انهيارها ذاتِها ، وانهيار مَن ينتمون إليها. ولقد قال جيويا ، مُحِقًّا: إن «من الصَّعب جدًّا أن نتخيَّل كيف يعالِج مواطنو أُمَّةٍ ما صِحَّة لغتها ، ما داموا متخلِّين عن الشِّعر. بيد أن الإعلام سلاح ذو حدّين ، فبمقدار ما يمكن أن يُفيد الشِّعر ، يمكن أن يُضِرّ به ، بتسليعه والمتاجرة به ، كما يفعل بالأجناس الأدبيّة الأخرى. وهو غالبًا ما يفعل ذلك اليوم ، كما فعل من جهة أخرى بالفنون السرديَّة ، التي ظهر تأثيره في جوانب متعدّدة منها: كنشره النصوص الروائيّة والمسرحيّة ، بعد تحويلها إلى أعمال تلفازيَّة أو سينمائيَّة. وبتغذيةٍ راجعةٍ ، أخذت تظهر آثار تلك الأعمال الإعلاميَّة ، إيجابيَّةً وسلبيَّةً ، على أساليب الكتابات وتقنياتها. لتنتهي بعض النصوص السرديّة إلى ما يُشبه المسلسلات التلفازيّة العربيَّة ، المعتمد بناؤها غالبًا على الحوار ، في ذكريات تترَى ، ومواقف متعاقبة ، على حساب ما ينبغي من رسم شخصيَّات ، وتحليل نماذج ، وتصوير أحداث. كما ظَهَر في بعضها تغليبٌ واضح للرسالة الإعلاميَّة ـ تربويَّةً أو اجتماعيَّةً أو سياسيَّةً أو فكريّةً ـ على تجويد البناء الأدبيّ فنِّيًّا ، أو افتراع أبنيةٍ

جديدة ؛ فبَدَت بذلك وسائطَ قيميَّةً ، وكأنما كُتبتْ فقط من أجل إيصال مضامين أخلاقيَّة معيَّنة ، محافظة أو منسلخة. كما أثَّرت بعض الأعمال السينمائيَّة ، من جهة ، وكذا الهوس الإعلاميّ المعاصر ، من جهة ، في ظهور موجةٍ عارمةٍ من الروايات المبتذلة ، ضعيفة النسج والبناء واللغة. غاية ما فيها هوسٌ بأمرين: لذة غريزيَّة اجتماعيَّة في تذوّق الممنوعات - ولاسيّما في مجتمعٍ مكبوت ، ووَفق تربية أُغرمت منذ نعومة العقل والروح بتتبّع العورات - وفراغ النميمة وعجز القيل والقال. فإذا أعمالٌ من ذلك القبيل تتساقط على الرؤوس - دون قِيَمٍ جديدةٍ بانية ، ولا رؤى جادَّة مضيفة - لا تعدو تحويلَ ما كان يدور على الشفاه بالأمس إلى ما صار يدور على الأقلام ، - بعد الأفلام - اليوم).هـ. وإذن فالمستقبل الحق هو للشعر القيمي الهادف!

وفي جريدة الوطن وتحت عنوان: (سفسطة الشعر العربي) تقول الناقدة الأدبية الأستاذة هدى الزهراني ما نصه: (كلنا يعلم الظروف التي ولدت فيها القصيدة العربية بغض النظر عن وقتها تحديداً ، والذي قد يُختلف فيه نوعاً ما ، إلا أن المتفق عليه أنها من حروف عربية ولسان عربي وطبيعة عربية ، كلماتٍ تحمل عاطفة ومعانيَ مختلفة ، بوزن أشبه بالجرس الموسيقي المُطرب ، سميَ فيما بعد وزناً ، ونهايات متماثلة الأحرف والحركة سميت فيما بعد قافية. وتنوعت أغراض القصيدة العربية فصيغت في المدح والرثاء والوصف والغزل والحكمة والفخر والهجاء إلى آخره من أغراض الشعر المتفق عليها ، ولم تخرج على مر عصور العرب عن شكلها المعروف ما جعلها أقرب للشبه بالأثر المنحوت على الصخر ، لم يندرس رغم تقلبات ظروف اللغة واعوجاج الألسن. ونظرا لحاجة الشعر إلى تمييز حسنه من سيئه اُبتكر النقد فسار مع الشعر جنباً إلى جنب كرقيب عتيد يدون حسنات الشعر وسيئاته ، وتطور أكثر فصنف الشعراء في طبقات ، لن أستطرد أكثر في المقدمة ، فهي كلام لا جديد فيه وإنما من باب ذَكِّر فقط. ما يهمنا هنا أن نسلّم طوعاً أو كرهاً أن كل بيت التزم فيه قائله بسلامة الوزن والتراكيب وقوة العاطفة ، بما يتناسب مع غرض البيت ، وأدى معنى مفهوماً مألوفاً تستسيغه الطبائع العربية السوية فهو شِعر ، شاء نقاد العصر أم أبوا ، حتى لو تكرر معناه من شاعر إلى آخر بقوالب تتفق وقدرة كل شاعر ، وسواء صفق له الجمهور أم لم يصفق. وما ينبغي أن نتفق عليه في هذا الجانب هو البعد عن الحشو وسوقي المفردات وغريبها ، والتزام السهولة في غير إسفاف والجزالة في غير تقعر أو تكلف. أما عن الابتكار والتجديد في الصور والمشاهد والاستعارات والكنايات والوصول إلى درجة الإدهاش فهذه قدرات يختلف فيها الشعراء ، والاختلاف فيها يرجع إلى عدة عوامل أساسها الموهبة ، ثم قراءات الشاعر وخياله وتأملاته في الكون والحياة ، وما إلى ذلك من أشياء تولد الفكرة ، وترسم أبعادها وتوسع أفقها ، وقد أجاد وأبدع بعض الشعراء فيها ولا نستطيع أن ننكر ، لكن ما يطالعنا اليوم من شعراءَ ونقادٍ سلكوا مسلكاً مختلفاً يحاولون جاهدين أن يخلقوا الشعرَ خلقا آخر ، غير ما ألفناه واعتدناه ، بل فرق ما ابتكر المبتكر ، وإن كنا نقول بلسان واحد إن الابتكار محمود وضروري لكنهم جنحوا للغرابة وأنسوا إلى (السفسطة) ، فباءت أشعارهم بنفور الناس إلا قليل ممن هم على نفس ثقافتهم ، ومنهم من عاب الشعر البسيط الخالي من التكلف المناغي لمشاعر الناس الملائم لتجاربهم وسماه شعر الهدهدة ، وخاف على مستقبل الشعر منه ومن كتابه. عجباً وألف عجب! ألا يكون الشعر شعراً إلا إذا وافق ذوقه ودراسته هو أم أنه كره مسلك الوضوح أو عجز عنه فاختار الغموض والسفسطة؟ وإني لأتساءل حقاً ما الخطورة المتوقعة على مستقبل الشعر العربي من شعر يصف حالات شعورية مكررة ومرتبطة بظروف الناس ومعيشتهم وأحوالهم المتكررة والمستجدة؟! وهل سيطمئنون على مستقبل الشعر إذا سار مساراً ملغوماً بخوارق الصور وغرائب الاستعارات التي لا تستسيغها الطبيعة السليمة ، والتي قد تصل أحياناً إلى الاستخفاف بالذائقة؟ لماذا يريدوننا أن نستسيغ معهم بالقوة أن (للسماء خاصرة) و(للغيوم

جدائل) وأن (السفن تسير على اليابسة تاركة وراءها آثار عِيس) ، وغير ذلك من الشذوذ الذين يحاولون إقناعنا به؟ لماذا يظنون أصلاً أن الخط الذي رسموه للشعر هو الأصح والأحق أن يُتبع؟ ولو سلّمنا جدلاً بحقهم في هذا القلق وتلك الوصاية على مستقبل الشعر خصوصاً مع وجود حرية النشر لكل من أراد أن ينشر ديواناً - حسب مخاوفهم - فإنا نطمئنهم بأن الزبد يذهب جفاء ، وأن تاريخ الأدب لن يخلد إلا ما يستحق التخليد ، وأن الأسماء الهشة لا تثبت في القامات الراسخة. وأخيراً والحديث طويل جداً. إننا لا نملك الوصاية على أذواق الناس وميولهم لكننا نملك النقد البناء المنصف بعيداً عن المبالغة والإجحاف ، ونتفق على كلمة سواء وهي أننا لسنا إلا ذوقاً من أذواق مختلفة ومدرسة من مدارس مختلفة ، وأن البيت السهل الموزون المسطور على قواعد شِعر العرب ومنطقهم هو بيت شِعري سواء حلّق في سماء الخيال أم سار على أرضه ، وسواء كان عبقرياً مبتكراً أو جاء بسيطاً مكرر الفكرة).هـ. ومن هنا كان التميز الحق! ولنحاول أن ننظر كيف يقيمنا ويقيم شعرنا العربي غيرنا من أمم الغرب المنصفين منهم! وفي جريدة الشرق الأوسط قال الأستاذ الناقد رجاء ملاح ما نصه بتصرف زهيد: (لمن لا يعرف يواخيم سارتوريوس (1946م)؟ إنه من أبرز شعراء ألمانيا ومدير مهرجانات برلين ، يحمل شهادة الدكتوراه في القانون ، لكنه بدأ حياته المهنية كدبلوماسي على غرار أبيه. أقام في تونس ونيويورك وإسطنبول ونيقوسيا ، وعمل لفترة مديراً لمعهد غوتة. نشر أربع مجموعات شعرية ، كما ترجم الشعر الأميركي والفرنسي ، وله دراسات في الشعر ، منها «أطلس الشعر الجديد» ، كما لعب دوراً في مد الجسور بين الثقافتين الألمانية والعربية ، سواء من موقعه كمدير لمهرجانات برلين ، أو عبر مساهمة مجلة «ديوان». ومن أبرز كتب سارتوريوس «الإسكندرية سراب» الذي صدرت ترجمته العربية بتوقيع فارس يواكيم ، ومختارات شعرية عن «دار توبقال» المغربية بعنوان: «ما الذي يرى المرء حين يرى؟» ترجمة مصطفى السليمان ، ومجموعة «فندق الغرباء» عن مشروع «كلمة» للترجمة في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، من ترجمة مصطفى السليمان أيضاً. التقينا بالشاعر والكاتب يواخيم ساتوريوس أثناء معرض أبوظبي الدولي للكتاب ، وطرحنا عليه مجموعة من الأسئلة. فسألته: من المعروف أنك من المهتمين بآداب العالم الثالث ، وقد استضفت عدداً من الشعراء الأفارقة في مهرجان برلين الذي ترأسته أعواماً طويلة ، كيف تنظر إلى هذا الأدب؟ فأجاب: طرحت محوراً حيوياً في مهرجان برلين في عام 1988م ، وهو أوروبا كما يراها الكتاب من الخارج. واستضفنا لذلك عدداً من الشعراء الأفارقة أمثال: شينوا آشيبي من نيجيريا ، وجان ماري أديافي من ساحل العاج ، ونيغوغي واثينغو من غينيا ، وغيرهم من الشعراء والأدباء. وطرحوا عدداً من الموضوعات الساخنة في قصائدهم وتناولوا أموراً تخص: الفساد والعنف ومرض الإيدز وتدمير الطبيعة وتاريخ أفريقيا ومواجهة السردية ولغة الثقافات في أفريقيا. وقد أنار هؤلاء الشعراء تلك الموضوعات بشتى أنواع الرؤى، مما زاد من معرفتنا بهذا العالم الذي نبقى ، نحن الأوروبيين ، نجهله ، كما ألقوا بدورهم نظراتهم الخاصة بعالمنا الأوروبي ، وهكذا حصل نوع من التبادل الثقافي والمعرفي ، وهو أحد أهداف مهرجان برلين الذي سعى لأعوام طويلة لتقريب الرؤى بعضها من بعض. وسألته: أنت شاعر ولكنك مترجم أيضاً ، كيف تنظر إلى الترجمة باعتبارك ترجمت من اللغتين الإيطالية والإنجليزية؟ فأجاب: تتمتع كل لغة بكم هائل من الرموز والمعاني ، لذلك من الصعوبة القيام بالترجمة. وهناك من يدعي معرفة لغات كثيرة: كالفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية ، إنما تلك خدعة كبيرة ، لأن اللغة ليست عارية وحدها ، بل تحمل من الأساطير والحكايات والألغاز ما لا يتمكن شخص واحد من فك أسرارها وأنفاقها التي لا تنتهي. هناك نظريات كثيرة حول الترجمة ، ولعل أفضل من يترجم الشعر هم الشعراء ، ولكن من الصعوبة بمكان ترجمة

شعراء موتى لأنك لا تستطيع أن تسألهم عن المعاني العصية والغامضة في شعرهم، بينما يمكنك ذلك مع الشعراء الأحياء ، كما أن الموسيقى ضرورية للغاية في عملية الترجمة ، يجب أن ننتبه لموسيقى اللغة الأخرى ، ومن دونها لا يمكن القيام بالترجمة. ولا بد من توفر الأسباب الكافية لدى المترجم لكي يترجم عملاً ما ، أي الدافع الذاتي الحسي والمعرفي في آن واحد. على سبيل المثال، قمت بترجمة الشاعر الإيطالي جياكومو ليوباردي كانتي ، الذي لم يكن معروفاً في اللغة الألمانية ، لأنني أعجبت بما قاله عن سعادة الإنسان ، التي يؤمن بأنها تكمن في الأوهام ، وهي فكرة سحرتني ودفعتني لترجمته ، وهناك سبب آخر لأنه عاصر شاعرنا هولدرلن. وسألته: كيف تختار الشعراء الذين تترجم لهم؟ فأجاب: ترجمت لمجموعة كبيرة من الشعراء ، وهم: جون آزبري، وإي. إي. كيمنغز ، ووالاس ستيفنز ، وهو محرر وناشر أعمال مالكولم لاوري ، ووليم كارلوس وليمز. ولكل شاعر مكانة في نفسي ، وكما قلت قبل قليل ، لا بد من خلق أسباب لترجمة هذا الشاعر أو ذاك ، بمزيج من الظروف الموضوعية والذاتية. وسألته: ما رأيك في ترجمة الشعراء لشعراء آخرين؟ فأجاب: هذه مسألة في غاية التعقيد. قبل كل شيء ، أعتقد أن الترجمة عمل مستحيل حقاً ، ولكنني حين أستعير كلمات الشاعر الفرنسي ميشال ديغي: كلما كانت القصيدة تعبر عن نفسها كانت ترجمتها ممكنة ، واحتمالية عدم إمكانية ترجمة الشعر عارضها ألف مترجم ومترجم طوال سنوات ، لذلك أقول إن الترجمة الناجحة يجب أن تعتمد على البعد الكوني الذي تحتويه كل قصيدة ، من حيث المصطلح والإيقاع ، وهي عبارة عن صورة لأشعة إكس للأصل كما يقول الشاعر ميشال ديغي. وبالنسبة لترجمة الشعراء للشعر ، أقول هؤلاء يدمجون الأعمال المترجمة بحساسيتهم. وقد كتبت مطولاً حول هذا الموضوع في كتابي «الكلمات الأجنبية» ، وتطرقت إلى المشكلات التي تنتج عن ذلك. يمكنني أن أذكر ترجمات انغيبورك باشمان لشعر مونتالي ، وترجمات بول سيلان لشعر أوسيب ماندلستام ، الذي ظهر بأنه يتكون من 50 في المائة من روحية وشعر ماندلستام و50 من روحية وشعر بول سيلان. ومن ناحية أخرى ، يقول الشاعر تيد هيوز ، الذي نشر ترجمات من سبع لغات: إن تقديم أي شيء من حقيبة دواء المترجم مسألة غير ممكنة. إنني أتعجب كيف استطاع أن يتجنب ذلك ، أي أن لا يضفي من شعره على الشعر المترجم! ومن ثم يمكن أن نورد مثال الشاعر الأميركي والاس ستيفنسن ، الذي يعتبر أصعب شاعر عملت على ترجمته ، لأن هناك أربع مستويات في شعره ، أولاً: مستوى الفكرة ، التفكير والفلسفة ، وثانياً: الموسيقى ، وثالثاً: التنظيم والشكل واللغة ، ورابعاً: المحتوى الثقافي. ويمكنني أن أورد مثال ترجمتي لشعر جون آشبي بالتعاون مع كريستا كوبر ، وآشبي نفسه أصبح مترجماً من اللغة الفرنسية. وهكذا. وسألته: كنت مهتماً بالعلاقات التركية الألمانية ، منذ كنت مديراً لمعهد غوته في برلين ، هل يمكن أن تتحدث عن أهمية هذه العلاقات بالنسبة لألمانيا؟ فأجاب: قبل كل شيء ، كنت مديراً لمعهد غوته الذي يعنى أصلاً بنشر اللغة والثقافة الألمانية في أنحاء العالم ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، عملت في المجال الدبلوماسي ، الذي يهتم في جزء منه بالعلاقات بين البلدان وثقافاتها ، فكنت في المكان الذي يمكنني أن أقوم بهذه المهمة. كما أن تركيا استطاعت أن تنهض بنفسها على الصعيد السياسي ، وبالخصوص الصعيد الاقتصادي دون الحاجة إلى ألمانيا أو الاتحاد الأوروبي الذي سعت ولا تزال تسعى إلى الدخول فيه. وهكذا بدأت العلاقات الثقافية المتبادلة بين البلدين تأخذ أبعاداً أوسع. وبطبيعة الحال ، لا يمكن تصور ألمانيا ، هذا البلد الواسع بثقافاته وعمقه ، دون الجالية التركية المهاجرة ، وهي قادرة على إنجاز ما نطلق عليه الاندماج في الثقافة الألمانية. لذلك كان من واجبنا أن ندعم المؤسسات التي تعمل على تشجيع التنوع الثقافي. ولعل سياسة تركيا الثقافية في التخلي عن تقاليد أتاتورك ، وسقوط مفهوم الأمة الموحدة

والانخراط في العلمانية ، أديا إلى نهضتها المعاصرة ، وعلى الخصوص عندما بدأ البلد يكتشف جذوره الإثنية المتعددة وفنانيه وثراء إسطنبول المتعددة الثقافات. وتتعدى العلاقات الألمانية التركية السياسة لكي تغطي قطاعاً واسعاً من الفنانين والموسيقيين والمعماريين والأكاديميين والمخرجين السينمائيين ، وغيرهم. وعلى الرغم من العلاقات المتبادلة بين هذين البلدين ، تبقى ألمانيا بحاجة ماسة إلى تأسيس سياستها الثقافية تجاه تركيا ، وهي تمتلك الأدوات والوسائل الكافية لذلك. وسألته: إذن أنتم تركزون على العلاقات الثقافية بين البلدين رغم التنوع الشديد بينهما؟ فأجاب: ما يهمنا بالدرجة الأولى هو هذا التنوع الذي تتحدث عنه ، هو إغناء بشكل أو بآخر ، لا يوجد لدينا أهم من الثقافة في ترسيخ العلاقات العاطفية والمعرفية بين الشعوب. وكما لدينا قناة تلفزيونية مشتركة مع فرنسا تعمل وتبث برامجها باسم «آرتي» ، نطمح إلى تأسيس مثل هذه القناة مع تركيا في المستقبل ، وذلك نابع من أن وسائل التواصل الاجتماعي أخذت بالتنامي بدرجة كبيرة في العالم. هناك جيل جديد يتخاطب فيما بينه من خلال هذه الوسائل ، بل ويتبادل من خلالها المعرفة. نحن لا نستطيع أن نقف في وجه الأساليب التقنية الجديدة التي تسلح بها الجيل الجديد ، والتي تختلف عن أساليب التواصل التي اتبعها الجيل القديم. فأجاب: يعني يمكن أن نقول إنك شاعر منفتح على حضارات العالم وثقافاته المتنوعة؟ وسألته: بطبيعة الحال ، الشعر كونيّ بطبيعته ، وإذا بقينا منطوين على أنفسنا فلا يمكن تحقيق كونية الشعر وإنسانيته. وسألته: ما المدن التي أدهشتك وأثارت فيك الكتابة؟ فأجاب: لقد أدهشتني دمشق ، فهي من المدن القلائل في العالم التي تحمل الكثير والكثير من الذكريات التي تعود إلى حضارات مختلفة ومتنوعة جداً. في دمشق تستطيع أن تمشي في طبقات مختلفة من الحضارات والثقافات ، وكذلك الإسكندرية ، فهي من المدن النادرة التي وجدتها مطابقة للصورة التي رسمتها في خيالي عنها من خلال قراءاتي. ولا ننسَى أن الإسكندرية كانت مركز العالم الغربي طيلة ثلاثة قرون ، وهي أيضاً بلد الأدباء الذين شيدوها في ذاكرتهم أمثال: لورنس داريل وأونغاريتي وكفافي وفوستر وإدورد الخراط وأندريه أسيمان وغيرهم من العمالقة ، ويكفي أن هذه المدينة عاشت مع رواد الحداثة في الشعر العالمي. إضافة إلى أن أسطورة هذه المدينة أدبية بالدرجة الأولى ، ومكتبتها عبارة عن فردوس مفقود. ويمكن الحديث عنها إلى ما لا نهاية ، ويكفي أنني ألفت كتاباً عنها «الإسكندرية.. سراب». إن الإسكندرية مدينة الانفتاح والكوزموبوليتية ، فالمجتمع الإسكندراني يتميز بتعدد الجنسيات والثقافات ، وهو ما جعل منها مركز إشعاع حضاري متألقاً ، منذ تأسيس المدينة وحتى منتصف القرن العشرين. إنها من طراز المدن التي يخلدها الأدباء والكتاب والشعراء ، وهي تولد على الدوام من رمادها. وسألته: ماذا يمكن أن تقول عن الشعر العربي؟ فأجاب: يمكنني القول إننا نتعلم المشاعر العظيمة من الشعر العربي ، والحوار مع الحضارات والثقافات الأخرى. وهنا تكمن أهمية المهرجانات ، تأتي من أنها لا تقتصر على الحضور وإلقاء القصيدة ، ومن ثم الرحيل. فقد تولدت لدي أحاسيس جميلة من زياراتي لمهرجانات في كل من دمشق ودبي وغيرهما لأن التفاعل الحيوي بيننا جعلنا نعيش الآخر في صورته الحقيقية ، وليس صورته النمطية التي ورثناها من الآخرين. وسألته: ما مشاريعك الحديثة؟ حيث إنك تجمع بين كتابة الدراسات والشعر؟ وسألته أخيراً: ما مدى اطلاعك على الأدب العربي؟ فأجاب: إنني أطلع على الأدب العربي من خلال الترجمة ، لأنني لا أجيد اللغة العربية ، وهو أمر مؤسف لأن الشعر المترجم يفقد الكثير من جاذبيته وسحره أثناء الترجمة. قرأت لأدونيس وكتبت عنه ، وقرأت بعض الروايات العربية لكل من نجيب محفوظ وعلاء الأسواني وإدوارد الخراط وجمال الغيطاني ونجم والي وفاضل العزاوي. وقد أمضيت أسبوعاً في الإسكندرية مع الصديق الكاتب خالد الخميسي ، وهو يعرف لغات كثيرة مما سهل عملية

التخاطب والتفاهم بيننا. نحن الألمان كنا متابعين لأدب أميركا اللاتينية لسنوات طويلة ، وقد أهملنا الأدب العربي كما يبدو).هـ. وعودٌ إلى عنترة بن شداد بعد أن استطردنا تفاصيل كثيرة فكرتها العامة هي أن كل شاعر يعتبر انعكاساً لبيئته بكل خصائصها ومقوماتها ، وموروثاتها الثقافية وتقاليدها وعاداتها وسُلومها! وأن ذلك له كبير الأثر على ما يصدر عن ذلك الشاعر من قصائد! ومبدأ من مبادئ العرب في جاهليتهم وإسلامهم المحافظة على الصداقة ، فمثلاً يتمنى عنترة كما سوف نلمس من خلال قصيدته كيف أنه يتمنى لو كان مع صديقه الحميم مالك مسجىً في موتـــه واحتضـــاره ، يقول في نونيته الشهيرة على البحر الطويل المفضل لدى عنترة بن شداد:

أَلا يا غُـــرابَ البَيـــنِ في الطَيَـــرانِ ... أَعِرنـــي جَناحـــاً قَد عَدِمـــتُ بَناني

تُـرى هَل عَلِمـــتَ اليَـــومَ مَقتَـــلَ مالِكٍ ... وَمَصرَعَـــهُ في ذِلَّـــةٍ وَهَـــوانِ

فَإِن كانَ حَقّاً ، فَالنُجـــومُ لِفَقـــدِهِ ... تَغِيـــبُ ، وَيَهـــوي بَعدَهُ القَمَـرانِ

لَقَد كانَ يَومـــاً أَســـوَدَ اللَيلِ عابِســاً ... يَخـــافُ بَلاهُ طـــارِقُ الحَدَثـــانِ

فَلِلَّهِ عَينـــا مَن رَأى مِثـــلَ مالِـكٍ ... عَقـــيـــرَةَ قَـــومٍ أَن جَرى فَرَســانِ

فَلَيتَهُمـــا لَم يَجرِيـــا نِصـــفَ غَلـــوَةٍ ... وَلَيتَهُمـــا لَم يُرسِـــلا لِرَهـــانِ

وَلَيتَهُما ماتـــا جَميعـــاً بِبَلـــدَةٍ ... وَأَخطاهُمـــا قَيـــسٌ فَلا يُرَيـــانِ

لَقَد جَلَبا حَينـــاً وَحَربـــاً عَظيمَـــةً ... تَبيـــدُ سَـــراةَ القَـــومِ مِن غَطَفَـــانِ

وَقَد جَلَبا حَينـــاً لِمَصـــرَعِ مالِكٍ ... وَكانَ كَريمـــاً ماجِـــداً لِهِجـانِ

وَكانَ لَـــدى الهَيجـــاءِ يَحمي ذِمارَهـــا ... وَيَطعَـــنُ عِندَ الكَـــرِّ كُلَّ طِعـــانِ

بِهِ كُنـــتُ أَسطـــو حينَما جَدَّتِ العِـــدا ... غَـــداةَ اللَقا نَحـــوي بِكُلِّ يَمانـــي

فَقَد هَدَّ رُكني فَقـــدُهُ وَمُصابُـــهُ ... وَخَلّى فُـــؤادي دائِـــمَ الخَفَقـــانِ

فَوا أَسَفا كَيفَ اِنثَنـــى عَن جَـــوادِهِ ... وَما كانَ سَيفـــي عِنـــدَهُ وَسِنانـــي

رَماهُ بِسَهمِ المَـــوتِ رامٍ مُصَمِّـــمٌ ... فَيا لَيتَـــهُ لَمّا رَمـــاهُ رَمانـــي

فَسَوفَ تَـــرى إِن كُنتُ بَعـــدَكَ باقِيـــاً ... وَأَمكَنَني دَهـــرٌ وَطَـــولُ زَمـــانِ

وَأُقسِـــمُ حَقّاً لَو بَقيـــتَ لَنَظـــرَةٍ ... لَقَـــرَّت بِها عَينـــاكَ حيـــنَ تَراني

وهكذا كان الوفاء العنتري: فهو يحب صديقه كل هذا الحب ، ويبره كل هذا البر! فلا يخذله ولا يسلمه ولا يسمع به ولا يفشي أسراره ولا يتبرأ منه! وهو صاحب مبدأ لخوفه من أن ينال بسوء. إذ ليس هذا من شيم الرجال الشرفاء. صديق أخلص لصديقه لدرجة تمنيه الموت مع صديقه في ساعةٍ واحدة فيقول:

رماه بسهم المـــــوت رام مصمـــــــــمٌ فياليتـــــــه لما رمـــــــاه رمانـــي

أعطوني اليوم صديقاً هذا وصفه لصديقه ومحباً هذا كلامه لمحبه! ولسوف نعزز بقصيدةٍ ثانيةٍ في الرثاء وهي التي أنشدها يوم ماتت تماضر زوجة الملك زهير بن جذيمة العبسي ، وهي أم قيس بن زهير سيد سادات بني عبس ، وأحد أبطال بني عبس المغاوير المشاهير. وهنا ملحظ عجيب هو أن عنترة ساعة أحب الملك زهير أحبه لعله أفصحنا عنها من قبل وهي أن الملك زهير كان يذود عن عنترة في كل موضع ، وكانت تستهويه فروسية عنترة عندما أحب عنترة ودافع عنه وتبنى قضيته ونلحظ من السيرة العنترية (سيرة أبي الفوارس عنترة بن شداد) أن الملك زهير كان يضغط على زنادعنترة ويسكت القضية أن أراد إلى أن تحين الساعة التي يجمع فيها سادات بني عبس ويعلن بنوة عنترة ونسبه ومكانه في بني عبس! وليس هذا فقط ، بل وإعلان زواجه من ابنة عمه عبلة بنت مالك! ولكنه كان يقول لعنترة عندما يحين الوقت المناسب لذلك يا عنترة! وعنترة سمع كلام الملك زهير ، فأحب عنترة الملك وأخلص له ، فها نحن أولاء استمعنا لقصيدة في رثاء مالك بن زهير بن جذيمة! والآن نستمع ونطالع قصيدة أخرى في رثاء تماضر زوج الملك زهير بن جذيمة! أنشد على البحر الكامل يقول:

جـــازَت مُلِمّاتُ الزَمـــانِ حُدودَهـــا وَاِستَفرَغَـــت أَيّامُهـــا مَجهودَهـــــا

وَقَضَـــت عَلَينا بِالمَنونِ فَعَوَّضَـــت بِالكَـــرهِ مِن بيـــضِ اللَيالي سودَهـا

بِاللهِ ما بالُ الأَحِبَّـــــةِ أَعرَضَـــت عَنّا وَرامَـــت بِالفـــِراقِ صُدودَهـا

رَضِيَت مُصاحَبَـــةَ البِلى وَاِستَوطَنَت بَعدَ البُيـــوتِ قُبورَهـــا وَلُحودَهـــا

حَرِصَت عَلى طولِ البَقـــاءِ ، وَإِنَّما مُبـــدي النُفـــوسِ أَبادَها لِيُعيدَهـــا

عَبَثَت بِها الأَيّـــامُ ، حَتّى أَوثَقَـــت أَيدي البِلى تَحتَ التُـــرابِ قُيودَهـا

فَكَأَنَّما تِلكَ الجُســـومُ صَـــوارِمٌ نَحَتَ الحِمـــامُ مِنَ اللُحـــودِ غُمودَها

نَسَجَـــتْ يَدُ الأَيّـــامِ مِن أَكفانِهـــا حُلَلاً ، وَأَلقَـــت بَينَهُنَّ عُقودَهـــا

وَكَسا الرَبيـــعُ رُبوعَها أَنـــوارَهُ لَما سَقَتها الغادِيـــاتُ عُهودَهـــا

وَسَـــرى بِها نَشرُ النَسيمِ ، فَعَطَّـرَت نَفَحـــاتُ أَرواحِ الشَمـــالِ صَعيدَها

هَل عيشَـــةٌ طابَـــت لَنا إِلّا وَقـــد أَبلى الزَمـــانُ قَديمَها وَجَديدَهـــا

أَو مُقلَةٌ ذاقَـــت كَراهـــا لَيلَةً إِلّا وَأَعقَبَـــتِ الخُطـــوبُ هُجودَها

أَو بِنيَةٌ لِلمَجـــــدِ شِيـــــــدَ أَساسُها إِلّا وَقَد هَـــدَمَ القَضـــاءُ وَطيدَها

شَقَّت عَلى العَليا وَفـــــاةُ كَريمَـــةٍ شَقَّـــت عَلَيها المَكرُمـــاتُ بُرودَها

وَعَزيزَةٍ مَفقـــــودَةٍ قَد هَوَّنَـــــت مُهَجُ النَوافِـــلِ بَعدَها مَفقودَهـــا

ماتَت وَوُسِّـــــدَتِ الفَلاةَ قَتيلَـــــةً يا لَهـــفُ نَفسي إِذ رَأَت تَوسيدَهـــا

يا قَيـــسُ إِنَّ صُدورَنا وَقـــــدَت بِه نارٌ بِأَضلُعِنا تَشـــبُّ وَقودَهـــا

فَانهَض لِأَخذِ الثَـــــأرِ غَيرَ مُقَصِّـــرٍ حَتّى تُبيـــدَ مِنَ العِـــداةِ عَديدَها

وهكذا برع عنترة في تصوير الحزن والهلع أيما براعة! وهذا واضحٌ جليٌ من خلال الإيقاعات الحزينة والإيحاءات الأليمة التي احتوتها قصيدته الرثائية تلك. غير أننا نقف مشدوهين أمام بيته الذي يحتوي شيئاً من التوحيد والتسليم المطلق للقضاء والقدر! ويصور لنا أن عنترة يعرف من أين أتى ومن أين جاء وأنه أبصر أمامه الطريق فمشى! ويدري أنه مستخلف في الأرض ومفارقٌ لها ولأهلها! يقول متحدثاً عن تماضر زوج الملك زهير بن جذيمة:

حرصـــت على طول البقـــاء ، وإنمـــا مُبـــدي النفـــوس أبادها ليُعيدهـــا

إنه يصور ما جاء في الآية: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)! ونعيش مع قصيدةٍ رثائيةٍ ثالثة في رثاء الملك زهير نفسه! وهو يشبهه في هذه القصيدة بالبدر الذي اعتراه الخسوف ، فحجب نوره عن أهل الأرض ، وكان قد دارى الخسوف حتى ضوء النجوم ، ويتوعد عينيه في أحد الأبيات أنها إذا لم تدمع لحرم على كل منهما النوم:

خُسِـفَ البَـدرُ حيـنَ كانَ تَمامـــاً وَخَفـــي نـــورُهُ ، فَعـــادَ ظَلامـــــا

وَدَراري النُجـــــومِ غـارَت وَغابَـت وَضِيـــاءُ الآفـــــاقِ صـــارَ قَتامـا

حينَ قالـــــوا: زُهَيـــــرُ وَلّى قَتيلاً خَيَّـــمَ الحُـــزنُ عِندَنـــا ، وَأَقامـــا

قَد سَقاهُ الزَمـــانُ كَـــأسَ حِمـــامٍ وَكَذاكَ الزَمـــــانُ يَسقي الحِمامـــــا

كانَ عَوني وَعُدَّتـــي في الرَزايـــا كانَ دِرعـــــي وَذابِلي وَالحُسامـــا

يا جُفوني إِن لَم تَجـــودي بِدَمـــعٍ لَجَعَلـــتُ الكَـــرى عَلَيكِ حَرامـــــا

قَسَماً بِالَّـــذي أَمـــــاتَ وَأَحيـــا وَتَوَلّـــــى الأَرواحَ وَالأَجسامـــــا

لا رَفَعتُ الحُســـامَ في الحَـــربِ حَتّى أَتـــرُكُ القَـــومَ في الفَيافي عِظامـا

يا بَني عامِـــرٍ سَتَلقَـــــونَ بَرقاً مِن حُسامي يُجـــري الدِمـــاءَ سِجاما

وَتَضِجُّ النِســـــــاءُ مِن خَيفَـــــةِ السَبـ ـــــــي ، وَتَبكـــي عَلى الصِغارِ اليَتامى

ولنا مع بيته (قَسَماً بِالَّذي أَماتَ وَأَحيا وَتَوَلّى الأَرواحَ وَالأَجساما) وقفة! هذا هو عنترة الذي لم ير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يُخبر بأن من حلف بغير الله فقد أشرك أو فقد كفر في رواية أخرى! ولم يُخبر بأن من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت! ولم يُخبر بألا يقسم إذا أقسم بالآباء ولا بالأبناء ولا بالطواغي! وها نحن أولاء نجده يقسم بالذي أمات وأحيا وتولى الأرواح والأجساما! إنه الله رب العالمين – تبارك وتعالى -. واليوم تتعدد الأيمان والأقسام ولا نريد الإطالة فلهذا مقام آخر غير أننا أردنا الاستفادة من شعر عنترة ليس إلا! وعلى كل حال ليس لنا أن نغتر بإقسام بعض أهل الجاهلية بالله وحده ، ذلك أن هناك بعضهم يُقسم بالحجارة وبالأصنام والأوثان وبالمحبوبة وغير ذلك! وككل جاهليةٍ في زماننا الذي نعيش وجدنا من يقسم بالله ومن يقسم بغير الله ، بل إن المقسمين بغيره اليوم يدافعون عن هذا الذي يفعلون ويعتقدون بشدة ، وهذا إن دل على شيء فأنما يدل على فساد العقيدة! وإننا أردنا بهذه المقارنة أن نعيش مع أبي الفوارس ، عند قوله معبراً عن القسم في رثاء الملك زهير بن جذيمة: (قَسَماً بِالَّذي أَماتَ وَأَحيا وَتَوَلّى الأَرواحَ وَالأَجساما) فيزداد عجب البعض اليوم ويسألون: هل كان أهل ما قبل البعثة المحمدية يعرفون الله؟ نقول لهم: نعم! كانوا يعرفون الله ويعظمونه ويقسمون به وينذرون له ويعملون الصالحات ابتغاء مرضاته ، وإنما حرفوا ملة إبراهيم واتخذوا مع الله الآلهة والأرباب والأصنام والأوثان ، وهذا الذي جعلهم على غير دين إبراهيم عليه السلام إلا حفنة من الأحناف إذا تكلموا فلا يسمع لهم أحد ، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم! وإذن فهو توحيد ربوبيةٍ فقط ، كما يقول علماء التوحيد والعقيدة! وإن أشعار أهل الجاهلية لتمتليء بالاعتراف بربوبية الله للعالمين ، وهذا واضح لا يحتاج إلى إيضاح ولا دليل! ولمزيد من إقامة الحجة وبسطها لننظر بعض أشعارهم! فهذا هو النابغة الذبياني في اعتذاره للنعمان بن المنذر يقول من البحر الطويل:

حلفـــتُ ، فلم أتـــرك لنفسك ريبـــــة وليـــس وراء الله للمـــرء مذهـــــــبُ

ويقول في ذات القصيدة:

ألم تـــر أن الله أعطاك ســـــــــورة تـــــرى كل ملك دونهـــــا يتذبـــذبُ؟

وهذا هو زهير بن أبي سلمى يقول في معلقته الميمية:

فلا تكتمُـــــــــن الله ما في نفوسكـــــم ليخفـــى ، ومهما يُكتـــــم الله يَعلـــــم

يؤخـــرْ ، فيوضعْ في كتـــاب فيدخـــــر ليـــوم قيـــام ، أو يُعجـــلْ فينقـــــم

ونعود لعنترة حيث يخبرنا أنه إنما يمتلك السيف والجواد أدوات حرب وليست أدوات زينة! ثلاثة في واحد: اليد والسيف والجواد يساوي فارس! فإذا جاء التوحيد وجاءت العقيدة أضيف للثلاثة الروح فصار المجموع: العقيدة واليد والسيف والجواد يساوي فارس مسلم بملء الأرض من العنصر الأول الذي ليست لديه العقيدة ولا التوحيد! يقول عنترة من البحر البسيط هذه المقطوعة:

لا أملك السيـــف إلا قد ضربـــت به ولا تمـــوت جيبادي ، وهْـــي أغمـــارُ

ولا أعـــود مُهـــري أن أوقفـــه وسط الكمـــاة ، ولا يشقى بنا الجـــار

ضربت عمراً على الخيشـــوم مقتدراً بصـــارم مثل لـــون الملح بتّـــار

وهكذا يُجَلي لنا عنترة أن عدة الحرب عنده لغايةٍ ولعلة لا للتفاخر! وأنشد عنترة يخاطب إخوته من أمه:

أبني زبيبـــة ما لمهـركـــمُ متخـــدداً ، وبطونكم عجـــرُ؟!

ألكـــم بآلاء الوشيـــج إذا مَرّ الشيـــاه بوقعـــه خبـــر؟

إذ لا تـــزال لكم مغرغـــرة تغلي ، وأعلى لونهـــا صهـــر

لما غـــدوا ، وغدتْ سطيحتهـــم ملأى ، وبطـــن جوادهم صِفـــر

هذا ، وقبل أن يعترف شداد والدج عنترة ببنوته أي بأنه ابنه وليس عبده ، كان عنترة راعي الإبل مفتول الساعدين قوي البنية وثيق التركيب فيه ضلاعة ، وكان صلب العضل ومتين العصب شديد البضعة موثق الآداب شديد الأضلاع غليظ الألواح شديد الأوصال ريان العود والمفاصل عريض المنكبين عظيم الأجداد والتجاليد وكان رجلاً خشباً أي في جسده صلابة وشدة عصب وكان ذا جرأة وكان عظيم الخلق متباعد بعضه عن بعض! وهذه كلها صفات بدنية فوق ما كان يتمتع به من العفة والخلق وعظيم السجايا والمبادئ زنصرة الضعيف وقوة الإرادة والشجاعة والعزم والمضاء والإقبال. وبالطبع هذه صفات تستهوي الأنظار ويعجب بها الرجال والنساء! بل وكل من رآه ولما كانت النساء بصفةٍ عامة أكثر عاطفة من الرجال وأكثر انفعالاً وتذوقاً كان إعجاب النساء بعنترة أكثر من إعجاب الرجال. وهذا دفع سمية أو سهية زوجة شداد والد عنترة أن تراود عنترة عن نفسه رغم سواد لونه! ولا نريدج أن نستطرد في مقدمات ذلك ، فوق أنه لا يفيدنا في دراستنا الشعرية النقدية ، إذ لا مجال هنا لبسط أحداث قد لا ترقى إلى مرتبة الحدوث في الواقع! وإنما الذي أوردناه من قبل أنها كانت تكيد لعنترة ليس إلا! ونترك ذلك والإسهاب فيه لمخرجي الأفلام الساقطة من طبقة الأراذل المفسدين في الأرض! ومن كل همهم إثارة غرائز الناس لا إيقاد مشاعرهم وعواطفهم نحو الفضيلة والقيم! وكتب السيرة العنترية رهن من يريد مطالعتها! ولذا فنحن نكتفي هنا في هذه الدراسة الأسلوبية بإيراد الموقف للاستشهاد به على أنه ترجمة لقصيدة ما لعنترة نذكر جانباً منه فقط! ثم ندفع بمراودة سمية أو سهية امرأة شداد الأب لعنترة الابن في رحم التاريخ كحدث من الأحداث جرى أو لم يجر في تلك الحقبة من حقب التاريخ الغابرة! نقول: أعجبتْ سمية أو سهية بهذه الفحولة السوداء وهذه الرجولة المتفتقة وهذا الشباب الريان ، وهذين الساعدين المفتولين ، وتلك البنية المتناسقة فراودة صاحبها عن نفسه ، ويدخل شداد عليها وهي تحاول الإيقاع بعنترة في شباكها فادعت على الفور البراءة من فعلها الشائن وقالت كما قالت امرأة العزيز: إن عنترة يريد منها كذا وكذا وأنه يراودها عن نفسها وأنها البريئة العفيفة الشريفة الطاهرة ، وأن هذا العبد الأسود الآبق يريد الاعتداء عليها مستغلاً ضعفها وقلة حيلتها ملوثاً بذلك عرض سيده شداد ، ويبدو أنه قد نسي نفسه وتناسى أنه مجرد عبد يرعى غنم سيده فقط! وعلى الفور ألقت بالتهمة على عنترة المسكين فغضب شداد غضباً شديداً ، وضربه ضرباً مبرحاً فظيعاً ، ثم أهوى بالسيف يريد أن يقتله ، ولكن سمية العاشقة وقعت على شداد وكفته عن عنترة! بل إنها

بكت وتأثرت لما رأت الدماء تنزف من عنترة ، وأبصرت بالجراح في جسده وهي تعلم أنه البريء الشريف العفيف. فصاغ عنترة قصيدة في هذا المشهد تأثراً بالموقف الدنيء الذي حدث له وكان ضحيته فقال:

أَمِن سُهَيَّـــةَ دَمـعُ العَينِ تَذريـــفُ ... لَو أَنَّ ذا مِنكِ قَبلَ اليَـــومِ مَعـــروفُ

كَأَنَّها يَومَ صَـــــدَّت ما تُكَلِّمُنـــي ... ظَبيٌ بِعُسفـــانَ ساجي الطَرفِ مَطروفُ

تَجَلَّلَتنِيَ إِذ أَهـــوى العَصـــا قِبَلي ... كَأَنَّها صَنَـــمٌ يُعتـــادُ مَعكـــوفُ

المـــــالُ مالُكُمُ ، وَالعَبـــدُ عَبدُكُمُ ... فَهَل عَذابُـــكَ عَنّي اليَومَ مَصـــروفُ؟

تَنسى بَلائـــي إِذا ما غـــارَةٌ لَقِحَت ... تَخـــرُجُ مِنها الطُوالاتُ السَراعيـــفُ

يَخرُجـــنَ مِنها ، وَقَد بُلَّت رَحائِلُهـــا ... بِالمـــاءِ يَركُضُها المُـــردُ الغَطاريفُ

قَد أَطعُـــنُ الطَعنَةَ النَجلاءَ عَن عُرُضٍ ... تَصفَـــرُّ كَـــفُّ أَخيها وَهوَ مَنـــزوفُ

لا شَكَّ لِلمَـــرءِ أَنَّ الدَهـــرَ ذو خُلُفٍ ... فيهِ تَفَـــرَّقَ ذو إِلفٍ وَمَألـــــــوفُ

لقد برع عنترة في الذود عن نفسه بهذه القصيدة ، علاوة على أنه أخرج ما في نفسه من مكنونات المشاعر المكبوتة ومخبوء العذاب النفسي الذي سربل جوارحه ، وها نحن أولاء نجده قد أبدع في وصف الموقف بأسلوب أدبي بديع رامز! فلا هو وصف من مراودة المرأة شيئاً على عادة الكُتاب الأبالسة المنحلين المنحطين السفلة الإباحيين ساعة يكتبون عن لحظات الضعف البشري تلك ، أو من يخرجون الأفلام القذرة العهرية مثلاً وهم يضخمون المسألة لدرجة الملال والسآمة والقرف! بل القضية عند عنترة أنه يصوغ الشعر وفق ما حباه الله تعالى من أخلاق وشيم وقيم. فهو ليس على شيء من العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص لكنه مؤدب خلوق ذو نبل وشيم. وأيضاً قال عنترة يخاطب عمر بن أسود أخا بني سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم كما ورد عند الأصمعي بهذه الرواية وعلى البحر البسيط يقول:-

قد أوعدونـــــي بأرمـــاح معلبة ... ســود لقطن من الحومان أخلاق

لم يسلبوها ، ولم يعطوا بها ثمناً ... أيدي النعام ، فلا أسقاهمُ الساقي

ثم انتقل إلى مشهد آخر يصور فيه حال أمه زبيبة وهي تخاف عليه من المعركة ، وذلك بأسلوب قصصي بديع ، ثم يقرر أنه لا يخاف! وكانت هذه القصيدة في ذاتها لوناً من ألوان الحكاية السريعة الخاطفة القصيرة ، وفي ختامها يكون قراره هو ويسفر عن نواياه ، ويكشف النقاب عن مخبوء ما يريده وهو عيش العز والكرامة ، ورفض حياة المذلة التي يعيشها! فقال عنترة من الوافر:

تُعَنِّفُني زَبيبَـــةُ في المَـــلامِ ... عَلى الإِقـــدامِ في يَومِ الزَحـــامِ

تَخافُ عَلَيَّ أَن أَلقى حِمامـــي ... بِطَعـــنِ الرُمحِ أَو ضَربِ الحُسامِ

مَقـــــالٌ لَيسَ يَقبَلُهُ كِـــرامٌ ... وَلا يَرضـــى بِهِ غَيرُ اللِئـــامِ

يَخوضُ الشَيخُ في بَحرِ المَنايا وَيَرجِعُ سالِماً ، وَالبَحرُ طامي

وَيَأتي المَوتُ طِفلاً في مُهودٍ وَيَلقى حَتفَهُ قَبلَ الفِطامِ

فَلا تَرضَ بِمَنقَصَةٍ وَذُلٍّ وَتَقنَع بِالقَليلِ مِنَ الحُطامِ

فَعَيشُكَ تَحتَ ظِلِّ العِزِّ يَوماً وَلا تَحتَ المَذَلَّةِ أَلفَ عامِ

وهكذا كانت شخصية عنترة أنه رجل يرفض الذل ويأبى الهوان والاستكانة! يريد العيش العزيز ولو على الحطام وأكل أردأ الطعام ، ويرفض العيش الذليل ولو نام على ريش النعام! ويوضح ذلك قوله:

فَعَيشُكَ تَحتَ ظِلِّ العِزِّ يَوماً وَلا تَحتَ المَذَلَّةِ أَلفَ عامِ

وهكذا العزة ساعة تتمكن من النفس أنها تصوغها صياغة أخرى وجمالاً آخر! والآن ننتقل إلى قصيدةٍ أخرى في عرض آخر وهو الفخر! وهو من الأغراض التي عرفها الجاهليون الأوائل! والشاعر الذي يفتخر بنفسه وقومه وقبيلته يحقق لها من الشرف والسؤدد ما لا تحققه القوة ولا يحققه العدد والعتاد والرجال! أخذ عنترة يفتخر بنفسه وعلى البحر الوافر في قصيدة لامية قصيرة الأبيات ولكنها عميقة الفكرة:

فُؤادٌ لَيسَ يَثنيهِ العَذولُ وَعَينٌ نَومُها أَبَداً قَليلُ

عَرَكتُ النائِباتِ فَهانَ عِندي قَبيحُ فِعالِ دَهري وَالجَميلُ

وَقَد أَوعَدتَني يا عَمروُ يَوماً بِقَولٍ ما لِصِحَّتِهِ دَليلُ

سَتَعلَمُ أَيُّنا يَبقى طَريحاً تَخَطَّفُهُ الذَوابِلُ وَالنُصولُ

وَمَن تُسبى حَليلَتُهُ وَتُمسي مُفَجَّعَةً لَها دَمعٌ يَسيلُ

أَتَذكُرُ عَبلَةً وَتَبيتُ حَيّاً وَدونَ خِبائِها أَسَدٌ مَهولُ

وَتَطلُبُ أَن تُلاقيني وَسَيفي يُدَكُّ لِوَقعِهِ الجَبَلُ الثَقيلُ

وهناك في قصيدة أخرى على البحر الطويل والقافية الدالية راح عنترة يفتخر وينصح في آن واحد ، ويتضح لنا حتى من مطلع القصيدة التالية مبدأ العصامية والاعتماد على النفس ، بل والشجاعة والإقدام في اقتحام المعضلات ومعالجة المشكلات بالعزم والجدية والحكمة والثبات ، وذلك دون الاتكال على أحد سواء كان ذلك الأحد قائداً أم مقوداً ، يقول فيها عنترة:

وَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ إِذا لَم يَثِب لِلأَمرِ إِلّا بِقائِدِ

فَعالِج جَسيماتِ الأُمورِ ، وَلا تَكُن هَبيتَ الفُؤادِ هِمَّةً لِلسَوائِدِ

إِذا الريحُ جاءَت بِالجَهامِ تَشُلُّهُ هَذالِيلُهُ مِثلُ القِلاصِ الطَرائِدِ

وَأَعقَبَ نَوءُ المُدبِرينَ بِغَبرَةٍ وَقَطرٍ قَليلِ الماءِ بِاللَيلِ بارِدِ

كَفى حاجَةَ الأَضيافِ حَتّى يُريحَه عَلى الحَيِّ مِنّا كُلُّ أَروَعَ ماجِدِ

تَراهُ بِتَفريجِ الأُمورِ وَلَفِّه لِما نالَ مِن مَعروفِها غَيرَ زاهِدِ

وَلَيسَ أَخونا عِندَ شَرٍّ يَخافُهُ وَلا عِندَ خَيرٍ إِن رَجاهُ بِواحِدِ

إِذا قيلَ مَن لِلمُعضِلاتِ أَجابَهُ عِظامُ اللُهى مِنّا طِوالُ السَواعِدِ

وهكذا مضت القصيدة السابقة جوهرة نفيسة ولؤلؤة نادرة في المدح العربي والفخر والحماسة ، لدرجة أن الشعراء الذين أتوا بعده اعتمدوا كثيراً على ما ورد فيها من رموز وإيحاءات! بل واقتبس كثير من الشعراء في جميع العصور من هذا المعين الكثير والكثير! وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن التقسيم وجمال اللفظ وروعة الصياغة ورصانة الأسلوب! وعنترة كنموذج لشعراء الجاهلية يقف على الأطلال على عادة غيره من شعراء زمانه ، ففي معلقته وقف على الأطلال عندما قال في مطلع معلقته:

أعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم

ولقد حبست بها طويلاً ناقتي أشكو إلى سفح رواكد جُثَّم

ألا وإن هذا المطلع مذكور عند فريق من رواة ومدوني معلقة عنترة! ومطلع آخر عند فريق آخر يقول: هل

غادر الشعراء من متردم؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار (عبلة) واسلمي

وفريق ثالث يورد هذين البيتين قبل البيتين السابقين في نص واحد! ولدينا قصيدة أخرى بدأ فيها بالبكاء على الأطلال ثم تمادى في الفخر والحماسة ، فصاغ هذه القصيدة الميمية على الطويل يقول فيها:

قفا يا خَليلَيَّ الغَداةَ وَسَلِّما وَعوجا ، فَإِن لَم تَفعَلا اليَومَ تَندَما

عَلى طَلَلٍ لَو أَنَّهُ كانَ قَبلَهُ تَكَلَّمَ رَسمٌ دارِسٌ لَتَكَلَّما

أَيا عِزَّنا لا عِزَّ في النَاسِ مِثلُهُ عَلى عَهدِ ذي القَرنَينِ لَن يَتَهَدَّما

إِذا خَطَرَت عَبسٌ وَرائِيَ بِالقَنا عَلَوتُ بِها بَيتاً مِنَ المَجدِ مُعلَما

إِذا ما اِبتَدَرنا النَهبَ مِن بَعدِ غارَةٍ أَثَرنا غُباراً بِالسَنابِكِ أَقتَما

أَلا رُبَّ يَومٍ قَد أَنَخنا بِدارِهِم أُقيمُ بِهِم سَيفي وَرُمحي المُقَوَّما

وَما هَزَّ قَومٌ رايَةً لِلِقائِنا مِنَ النَاسِ إِلّا دارُهُم مُلِئَت دَما

وَإِنّا أَبَدنا جَمعَهُم بِرِماحِنا وَإِنّا ضَرَبنا كَبشَهُم فَتَحَطَّما

بِكُلِّ رَقيقِ الشَفرَتَينِ مُهَنَّدٍ حُسامٍ إِذا لاقى الضَريبَةَ صَمَّما

يُفَلِّقُ هامَ الدارِعيـــــــنَ ذُبابُـــــــهُ وَيَفـــــــري مِنَ الأَبطالِ كَفّاً وَمِعصَما

وهكذا تتجلى في هذه القصيدة معاني البأس والقوة والفروسية ، فهو يفلق هام الدارعين أي يقسمها إلى اثنتين ، وهذا تعبير غاية في الدقة والبراعة ، وعنترة فيها يمتدح جواده الأغر ، فكم كان يرفق به ويحبه ويصادقه ويرى أنه أفضل من بعض أشراف بني عبس المعجرفين المتكبرين ، وكم كان يلاطف الحصان ويداعبه ويدلله ويخصه بسيء من الحب كبير! ويختار في ساعات القيظ أن يبرده بالماء ويقوم على رعايته وكلئه بنفسه ، وفي القصيدة يتحدث إلى الجواد بنفسه ، وكان يسميه بالجواد الأغر الأبجر! يتحدث إليه في هذه القصيدة وكأنه صديقه أو صاحبه بلا مواربة وبلا احتقار! وكم كان يتمنى أن لو عامله علية القوم في بني عبس معاملته هو لجواده بكل احترام وتقدير! يقول عنترة في بائيته من البحر الوافر:

جَـــزى اللّهُ الأَغَرَّ جَـــزاءَ صِـــدقٍ إِذا ما أوقِـــدَت نـــارُ الحُـــروبِ

يَقيني بِالجَبيـــــــنِ وَمَنكِبَيـــــــهِ وَأَنصُـــرُهُ بِمُطَّـــرَدِ الكُعـــــوبِ

وَأُدفِئُـــــهُ إِذا هَبَّت شَمـــــــــال بَليلاً حَرجَفـــاً بَعدَ الجَنـــــــوبِ

أَراهُ أَهلَ ذَلِكَ حيـــــــنَ يَسعـــى رُعـــــــاءُ الحَيِّ في طَلَبِ الحَلوبِ

فَيُخفِقُ تـــارَةً ، وَيُفيـــــدُ أُخرى وَيَفجَـــعُ ذا الضَغائِـــــنِ بِالأَريبِ

إِذا سَمِنَ الأَغَـــــرُّ دَنا لِقـــــاءٌ يُغِصُّ الشَيـــخَ بِاللَبَنِ الحَليـــــــبِ

شَديـــــــدُ مَجالِزِ الكَتِفَينِ نَهـــــدٌ بِهِ أَثَـــــرُ الأَسِنَّـــــةِ كَالعُلـــوبِ

وَأُكرِهُهُ عَلى الأَبطـــــــــالِ حَتّى يُـــــرى كَالأُرجُوانِـــــيِّ المَجـــوبِ

أَلَســـتَ بِصاحِبي يَـــــــومَ اِلتَقَينا بِسَيفَ وَصاحِبي يَـــــــومَ الكَثيبِ

وأما في يوم الهباءة وهو يوم مشهور من أيام بني عبس وذبيان أنشد عنترة أنشودة حُدائية في سياقها ورثائية في الإيقاع ، وعموماً هي على مجزوء البحر البسيط: (مستفعلن فاعلن فعولن) راح يفتخر بنفسه ويثأر لها من أنه عربي أصيل حر ليس بالعبد الآبق! فيقول: (أنا عنترة الهجين أو أنا الهجين عنترة) والهجين في العربية ـ كما يحدثنا الأزهري – هو الرجل الذي أبوه عربي وأمه أمَة أي غير محصنة ، فإذا أحصنتْ فليس الولد بهجين. وأما الهجين من الخيل فهو الذي ولدته برذونة من حصان عربي أصيل! يقول عنترة في نونيته:

فإنّي أَنا عَنتَـــرَةَ الهَجيـــــنُ فَـــجُّ الأَتـــــانِ قَد عَلا الأَنينُ

يُحصَدُ فيهِ الكَـــفُّ وَالوَتيـــنُ مِن وَقعِ سَيفي سَقَـــطَ الجَنينُ

عِندَكُمُ مِن ذَلِكَ اليَقيـــــــنُ عَبلَةُ قَومي تَـــرَكِ العُيـــــونُ

فَيَشتَفي مِمّا بِـــــهِ الحَزيـــــنُ دارَت عَلى القَومِ رَحى المَنونِ

ونقلاً عن صحيفة لبان وتحت عنوان: (مستقبل الشعر .. سؤال البقاء وقلق الانقراض) جاء ما نصه: (رغم اختلافهم على تحولات الشعر وأشكاله وآفاقه القادمة ، إلا أنهم جميعا اتفقوا على بقائه ومستقبله. لا لشيء سوى أنه الشعر ، ذلك الجرح الأعمق في الروح منذ أقدم العصور ، وهو الوسيلة التي لجأ الإنسان إليها والمظلة الآمنة التي فزعت إليها البشرية عبر تاريخها المديد. ولا عجب أن تتساءل البشرية دائما عن مستقبل الشعر. فهو سؤال منبعه الخشية العميقة على هذا الكائن الجميل الذي رافق الإنسان منذ بدء الخليقة حتى الآن في هذا الاستطلاع تستقرئ (التكوين) آراء مجموعة من الشعراء العرب البارزين ، حول الشعر وما يتعلق به من سؤال البقاء وقلق الانقراض، فكانت إجاباتهم كالتالي: الشعراء خطيرون في تبنيهم المساجلة بين النسق الشعري الطبيعي والنسق الشعري المقدس! ويتفق الشاعر العماني عوض اللويهي مع حجازي قائلا: *تقتضي الإجابة عن مستقبل الشعر النظر إلى تاريخ التجربة الشعرية، وعلاقة تلك التجربة بالبشر ، وإن كان المجال هنا لا يسمح بالإطالة ، ولكن بالإمكان أن نمعن النظر ملياً في نشأة الشعر وعلاقته بالجانب الروحي والمقدس في الحضارات القديمة ، فهناك ارتباط وثيق بين الشعري والمقدس بل إن الشعر يكاد يكون في بعض الحالات التجلي الأبرز للمقدس والمعبر عنه في ذات الوقت. فالحضارات حتى وإن انقرضت فالمقدس كممارسة يومية أو طقوسية ينقرض بالضرورة بسبب زوال ممارسيه ولكن نجد أن الشعر قد بقي ووصل وهجه إلينا. ومن جهته قال الشاعر التونسي المنصف المزغني: يظل دائما هنالك مستقبل للشعر بأي معنى ، لأن هنالك كلمات وأفكاراً لم تولد بعد ، وهناك جمل وعبارات سيقولها شعراء سيولدون في المستقبل ، وهم في رحم المستقبل دائماً. ولا يمكن لنا أن نرجم المستقبل ونقول أن الشعر الآن يحتضر أو يموت ، ولكن لا بد من التأكيد على أن الشعر لم يعد يحتل المرتبة التي كان يحتلها في السابق. فقد تناهبت جمهوره قوى عديدة ، ممثلة في فنون أخرى جديدة ، إلى جانب ثورة الاتصال التكنولوجي. ولكن الشعر كفنٍّ يظل منوطاً بعهدة من سيتعهدونه بالمراس ، فربما يصير الشعراء أقلية ، وربما نقلد الغرب في هذا البرد الذي يعاني منه الشعر ، إذا علمنا أن الشعراء في الغرب لا يطبعون الدواوين بنفس الكميات والأعداد التي نطبعها نحن في العالم العربي ، وإنما يطبعون في حدود 200 أو 300 نسخة من الديوان. وتشاركنا الدكتورة فاطمة العلياني برأيها في هذا الموضوع موضحة أن القصيدة هي أغنية الفقد في ظل تعدد أوجاعنا العربية ، وهي البوح الذي يلازم الألم ويلسم لما يكتنز خلجات القلب. وتضيف العياني: *الشعر هو ذلك البوح الذي تسرب إلى تكنولوجيا الاتصال فتشربت به ، فإذا ما نظرنا إلى الجانب المشرق لذلك يمكننا القول أن التكنولوجيا ووسائل التواصل المختلفة عملت على دغدغة الذائقة الشعرية بما تحفل به من مقاطع شعرية صوتية وكتابية ، فلم يعد الأمر محصوراً بما يقتنيه القارىء من دواوين شعرية فحسب. وعن مستقبل الشعر يظهر جلياً بأن الشعر يظل الأداة التعبيرية الأقرب إلى النفس حين نغرق في بحار الفقد ، وتلاطمنا أمواج الحروب والمجازر التي تفتك بالإنسانية. وأما الشاعر والناقد الفلسطيني الدكتور عز الدين المناصرة ، فيُعرب عن رأيه قائلاً: إذا أردنا معرفة المستقبل وهو مجهول فعلينا أن نقيس على الماضي. فالقياس هو نوع من الاجتهاد في رسم الصورة ، وأقرب زمن في الماضي هو الحاضر ، أي أن ملامح الحاضر ربما لها علاقة بالمستقبل ، أو تحاول أن ترسمه ، لأن الظواهر لا تولد فجأة ، وإنما تولد بالتدريج مع بعضها. ويرى الدكتور عز الدين المناصرة أن الشعر ضرورة حياة واحتياج حقيقي ، وهناك أجيال من جديدة من لناس في المدارس والجامعات يكتبون الشعر ، وأنا ضد توجيههم إلى نسق معين ، بل نتركهم لابتكار ما تتفتح عنه قرائحهم ، لأن هذا الذي سيمنحهم الفرصة لاستخراج شيء مغاير ، وفي النهاية سيتصفون ، مثلما بقي حوالي خمسة فقط من

رواد الشعر الحر ومثله من الرواد في قصيدة النثر ، وهكذا تتصفى وتتضح الأمور. أما الشاعرة السودانية روضة الحاج فتقول: *أرجو أن لا أكون متفائلة جداً ، ولكنني أرى أن واقع الشعر بخير ومستقبله أيضاً بخير. لقد مر هذا الكائن الخرافي بمحارق عديدة ومتاريس كبيرة وبتحولات كونية ضخمة كان بإمكانها أن تجعل منه نسياً منسياً ، ولكنه بعبقريةٍ ما يحافظ على حقه في الحياة ، بل ويضيف عبر هذه التحولات أشياء إلى نفسه فيصحو ويتألق ويدخل إلى فضاءات جديدة. وهذا بالحديث عن الشعر كظاهرةٍ إنسانيةٍ عامة ، أما بالنسبة للشعر العربي ، فإنني عندما أتامل القصيدة العربية أرى أنها قد أفادت من هذه التحولات الكونية الهائلة ومن هذه التغيرات الرقمية والفضائية وارتقت بنفسها لتصعد إلى مكانة أعلى من الذي وصلته سابقاً. لذلك فأنا مطمئنة على مستقبل الشعر وأعتقد أنه مثل الحياة يجد طريقه دائماً).هـ.
ويقول الأستاذ الأديب علي رحماني عن مستقبل الشعر وتحولات الشعراء ما نصه بتصرف: (ما يشاع هذه الايام او يتردد في كتابات النقاد والمتابعين للشعر او الشعراء انفسهم في الصحافة الادبية العالمية وكذلك الصحافة العربية والمواقع الأليكترونية من الخوف من الشعر اونهايته او موته السريري وعزلته عن جمهوره وانحسار قرائه والعزوف عن قراءته وما الى ذلك من تغريدات في الصحافة الأليكترونية او الكتابات العابرة في اعمدة الصحافة اليومية في أفكار أدبائها ومفكريها والمبدعين أنفسهم. فالشعر كما نعلم ويعلم الكثيرون من متابعية وعشاقة وقرائه يمر أحياناً بفترات ضعف حسب ظروف المرحلة التي يعيشها الشعراء والمجتمع بأسبابها الموضوعية ولدينا مثال قريب في دراستنا الأكاديمية الأولى والفترة التي سميت بالمظلمة التي قرأنا فيها أسباب انحسار وضمور التعبير في توجه الشعراء وانعكاس مظامينهم في تلك الفترة. وبالمقابل قرأنا أيضاً أسباب نهضة الشعر وتطوره وظهور قمم جديدة عبرت عن واقعها وأثرت فيه تأثيراً كبيراً وطورت أدواتها ، واستطاعت أن تصل في التعبير عن التجربة بأعلى مستوياتها والأسباب أيضاً كثيرة ومتنوعة أهمها الاطلاع على الآداب العالمية وتأثير التطور في الحياة والعالم والتكنولوجيا وانعكاس الواقع الجديد في نظرة الشاعروتفاعله معها. وفي كل الأحوال كان المقياس هو اتجاه المتلقي وتواصل ثقافته وتناغم نظرته مع حالة الشعر الجديد ودائما تكون المقايسس والدراسات في النشر والتوزيع وسوق الكتاب هي المقياس لكل متابع ولهذا نشاهد دور النشر اليوم تفضل نشر الرواية على المجموعة الشعرية وتحاول الدراسات التشبث بعالم الرواية كذلك. واذا كنا اكثر دقة وموضوعية لندرس المجتمعات العربية وخصوصا في الدول التي ابتليت بالحروب وبعضها في الحصار بانواعه والعراق مثالا قريبا نجد الأمية بأنواعها ازدادت وخصوصا امية القراءة والكتابة بأرقام مخيفة حسب احصائيات الامم المتحدة ومنظمات التربية والعلوم فضلاً عن الأمية الثقافية الأخطر التي تعكس الحالة السياسية في فرض حالة التخلف والتراجع بكل المستويات ومجالات الحياة في التعبير والتطلع والقراءة. والشعر كما نعلم هو استجابة ومرونة لما يطرأ من أحداث وتغييرات تعكس قوته ورغم كونه لسان حال العرب وديوانهم كما يقولون فأن لأسباب تراجعه وعزلته أو العزوف عن قراءته وتحول الكثير من الشعراء الى كتابة الرواية كثيرة ومتنوعة ايضا تتقدمها النخبة الثقافية وتوجهها العام ....فالرواية كما نعلم تقوم على علاقة جدلية بين الروائي والمتلقي فتعبر تعبيراً مباشراً عن همومه اليومية سواء كان قارئاً أم ناقداً وسواء كان القاريء مثقفاً متخصصاً في الأدب أو من عشاقه أو قارئاً عادياً ، لأنها تشاركه همومه اليومية وتطرح قضاياه المصيرية مباشرة إضافة إلى إمكانية تحويلها إلى أعمال درامية في السينما أو التلفزيون أو حتى المسرح وهذه الميزة يفتقدها الشعر كثيراً. والسؤال الذي يطرح نفسه هل يبقى الحال على هذه الصورة وهل حقاً أن عصرنا عصر الرواية ، وانتهى زمن الشعر الى غير رجعة ، وهل يعني الاستغناء عن هذا

العالم الجميل المرهف المغامر المتطلع دائماً نحو التغيير المستمر ، وقد حملت الكثير من الروايات روح الشعر وجماليته وفضائه الواسع ولهذا نجح الشعراء الذين كتبوا الرواية الحديثة بإدخالهم تلك العناصر الجذابة للحدث الروائي بالحبكة الروائية وأمثلتنا كثيرة! أيضا فالواقع يفرض نفسه على الاديب في تعبيره الصادق ولكننا لم ننس فضاء الشعر الجميل الذي يؤدي دوراً حيوياً في التعبير عن التجربة بحرارة فمهما تراجع أو انتكس أو همشته التداعيات فلا يمكننا الاستغناء عن الجمال المتنوع في الحياة ولا خضرة الحدائق والأشجار والحقول ، أو زرقة السماء بعد هطول المطر ، أو حمرة الشمس في غروبها الأخير وتفاعل الإنسان مع وجودها وعمق تأمله وهي تعكس رؤيته الصادقة. ونقلاً عن صحيفة درر العراق: مستقبل لسان الضاد خارج بلاده.. البوسنيون يضربون المثل في حب اللغة العربية. والكاتب البوسني سرايكيتش يقرأ أبياتٍ عن اللغة العربية لحافظ إبراهيم بلباقةٍ بالغة ، وذلك بمهرجان الشعر بسراييفو 2008

أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِـــنٌ فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

فيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِنـــي وَمِنكُم وَإِن عَــزَّ الــدَواءُ أَساتي

فلا تَكِلوني لِلزَمـــــانِ فَإِنَّنـــي أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحيـــنَ وَفاتي

منذ قرن ، واللغة العربية تشكو الهجر والإهمال في موطنها ، كما عبرت أبيات شاعر النيل حافظ إبراهيم ، لكن ربما وجدت دعوى الشاعر المصري صداها في الشمال الأوروبي حيث بلاد البلقان وشعوبها العريقة البوسنة والهرسك ، دولة صغيرة من حيث الجغرافيا وعدد السكان ، تقع بعيداً عن العالم العربي ، لكنها تعطي المثال في حب العربية ، وعشقها ، والإبداع في التعبير عن ذلك. ويشعر البوسنيون أنهم مرتبطون ، رغم بُعد المسافة ، بالعالم العربي ، لدرجة أن أفديا حضروفيتش سفير البوسنة في القاهرة خلال حرب تسعينيات القرن الماضي ، تقدم بطلب لأمين عام جامعة الدول العربية آنذاك (عمرو موسى) لقبول البوسنة والهرسك عضواً مراقباً! اعتادت عائلات بوسنية عديدة إرسال أبنائها، في سن السادسة ، إلى كُتّاب الحي ، ليتعلموا الحروف العربية ، كي يتمكنوا من قراءة القرآن الكريم. أما على المستوى الرسمي ، فالعربية ، حاضرة وبقوة في المنهج التعليمي! فيوجد قسم لدراسة العربية وآدابها ، ضمن كلية الفلسفة جامعة سراييفو، بهدف لتخريج مدرسي العربية. كما تُدرس لغة الضاد بعدد من الكليات. كما توجد 6 مدارس ثانوية ، تابعة للمشيخة الإسلامية بالبوسنة والهرسك، تُدرّس العربية مادة أساسية. وقد أتقن العديد من الطلاب البوسنيين العربية، لدرجة المشاركة في مسابقات دولية والفوز بمراكز متقدمة. وأحدث تلك المسابقات تلك التي أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في مايو/أيار 2020 م ، تحت عنوان جائزة *بيان* للإبداع التعبيري بالعربية ، حيث حصد الطلاب البوسنيون المركز الأول في اثنين من فروع المسابقة الثلاثة! الطالب ناصر شابيتش ، الفائز بالمركز الأول في فرع *جائزة الفتيان* تحدث للجزيرة نت *أحببت العربية منذ أن كنت في الكُتّاب ، لأنها لغة ديني الإسلام ، ولغة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن أنهيت المدرسة الابتدائية ، التحقت بمدرسة عثمان ريجوفيتش الثانوية ، حيث أدرس العربية ومواد أخرى مرتبطة بهذه اللغة كالفقه والحديث والتفسير ويستطرد: *كلما تعلمتها أكثر زاد حبي لها*. وعن فوزه بمسابقة الإيسيسكو ، قال ناصر: (لم أفز وحدي ، بل كان معي فريق من زملائي ، وقد وفرت لنا المدرسة الأجواء المناسبة للتحضير والمشاركة بقوة في المسابقة* هذا تكريم

وتقدير كبير لي ولمدرستي ولبلدي البوسنة* هكذا يختم شابيتش كلامه. والتقت الجزيرة نت الطالب رياض سوباشيتش ، الذي قاد فريق كلية الدراسات الإسلامية بسراييفو ، للفوز بالمركز الأول فرع الشباب ، فقال *ارتبطنا باللغة العربية كعائلة ، فجدي من علماء البوسنة وكان مهتما بالعربية ، وقد أحببتها ، وقررت أن أتقنها ليس فقط بسبب أنها لغة القرآن الكريم ، لكن لأنها كلغة تعجبني ، وأشعر أنها تتميز بسعتها ، وجمالها في الصوت والشكلوعن مسابقة الإيسيسكو ، قال *عندما قررنا المشاركة ، كفريق ، قال لنا زميلنا حلمي (المنسق): لن نشارك بهدف المشاركة ، بل بهدف الفوز* ، وأكمل سوباشيتش *عقدنا العزم على الفوز ، ألفنا نصا بعنوان (الحاجة أم الاختراع) حفظته عن ظهر قلب ، ثم قمنا بتصويره في أماكن متفرقة بسراييفو ، وبهذا تمكنا ، أيضاً ، من تقديم سراييفو للعالم الإسلامي.. والحمد لله فزنا بالمركز الأول! ويختم حديثه بالقول *لي رجاء من إخواننا العرب أن يحافظوا على العربية ، وأن ينشروها ، وأهم شيء أن يتحدثوا بالفصحى ، حيث أجد صعوبة في التفاهم مع العرب الذين يزورون البوسنة عندما يتكلمون بلهجات مختلفة. يشترك مع سوباشيتش في الرأي آلاف البوسنيين الذي يجتهدون لتعلم العربية ، فيسافرون للدراسة بالدول العربية. لكنهم يفاجؤون بندرة وجود هذه اللغة ، فالجميع يستخدم العامية أو لغة *هجيناً* من العربية ولغات أجنبية. حتى أن المحاضرين بالجامعات يشرحون الدروس بالعامية! يقول عمر (طالب بوسني تخرج في جامعة الأزهر) *فوجئت بالأمر، في أول محاضرة ، فرفعت يدي ، وقلت للمحاضر: يا أستاذ أنا لا أفهم كلامكم ، لماذا لا تتكلمون بالفصحى؟ فأجاب: يا بني ، لو تكلمت بالفصحى فلن يفهم كلامي أغلب الحاضرين!* يبتسم عمر ، ويضيف *ثم اعتدت على ذلك ، وتعلمت العامية المصرية. سوباشيتش الفائز بالمركز الأول فرع الشباب في مسابقة الإيسيسكو جائزة *بيان للإبداع التعبيري. ومن جانبها قالت الطالبة سمية التي ذهبت لإحدى دول الخليج بهدف إتقان العربية *لم أجد اللغة العربية حاضرة في المجتمع هناك ، فالمواطنون يحرصون على الكلام بالإنجليزية أكثر من لغتهم الأم ، أما في الأسواق والأماكن العامة فتنتشر لغة مشوهة ليس لها علاقة بالفصاحة أو النحو ، أصحابها هم الوافدون من دول آسيوية وتستطرد سمية *قد أفهم ألا يجيد الأجنبي العربية ، ويتكلمها بطريقة غريبة، لكن ما لا يُصدق أن أهل البلاد قبلوا أن يتعاملوا بهذه اللغة المشوهة ، بل ويتواصلون بها مع الوافدين ، بدلاً من الحفاظ على لغتهم* لو فعلوا لوجد الأجنبي نفسه مضطرا لتعلم لغة البلد الذي يقيم فيه ، كما يحدث في كل دول العالم* تختم كلامها. وكما أحب البوسنيون العربية، فقد أحبوا الأدب العربي ، واهتموا به. وبرز مترجمون رواد ، من أصحاب المعرفة والخبرة ، عملوا على تقديم الأدباء والشعراء العرب إلى المجتمع البوسني ، من خلال الكتابات المتخصصة في الأدب العربي ، وترجمة الكثير من الروايات ، وكُتب الشعر العربي ، مثل الأكاديمي أسعد دوراكوفيتش الذي ترجم العديد من المؤلفات مثل *المعلقات ، ألف ليلة وليلة* كما قام الأستاذ محمد كيتسو بترجمة روايات نجيب محفوظ إلى البوسنية. كما تناول الكثير من الباحثين البوسنيين الأدب العربي بالدراسة والبحث ، مثل الدكتور ميرزا سرايكيتش مدرس الأدب العربي المعاصر بكلية الفلسفة جامعة سراييفو ، الذي قال للجزيرة نت *أحببت العربية كمسلم ، وأتقنت استخدامها أثناء دراستي في كلية الفلسفة ، ويضيف الدكتور سرايكيتش *نشأت ، من يومها ، علاقة وجدانية بيني وبين الشعر العربي ، رأيت فيه شاعراً حُرم من الدولة فأقام دولته في شعره. ولم يكن سرايكيتش مبتدعا في ذلك ، بل كان سائرا على خطى أستاذه أسعد دوراكوفيتش الذي أصدر عام 1984 م أول مختارات شعرية لدرويش بالبوسنية بعنوان *القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم*. وبهذا تتواصل أجيال الأدباء والمثقفين البوسنيين في حب العربية والأدب العربي. ورغم مرور أكثر من قرن على أبيات شاعر النيل حافظ ، فإنها ما زالت صالحة ،

بل زادت الحاجة إليها، بعد أن زاد البين/البون بين العربية وأبنائها. ونسأل هل الشعر السياسي العربي ما زال موجودا؟ والشاعر الذي وقف دائماً ضد السلطة الجائرة فأين اختفى اليوم. حضر الشعر السياسي العربي الحديث في الحياة العربية بشكل فاعل على المستوى الأدبي والشعبي ، ولمعت فيه أشعار وأسماء ، وكثيراً ما تداول الناس في أواسط القرن العشرين وما تلاها أخباراً عن قصائد شعرية سياسية ، كانت تنشر على صفحات الجرائد أو تلقى في المنابر ، لتمر إلى جلسات البرلمانات وتنتهي بفترات اعتقال يقضيها الشعراء في سجون السلطة. فهل ما زال الشعر السياسي العربي على حاله.. في عصر الفضائيات والإنترنت والتفتت والضعف السياسي العربي؟ لم تأتلف العلاقة يوماً بين السياسي والشعري، فهي ملتبسة وغامضة ، وغالبا ما يتضادان ويتصارعان ، وقليلاً ما يتقاربان ، فعبر التاريخ تجاذبت حياة الناس اختلافات وصراعات وصلت إلى حدود العنف النفسي والجسدي. وبحكم أن الأطراف المتحاربة تحمل رؤى متضاربة فإنها تتخندق في منظومات فكرية محددة ، تتراشق من خلالها مع الآخر. ومع وجود الفنون وخاصة منها الشعر ، سخر الإنسان إياه ليكون أحد الأسلحة التي يبين من خلالها رؤاه وفكره. عربياً ، يثبت لنا التاريخ الأدبي أن الشعر السياسي كان موجودا منذ أن عرف الشعر. ففي مرحلة الجاهلية كان الشعر لسان حال بعض القبائل المتحاربة التي تعتبره أداة للدفاع عن نفسها والتصدي للخصوم. لذلك كان الشاعر الفارس دريد بن الصمة يقول موضحاً بكونه منتمياً إلى درجة التماهي مع قبيلته سواء في الغي أو الرشد: (وما أنا إلا من غزية إن غوت/ غويت وإن ترشد غزية أرشد). ومع مرحلة صدر الإسلام صار الشعر السياسي أوضح وباتت له مكانة في الدفاع عن الإسلام ضد خصومه خاصة في وقت الحروب. وكانت للشعر السياسي في التاريخ العربي قفزة نوعية في فترة الدولة الأموية ، والصراعات الدموية التي نشأت والتصادمات الفكرية العنيفة التي صدعت الوحدة السياسية العربية والإسلامية حينها. فذهب كل فريق إلى جلب شعراء يقفون معه ليكونوا صوته المسموع في الصراع الفكري وحتى الحربي العسكري. ومع وجود الفرق والطوائف والجماعات والنحل كان لكل منهم خطه الشعري السياسي الخاص به. واستمر ذلك في عصر الدولة العباسية وإن كان بزخم أقل. وظلت الأصوات الشعرية الهامة تصدح بين فترة وأخرى كما قال المتنبي في عصر سياسي عربي مضطرب منتقداً هيمنة الأعاجم على الحكام العرب واستلاب إرادتهم: وَإِنَّما الناسُ بِالمُلوكِ/ وَما تُفلحُ عُربٌ ملوكُها عَجَمُ/ لا أَدَبٌ عِندهُم وَلا حَسَبٌ/ وَلا عُهودٌ لَهُم وَلا ذِمَمُ. الشعر السياسي الحديث لم يكن موجها ضد الآخر ، قومياً أو دينياً ، بل كان موجهاً من الشعراء إلى حكام أوطانهم. في العصر الحديث ، ومع وجود حركات التحرر العربية ضد قوى الاحتلال ، كان للشعر السياسي وجود هام ، وكان أحد الأشكال التي تبنتها الشعوب في مقارعة قوى الاستعمار ، وظهرت أسماء شعرية عربية هامة على امتداد العالم العربي ، مثل معروف الرصافي ، حافظ إبراهيم ، عمر أبوريشة ، أبوالقاسم الشابي ، أحمد شوقي ، الأخطل الصغير ، نزار قباني وغيرهم. وبالطبع كان للقضية الفلسطينية وضع خاص ، لكونها الوحيدة التي ظلت نازفة فظهر فيها العديد من الشعراء الكبار مثل إبراهيم طوقان ، محمود درويش ، سميح القاسم وغيرهم. وإضافة إلى كل ذلك ، وجد في العصر الحديث شعر سياسي لم يكن موجهاً ضد الآخر ، قومياً أو دينياً. بل كان موجهاً من هؤلاء الشعراء إلى حكام أوطانهم بعيداً عن انتماءاتهم السياسية. فمعظم حكام الوطن العربي في العصر الحديث من الذين ساهموا وصنعوا أوضاعاً سياسية واجتماعية قلقة في بلدانهم ، نتيجة الحكم الشمولي السلطوي ، وهذا ما أوجد طيفاً من المشكلات الاجتماعية المختلفة في الحكم والسلطة والحياة العامة والحريات ، الأمر الذي دفع بالشعراء إلى الكتابة عن تلك المواجع بتهكم وسخرية حيناً ، وسب وشتم حيناً آخر ، تلميحاً مرة وصراحة مرات. كان طبيعياً ،

ألّا يقف الجميع على مبدأ واحدٍ من حيث تقبلهم لفكرة وجود الشعر السياسي ، ما دفع بعض الشعراء والأدباء والمفكرين إلى رفضه. وبعضهم كان على رأي الشاعر السوري أدونيس الذي طلب في كتابه الشهير "زمن الشعر" ألّا يكون الشعر سياسياً مؤدلجاً وأن يكون ثمة فصل بين الشعر والسياسة ، لأن الشعر يجب أن يكون خارج التأطير في نهج فكري محدد. وبحسب رأيه فإن الشعر يجب أن يبقى ضمن إطار الشرط الفني الجمالي. أما الشاعر الشهير نزار قباني الذي كتب الشعر السياسي وكانت له فيه حروب شهيرة ، فيقول في حديث للصحافي فاروق جويدة: «ليتني ما عشت زمن القبح ، وليتني ما كتبت شيئاً في هجاء الواقع السياسي العربي ، إن أكثر الأشياء التي تسيء للشعر قربه من السياسة ، لأنه أحياناً يتحول إلى منشوراتٍ ودعواتٍ أيديولوجية. كنت أتمنَّى أن أظل مغرداً في عالم الحب ، لأن شعر الحب لا يفنى ، ولكنني أشك في أن تبقى قصائد السياسة. أعترف بأنني نادم على شعري السياسي. وسار بعض النقاد على أن صناعة الشعر كفعل إبداعي في حد ذاته هو سياسة ، لكون الشاعر يفعل ذلك من خلال موقف حياتي محدد سيكون مبنياً على موقفٍ سياسي محدد ، وبذلك ذهبوا إلى رفض فكرة تصنيف الشعر إلى وطني وعاطفي وذاتي وغيره. الشاعر العراقي عدنان الصائغ الذي دخل معترك الشعر السياسي يقول "لقد كانت فكرة الاستعانة بفن الخطاب المستتر وسيلة ناجعة في البداية. ووجدتُ فيها إغراء في المغامرة والتحدي والإبداع معاً. خاصة وأن مقص الرقيب الحديدي لم يكن يترك لنا أقلّ فسحة لنطل برؤوسنا الضاجة خارج ما هو مسموح به. وجلّ النقاد والعاملين في مجال الشعر يرون أنه لا يمكن الفصل بين الشاعر وما ينتجه لكون هذا الشعر ناجماً عن ذهنية فكرية محددة لا بد أنها مبنية على توجهات معرفية ووجدانية ابتناها الشاعر من خلال مواقف حياتية ووجهات نظر له فيها تتعلق بمواضيع عامة كقيم عُليا في المجتمع من حرية ومعرفة وعمل ومساواة وغيرها. ولقد حصل الصدام بين الحكام والشعراء ، فكانت السجون ساحات سجالٍ بينهما ، وكذلك الصحافة والمنابر الإعلامية ، وتمترس كل في حصنه ، هذا بعسسه وذاك بكلماته وبدأت المعركة التي لم تنته حتى يومنا هذا. أصوات شهيرة ارتفعت تقاوم سلطة الحاكم وتدك حصونه شعراً ، كان منهم الشاعر والأديب والكاتب والناقد مصطفى لطفي المنفلوطي ، الذي قال في هجاء حاكم مصر الخديوي عباس يوماً:-

قـــــدوم ولكن لا أقـــــول سعيد وملك وإن طال المـــــــدى سيبيـد

رحلت ووجه الناس بالبشر باسم وعدت ، وحزن في القلـــوب شديد

وفي مرحلة لاحقة كتب الشاعر نزار قباني قصيدته الشهيرة السيرة الذاتية لسياف عربي ، وكانت تزيد عن المئة وخمسين بيتاً ، وراجت في كل أرجاء العالم العربي وتابعها السياسي والأديب والمواطن العادي. هذه القصيدة كانت سبباً في منع دخول نـزار قباني عدداً من البلدان العربية ، الأمر الذي استمر لسنوات. يقول فيها قباني ، بنبرة تحدٍ كبيرة للحاكم العربي المتفرعن ، وهو يصف ما يقوم به أي واحد منهم في بلده:-

أيّها الناسُ/ أنا الأوّلُ والأعدَلُ/ والأجملُ ، من بينِ جميعِ الحاكمينْ/ وأنا بدرُ الدُجى ، وبياضُ الياسمينْ/ وأنا مخترعُ المشنقةِ الأولى../ وخيرُ المرسلينْ/ كلّما فكّرتُ أن أعتزلَ السُّلطةَ/ ينهاني ضميري../ مَن تُرى يحكمُ بعدي هؤلاءِ الطيّبيينْ؟

وفي قصيدة أخرى بعنوان "الممثلون" ، يتهكم قباني على كل الحكام ، وعلى التباكي الذي صنعوه بعد هزيمة يونيو 1967م ، حيث يقول فيها:

حرب حزيران انتهت فكلُّ حربٍ بعدَها، ونحنُ طيّبونْ

أخبارُنا جيّدةٌ وحالُنا ـ والحمدُ للهِ على أحسنِ ما يكونْ

جمرُ النراجيلِ... على أحسنِ ما يكونْ

وطاولاتُ الزّهرِ ما زالتْ على أحسنِ ما يكونْ

والقمرُ المزروعُ في سمائِنا مدَوَّرُ الوجهِ على أحسنِ ما يكونْ

وصوتُ فيروزَ من الفردوسِ يأتي: نحنُ راجعونْ

تغَلْغَلَ اليهودُ في ثيابِنا ، و"نحنُ راجِعونْ "

صاروا على مِترَينْ من أبوابِنا ، و"نحنُ راجِعونْ"

ناموا على فراشِنا ، و"نحنُ راجِعونْ"

وكلُّ ما نملكُ أن نقولَهُ: إنّا إلى الله لَراجعونْ

الشعراء الذين كتبوا الشعر السياسي لم يبق لمن مازالوا أحياء منهم إلا استذكار ماضيهم الثائر وسط عزلة العمر والجغرافيا! الشعراء الذين كتبوا الشعر السياسي لم يبق لمن مازالوا أحياء منهم إلا استذكار ماضيهم الثائر وسط عزلة العمر والجغرافيا! في جانب آخر ، وفي العراق ، يصدر صوت عالي النبرة ، قدم سجالات شهيرة في الشعر السياسي المقاوم للسلطة العربية بكل أشكالها. الشاعر أحمد مطر ، الذي عمل مطولاً من خلال صحيفة القبس الكويتية في ثمانينات القرن الماضي ، وكان يكتب في الصفحة الأولى قصائد تحمل روح التمرد والتهكم على الحاكم العربي والمجتمع العربي ، وكان ينشرها تحت اسم لافتة. وكان شريكه في الصحيفة حينها الفنان الفلسطيني ناجي العلي الذي كان يقدم رسوماته الناقدة في الصفحة الأخيرة. يكتب أحمد مطر في لافتته الأولى في صحيفة القبس عام 1980 م ، قصيدة بعنوان قصة عباس تهكم فيها على مدى صدق الحكام والمعنيين بحماية الوطن ، وما يقومون به حقيقة في سبيل ذلك ، برمز اسمه: (عباس):

عَبّاسُ وَرَاءَ المِتْرَاسْ/ يَقِظٌ مُنْتَبِهٌ حَسَّاسْ/ مُنْذُ سِنِينِ الفَتْحِ يُلَمِّعُ سَيْفَهْ/ وَيُلَمِّعُ شَارِبَهُ أَيْضَا.. مُنْتَظِرا مُحْتَضِنا دُفَّهْ/ بَلَعَ السَّارِقُ "ضفّةْ"/ قَلَّبَ عَبَّاسُ القِرْطَاسْ/ ضَرَبَ الأَخْمَاسَ لأَسْدَاسْ/ بَقِيَتْ "ضفَّةْ"/ لَمْلَمَ عَبَّاسُ ذَخِيْرَتَهُ وَالمِتْراسْ/ وَمَضَى يَصْقلُ سَيْفَهْ/ عَبَرَ اللِّصُّ إِلَيْهِ وَحَلَّ بِبَيْتِهْ/ أَصْبَحَ "ضَيْفَهْ"/ قَدَّمَ عَبَّاسُ لَهُ القَهْوَةْ.. وَمَضَى يَصْقِلُ سَيْفَهْ/ صَرَخَتْ زَوْجَتهُ: عَبَّاسْ../ ضَيْفُكَ رَاوَدَني عَبَّاسْ/ أَبْنَاؤُكَ قَتْلى عَبَّاسْ/ قُمْ أَنْقِذْني يَا عَبَّاسْ/ عَبَّاسُ اليَقِظُ الحَسَّاسْ مُنْتَبِهٌ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئا/ زَوْجَتُهُ تَغْتَابُ النَّاسْ/ صَرَخَتْ زَوْجَتُهُ: عَبَّاسْ/ الضَّيْفُ سَيَسْرِقُ نَعْجَتَنَا/ قَلَّبَ عَبَّاسُ القِرْطَاسْ/ ضَرَبَ الأَخْمَاسَ لأَسْداسْ/ أَرْسَلَ بَرْقِيَّةَ تَهْدِيدْ/ فَلِمَنْ تَصْقُلُ سَيْفَكَ يَا عَبَّاسْ/ لِوَقْتِ الشِّدَّةْ/ اصْقُلْ سَيْفَكَ يَا عَبَّاسْ

ولم يكتف أحمد مطر بذلك، بل سار أبعد فوصل تهكمه بالحكام إلى فضح ما تقوم به الدول الكبرى في سبيل تعيين عدد من الحكام الذين هم أدواتها في حكم شعوب المنطقة ولو كانوا لا يصلحون. يكتب مطر في قصيدة تبديل الأدوار متناولاً الحِيَل والأسافين التي يستخدمها ساسة الدول الكبري لخداع الدول الصغرى:-

رأت الدول الكبرى تبديل الأدوار

فأقرت إعفاء الوالي

واقترحت تعيين حمار

ولدى توقيع الإقرار نهقت كل حمير الدنيا باستنكار:

إن حموريتنا تأبى أن يلحقنا هذا العار

جُل النقاد والعاملين في مجال الشعر يرون أنه لا يمكن الفصل بين الشاعر وما ينتجه من قصائد بعد هذا التاريخ الطويل من وجود الشعر السياسي خاصة ما كان ضد السلطة ، فإننا نتساءل اليوم عن السبب في أفول نجم هذا الشعر ، فقامات كأبي القاسم الشابي والرصافي وقباني ومطر ومظفر النواب ، وتجربة أحمد فؤاد نجم في الشعر العامي والتي حققت رواجاً كبيراً خاصة عندما تعاون مع المغني الشيخ إمام أو محمود درويش ومارسيل خليفة كلها تجارب لم تتكرر أو تتواصل بقيت الساحة فارغة إلا من بعض المحاولات الفردية هنا وهناك. فالثابت أن الشعر السياسي الذي واجه السلطة وحاربها ، قلّ في العقدين الأخيرن لأسباب شتى. فمشاهير هذا الشعر رحلوا عن الدنيا أو عن أوطانهم وعاشوا في مدن خارج الوطن العربي ، مثل لندن التي عاش فيها نزار قباني وأحمد مطر وناجي العلي وغيرها من المدن الأوروبية. ولم يبق لمن بقي منهم إلا استذكار ماضيهم الثائر وسط عزلة العمر والجغرافيا. وربما كان لواقع وجود البرامج السياسية الحوارية العديدة التي تقدمها قنوات متخصصة أثر في هذا التراجع حيث ظهرت في هذه البرامج قامات فكرية وإعلامية قامت بانتقاد السلطات العربية في الوطن العربي بشكل حادّ وقاس وبأشكال جدية أو ساخرة ومتهكمة ، الأمر الذي كان يفعله سابقا شعراء السياسة. وربما كان أفول نجم الشعر السياسي عائداً أيضاً إلى حجم التراجع الجمالي العام وتراجع الإقبال على الشعر والفنون من قبل المواطن العربي الذي تم سحقه بآلاف محطات الكليبات والقنوات الدينية المزورة ، وهذا ما أفقد الأجيال العربية الجديدة القدرة على تذوق هذا النمط الشعري الذي كان رائجاً في فترة هامة من تاريخ العرب الحديث. والأستاذة نبيلة الخطيب تقول تحت عنوان: (الشعر العربي بين الأمس واليوم) ما نصه بتصرف: (كان للشعر مكانة لا تضاهيها مكانة ، حيث كان يُعدّ ديوان العرب الذي يحمل همومهم ويصوّر أشجانهم ويتصدّر حياتهم الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية كونه الوسيلة الإعلامية الأكثر رواجاً. فلماذا ضَعُف حضور الشعر العربي في وقتنا الحاضر؟ وما دور الفضائيات في ذلك؟ وما موقف الشعر الإسلامي المعاصر من معاناة الأمة؟... هذه الأسئلة وغيرها نطرحُها على الشاعرة نبيلة الخطيب في هذا الحوار. يمكن للشعراء وللناشرين والنقّاد أن يلاحظوا أنّ هناك انحساراً في الاهتمام بالشعر حتى أصبح يعاني كساداً بعد أن كانت بضاعته رائجة: فمن يتحمّل المسؤولية؟ علينا أن نُقرّ أولاً أنّ الشعر في انحسار وهذه حقيقة ، وأسباب هذا الانحسار لا تتحمّله جهة دون أخرى ؛ فالمسؤولية مشترَكة ولكنها متفاوتة. فإذا نظرنا إلى ما قبل الغزو التقني والمعلوماتي بما فيه الإنترنت والفضائيات وجدنا أنه كان للشعر قَصَب السَّبْق كونه الممثل الإعلامي والدعائي والموجِّه

النفسي: فبيتُ شعر كفيل بأن يَعقد ألوية الاقتتال ، وآخر يخمد أجيجها، وبه يُرفع أقوام ويُخفض آخرون... إلى هذا الحدّ كان للشعر مكانه ومكانته ؛ فحريٌّ به أن يكون الرائج والصوت العالي. أما اليوم ـ وكما ألمحتُ آنفاً ـ فإنّ الغزو التقني احتلّ الساحة كلها حتى المشاعرية التي كان ينفرد بها الشعر ، وأقصد بالتقني أيضاً ألوان الفنون المختلفة من سينما ومسرح وفن تشكيلي وغيرها. الشاعر نفسه له دور في هذا الانحسار ؛ فقد ابتعد في الغالب عن جَسِّ واقع أمته من آلام وآمال إما رغبة أو رهبة ، فلم يعد الشعر يلامس حاجات الناس المختلفة فانزوى في مربع المشاعر المغلقة التي ما عادت تُغري أو تُشبع نَهَم الشارع والمثقف. أما الناشر والموزِّع فهما في النتيجة تاجران يحكمهما السوق والعرض والطلب والإقبال والإحجام. فماذا يستطيع الشعر أن يفعل اليوم في عصرنا الاستهلاكي ، الذي لم يعد يبالي بهذه الحرفة القديمــة وأصحابها؟ هذا سؤال مهم جداً وحريٌّ أن نقف عليه طويلاً ؛ نحن نعيش الآن في عصر استهلاكي يغلب عليه نمط العيش الآخر الذي يستدين من المستقبل ليطعم الحاضر ، ويستنفد طاقاته وإمكاناته حتى الرمق الأخير ، بحيث أضحى التسوق متعة ، وأصبحت تقام المهرجانات للتسوق وانتشرت ثقافة الترويج والاستهلاك. ولكن هل الشعر باعتباره سلعة قادر على دخول سوق المنافسة؟ وهل الاستثمار في الشعر ممكن كتابةً ونشراً وتوزيعاً وتسويقاً؟ وهل للشعر مكان في هذه المنظومة المتعصبة للربح الآني؟ إن للشعر عوائق ذاتية لا يستطيع بوجودها المنافسة ، مما أدى إلى انحساره ، والمحاولات الجارية لتسويق الشعر من خلال الإنترنت والفضائيات ودخوله في القصيدة المُغنّاة هي محاولات جديرة وجريئة ، ولكن أيّ شعر سوف يُروَّج له عبر الفضائيات العربية؟! هل هو الشعر النبطي والشعبي وبعض القصائد المنتقاة.. وقصائد المديح والتمجيد الذي أفردت له محطات؟ هذه العقلية الاستهلاكية تتيح الظهور لنماذج من الشعر الرديء وخاصة شعر المناسبات الذي يمدح ويمجد ويرفع ويخفض ويؤلِّه البشر والأفكار المختلفة... وسيبقى الشعر المنتمي إلى الشعر الحقيقي هو الخاسر.. الاستهلاكية تنبذ الشعر وتبقيه مركوناً في الزوايا المهجورة وخارج مهرجانات التسوق الثقافي، فالعديد من الصحف العربية أسقطت الصفحة الثقافية اليومية وضاعفت عدد الصفحات الاقتصادية والرياضية والفنية ، كون القصيدة الشعرية لا تلبي حاجات السوق ، فهذه المواقع لا تجلب المُعلِن ، وليس لها مكان في هذه الآلة التي تطحننا ، ولذلك إذا كانت الثقافة العربية ـ وربما غيرها ـ في أزمة ، فإن الشعر هو الأكثر تأثراً بهذه الأزمة. وماذا أضافت القصيدة الحديثة إلى الإنتاج الشعري الغزير في العالم العربي؟ لا أنكر أن القصيدة الحديثة أضحت أمراً واقعاً وفرضت نفسها على الساحة الشعرية ؛ لمواءمتها للعصر الحديث والذائقة الحديثة التي فرضتها أساليب الحياة المعاصرة ، ثم التأثر بالثقافة الغربية بما فيها الموسيقى الغربية التي تناسبها القصيدة الحديثة ؛ أما الإضافة فهي محسوسة وبيِّنة إذ لو اقتصر الشعر العربي اليوم على العمودي لتراجع عدد الشعراء وبالتالي العطاء الشعري.. أما الإضافة الثانية فهي أنّ الشعر الحديث يعتمد على الصورة والرمز وسهولة الانسياب ، وهذه طبيعته التي تُثري العمل الشعري ، إضافة إلى تعمّده ملامسة دواخل الذات أكثر من غيره بالنسبة لأهل العصر الحديث ؛ بينما نرى الشعر العمودي يربط الشاعر والمتذوق بالأصالة التي أخذت بالتراجع أمام مدّ الحداثة.. كما نجد فيه خاصية الالتزام بقواعد ثابتة في الوزن والموسيقى لا تتماشى والانطلاق المعاصر وتقليد الآخر الذي طغى على العقول والنفوس والأذواق.. بالإضافة إلى عنصر اللغة وضوابطه وقد أخذ بالتراجع للأسف! كيف تَرْين مستقبل الشعر العربي الأصيل المبنيّ على نظام الشطريْن وظهور قصيدة «النثر» في ظلّ ما يعتري الثقافة الشعرية من ضعف وهُزال؟ وعند الحديث عن مستقبل الشعر يجب أن نحدد عن أي شعر نتكلم: هل هو شعر استهلاكي قد يتابع ازدهاره؟! أم هو شعر ثقافي قد يتابع انحساره؟

والمستقبل مرتبط بالنمط الثقافي المستقبلي ، فإذا ظل الوضع العربي على حاله فإن الشعر العربي الأصيل سيتابع مسيرة انحساره أمام قصيدة النثر. إلى أين وصلت المرأة شعراً سواء كانت هي الكاتبة أو كونها مضمون المادة في عالمنا العربي؟ المرأة هي ثاني ركنَي الحياة.. والعطاء منهما ، الأصل فيه التساوي والتكامل ، لا المنازعة ولا المضادّة كما يحب البعض أن يصوِّره! ولا استثناء في الأدب والكتابة ، ولكن في الحقيقة والواقع فإن المرأة نسبة إلى الرجل أقل عطاء من حيث الكم وبالتالي يظهر الفارق. أمّا مضموناً فهي دائمة الحضور كونها شريكة الحياة والمسيرة والمشاعر ، ولا يستطيع الشعر إغفالها! وقَلَم الشاعر يتأثّر بالعوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية ؛ فهل تشعرين بانعكاس هذه المؤثّرات على إنتاجك الشِّعريّ؟ بالتأكيد ، وإلا فلا معنى للشعر إن كان الشاعر في وادٍ والفكر والسياسة والاجتماع في وادٍ آخر ، فلا يجد مَن ينتبه إليه أو يهتم به ، ولا يجد ما يتحدث فيه إلا كلاماً لا يمس عقول وخواطر وإحساسات القرّاء ، فالمؤثرات المختلفة هي المادة الحقيقية للشاعر الحقيقي! ما موقف الشعر الإسلامي المعاصر من معاناة الأمة؟ وما المطلوب من الشاعر الإسلامي؟ والشعر الإسلامي يتميز بأنه ينبثق عن عقيدة وقضايا ، أي ثوابت أصولية ومتغيرات حياتية ، فلا يستطيع الشعر الإسلامي مثلاً أن يتجاوز قضية فلسطين والجهاد. ويأبى إلا أن يكون محرّضاً على الخير والصعود نحو المعالي في كل شيء. والمطلوب من الشاعر الإسلامي أن يرتقي إلى مستوى القضية الكبرى: «الإيمان» ، ويعتبر نفسه داعية وصاحب رسالة ، وإلا فقَدَ التميُّز).هـ. وقال الأستاذان: أبو الفضل يدالهي أصلان وحامد فتح علياني تحت عنوان: (النظرة العابرة إلى خلفية الشعر السياسي عند العرب) ما نصه بتصرف يسير: (إن الشعر السياسي هو الشعر الذي يتناول بالنقد حيناً و بالتّفريط حيناً آخر، فيتحدث عن الحكّام و مخططاتهم و أعمالهم مدحاً أو ذمّاً، ويشارك في بحث الحقائق السياسيّة والنزعات القوميّة ، ويدلي برأيه في معترك الدّول ويُعبّر عن الخوالج الوطنيّة وما يدور في صفوف الشعب من أمان سياسيّة وغايات يسعي إلي تحقيقها. والشعر السياسي إذاً ، هو الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدّول الداخلي أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدّول. وقد اتّصل الشعر العربي بالسياسة منذ العصر الجاهلي ، حيث إنّ قبائل الجاهلية في صراعٍ مستمرٍّ ، تتناحر فيما بينها و تتغازي من أجل الحصول علي مقوّمات الحياة ، سواءً لبني البشر أو لأنعامهم ، فيؤدّي ذلك إلي حروبٍ تدوم طويلاً ، و قد لاينحصر النزاع بين قبيلتين اثْنَتين ، بل يتعدي إلي عدّة قبائل ، فتتعقّد معها السياسة القبليّة. وفي هذه الأجواء كان الشعراء كمحامين يذودون عن مصالح قبائلهم وسياستها. فلذا كان القبائل في الجاهلية يعتّز بشعرائها النابغين وتحتفل بظهورهم. «وكانت القبلية من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخري فهنّأتْها ، وصُنْعِتْ الأطْعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرّجال والولدان ؛ لأنّه حماية لأعراضهم ، وذبّ عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لايهنّئون إلّا بغلامٍ يُولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرسٍ تنتج. ومن الطّبيعي أن تكون فنون الشعر السياسي أو معارضه هي الحماسة ، والفخر ، والهجاء ، ثم المدح ، والوصف ، والرثاء ؛ لأنّ الشاعر البدوي لم تتكوّن عنده الأصول المذهبيّة والنظريّات الاجتماعية تكوّناً منطقّياً يقوم علي الشرح والتعليل. جاء الإسلام فزهق كثير من السنن الجاهلية ، منها العصبيّة القبليّة وعواملها ونتائجها. فلا بُدّ من الإشارة أنّ الدين المبين وقف من الشعراء موقفاً طبيعيّاً واضحاً ، فالشّعر من حيث إنّه فن رفيع يُعدّ من مقوّمات الحياة ، لايحظره الإسلام ، وإن نهي عن الشعر الذي يتغنّي بالفسق والفجور والزنا وشرب الخمر وإتيان المعاصي. وقد سمع الرسول ـ صلّي الله عليه و آله سلّم ـ الشعر الرفيع وأثاب عليه كعب بن زهير ببردته ، وحمل حسّان وزملاءه من الأنصار وغيرهم علي أن يردّوا علي قريش وينصروه بألسنتهم كما نصروه

بأسلحتهم. فجوهر الشعر السياسي في أيام النبي ـ صلّي الله عليه وآله و سلّم ـ كان هجاء الأعداء ومدح النبي وصحبه وذكر مآثرهم وفضائل الدين. ولم يكد عصر الراشدين يؤذن بالزوال حتّي عادت السياسة من جديدٍ تفرض نفسها علي الشعر ، فتصبح دواوينه سجّلاً للمنازعات التي سادتْ ذلك العصر ؛ ولقد كان ازدهار الشعر السياسي في تلك الحقبة الزمنيّة ظاهرةً طبيعيةً دعتْ إليها الحياة الجديدة ، وما فيها من صراع بين الأحزاب ، وجهاد بين آرائها المتعددة في نظام الحكم و في الأشخاص الناهضين به ، واتّصال كلّ من هذا النّظام وهؤلاء الأشخاص بالدين الذي هو أساس الحكم عند المسلمين. ولعلّنا لا نعدو الحقيقة إذا ما ذهبنا إلي أنّ الأدب السياسي الذي أثمره الصراع في العصر الأموي أضخم تراثٍ سياسيٍّ في الأدب العربي منذ نشأته إلي العصر الحديث. وفي هذا العصر ظهرت أحزاب سياسيّة ومن الطبيعي أن كانت الأحزاب مصبوغة بصبغ سياسيٍّ خالصٍ خالٍ من المناهج الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتعليميّة ، لأنّ أحوال العصر والمجتمع هي التي أملت عليها ذلك. علي أنها كانت تمزج السياسة بالدّين لأنّ محورها الذي تدور حوله هو الخلافة ، وهي منصب سياسيٍّ دينيٍّ ، ولأنّ نظام الحكم كان قائماً علي الدين ، يعتمد عليه ، ويستمدّ منه أحكامه وسلطانه. ورسالة الشعر السياسي هي مسايرة هذه الدولة في تكوينها الدّاخلي ، وسلطانها الخارجي ، وحروبها الأهليّة ، وأحزابها السياسيّة. إن الصراع العنيف الذي عرفه العصر الأموي بين الأحزاب السياسيّة والفئات المتحاربة أدّي إلي استتاب الأمر لبني أميّة فترة من الزمن ، وإلي ضعف «حزب الخوارج» و«حزب الزّبيريين» في نهاية القرن الأول للهجرة. أمّا الشيعة فلم يتوقفوا عن الجهاد في سبيل استرداد الخلافة من بني أميّة ؛ وقد ساعدهم في ذلك فريقان: العباسيون والفرس ، حتّي تسلّم الحكمَ بنو العباس ، ومن اقتسام النفوذ بين الفرس والعباسين ازدهرتْ الشعوبيّة ، و صارت المسألة لجاجة وأدّت إلي إزدراء العرب عند الشعوبيّة ؛ وهذا الحزب ساعد علي الإيرانيين في حياة المسلمين أوّلاً ثمّ إقامة الدولة الفارسيّة أخيراً. ويستمّر الصراع فيقف جماعةٌ من الشعراء العرب موقف المعتّز بالعنصر العربي ، المدافع عن قيمة المتوازنة وعاداته و تقاليده من أمثال «البحتري» و«أبي فراس» و«المتنبّي». إن الشعر السياسي في هذا العصر ـ في معظمه ـ كان ردّة فعل لازمت الحركات العنيفة والحروب المضطربة وحمل ـ في مجمله ـ التعبيرعن فرحة النصر وتأييد الحكّام ، ومهاجمة خصومهم والشماتة بهم. ومن طبيعة هذا العصر أن حركة الشعر فيه لم تدخل في صراعات حزبيّة أو حتّي شعوبيّة ، كما كانت الحال في العصرين السابقين: العبّاسي والأموي. وجُلّ ما هناك تأييد وتعضيد لسياسة الدولة المملوكية والعثمانية في حربها مع أعداء الإسلام ، والذود عن حياض الديار الإسلاميّة التي كانت في كنفها ومعظمها من البلدان العربيّة. ولوتتبّعنا الشعر السياسي منذ مطلع النهضة الحديثة التي بدأت معها مرحلة الصراع الفعلي بين القوي الرجعية و بين قوي الشعب الذي أخذ يتطلّع للتحرّر و إلي حياة أفضل ، لرأينا أنّ هذا اللّون من الشعر يمثّل المجال الأوسع بين أغراض الشعر الأخري الّتي طرقها الشعراء إبان تلك الحقبة. وبما أنّ البحث يختصّ بالعراق ، لأجل ذلك انحصرت دراسة الشعر السياسي في العراق مع إهمال البلدان الأخري. وتشغل السياسة والأحداث السياسيّة مكانة مهمّة من حياة العرب خاصةً في العراق. بحيث يمكن القول إنّها تمثّل الوجه البارز للنشاط الفكري والثقافي والاجتماعي في العراق. وإنّ أبرز مشكلة في العراق هي المشكلة السياسيّة. فقد اكتوي العراقيون بالأعمال السياسيّة وذاقوا العذاب والمرارة من السياسة ، وقد أثرت السياسة في حياة الشعب العراقي وأثرّت في حريّته وفكرته وأسرته ، فهو يتألّم للأحداث المؤلمة في البلدان العربيّة، ويبكي علي من مات في السبيل الحريّة ، لأنّه مرّ بأدوارٍ كَبَتَتْ فيها الحريّات ومُنع الشعب العراقي من أن يتلفّظ بكلماتٍ وألفاظ حُدِّدتْ من الجهات المسؤولة ؛ لأجل ذلك اتّسع

الجانب السياسي في الشعر والأدب ، يزيده اتساعاً التحوّل في مفهوم الأدب بحيث أصبح يدور ـ في معظمه ـ حول معالجة الشؤون الاجتماعية وواقع الأقوام والأنظمة ، متوقّفاً علي مشاكل الحريّه والقوميّة والاستقلال والوطنيّة والانتفاض علي الضعف والاستكانه. فلقد كان متغيّرات العصر و مفاهيمه الجديدة في الإستقلال و تحرّر الشعب و العدالة و الديمقراطية و ما يتبعها من انتخابات و مجالس نيابيّة ، وما تركته حركة الاستعمار العالمي وتفكّك الإمبراطوريّة العثمانيّة وقيام الحرب العالمية الأولي ، كان لكلّ ذلك آثاره الواضحة في مضامين هذا الشعر السياسي ونضجه وارتقائه. وإذا أردنا أن نتعرف إلي دور الشعر السياسي في العصر الحديث ، قلنا إنه عالج أهم الموضوعات التي تتعلّق بالكيان السياسي للأمّة العربيّة ، والتّي يمكن حصرها في محورين أساسسين. المحور الأول هو الدعوة إلي مكافحة الاستبداد العثماني ، والمحور الثاني هو: الدعوة إلي بعث كيان الأمة العربية واسترداد مجدها ثُمّ الدعوة لتوحيدها. وهنا علينا أن ننص علي حقيقة واضحة من تاريخ الأدب العربي من العراق، ذلك أن الشاعر هناك كان دائماً ينازع خطيب الثـورة مهمتـه ومسئوليتـه. فكـان لكـلّ انتفاضـة ثوريةٍ في العراق، شعراءها الذين يقفون في الشوارع ويخاطبون الجماهيـر، ويدفعونهـا في الاتجاه الثوري ، بخلاف في الأقطار العربية الأخري. وجديرٌ بالذكر أن موضوع الشعر السياسي ليس موضوعاً جديداً ظهر في بدايات العصر الحديث ، وإنّما هو امتداد للتحولات السياسية التي تبلورت تباشيرها في المجتمع الإنساني في العصور المنصرمة ؛ وإن كانت الأغراض التي عالجها السياسيون في العصر الحديث عامة والشعراء الجدد عامة كانت حديثة من حيث حداثة هذه الأغراض ذاتها. ولذلك كان من الصعب أن يتخلص الشاعر من تأثرة بالقديم وأن تفصم العلاقة بين القديم والحديث).هـ. وربما يقول قائل: ما هي علاقة هذا الكلام عن دراستنا الأسلوبية عن شعر عنترة بن شداد؟ وهو سؤال مهم ولا شك. والجواب مشتق مما بدأنا به فصلنا الثاني وهو أن كل شاعر هو نتاج بيئته! فحتى ندرس شعر عنترة بطريقتنا الأسلوبية ، كان لا بد من الإحاطة بموروثات البيئة العربية في العصر الجاهلي الذي عاش فيه عنترة! وهي جاهلية لا تختلف كثيراً عن الجاهلية المعاصرة! بل بالعكس ، جداهلية زمان عنترة ما كانت تدعي العلم ولا المدنية ولا الحضارة! بينما الجاهلية المعاصرة تدعي هذه الأشياء مجتمعة! ومن هنا استشهدنا بمحمود درويش ونزار قباني وأدونيس ومن على شاكلتهم لنثبت كيف أثرت عليهم وعلى أشعارهم معطيات بيئتهم! ذلك أنهم نتاج لبيئتهم بموروثاتها وثقافتها!

الفصل الثالث

يثور عنترة على الأعراف العنصرية الجاهلية السائدة في زمانه ، فينشد هذه المقطوعة على البحر الطويل:

دعوني أوفي السيف في الحرب حقه وأشـــربُ من كـأس المنية صافياً

ومـــــن قال إي سيـدٌ وابن سيـدٍ فسيفي وهــذا الرمـحُ عمي وخاليا

ولكن القضية ليست هنا! إن عنترة يقول ما يريد ، والقوم في غيهم سادرون ولا يسمع أحدٌ لما يقول عنترة ولا ما يريد أن يقول غيره! عرفٌ سائد وتقليد موروث مطبق ودون الثائر الأرض يأكل منها كيف يشاء ، ودونه البحر يغرق فيه كما يريد! وهكذا الجاهلية لا تعبأ بفكرةٍ ولا بتصور ولا بمضمون وإن كان فيه خيرها! وكم تستهوي كل إنسان منصفٍ مثل الملك زهير بن جذيمة وابنه مالك مثلاً هذه التصورات العنترية ورفض هذا الواقع الآسن. وهكذا لا يخلو واقع من بعض الخير وإن كان قليلاً! تعالوا بنا نأخذ نموذجاً آخر لعنترة في شعره ألا وهو نزعة التحدي والمبارزة! يقول في القصيدة اللامية:

حاربينـــي يا نائبـــات الليالـــــي عن يميـــن ، وتـــارة عن شمالـــي

واجهـــدي في عداوتي وعنـــــادي أنـــت والله لم تلمـــس ببالـــــي

إن لي همة أشـــــد مـــــن الصخـ ـــــر وأقـــوى من راسيات الجبال

وسناناً إذا تعسفـــــت في اللـــيـ ـــــل هداني ، وردنـــي عن ضلالي

وجـــواداً ما ســـار الإ سرى البـــر ق وراه مـــن اقتـــراح النعـــال

أدهـــمٌ يصـــدع الدجـــى بســـوادٍ بيـــن عينيه غـــــــرة كالهلال

يفتديـــني بنفســـه وأفديـــــــــ ـــــه بنفسي يوم القتـــال ومالـــي

وإذا قـــام ســـوق حـــرب العوالـي وتلظـى بالمرهفـــات الصقـــــال

كنتُ دَلالها ، وكـــان سِنانـــــي تاجـــراً يشتري النفـــوس الغوالـي

يا سِبـــاع الفلا إذا اشتعـــل الحـــر ب أتبعينـــي من القِفـــار الخوالـــي

أتبعينـــــي تريْ دمـــاء الأعـادي سائـــلاتٍ بين الربـــا والرمـــال

ثم عـــودي من بعد ذا واشكرينـــــي لبنيـــك الصغـــار ، والأشبـــال

وهكذا نجد عنترة فارساً شجاعاً لا يخاف شيئاً ولا يخاف أحداً! إنه ليست الفروسية شيئاً مكتسباً من البيئة وإن كانت البيئة يمكن أن تنميه ، إنما هي سجايا وطبائع في النفس الإنسانية ، وإلا فإن بيئة عنترة لم ترب فيه إلا الذل والصغار! وجالدها هو بالفروسية والسيف ، وكانت المعارك دربة على الصراع والمجالدة والمبارزة ، لكن عرف القبيلة حال دون إيجاد الكرامة ومن تحدٍ إلى تحدٍ آخر عندما يخاطب عبلة فيقول:

سَلي يا عَبــلُ عَمْــــــرواً عَن فِعالــي ... بِأَعـــــداكِ الأُلــى طَلَبــوا قِتالـــي

سَليهُم كَيفَ كانَ لَهُـــــم جَوابـــــي ... إِذا ما فــالَ ظَنُّـــكِ في مَقالـــــي

أَتَـــونا في الظَــلامِ عَلى جِيـــــادٍ ... مُضَمَّـــرَةِ الخَواصِـــرِ كَالسَعالـــي

وَفيهِم كُلُّ جَبّـــــارٍ عَنيـــــدٍ ... شَديـــدِ البَـــأسِ مَفتـــولِ السِبـــالِ

وَلَمّا أَوقَـــدوا نـــــارَ المَنايـــا ... بِأَطـــرافِ المُثَقَّفَـــــةِ العَوالـــي

طَفاها أَســـــوَدٌ مِن آلِ عَبـــــسٍ ... بِأَبيَـــضَ صـــارِمٍ حَسَـــنِ الصِقـــالِ

إِذا ما سُـــلَّ سالَ دَمـــاً نَجيعـــاً ... وَيَخـــرُقُ حَـــدُّهُ صُـــمَّ الجِبـــالِ

وَأَسمَـــــرَ كُلَّما رَفَعَتْـــــهُ كَفّـــي ... يَلـــوحُ سِنانُـــهُ مِثـــلَ الهِـــلالِ

تَـــراهُ إِذا تَلَـــوّى فـــي يَمينـــي ... تُسابِقُـــهُ المَنِيَّـــةُ فـــي شِمالـــي

ضَمِنـــتُ لَكَ الضَمـــانَ ضَمـــانَ صِـــدقٍ ... وَأَتبَعـــتُ المَقالَـــةَ بِالفِعـــالِ

وَفَرَّقـــتُ الكَتائِـــبَ عِندَ ضَـــربٍ ... يَخِـــرُّ لَهُ صَناديـــدُ الرِجـــالِ

وَما وَلّى شُجـــاعُ الحَـــربِ إِلاّ ... وَبَيـــنَ يَدَيهِ شَخـــصٌ مِن مِثالـــي

مَلَأتُ الأَرضَ خَوفـــاً مِن حُسامـــي ... فَبـــاتَ النـــاسُ في قيـــلٍ وَقـــالِ

وَلَو أَخلَفـــتُ وَعـــدي فيكِ قالَـــتْ ... بَنـــو الأَنـــذالِ إِنّي عَنـــكِ سالـــي

وهكذا عنترة ساعة المجالدة والنزال لا ينسى عبلة ، بل هي معه في نزاله وسلمه وهناك في المعلقة نراه يخاطبها بذات الخطاب الذي في قصيدته السابقة تلك ، فهو في قصيدته السابقة يقول لها:

سَلي يا عَبــلُ عَمْــــــرواً عَن فِعالــي ... بِأَعـــــداكِ الأُلــى طَلَبــوا قِتالـــي

سَليهُم كَيفَ كانَ لَهُـــــم جَوابـــــي ... إِذا ما فــالَ ظَنُّـــكِ في مَقالـــــي

فلقد قال في المعلقة الميمية يخاطبها كذلك:

هلا سألـــت القـــــــوم يا ابنـــة مالكٍ ... إن كنـــتِ جاهلـــة بما لم تعلمـــي

يُخبـــرْك من شهـــدَ الوقائـــعَ أنني ... أغشـــى الوغـــى ، وأعف عند المغنـــم

وهكذا الشاعر الصادق في عشقه. طبعاً مع الفارق إن كان موحداً حنيفاً ، فإنه يسخر طاقاته ومواهبه وفروسيته في سبيل حنيفيته! وأما عنترة فحارب وجالد وبارز للحرية ولعبلة! ولقد بنى مجد بني عبس ولا شك! ومطالع السيلرة يقف على الشيء الكبير من الذي نقول. ولكن ما النهاية وما المحصلة وما الثمرة؟ لا غاية ولا محصلة ولا ثمرة إلا التي كان يريدها منذ البداية! وأما الفارس الموحد فيريد الجنة! وإذن

فالعنترية لم تكن تنسى العشق والغرام والحب ، ولو كان هذا في ساعات المجالدة والنزال والمبارزة! وعندنا كذلك قوله أيضا في المعلقة ذاتها في موضع آخر:

ولكم ذكرتـــك والرمـــــــاح نوايـــلٌ منـــي ، وبيـــض الهنـــد تقطر من دمي

فـــوودت تقبيـــل السيـــوف ، لأنهـــا لمعـــت كبـــارق ثغـــرك المتبســـم

والآن هذه قصيدة عنترية أخرى يحث فيها على نوع جديد وهو التسابق والتنافس والمسارعة إلى فضائل الأعمال وجلائل الأفعال وأعظم الأقوال ، فهو يريد من مُخاطبه أن يندفع نحو الفضائل وينسى الماضي بآلامه وأتراحه ، ويسعى للمستقبل لا يستدبر أمره بل يستقبله. وهو في قصيدته القادمة تلك يشبه زهير بن أبي سلمى ، ويبدو عنترة الشاب الفارس كأنه جرب الحياة وخبرها وصار في سن الثمانين ، وراح يبث تجربته لشباب يستقبل الحياة ، فيقول وعلى البحر الكامل والقافية اللامية:

دَع ما مَضـــى لَكَ في الزَمـــانِ الأَوَّلِ وَعَلى الحَقيقَـــةِ إِن عَزَمـــتَ فَعَـــوِّلِ

إِن كُنـــتَ أَنتَ قَطَعـــتَ بَـــرّاً مُقفِراً وَسَلَكتَـــهُ تَحتَ الدُجـــى في جَحفَـــــلِ

فَأَنا سَرَيـــتُ مَعَ الثُرَيّـــا مُفـــــرَداً لا مُؤنِـــسٌ لي غَيرَ حَـــــدِّ المُنصُـــلِ

وَالبَـــدرُ مِن فَوقِ السَحـــابِ يَسوقُـــهُ فَيَسيـــرُ سَيـــرَ الراكِـــبِ المُستَعجِـــلِ

وَالنَســـرُ نَحوَ الغَـــربِ يَرمـــي نَفسَهُ فَيَكـــادُ يَعثُـــرُ بِالسِمـــــاكِ الأَعـــزَلِ

وَالغـــولُ بَينَ يَـــدَيَّ يَخفى تـــارَةً وَيَعـــودُ يَظهَـــرُ مِثلَ ضَـــوءِ المَشعَلِ

بِنَواظِـــرٍ زُرقٍ وَوَجـــــهٍ أَســـوَدٍ وَأَظافِـــرٍ يُشبِهـــنَ حَـــدَّ المِنجَـــلِ

وَالجِـــنُّ تَفـــرَقُ حَولَ غابـــاتِ الفَلا بِهَماهِـــمٍ وَدَمـــــادِمٍ لَم تَغفَـــــلِ

وَإِذا رَأَت سَيفـــي تَضِـــجُّ مَخافَـــةً كَضَجيـــجِ نـــوقِ الحَيِّ حَـــولَ المَنـــزِلِ

تِلكَ اللَيالـــي لَو يَمُـــرُّ حَديثُهـــا بِوَليـــدِ قَومٍ شـــابَ قَبلَ المَحمِـــــلِ

فَاكفُـــف وَدَع عَنكَ الإِطالَـــةَ وَاِقتَصِـــر وَإِذا اِستَطَعـــتَ اليَومَ شَيئـــاً فَافعَـــلِ

فهو يريد للعاقل أن يستقبل من عمره ما تبقى ، وألا يستدبر ماضيه ، فلعله يجد فيه ما يعوق حركته ويسعى نحو المستقبل ، وفي القصيدة لونٌ من ألوان الفخر والحماسة عجيب! حيث يضرب المثل بنفسه في الإقدام وإسراع الخطا والسعى نحو الغاية المنشودة والجمال المقصود والمستقبل المرجو! وعلى البحر الكامل كذلك يذهب ذات المذهب ويفتخر ذات الافتخار ، ويحدث عبلة هذه المرة حديث المفتخر بفروسيته فيقول:

مَـدَّت إِلَيَّ الحادِثـــاتُ باعَهـــا وَحارَبَتنـــي فَـــرَأَت ما راعَهـــا

يا حادِثـــاتِ الدَهـــرِ قُرّي وَاِهجَعي فَهِمَّتـــي قَد كَشَفَـــت قِناعَهـــا

ما دُســتُ في أَرضِ العُـداةِ غُـدوَةً إِلّا سَقى سَيـــلُ الدِمـــا بِقاعَهـــا

وَيـــلٌ لِشَيبـــانٍ إذا صَبَّحتُهـــــا وَأَرسَلَـت بيـضُ الظُبى شُعاعَهـــا
وَخـــاضَ رُمحي في حَشاها وَغَـــدا يَشُـــكُّ مَع دُروعِهـــا أَضلاعَهـــا
وَأَصبَحَـت نِساؤُها نَوادِبـــــــاً عَلى رِجـــــالٍ تَشتَكي نِزاعَهـــا
وَاحَـــرُّ أَنفاســـي إِذا ما قابَلَـت يَـــومَ الفِراقِ صَخـــرَةً أَماعَها
يا عَبـــلَ كَم تَنعَـــقُ غِربـــانُ الفَلا قَد مَلَّ قَلبي في الدُجـى سَماعَهـــا
فارَقـــتُ أَطلالاً ، وَفيها عُصبَـــةٌ قَد قَطَّعَـت مِن صُحبَتي أَطماعَهـــا

ومن هنا تتجلى لنا شخصية عنترة الشعرية ، فالشعر عنده موهبة وسجية كما أن الفروسية في دمه موهبة وسجية! والنموذج السابق من شعر عنترة نجده فيه شاعراً متفنناً في اختيار الكلمات التي تعبر عن الفكرة التي تريد! وهو متألق متذوق بليغ في عرضها ، ونجده بعيد الغاية رفيع العماد والطبقة ، ومتصرف في فنون الشعر ، وهو بحق شاعر بني عبس! ومن عداه منهم فهو إما مقرف وإما على الأصل اتكل! وعنترة فحل من فحول شعراء زمانه ، رضي من رضي وسخط من سخط! قبل من قبل ورفض من رفض! وصاحب معلقات مثلما أنه فارس حرب فهو كذلك فارس شعر! وإنك لتجد عنده رصانة شعر وجودة نظم وجودة حبك وسبك ورصف المعاني وانسجام الكلام ورقة الأسلوب وملاحة الديباجة ولطافة الخيال وظرافة الواقع ووضوح المنهج وسهولة اللفظ بالقدر الذي قل أن نجده عند غيره من الشعراء! وخاصة شعراء الجاهلية الذين شعرهم بين أيدينا قوي قوة أهل زمانهم وجزل جزالة أهل زمانهم بينما عند عنترة فهو قل أن يلجئك إلى القاموس والمعاجم! وكأنه الأسلوب السهل الممتنع كما يقولون! وكأنها الفكرة البسيطة السهلة! أنشد عنترة وعلى البحر الوافر يخاطب عبلة بذات الطلب (سلي) ففي كل مرة يطلب إليها أن تسأل! وفي هذه المرة يطلب إليها أن تسأل الأبطال إذ همُ العالمون بالحرب والمدركون للفروسية والعارفين للشجاعة والإقدام فيقول وعلى قافية العين:

لَقَد قالَـــت (عُبَيلَـةُ) إِذ رَأَتْنـــي وَمَفـرِقُ لِمَّتي مِثـــلُ الشَعـــــاعِ
أَلا لِلَّهِ دَرُّكَ مِـــــن شُجـــــاعٍ تَـــذِلَّ لِهَولِهِ أُســـدُ البِقـــاعِ
فَقُلتُ لَها سَلي الأَبطـــــالَ عَنّي إِذا ما فَـــرَّ مُرتـــــاعُ القِراعِ
سَليهِم يُخبِـــروكِ بِأَنَّ عَزمـــي أَقـــامَ بِرَبـــعِ أَعداكِ النَواعـــي
أَنا العَبـــدُ الَّذي سَعدي وَجَـــدّي يَفـــوقُ عَلى السُها في الاِرتِفـــاعِ
سَمَـــوتُ إِلى عَنانِ المَجـــدِ حَتّى عَلَـــوتُ وَلَم أَجِد في الجَـــوِّ ساعي
وَآخَـــرُ رامَ أَن يَسعى كَسَعيـــي وَجَـــدَّ بِجَدِّهِ يَبغـــــي اِتِّباعي
فَقَصَّـــرَ عَن لَحاقي في المَعالـــي وَقَد أَعيَـــت بِهِ أَيـــدي المَساعي
وَيَحمِـــلُ عُدَّتي فَـــرَسٌ كَريـــمٌ أُقَدِّمُـــــهُ إِذا كَثُـــــرَ الدَواعي

وَفي كَفّي صَقيـــلُ المَتـــــنِ عَضبٌ يُـــداوي الرَأسَ مِن أَلَمِ الصُـــــداعِ

وَرُمحي السَمهَـــــرِيِّ لَهُ سِنـــــانٌ يَلـــوحُ كَمِثلِ نـــــارٍ في يَفـــاعِ

وَما مِثلي جَـــــزوعٌ في لَظاهـــــا وَلَســـتُ مُقَصِّـــراً إِن جاءَ داعي

ويعيش عنترة يتذكر عبر سكون الليل وهبوب النسيم معشوقته عبلة ، وقد قطع به الغرام والهُيام وأخذه الطيف مأخذاً صعباً فأنشد مقطوعة يقول فيها:

يا عبـــلُ نار الغـــرام في كبـــدي ترمـــي فـــؤادي بأسهم الشـــرر

يا عبـــل لولا الخيـــال يطرقنـــي قضيـــت ليلى بالنـــوح والسهـــر

يا عبـــل كم فتنـــةٍ بليـــتُ بها رخصتها بالمهنـــد الذكـــر

والخيـــل ســـود الوجوه كالحـــة تخـــوض بحر الهلاك والخطـــر

أدافـــع الحادثـــات فيـــك ، ولا أطيـــقُ دفـــع القضاء والقـــدر!

ويعتبر هذا البيت علامة دالة على أن أهل الجاهلية كانوا يحترمون القضاء والقدر ، فلا هم يتهمونه بأنه أحمق الخطا ولا يقولون عنه أن هامة أحدهم قهرت خطاه ، ولا يقول أحدهم أنه لن يسلم بالمكتوب ولن يرضى أن يبيت للقضاء وللقدر مغلوباً! ولم يسبوه ولم يلعنوه. هذا عنترة يقول: (ولا أطيق دفع القضاء والقدر!) وصدق مقالته تلك قوله لعبلة وقد أشفقت عليه من معمعة المعركة فأنشد يقول لها على الكامل وقافية الهاء:

يا عبـــل أين من المنيـــة مهربـــي إن كان ربي في السمـــاء قضاهـــا؟

وهكذا يتجلى لنا توحيد الربوبية الذي تعج به كتب الأدب ودواوين الشعر الجاهلي! كان الجاهليون على شركهم يحترمون قضاء الله وقدره! ونختم بهذا المقطع من قصيدة أخرى لعنترة على البحر الوافر وقافية الراء أيضاً عن الفروسية والبسالة ولم ينس حديثه الدائم لعبلة! يقول عنترة:

صَبـــاحُ الطَعـــنِ في كَـــرٍّ وَفَـــرٍّ وَلا ســـاقٍ يَطـــوفُ بِكَـــأسِ خَمـــرِ

أَحَـــبُّ إِلَيَّ مِن قَـــــــرعِ المَلاهي عَلى كَـــأسٍ وَإِبـــريقٍ وَزَهـــــرِ

مُدامـــي ما تَبَقّـــى مِن خُمـــــاري بِأَطـــرافِ القَنا وَالخَيـــلُ تَجـــري

أَنا العَبـــدُ الَّذي خُبِّـــــرتَ عَنـــهُ يُلاقـــي في الكَريهَـــةِ أَلفَ حُـــرٍّ

خُلِقـــتُ مِنَ الحَديـــدِ أَشَـــدُّ قَلبـــاً فَكَيفَ أَخـــافُ مِن بيـــضٍ وَسُمـــرِ

وَأَبطِـــشُ بِالكَمِـــيِّ ، وَلا أُبالـــي وَأَعلـــو لِلسِمـــاكِ بِكُلِّ فَخـــرِ

وَيَبصُرنـــي الشُجـــاعُ يَفِـــرُّ مِنّي وَيَرعَـــشُ ظَهرُهُ مِنّي ، وَيَســـري

ظَنَنتُم يا بَنـــي (شَيبـــانَ) ظَنّاً فَأَخلَـفَ ظَنَّكُم جَلـــدي وَصَبـــري

سَلـــوا عَنّي الرَبيـــعَ ، وَقَد أَتانـــي بِجُـــردِ الخَيـــلِ مِن ساداتِ بَـــدرِ

أَسَـــرتُ سَراتَهُم ، وَرَجَعـــتُ عَنهُم وَقَد فَرَّقتُهُـــم في كُـــلِّ قُطـــرِ

وَها أَنا قَد بَـــرَزتُ اليَـــومَ أَشفي فُـــؤادي مِنكُمُ ، وَغَليلَ صَـــدري

وَآخُـــذُ مالَ (عَبلَةَ) بِالمَواضـــي وَيَعـــرِفُ صاحِـــبُ الإيـــوانِ قَـــدري

وقد ألمحتُ غير مرة ، وصرحتُ في مراتٍ عديدة كذلك أن للعقيدة التي يدين بها الشاعر أثراً كبيراً على أسلوبيته الشعرية والفنية سواء من ناحية التركيب والصياغة الشعرية وهو ما نعني به صناعة الشعر ، أو من ناحية الموضوع والغرض الذي تحمله القصيدة وتدور حوله وهو ما نعني به أسلوبية المضمون ، وأعطيت في مناسبات كثيرة فكرة بل أفكاراً عن بعض عقائد أهل الجاهلية وما كانوا يرونه من ملل ونحل يدينون بها ، حتى طالعتُ كتاباً من أجمل الكتب التي قرأت عن الجاهلية والجاهليين ، وبهذا العنوان عنون له مؤلفه ، يتحدث فيه عن عقائد الجاهلية رابطاً كل الذي يقول بالواقع المعاصر ، فجزاه الله خيراً على الذي كتب ونفع بكتابه كل من قرأه! في كتاب: (الجاهلية والجاهليون) للأستاذ مصطفى عبد اللطيف درويش ، وتحت عنوان: (عقيدة الجاهلية) كتب يقول: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) والقوم مع جاهليتهم خلطوا بين العقائد الصحيحة والأخرى الفاسدة كما قال سبحانه: (وما يؤمن أكثرهم باللهإلا وهم مشركون) ولهذا جعل جل شأنه الأمن والهداية للذين آمنوا إيماناً خالصاً ولم يخلطوا إيمانهم بأي نوع من أنواع العقائد الفاسدة الجاهلية فقال جل شأنه: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)! والظلم هنا بمعنى الشرك ، كما فسره رسول الله – صلى الله عليه وسلم والقوم مع إيمانهم بوجود الله تعالى وقوته وقدرته مع ذلك ظنوا بالله تعالى غير الحق وهو ظن الجاهلية فجمعوا بين العقائد الصحيحة والعقائد الفاسدة ، فهم لم يُنكروا ربوبية الله تعالى ، ولم يُنكروا صفاته العليا ، ولكنهم أضافوا إلى ذلك عقائد جاهلة فاسدة ، وسنذكر بعض الآيات التي تبين جانباً من اعتقاد الجاهلية الحق بالله تعالى والذي خلطوا به غير الحق! ويستمر الأستاذ مصطفى عبد اللطيف درويش من هذه المقدمة للباب وحتى الصفحة السادسة والعشرين يتحدث عن عقائد أهل الجاهلية مصطحباً الدليل على كل جزئية ، ونحن نؤثر أن نأخذ نقاطع العشرين عن معتقد أهل الجاهلية من الزاوية التفصيلية لما كانوا عليه ، ومزيدين عليها كلما سمح المقام ، وقد أغنانا كتابه البديع عن مطالعة عشرين كتاب في ذات مجاله! ذلك أن نقاطع العشرين هذه نراها موجودة مبسوطة في كتب متعددة ، ومن هنا فلقد أراحنا الأستاذ من عناء البحث في غيره من الكتب! والآن لنبحث في نقاطه العشرين: <u>الأولى</u>: اعتقادهم أن الله تعالى هو الخالق: يقول جل شأنه: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) ، ويقول: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون)! وهذا بطبيعة الحال جانب من توحيد الربوبية! <u>الثانية</u>: اعتقادهم أن الله تعالى مالك كل شيء. يقول جل شأنه: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) ، أي تتعظون فتتركون دعاء غيره وعبادته ، ويقول الله تعالى: (قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون). وهذا أيضاً جانب من توحيد الربوبية. <u>الثالثة</u>: اعتقادهم أن الله تعالى هو الرازق: يقول جل شأنه: (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به

الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)! وهذا جانب من توحيد الربوبيةولا شك. الرابعة: اعتقادهم أن الله تعالى هو الذي يحيي ويميت ويدبر الأمر في السماوات والأرض. يقول جل شأنه: (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكمُ الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تُصرفون)! أيضاً هذا من الربوبية التي كان يثبتها أهل الجاهلية لله رب العالمين سبحانه. الخامسة: اعتقادهم أن الله تعالى يجير ولا يُجار عليه ، يقول جل شأنه: (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تُسحَرون)! أيضا من توحيد الربوبية. ثم يستمر الأستاذ مصطفى درويش في عرض خمس عشرة نقطة أخرى في توحيد الألوهية والأسماء والصفات بعد أن ذكر جانباً من توحيد الربوبية متمثلاً في النقاط الخمس السابقة فيقول: السادسة: اعتقادهم أن الله تعالى يجب أن يتقرب إليه العبد. يقول جل شأنه: (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) ، فاعتقدوا أن التقرب إلى الله تعالى يكون عن طريق عبادة الأولياء الصالحين بالدعاء والنذر والطواف والحج إلى نصبهم والعكوف عليها ، فوصفهم الله تعالى بالكذب والكفر الشديد وعدم القابلية للهداية: (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) ، لا يهتدون لأنهم ظنوا أن الشرك هذا تقرب إلى الله تعالى ، وكذبوا لأنهم افتروا على الله تعالى أنه أمرهم بالتقرب إليه بهذا السبيل الضال وكفروا بوحدانية الله عز وجل. يقول سبحانه: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فهم طلبوا الشفاعة عند الله تعالى عن طريق عبادة الشفعاء بالدعاء والنذر والطواف والعكوف على قبورهم ونصيبهم ، وإذا كانت هذه الجاهلية الأولى لا تعترف بالبعث فالشفاعة التي طلبوها عند الله من أوليائهم كانت في تحقيق مصالحهمُ الدنيوية من شفعاء وربح في تجارةٍ وبركةٍ في الرزق ونصرة على الأعداء وهكذا! السابعة: الجاهلية يحبون الله تعالى ، ولكن الله تعالى لا يحبهم. يقول جل شأنه: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) ، فهم أحبوا الأنداد كحب الله ، وهو حب العبادة والتأليه والتقديس من دعاء وحلف واستعانة واستغاثة وغير ذلك. وفي ذلك قول الله تعالى: (والذين آمنوا أشد حباً لله) ما يدل على أن الكافرين يحبون الله تعالى ، ولكن حب المؤمنين له أشد ، لأنه حبٌ صادقٌ مؤسسٌ على التوحيد وهو حب العبادة الذي لا يتجه إلى غير الله تعالى ، أما المشركون فحب العبادة عندهم موزع بين الله تعالى وبين أندادهم. وهناك أمران لا بد من ذكرهما: أولهما الحب الحقيقي لله تعالى والذي يتمثل في الطاعة والاتباع (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وثانيهما أن نجاة العبد تتحقق إذا أحبه الله تعالى ، ولا يكفي أن يحب هو الله تعالى ، ولهذا قال جل شأنه في صفات المؤمنين بحق وصدق: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)! فتدبر قوله: (يحبهم ويحبونه) فقد جعل الله حبه لهم مقدماً على حبهم له لأن فيه النجاة. الثامنة: اعتقادهم أنه لا ينقذ وقت الشدة إلا الله تعالى. يقول جل وعلا: (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تُشركون) ، ويقول: (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) ، فهم لما رأوا أسباب الموت غرقاً دعوا الله وحده وتركوا دعاء الأولياء والأنداد لعلمهم أن هذا الموقف لا ينفع فيه إلا دعوة الله وحده ، فلما نجاهم

إلى البر أعرضوا عن إفراده بالدعاء ثم اتجهوا إلى أوليائهم داعين عاكفين ناذرين. يقول جل شأنه: (وإذا غشيهم موجٌ كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) ، ويقول: (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكمُ الساعة أغير الله تدعوة إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) ، فهم في وقت الشدة نسوا الأولياء والأنداد والشفعاء والشركاء لعلمهم أنه لا ينجي منها إلا الله فإذا ارتفع الخطر وزال الضر اتجهوا إلى أوليائهم داعين عاكفين عابدين. وعن حصين والد عمران – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سأله قبل إسلامه: يا حصين كم تعبد من إله؟ قال حصين: سبعة ، ستة في الأرض وإلهاً في السماء. قال: فإذا أصابك الضيق فمن تدعو؟ قال: الذي في السماء. قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الذي في السماء. وفي رواية أخرى سأله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: فيستجيب لك وحده وتُشركهم معه؟ فتدبر كيف أن حصيناً قبل أن يفارق جاهليته أقر بأن الله تعالى وحده يُدعى عند الضيق وهلاك المال والرغبة والرهبة! أما آلهة الأرض فقد جعلها شفعاء ووسطاء عند الله ويقربونه إليه زلفى ، ولم ينقذه من الشرك إلا الكفر بهذه الآلهة ودعاء الله وحده عند كل أمر بغير وساطة الشركاء. ولما جاء أبرهة بأفياله يريد هدم الكعبة علمت قريش وهي في جاهليتها أنه لا يصد أبرهة وجيشه إلا الله تعالى فأخذوا يدعون الله تعالى ويستنصرونه وقد علموا علم اليقين أن أصناهم في هذه الحالة لا تجدي نفعاً! التاسعة: وكانوا يعتقدون أن أمر أصنامهم وأوثانهم بيد الله تعالى. وإن هي إلا شفعاء عنده في تحقيق مطالبهم لأنها في الأصل كما صح عن ابن عباس نصب أقوام صالحين أقيمت يوم أقيمت تعظيماً لهم. ولهذا كانت قبيلة نزار تقول في تلبيتها قبل البعثة النبوية: (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيت ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك)! فقال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون). إيمانهم بالله تعالى اعتقادهم أنه الخالق الرازق ، وشركهم اتخاذ الأنداد والأولياء وسطاء يعظمونهم تعظيم العبادة فجاءت تلبية التوحيد تمحو هذا الشرك: (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك)! وكان من بقي على دين إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – يرفض النطق بتلبية الشرك ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا سمع تلبيتهم عند قولهم (لا شريك لك) يقول: (ويلكم ... قد ... قد) يعني (كفى ... كفى). العاشرة: وكانوا يعلمون برغم جاهليتهم أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله ، ولهذا جاءهم بسؤال في القرآن الكريم وهم يعلمون إجابته ، لأنه يقرر حقيقة لا تنكر: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله). الحادية عشر: وكانوا في جاهليتهم إذا حُبس عنهمُ المطر اتجهوا إلى الله تعالى يستمطرونه ، ولهذا دعا عبد المطلب ربه فقال: (اللهم سادَّ الخلة وكاشف الكربة ، أنت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل ، وهؤلاء عبادك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون أليك سنتهم التي أذهبتْ الخف وأفنت الظلف ، فاسمع اللهم دعاءنا ، وأنزل علينا غيثاً مريعاً مغدقاً). والخلة تعني الحاجة ، وعذرات الحرم أي أفناؤه. الثانية عشر: وكانت لهم أحياناً في الجاهلية نذورٌ خالصة لله تعالى ، وأخرى لأندادهم وأوليائهم. يقول جل شأنه: (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا). ولم يعرفوا الخلط الذي وقعت فيه الجاهلية الثانية! فنذروا لأوليائهم الموتى ، وقالوا: النذر لله وثوابه للولي. وجاء في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: يا رسول الله إني نذرتُ في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. قال: فأوفِ بنذرك! ولولا أن النذر كان خالصاً لله ما قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: أوفِ بنذرك! الثالثة عشر: وكان بعض أهل الجاهلية يؤمن أن الله تعالى يبعث

الموتى يوم القيامة ، وينفرد بعلم الغيب ، ويبدو ذلك واضحاً في أشعارهم قبل البعثة النبوية! يقول حاتم الطائي:

أما والـــــذي لا يعلم الغيـــب غيـــره ويحيي العظـــام البيـــض وهْي رميـــمُ

وهو في هذا البيت يحلف بالله تعالى ويعترف بالبعث بعد الموت! ويقول الموحد زيد بن عمرو بن نفيل:

فلن تكـــون لنفسي منك وافيـــــــة يـــوم الحســـاب إذا ما يجمع البشـــرُ

ويقول زهير بن أبي سلمى:

يؤخـــر فيوضع في كتـاب فيدخـــــر ليوم حســـاب ، أو يعجـــل فينقـــم

وله بيت شعري آخر يعتقد فيه اعتقاداً جازماً يقينياً أن الله – سبحانه وتعالى - يعلم الغيب وحده:

فلا تكتمـــن الله ما فـــــي نفوسكم ليخفى ، ومهما يُكتـــم الله يعلـــم

ويقول عنترة بن شداد لعشيقته عبلة بنت مالك معترفاً أن الله سبحانه وتعالى يقدر المقادير على عباده:

يا (عبلُ) أين من المنيـــة مَهربـــي إن كان ربي في السمـــــاء قضاهـــا

وهذه الأشعار وما شابهها تدل على إيمان بعض أهل الجاهلية بالقدر والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار! ويُلاحظ أن أهل الجاهلية مع إنكارهم لتوحيد الألوهية لم يُنكروا صفات الله تعالى في القرآن الكريم ولم يكن لهم جواب عليها. الرابعة عشر: وكانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يستجيب لهم بسبب ذنوبهم وعصيانهم ، فاتخذوا الوسطاء والشفعاء ليتقربوا بهم إليه وعظموا أولياءهم تعظيم العبادة ليتوسلوا بهم إلى الله فجاءت آيات القرآن الكريم تبين أن العبادة لا تكون إلا للواحد القهار ، وأنه لا يرضى لنفسه وسيطاً بعبد بينه وبين عباده فقال جل شأنه: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان). وقال: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد). وقال: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم). وقال: (كتب ربكم على نفسه الرحمة). وقال: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه). وقال: (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً). فلا حاجة إلى وسيط تصل به الرحمة أو يخبره بما يريد عباده. ويقول الشهرستاني عن أهل الجاهلية: (إنهم كانوا يقولون الشفيع والوسيلة منا إلى الله تعالى الأنصاب المنصوبة ، أما الأمر والشريعة من الله إلينا فهو المنكر فيعبدون الأصنام التي الوسائل). الخامسة عشر: وكانوا يعتقدون أن الأيمان المؤكدة المغلظة لا تكون إلا بالله تعالى. يقول جل شأنه: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت). وكانوا يحلفون بالله تعالى وصفاته العليا عند تأكيد اليمين ، أما الحلف بالأوثان فهي أقل مرتبة ، يقول أوس بن حجر مقسماً باللات والعُزى ومؤكداً عظمة الله فوقها:

وباللات والعُـــزى ومـــن دان دينها وبالله ، إن الله منهـــن أكبـــــرُ!

السادسة عشر: وكانوا يُعظمون البيت الحرام فلا يجعلون لبيوتهم ارتفاعاً يزيد على بيت الله الحرام ، وإذا أتى أحدهم النساء تجنب البيت ، ولذلك سميت جنابة! وأتى الإسلام فأقرّ هذه التسمية! السابعة عشر:

وكانوا يعتقدون أن البركة تأتي فقط من الله تعالى ، وأنه قد جعل هذه البركة في أنصاب أوليائهم ، فراحوا يلتمسونها منهم. ودليل هذا ما جاء في السيرة لابن إسحق أنه كان لبني ملكان صنم يقال له (سعد) ، فأقبل رجلٌ بإبل له ليقفها عليه التماساً لبركته ، فلما رأت الإبل دماء القرابين نفرت وذهبت في كل وجه فغضب صاحبها وأخذ حجراً رمى به الصنم وقال: لا بارك الله فيك يا سعد (يقصد الصنم) ، نفرت عليَّ إبلي! وأنشد بيتين ظريفين من الشعر الذي أثبتته الكتب والروايات:

أتينـــا إلى (سعـــدٍ) ليجمـــــع شملنا ففرقنا (سعدٌ) ، فلا نحن من (سعـــــــدِ)

وهل (سعدُ) إلا صخـــــــرة بتنوفـــةٍ من الأرض لا تدعـــو لغي ولا رُشْـــدِ؟!

الثامنة عشر: وكانوا في الجاهلية يعتقدون أن الله تعالى يُجازي العبد على أفعاله القبيحة ، وأن أصحاب الأفعال الحسنة يثيبهمُ الله تعالى عليها. ولهذا قالت السيدة خديجة – رضي اللع تعالى عنها – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (كلا! والله لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ،وتحمل الكل ، وتُقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتُعين على نوائب الحق) ، وهذا الأثر أورده البخاري في قصة بدء الوحي! ولأهل الجاهلية اعتقادات كثيرة في الله تعالى توافق الحق! ولكن هذا لا يعني أن القوم كانوا على شيء من الدين والإيمان لأنهم أتوا أفعال الشرك ، ولا يتحقق الإيمان إلا إذا جاء خالياً من كل شبهات الشرك. ولهذا جاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبايع على الإسلام بعد النطق بالشهادتين ، فرفض رسول الله – صلى الله عليه ومسلم – ببيعته وقال: (إنه يعلق تميمة) ، ولم يبايعه الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلا بعد أن قطع التميمة. من حديث رواه عقبة بن عامر الجهني. ومن هنا نعلم أن التوحيد لا يتحقق إلا بتخليص العقيدة من كل شرك. يقول الله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقد بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حديث صحيح أن الظلم هنا هو الشرك ، فلا أمان ولا هداية إلا بالتوحيد الخالص. وأي اتجاه إلى إصلاح الأعمال بدون إصلاح العقيدة لا قيمة له. لأن التوحيد هو أساس قبول كل عمل صالح ، يقول جل شأنه: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) ، فالدعوة إلى العمل الصالح بغير دعوة إلى التوحيد هو في الواقع دعوة إلى الهباء المنثور. والشرك يُحبط كل عمل مهما كان صالحاً. يقول جل شأنه: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين). التاسعة عشر: وكانوا في الجاهلية يعلمون أن السجود الحق لا يكون إلا لله تعالى. ولهذا لما قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سورة النجم ، وبلغ آية السجدة سجد معه المسلمون والمشركون الذين حضروا القراءة ، وقال المشركون: (علمنا أن الله يخلق ويرزق ويُحيي ويُميت ، ولكن آلهتنا تشفع عنده). العشرون: وكانوا في الجاهلية يعبدون الله تعالى ويعبدون معه آلهة أخرى هي أولياؤهم: (قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً). وكانوا يقولون: تشفع لنا عند الله ، وكذا تقربنا إليه زلفى ، ويظهر أن هذا كان شأن الأمم المشركة كلها! ولذلك كان ردهم على الرسل دائماً: (أجئتنا لتعبد الله وحده)؟! وقال أصحاب الكهف: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله)! وقال إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لقومه: (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين). وهذا يدل على أن القوم عبدوا رب العالمين ، وعبدوا معه آلهة أخرى! ولهذا جاء القرآن يقول: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) يعني الجمع بين عبادة الله وعبادة غيره بالدعاء والشرك هو الجمع بين العبادتين. ثم يضيف المؤلف – جزاه الله خيراً كثيراً – باباً

آخر عن البقية التي كانت في أهل الجاهلية من ملة إبراهيم – عيه الصلاة والسلام – وكان قد أجملها في نقاطٍ ست موجزة واضحة لا تحتاج إلى بيان! الأولى: تعظيم البيت الحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة ، وقد وضعوا عندها الأصنام فتحرج المسلمون من الطواف بينهما ، لهذا قال جل شأنه: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت فلا جناح عليه أن يطوف بهما). الثانية: وكانوا لا ينفرون صيد الحرم ويؤمنون ساكنه مهما كان منه ، وكان من أفظع الأمور عندهم غزو الحرم والقتال والظلم فيه ، وقد أعاد العرب في الجاهلية بناء الكعبة ، واتفقوا على ألا يُدخلوا في بنائها من كسبهم إلا ما كان طيباً ، فلا يدخل فيه مهر بغي ولا حلوان كاهن ولا ثمن كلب ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ، وهذا يدل على أنهم نظروا إلى هذه الأشياء نظرة مستهجنة قبيحة ، وكانوا كذلك يجتنبون الاقتراب من البيت الحرام قبل الاغتسال من المعاشرة الزوجية كما أسلفنا ، ولهذا سُميت الجنابة (وأقر الإسلام هذا التسمية)! الثالثة: وكانوا يَحَرمون القتال في الأشهر الحرم اتباعاً لدين إبراهيم – عليه الصلاة والسلام -. وإن كانوا قد ابتدعوا النسيء وهوتأخير حرمة شهر إلى شهر آخر. وكان الرجل يلتقي بقاتل أبيه يعرفه فلا يتعرض له ، وما ذاك إلا تعظيماً للحَرم وللأشهر الحُرم! الرابعة: وكانوا يحجون البيت الحرام ويقفون بعرفة وغيرها من المواقف ويؤدون مناسك العمرة ، إلا أنهم أدخلوا في الحج ما ليس منه! فكانوا أحياناً لا يرون لحجهم تماماً إلا إذا طافوا بالأنصاب. الخامسة: وكانوا يعتكفون في المسجد الحرام على سبيل العبادة ، كما جاء في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – نذر أن يعتكف يوماً في المسجد الحرام في الجاهلية! السادسة: وكانت لديهم بقايا من الملة الإبراهيمية منها الختان وغسل الميت وتكفينه! ولكنهم مع ذلك خلطوا ما ابتدعوه من المناسك والشعائر الصحيحة ، حيث أدخلوا الشرك على عقيدة التوحيد التي جاء بها إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – كذلك ابتدعوا في المناسك والشعائر ، واحتجوا مع ذلك أنهم على ملة إبراهيم ، فبعث الله تعالى رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – ليعيدها بيضاء نقية من شوائب الشرك والابتداع والجاهلية. وعلى كل حال جزا الله أستاذنا مصطفى درويش على هذا البسط الماتع والتفصيل الناجع والعرض النافع لتنفنيد ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى من العقائد والأخلاق! وأحب أن أضيف إلى أخلاق أهل الجاهلية الأولى مما لم يذكر الأستاذ درويش فأستدرك بعشر نقاطٍ فأقول: الأولى: كان لديهم بعض الغضب للحق برغم شركهم المحقق! يقول علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية: (اعترض أبو جهل مرة حكيم بن حزام ومعه غلامٌ يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – بالشعب ، فتعلق به الخبيث أبو جهل وقال له: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ فوالله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة. قال: فاتفق مجيء أبي البختري بن هشام ، فقال لأبي جهل: ما لك وله؟! فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم. فقال له أبو البختري: طعامٌ كان لعمته عنده بعثتْ إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلّ سبيل الرجل. فأبى أبو جهل وامتنع حتى نال أحدهما من الآخر وأخذ أبو البختري عظم بعير فضربه به فشجه وجرحه ووطئه أي داسه بقدمه بشدةٍ ثم أنشد يقول بعد ذلك:

ذق (أبا جهل) ، لقيـــت غما كذلك الجهـــل يكـــــون همّا

سوف تـــرى عَوْدي إن ألما كذلك اللـــــوم يعود ذمّـــــا

تعلم أنا نفـــــرج المهمـــا ونمنـــــع الأبلـــــج أن يطما

الثانية: كان عندهم مبدأ المحافظة على الصداقة والخلة حتى الموت! والدليل ما أورده ابن إسحق وابن هشام في السيرة في غزوة بدر يوم نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قتل أبي البختري بن هشام بن الحارث بن أسد (وكان مشركاً!) ، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بمكة. وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيءٌ يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب. فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار ، فقال المجذر لأبي البختري بن هشام: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد نهانا عن قتلك! وكان مع أبي البختري زميلٌ له قد خرج معه من مكة وهو جُنادة بن مُليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد. فقال: وزميلي؟ فقال له المجذر: لا والله ، ما نحن بتاركي زميلك! ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك. فقال: لا والله ، إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا تتحدث نساء مكة أني تركتُ زميلي حرصاً على الحياة. فلم يجد المجذر بُداً من مقاتلته ، وقد بدأ العدوان ، فقتله وجاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: والذي بعثك بالحق بقد جهدتُ عليه أن يستأسر فآتيك به ، إلا أنه قاتلني فقاتلته ثم قتلته. والشاهد هنا هو مبدأ المحافظة على الصحبة والصداقة حتى الموت ، ذلك المبدأ الذي نفتقده اليوم فيمن يدعون التوحيد والخصوصية في العقيدة إلا من عصم الله تعالى! الثالثة: كان بعضهم يُراعي الرحم والقرابة رغم كونه مشركاً! يحكي لنا ابن هشام وابن كثير في السيرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد أن انتهى من مناجاة ربه وهو تحت ظل شجرة عنب في بستان لعُتبة وشيبة ولدي ربيعة ، فلما رآهما النبي – صلى الله عليه وسلم – كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله! فلما رأياه على تلك الحالة تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: (عداس) وقالا له: خذ قطفاً من العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه. ففعل عداسٌ وأقبل ووضع العنب بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال له: كل ، فلما وضع رسول الله – صلى الله عليه وسلم ليأكل قال: باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله: ومن أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني ، وأنا من أهل نينوى. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يُدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متى! فمن أين عرفته؟ وأنت أمي من أمة أمية؟ قال رسول الله – صلى الله وسلم -: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي. فأكب عداسٌ على رأس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقبّل رأسه ويديه وقدميه! والشاهد مراعاة الرحم من جانب عُتبة وشيبة ولدي ربيعة رغم كونهما مشركين! الرابعة: كانوا في معظمهم يردون الحقوق لأصحابها ، ولا أدل على ذلك من قيام حلف الفضول بينهم! فما هي قصته؟ يذكر لنا الأستاذ أحمد خليل جمعة في كتابه (المبشرون بالنار ج1 ص125) ما نصه: (كان بعض الناس والتجار يُظلمون في مكة من بعض ذوي النفوذ والمكانة ، وكان آخر من ظلم بمكة رجل من قبيلة زبيد باليمن قدم مكة ببضاعةٍ له ، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ، وأبى أن يعطيه حقه وظلمه ثمنها ، وأكثر الزبيدي الاختلاف إليه ، فلم يعطه شيئاً ، فاستعدى عليه الأحلاف: عبد الدار وجمحاً ومخزوماً وسهماً وعدي بن كعب ، وسألهم أن يعينوه على العاص بن وائل ، فأبوا ذلك وانتهروه وزجروه وتجهموه ، ورفضوا أن يغلبوه على العاص ، فلما نظر الزبيدي إلى بضاعته قد حيل بينه وبينها ، ورأى الشر من الأحلاف ، صعد على جبل أبي قبيس عندما تلاشى الظلام وتنفس الصبح وقريش في أنديتها حول الكعبة المشرفة ، وصاح بأعلى صوته يستصرخهم لرد ظلامته وأنشد:

يا آل فهـــر لمظلـــــوم بضاعتــه ببطن مكـــة ، نائي الــدار والنفـــر

ومُحـــــرم أشعث لم يقض عُمرتــه يا آل فهـــر ، وبين الحِجر والحَجـــر

هل قائـــــم من بني سهم بخفرتــه؟ أم ذاهب في ضلال مال معتمـــــــر؟

إن الحـــــرام لمن تمـــت حرامته ولا حـــرام لثوب الفاجـــر الغـــدِر

ثم نزل الزبيدي عن الجبل ، وأعظمت قريش ما قال وما فعل! فقام الزبير بن عبد المطلب وقال: إن هذا الأمر ما ينبغي لنا أن نمسك عنه ، وما لهذا مترك ، فطاف في بني هاشم وزهرة وأسد وتيم ، واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في شهر حرام وهو ذو القعدة ، وتعاقدوا وأقسموا بالله وقالوا: لنكونن مع المظلوم يداً على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة وما بقي جبلا ثبير وحراء في مكانهما. وفي هذا الحلف يقول الزبير بن عبد المطلب مادحاً إياه:

إن الفضـــول تحالفوا وتعاقـــدوا ألا يُقيـــم ببطن مكـــــة ظالـــمُ

أمـــرٌ عليه تعاهـــدوا وتواثقــوا فالجـــار والمعتـــر منهم سالـــم

ومدح النبي – صلى الله عليه وسلم – حلف الفضول بقوله: (لقد شهدتُ في دار ابن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت!). وإذن فكان الحلف لرد المظالم).هـ. الخامسة: كان منهم من يعظم شعائر الله وحرماته وبيته الحرام ، بل وحدوده كحد السرقة وحد شرب الخمر ، ومنهم من يحرم الخمر على نفسه فلا يقربها فضلاً عن أن يشربها ، ومنهم من كان يحرم وأد البنات ويراه جريمة عاتية ، وما أخبار مكة ولا أنساب الأشراف ولا المجتبى لابن الجوزي ولا الأوائل للعسكري ولا غيرها من كتب المغازي والسير والتراجم والتاريخ منا ببعيد! يحدثنا الأستاذ أحمد خليل جمعة عن الوليد بن المغيرة أحد أثرياء بني مخزوم الذين يُشار إليهم بالبنان ، وكان يُكنى أبا عبد شمس ، وقد خلعت عليه قريش لقب العِدل كما لقبته كتب التوحيد ، أو أوحد العرب لأنه كان يكسو الكعبة وحده سنة ، وتكسوها قريشٌ سنة أخرى. ولم تكتفِ قريش بلقب العدل أو الوحيد أو الأوحد فأطلقت عليه لقباً آخر هو ريحانة قريش ، وذلك لما عُرف به في اللباس ، وكانوا يقولون في الجاهلية: لا وثوبي الوليد الخلق منهما والجديد! وقيل بأن الحجر الأسود حُمل ووضع بالكعبة بثوب الوليد بن المغيرة. وفي مجال القضاء كان الوليد أحد قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش في دار الندوة. ولقد سجل التاريخ أوليات للوليد بن المغيرة في العصر الجاهلي منها: أنه أول من قضى بالقسامة في الجاهلية ، فأقرها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الإسلام! والقسامة كما يُعرّفها ابن قتيبة في المعارف بأنها الحكم الذي أوحاه الله تعالى لموسى – صلى الله عليه وسلم – في كل قتيل وجد بين قريتين أو محلتين ، فلم تزل بنو إسرائيل تحكم بها ، وقضى بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم -. والوليد أول من خلع الخف والنعل لدخول الكعبة الشريفة في الجاهلية فخلع الناسُ نعالهم في الإسلام. ويقال بأنه أول من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وهو أول من قطع في السرقة في الجاهلية ، فقطع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الإسلام! وتشير المصادر بأنه كان من أصحاب الحيلة والإقدام ، وذلك يوم تداعت الكعبة الشريفة – قبل النبوة – وأوجسَ المشركون أن يهدموها ليُعيدوا بناءها من جديد توقيراً لتلك الحرمة التي كانوا يُقرنونها بالخشوع

والتوقير ، وكان الوليد له دور بارز جداً حينما تصدعت الكعبة وأعادت قريشٌ بناءها ، فقد كانت غير ذات سقفٍ ومنخفضة الارتفاع ، مما جعلها نهباً للصوص الذين أقدموا على سرقة بعض كنوز الكعبة التي كان القرشيون يحتفظون بها في جوفها. وعندما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سن الخامسة والصلاثين ، جاء سيل عارم فصدع جدران الكعبة ، وأوهن أساسها وكان قد أصابها من قبل حريق بسبب امرأة كانت تجمرها أي تطيبها ، وأصبحت قريش مضطرة إلى إصلاح ذلك وكانت الظروف مهيأة لقريش لتقوم بإصلاح الكعبة ، فقد رمى البحر بسفينة إلى جدة فتحطمت ، وكانت لأحد التجار ، فخرج وفد قرشي برئاسة الوليد بن المغيرة إلى جدة لشراء هذه السفينة ، فأخذوا خشبها ، وأعدوه لتسقيفها. وأرادت قريش هدم الكعبة ، لكنهم تهيبوا ذلك لمكانتها في قلوبهم ، وخوفهم أن يصيبهم الأذى ، وهنا قال لهم الوليد: أتريدون بهدمها الإصلاح؟ أم تريدون الإساءة؟ قالوا: بل نحن نريد الإصلاح يا أبا عبد شمس. فقال: إن الله لا يهلك المصلحين. قالوا: فمن ذا الذي يعلوها فيهدمها؟ فقال الوليد: أنا أعلوها فأهدمها. ثم ارتقى الوليد على ظهر البيت ومعه الفأس فقال: اللهم لا نريد إلا الإصلاح. ثم أخذ الفأس وجعل يهدم ، فلما رأته قريش قد هدم منها ولم يأتهم ما يخافون من العذاب ، هدموها معه ، ولما شرعوا في البناء الجديد قال لهم الوليد: لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم ، ولا تدخلوا فيه مالاً من ربا ولا مالاً من ميسر ولا مهر بغي ، وجنبوه الخبيث من أموالكم فإن الله لا يقبل إلا طيباً).هـ. والشاهد من هذه القصة إثبات أنهم على شركهم كانوا يعظمون كل مقدس فيعظمون الشعائر والكعبة والحرم إلى غير ذلك. (6) كان منهم من يشهد للحق بأنه حق وإن لم يتبعه وإن لم يكن من حزبه وأهله ، فمثلاً يقول أبو طالب:

ولقد علمـــتُ بأن دين محمـــد من خيـــر أديـــان البرية دينا

ومن شعره أيضاً كما يقول أبو محمد بن قدامة – رحمة الله تعالى عليه في مصنفه (مختصر السيرة):

ألا أبلغـــا عني على ذات بيننـــا لؤيـــاً ، وخصا من لؤي بني كعب

بأنـــا وجدنـــا في الكتاب محمـــداً نبياً كموســى خط في أول الكتـــب

وأن عليهِ في الكتـــــاب محبـــة ولا خيـــر ممن خصه الله بالحـب

ومن شعر أبي طالب كذلك كما في مختصر سيرة الرسول لابن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى -:

تعلم خيـــار النـــــاس أن محمداً وزيراً لموسى والمسيـح بن مريم

فلا تجعلـــــوا لله نداً ، وأسلمـــوا فإن طريـــق الحق ليس بمظلـم

والجدير بالذكر أنه لما جاءت أبا طالب جماعة من مشركي قريش وذلك بإشارة من الوليد بن المغيرة ، وكانوا قد أخذوا معهم أحد أبناء الوليد ويدعى (عمارة) فقالوا لأبي طالب: يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد أي أقوى فتىً في قريش وأجمله ، فخذه ولداً لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك محمداً هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل. فقال أبو طالب كلمة رعاها الزمن: والله ، لبئس ما تسومونني ، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني لتقتلوه؟ هذا والله لن يكون أبداً! وقال له المطعم بن عدي بن نوفل: يا أبا طالب ، لقد والله أنصفك قومك ، وجهدوا على

التخلص منك بكل طريق ، قال: والله ما أنصفتموني ، ولكنك أجمعت على خذلاني فاصنع ما بدا لك. فقال أشراف مكة لأبي طالب: إما أن تخلي بيننا وبينه فنكفيكه ، فإنك على مثل ما نحن عليه ، أو اجمع لحربنا فإنا لسنا بتاركي ابن أخيك على هذا ، حتى نهلكه أو يكف عنا فقد طلبنا الخلاص من حربك بكل ما نظن أن يخلص. فبعث أبو طالب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا ابن أخي إن قومك جاؤوني وقالوا كذا وكذا ، فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملني ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه ، فقال أبو طالب عند ذلك: امض على أمرك فوالله لا أسلمك أبداً! ودعا أبو طالب أقاربه إلى نصرته ، فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب (غير أبي لهب) وقال أبو طالب في ذلك شعراً يبين مدى حرصه على نصرة محمد – صلى الله عليه وسلم – وإن لم يتبعه:

والله لن يصِلـــوا إليك بجمعهـــم حتى أوســـد في التراب دفينـــا

فاصـــدع بأمرك ، ما عليك ملامـــة وابشـــرْ ، وقر بذاك منك عيونـــا

ودعوتني ، وعرفتُ أنك ناصحـــي ولقد صدقـــت ، وكنت ثم أمينـــا

وعرضـــت ديناً قد عرفـــتُ بأنـــه من خيـــر أديـــان البرية دينـــا

لولا الملامـــة أو حـــذار مَسبـــة لوجدتني سمحـــاً بذاك مبينـــا

وأبو طالب هو الذي قال لعلي ابنه عندما أتاه يستشيره في شأن اتباع ابن عمه محمد ، فقال له أبو طالب: اتبعه يا بني ، فإنه لم يدعك إلا لخير ، ألا فالزمه. وأبو طالب هو الذي قال لجعفر ابنه كما يذكر لنا العسكري في (الأوائل): يا جعفر صل جناح ابن عمك (يعني محمدا – صلى الله عليه وسلم -! وكان في صلاة ، فكان النبي إماماً لعلي وجعفر وكانت أول جماعة في الإسلام! فلم ينكر أبو طالب على ولديه جعفر وعلي اتباعهما لمحمد – صلى الله عليه وسلم -. ومن أبي طالب إلى صورةٍ أخرى نستدل بها على أن المشرك يمكن أن يعترف بالحق ويسلم له ولكن لأنه لم يعتنقه ولم يدخل فيه فمن هنا كان شركه ، وإذن فقرينة الإسلام اتباعه والعمل به وليس مدحه والثناء عليه فقط ، وإن كان المادح لشيء والمستحسن لدين في العادة والمنطق يتبعه ويعتنقه ويموت في سبيله. من أبي طالب إلى ليلى بنت أبي حثمة العدوية وزوجها عامر بن ربيعة بن مالك رضي الله تعالى عنهما – تقول ليلى: إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته ، إذ أقبل عمر بن الخطاب (وهو على شركه) حتى وقف عليّ وكنا نلقى منه البلاء ، فقال: أتنطلقون يا أم عبد الله؟ قالت: نعم ، والله لنخرجن في أرض الله ، فقد آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا فرجاً ومخرجاً! فقال عمر: صحبكمُ الله ، ورأيت له رقة وحزناً. قالت: فلما عاد عامر ، أخبرته وقلت له: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعتِ في إسلامه قالت: نعم. فقال: لا يُسلمُ هذا حتى يُسلمَ حمارُ الخطاب. (7) بعض نساء الجاهلية كن يسترن الوجوه عن الأجانب ، وعلى هذا فالنقاب كان معروفاً في الجاهلية ، والدليل على ذلك موجود في أشعارهم ومواقفهم ، والتي سوف أستشهد بها ، وأقول زيادة على ذلك أن كتب اليهود والنصارى المحرفة في زماننا هذا دعت النساء إلى وجوب ستر الوجوه عن الأجانب. ففي العهد القديم وكذلك العهد الجديد ، وكما ورد في الإصحاح الرابع والعشرين والثامن والثلاثين من سفر

التكوين ، والإصحاح الثالث من سفر أشعياء: (إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن ، بأن ينزع عنهن زينة الخلاخيل والضفائر والحلق والأساور والبراقع والعصائب) ، وكانت الكنيسة حتى القرون المتوسطة (الوسطى) تُخصص جانباً منها للنساء ، حتى لا يختلطن بالرجال ، ولا يرى الرجال وجوههن البتة. والأن أعود لكفار العرب ومشركيهم قبل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – كان من مكارم الأحلاق عندهم ، كما تذكر ذلك أشعارهم سترُ المرأة وحجبُها وسترُ وجهها ، قال الشاعر الجاهلي:

تكســـل عن جاراتهـــا ، فيزرنهـــا وتعتـــل من إتيانهن ، فتعـــــذرُ

والشاعر في البيت السابق يمتدحُ القرار في البيت ويُحَبذه للنساء ، وأما حجاب الوجه وستره عن الأجانب فكان معروفاً ، والدليل عليه قول النابغة الذبياني عندما رأى وجه امرأة النعمان في الجاهلية عندما سقط الخمار عنه في السوق أمام الناس وهي تسير ، فمالت إلى الأرض تلتقطه بيد ويدها الأخرى على وجهها فقال النابغة:

سقط النصيـــفُ ، ولم تُرد إسقاطـــه فتناولتْـــــه ، واتقتنـــا باليـــــدِ

ولقد قامت حربُ الفجار بين قريش وهوازن بسبب تعرض شباب من كنانة لامرأة من غمار الناس ، راودوها على كشف وجهها ، فنادت: يا آل عامر! فجاوبتها سيوف بني عامر. وكان بعض النسوة متبرجات تماماً بتمام كما تصنع أشباههن في الجاهلية المعاصرة. وبمطالعة قصة إسلام السيدة هند بنت عتبة – رضي الله تعالى عنها – كما أوردها ابن سعد في الطبقات وغيره من رواة المغازي والسير أنها دخلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – وقبل إسلامها وشهادتها شهادة الحق (وهي منتقبة متنكرة ، ثم كشفتْ عن وجهها وقالت: أنا هند بنت عتبة. والقصة دليل قاطع على أن النقاب كان معروفاً في الجاهلية الأولى تلك. (8) كان بر الوالدين والإحسان إليهما ديدن أهل الجاهلية الأولى ، وكان عقوق الوالدين مَعرة وسُبة في جبين من فعله. والدليل على ذلك وكما أورده الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ، وكان ذلك يوم بدر حيث كان في جيش المشركين من أقرباء السيدة هند بنت عتبة قبل إسلامها (أبوها وأخوها وعمها وزوجها) ، وأما في جيش المسلمين فكان أخوها أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بصحبة مولاه سالم ، وكان لأبي حذيفة بن عتبة موقفٌ عطرٌ للغاية يوم بدر ، حيث دعا أباه إلى المبارزة ، فأنشدتْ أخته هند بنت عُتبة تقول في ذلك:

الأحـــول الأثعـــل المذمـــوم طائره أبو حذيفـــة شر النـــاس في الديـن

أما شكـــرت أبا رباك من صغـــــر حتى شببـــت شباباً غيـــر محجـون

(9) وكان بعض أهل الجاهلية يراعي عهد القرابة وإن كان يخالف دين أهل قرابته ، يحكي لنا الأستاذ أحمد خليل جمعة في كتابه: (نساء من عصر النبوة الجزء 2 الصفحة 339) أن السيدة هند بنت عتبة بن ربيعة – رضي الله عنها – وكانت قبل إسلامها وبالرغم مما كان بينها وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – لكنها لما أن علمت بعزم زينب بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الهجرة إلى المدينة المنورة ، ذهبت إليها في هدأة الليل ، وعرضت عليها مساعدتها كابنة عم تحفظ عهد القرابة وأظهرت لها كل مروءة

وقالت: يا ابنة محمد ، بلغني عزمُكِ على الرحيل. وعندئذ حاولت زينب – رضي الله عنها – أن تُخفيَ خبر هجرتها عن هند ، فقالت لها هند: لا تكذبيني فإن ما بين الرجال لا يتعداهم إلى النساء ، فإن أحوجك معونة من مال أو عمل ، فإن أولى الناس بإسعادك ابنة عمك (تريد نفسها) ، ولما علمت هندُ أن قريشاً عرضوا لزينب في هجرتها ، خرجتْ إليهم تؤنبهم على عملهم الشائن الفاضح هذا وتهجوهم ، وأنشدت تُعيرهم وتقول فيهم:

أفي السلم أعيـــارٌ جَفـــاءً وغِلظـــة وفي الحـــرب أشباه النســـاء العوارك؟

(10) كثير من أهل الجاهلية كانوا يرون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نبي الله بحق ، ومع ذلك لم يتبعوه ، فلا تنخدع بمن يرون في الحق أنه حق ويعتقدون ذلك ولكن لا يتبعونه ، وناقشنا قضية أبي طالب وكلامه وشعره ومواقفه ، وكذلك كلام السيدة هند بنت عتبة – رضي الله عنها – قبل إسلامها ، وغير ذلك. يقول الأستاذ مصطفى عبد اللطيف درويش في مصنفه الرائع: (الجاهلية والجاهليون) ص 86 ما نصه: (الجاهلية لا يكذبون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكنهم يستكبرون ، يقول جل شأنه: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ، فلم يسبق للجاهليين أن جربوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذاً ، بل كان لديهم قبل ظهور دعوته الصادق الأمين ، فلما ظهرت الدعوة ولم تفلح حججهم تلك الباطلة في ردها كان أمرهم عجباً. لم يجربوا عليه كذباً ومع ذلك (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) ، ولم يعهدوا فيه جنوناً أو كهانة ومع ذلك اتهموه بالكهانة والجنون فدافع عنه ربه: (فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) ، بل هي نعمة النبوة. ولم يكن يشتهر بينهم بقول الشعر ومع ذلك قالوا: (شاعرٌ نتربصُ به ريب المنون) ، ودافع عنه ربه تعالى فقال: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وكل هذه الأشياء التي افتراها الجاهليون يعلمون أنها لا تقوم على أساس ، بل هم أول من يعلم أنها كلها كذبٌ لا أساسَ له ولا وجود ، ولكنهم قالوا ذلك ليصرفوا الناس عن دعوته ، دفعتهم إلى ذلك حمية الجاهلية وعصبيتها التي تريد الدفاع عن تراث الآباء والأجداد وإن كانوا ضُلالاً ، وكشف الله تعالى ما في قلوبهم بقوله: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ، هم علموا بأنك صادق ، وما كان منهم إلا الجحود بآيات الله. والأدلة على ذلك كثيرة: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الوليد بن المغيرة قرأ عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً من سورة فصلت فأقسم الوليد بالله تعالى أنه ما يقول هذا الكلام بشرٌ أبداً!).هـ. والحقيقة أنني تأملت كلام الوليد برواياته كلها فوجدته أثبت النبوة للنبي – صلى الله عليه وسلم – كما أصبت أن هذا القرآن كلام الله صدقاً وحقاً ، وأثبت أن هذا الدين غالبٌ لا محالة ، وأن هذا النبي ظاهر لا محالة ، حيث قال الوليد عندما سمع من النبي – صلى الله عليه وسلم – شيئاً من القرآن: (والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته وما يقول هذا بشر)! وقال: (يا قومي سوف تقدم عليكم وفود العرب من كل جانب وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأياً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، فقالوا: فأنت فقل! فقال: بل قولوا وأنا أسمع ، قالوا: نقول كاهن! قال: ما هو بزمرة الكهان ولا سجعهم ، قالوا: نقول مجنون! قال: ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته ، وليس تخالجه خفقات الجنون قط. قالوا: نقول شاعر. قال: لقد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه. قالوا: نقول ساحر. قال: ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة وسحرهم فما يتمثل بعقدهم ولا نفثهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: ما نقول بشيءٍ من هذا إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يُفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه

وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك! ففعلوا). وعلى حد قول الأستاذ مصطفى: لم يكونوا يكذبونه – صلى الله عليه وسلم – إلا استكباراً في الأرض ومكر السيء! يُضاف إلى ذلك ما قاله أبو جهل: إني أعلم أنه نبي ، ولكن منذ متى كنا تبعاً لبني عبد مناف؟ وهنا نلمح أن سبب الإعراض الحقد والحسد ليس إلا! وذكر الزهري أن أبا جهل وجماعة معه منهم الأخنس بن شريق استمعوا لقراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال الأخنس بن شريق لأبي جهل: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: هم أطعموا ونحن أطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذا؟ والله لا نسمع له أبداً ولا نصدقه! ويُفهم جلياً من كلام أبي جهل أنه كان يعتقد نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكن لم يتبع ولم يعمل ، نقول ذلك لنثبت أن أهل الجاهلية كانوا يعترف أغلبهم لمحمد بالنبوة والرسالة ويوقنون بها ، هذه واحدة ، والثانية نقوله لنثبت للذين يزعمون أن التصديق والإقرار يكفيان (دون العمل) لإثبات الإسلام والإيمان ، ولو كان ذلك كذلك لكان كثير من أهل الجاهلية مسلمين مؤمنين لتصديقهم ولإقرارهم. أعتقد أنني بهذي النقاط العشر وسبقها نقاط الأستاذ مصطفى قد استطعت أن أثبت أن أهل الجاهلية كانوا على بقايا من الحنيفية السمحة ، الأمر الذي يفيدنا كثيراً في معرفة الخلفية العقدية التي في مثلها كان شاعرنا عنترة بن شداد العبسي يعيش. لقد كانوا يعترفون بأن الله تعالى ربهم ومليكهم. ففي كتاب (عقيدة الموحدين) للأستاذ عبد الله بن سعدي الغامدي ص 11 (والكتاب نقولات من كتابات أهل العلم) يقول وبالنص: (وأما الإقرار بتوحيد الربوبية ، وهو أن الله عز وجل خالق كل شيء ومليكه ومدبر أمره فهذا يقر به المسلم والكافر ، ولا بد منه ، ولكن لا يصير الإنسان به مسلماً حتى يأتي بتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن العمل بمقتضاه المشركون وبه يتميز المسلم عن المشرك ، وأهل الجنة من أهل النار! وقد أخبر سبحانه في مواضع من كتابه عن المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية ، ويحتج عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على إشراكهم في توحيد الألوهية (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله) قال البكري الشافعي في تفسيره لهذه الآية: (إذا قلت إذا أقروا بذلك فكيف عبدوا الأصنام؟ قلتُ: كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله والتقرب إليه لكن في طرق مختلفة: ففرقة قالت: ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة وذلك لعظمته فعبدناها لتقربنا إلى الله زلفى ، وفرقة قالت: الملائكة ذوو وجاهة عند الله اتخذناها أصناماً على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى ، وقالت فرقة: جعلنا الأصنام قبلة لنا في العبادة كما أن الكعبة قبلة في عبادته ، وفرقة قالت: نعتقد أن لكل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان كل حوائجه بأمر الله ، وإلا أصابه شيطانه بنكبة بأمر الله أيضاً!) وقال ابن كثير – رحمه الله تعالى – عند قوله تعالى: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى): (إنما حملهم على عبادتهم أنهم عبدوا الأصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا. قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي ليشفعوا لنا وليقربونا عنده). وهي ذات الكلمات التي نستمع إليها اليوم من عبدة القبور والأضرحة والمزارات. والحقيقة أن الإقرار الذي حكاه لنا القرآن عن جميع بني آدم يكفي لأن يكون الإقرار بالربوبية فطرياً (وبالرغم من ذلك تفضل الله ببعث الأنبياء وإرسال الرسل لإقامة الحجج) ، وإلى ذلك ذهب ابن كثير والنووي وغيرهما. وهذا حجة على عنترة بن شداد وغيره من أهل زمانه ومن أتى بعدهم إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما

عليها ومن عليها. يقول الأستاذ محمد رشيد رضا في تفسيره (المنار) معلقاً على آية الأعراف (آية الإقرار في عالم الذر) ما نصه: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل ال آيات ولعلهم يرجعون) هذه الآيات بدء سياق جديد في شؤون البشر عامة المتعلقة بهداية الله لهم بما أودع في فطرتهم وركب في عقولهم من الاستعداد للإيمان به وتوحيده وشكره في إثر بيان هدايته لهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب في قصة بني إسرائيل ، فالمناسبة بين هذا وما قبله ظاهرة ولذلك عطف عليه جملة على جملة ، أو سياق على سياق ، قال تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم). والظهور جمع ظهر وهو العمود الفقري لهيكل الإنسان الذي هو قوام بنيته ، ومركز النخاع الشوكي الذي عليه مدار حياته ، فيصح أن يعبر به عن جملة وجوده الجسدي. والذرية سلالة الإنسان من الذكور والإناث. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (ذرياتهم) بالجمع وقرأ الباقون بالإفراد. ومعناهما واحد ، فإن المفرد المضاف يفيد العموم ، ورسمها في المصحف الإمام واحد ، وقوله (من ظهورهم) بدل من بني آدم بمعناه ، والجمهور على أنه بدل البعض من الكل ، وهو الظاهر إذا لم يرد بهذا البعض ذلك الكل وقال أبو البقاء هو بدل الاشتمال. والمعنى: واذكر أيها الرسول في إثر ذكر أخذ ميثاق الوحي على بني إسرائيل خاصة ، ما أخذه الله من ميثاق الفطرة والعقل على البشر عامة. إذ استخرج من بني آدم ذريتهم بطناً بعد بطن ، فخلقهم على فطرة الإسلام وقد أودع في أنفسهم غريزة الإيمان ، وجعل من مدارك عقولهم الضرورية أن كل فعل لا بد له من فاعل ، وكل حادث لا بد له من محدث ، وأن فوق كل العوالم الممكنة القائمة على سنة الأسباب والمسببات ، والعلل والمعلولات ، سلطاناً أعلى على جميع الكائنات ، وهو الأول والآخر ، وهو المستحق للعبادة وحده ، وهذا معنى قوله عز وجل: (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) أي أشهد كل واحدٍ من هذه الذرية المتسلسلة على نفسه بما أودعه في غريزته واستعداد عقله قائلاً قول إرادة وتكوين لا قول وحي وتلقين ألست بربكم؟ فقالوا كذلك بلغة الاستعداد ولسان الحال لا بلسان المقال: بلى أنت ربنا والمستحق وحده لعبادتنا إياه ، فهو من قبيل قوله تعالى: (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) وهذا النوع من التعبير والبيان يسمى في عُرف علماء البلاغة بالتمثيل ، وهو أعلى أساليب البلاغة وشواهده في القرآن وكلام البلغاء عموماً. ولقد بين سبحانه سبب هذا الإشهاد وعِلته فقال: (أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين) ، أي فعلنا هذا منا لاعتذاركم أو احتجاجكم يوم القيامة بأن تقولوا إذا أنتم أشركتم فقال: إنا كنا غافلين عن هذا التوحيد للربوبية وما يسلتزمه من توحيد الألوهية بعبادة الرب وحده ، والمراد أنه تعالى لا يقبل منهم الاعتذار بالجهل. (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) ، أي جاهلين ببطلان شركهم ، فلم يسعنا إلا الاقتداء بهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) باختراع الشرك هذا فتجعل عذابنا كعذابهم ، مع عذرنا بتحسين الظن بهم ، والمراد أن الله تعالى لا يقبل منهم الاعتذار بتقليد آبائهم وأجدادهم ، كما أنه لم يقبل منهم الاعتذار بالجهل ، بعدما أقام عليهم من حجة الفطرة والعقل. (وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون) أي ومثل هذا الفعل والتفصيل البليغ نفصل لبني آدم الآيات والدلائل حتى يستعملوا عقولهم ، ولعلهم يرجعون بها عن جهلهم وتقليدهم ، والآيات تدل على أن من لم تبلغه بعثة رسول لا يعذر يوم القيامة بالشرك بالله تعالى ولا بفعل الفواحش والمنكرات التي تنفر منها الفطرة السليمة ، وتدرك ضررها وفسادها العقول المستقلة ، وإنما يعذرون بمخالفة هداية الرسل فيما شأنه أن لا يعرف إلا منهم وهو أكثر العبادات التفصيلية).هـ. وإذن فعنترة وأمثاله لا يحتجون أبداً بأنهم معذورون بالجهل في أصول العقيدة ،

ذلك بأنهم قد أعرضوا وضلوا ضلالاً بعيداً ، وما نفعهم قط إقرارهم بالربوبية لله. وفي مختصر سيرة الرسول لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص 27 نرى إيضاحاً آخر لهذه القضية وهي أنه لا عذر لأهل الجاهلية في كونهم أشركوا بالله تعالى في عبادته ، يقول نصياً: (واعلم رحمك الله أن أهل الجاهلية لا عذر لهم في ترك رسالة الله ، لأن الرسالة عمت بني آدم ، كما قال تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال: (ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ، وأصل ذلك ما ذكر الله أنه لما أهبط نبيه آدم عليه السلام ومن معه من الجنة قال سبحانه: (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى) وفي أخرى: (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) ، وهداه الذي وعدنا به هو إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وقد وفى بما وعد سبحانهى ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فتوارث بنو آدم العلم والهدى عن أبيهم آدم – عليه السلام – قال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين فكان أول من بعث نوح. وهكذا قال مجاهد وغير واحد من السلف. وكان أول ما كادوهم به الشيطان من تعظيم الصالحين ، كما ذكر الله في قوله: (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس في قوله: (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أن هؤلاء أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت ، وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطجيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. وروى عبد الله بن حميد عن محمد بن كعب في قوله تعالى: (ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخذهم في العبادة ، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم تنظرون إليهم ، فصوروا ، ثم ماتوا ، فنشأ قوم بعدهم ، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونها فعبدوها! وروى ابن جرير عن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني ىدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فلما ماتوت جاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم. وقال ابن القيم: قال غير واحدٍ من السلف بأنهم كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبر كل واحدٍ منهم ، ثم صوروهم أو صوروا لهم تماثيل ، وطال عليهم الأمد فعبدوهم ، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل ، وهما اللتان أشار إليهما النبي – صلى الله عليه وسلم في قوله: (أولئك إذا مات الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). وقال الكلبي: كان هؤلاء قوماً صالحين ، فماتوا في شهر ، فجزع عليهم ذوو أقاربهم فصوروا صورهم ، فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه ، حتى ذهب ذلك القرن ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم الأول. ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم فعبدوهم. فلما بعث الله نوحاً ، وغرق من غرق أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة. فلما نضب الماء بقيت على الشط ، فسفت الريح حتى وارتها. قال: وكان عمرو بن لحي سيد خزاعة كاهناً ، وكان له رئيٌ من الجن ، فأتاه فقال: عجل السير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة. ايت جدة ، تجد أصناماً معدة. فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى جدة فاستثارها حتى حملها

حتى أوردها تهامة وحضر الحج ، فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه).هـ. وقال غير واحد من رواة التاريخ والسير: إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب البلقاء وبها يومئذٍ العماليق فرآهم يعبدون الأصنام ، فاستحسن ذلك وظنه حقا فقال لهم: أعطوني صنماً منها فأسير به إلى أرض العرب ، فأعطوه صنماً واحداً يقال له هبل. فقدم به مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه. قال السهيلي: وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً ، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يعظم الناس ويكسو في الموسم فربما نحلر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة حتى أن اللات الذي كان يلت السويق للحاج على صخرة معروفة فسميت صخرة اللات ، ويقال بأن الذي كان يلت السويق من ثقيف ، فلما مات قال لهم: إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنى عليها بيت يسمى بيت اللات. ولقد كانت التلبية من عهد إبراهيم – عليه السلام: (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) ، حتى كان عمرو بن لحي الخزاعة هذا فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال: لبيك اللهم لبيك فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك ، فأنكر ذلك عمرو فقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما ملك ، فقال: فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو بن لحي فقالت بها العرب. فإثبات وصف الشرك مع الجهل وقبل قيام الحجة الرسالية لهؤلاء الأقوام في عصر الجاهلية الأولى هو الأولى والأحرى. وهناك دليلان ناصعان على هذا الرأي نستلهما من كتاب: (العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي للأستاذ مدحت بن الحسن آل فراج ص 17): <u>الدليل الأول</u>: قوله تعالى: (وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون) ، قال الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه – صلى الله عليه وسلم -: وإن استأمنك يا محمد أحد من المشركين هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذي أنزله الله تعالى عليك فأجره. يقول: فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه ثم رده بعد سماع كلام الله إن هو أبى أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه. ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون. يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان لهم حتى يسمعوا القرآن وردك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم من أجل أنهم قومٌ جهلة لا يفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوزر والإثم لتركهم ذلك الإيمان بالله).هـ. وقال الإمام البغوي: (حتى يسمع كلام الله) فيما له وعليه من الثواب والعقاب ، (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى قيام الساعة).هـ. وقال الإمام الشوكاني في تفسيره: (بأنهم قوم لا يعلمون) أي بسبب فقدهم للعلم النافع المميز بين الخير والشر في الحال والمآل).هـ. قلتُ: فهذا النص القرآني المحكم في دلالته يثبت في وضوح حكم الشرك مع الجهل الشديد المطبق في وقت اندرستِ الشرائع وطمستْ فيه السبل ، واشتدتِ الفتن حتى إذا أخرج العبد يده فيها لم يكد يراها من شدة الظلمات لذلك سميت بالجاهلية لكثرة الجهالات. قال الإمام النووي تعليقاً على حديث ابن جدعان: وأما الجاهلية فما كان قبل النبوة ، سموا بذلك لكثرة جهالتهم ، وقال ابن تيمية – رحمه الله – موصفاً إياها: اعلم أن الله قد أرسل محمداً إلى الخلق وقد مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا أو أكثرهم قبل مبعثه ، والناسُ إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب – إما مبدل وإما منسوخ – وإما بدين دارس بعضه مجهول وبعضه متروك ، وإما أمي من عربي وعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك ، والناس في جاهلية جهلاء من مقالات يظنونها علماً وهي جهل ، وأعمال يحسبونها صلاحاً وهي فساد ، وغاية البارع منهم علماً وعملاً أن

يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين مشوب بأهواء المبدلين والمبتدعين قد اشتبه عليه حقه ببطاله ، أو يشتغل بعلم القليل منه مشروع وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلاً وأن يكدح بنظره نظر المتفلسفة فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق حتى يصل – إن وصل – بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب لا يروي غليلاً ولا يشفي عليلاً ولا يغني من العلم الإلهي شيئاً ، باطله أضعاف حقه – إن حصل – وأنى له بعد ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله والاضطراب وتعذر الأدلة عليه والأسباب).هـ. والحقيقة التي يجب أن ندركها أن هذه الخلفية الاعتقادية التي عاشها عنترة بن شداد وأهل زمانه كان لها أكبر الأثر على الأسلوبية التي احتواها شعر الواحد منهم وعنترة واحدٌ منهم! سواء في ذلك الأسلوبية التركيبية الصياغية والتي نعني بها هنا صناعة الشعر من الصور البيانية والمحسنات البديعية والإيحائية أو الأسلوبية المضمونية والتي نعني بها الموضوعات والمواد التي كان شعر الواحد فيهم يقدمها للناس جميعاً. إن شركهم كمَنحى اعتقادي كان له كبير الأثر على الأسلوبيتين ، ونحن نذهب إلى أنهم كانوا لا يشعرون قط بأنهم أشركوا بالله. بل على العكس تماماً تجدهم قد أساؤوا الظن بخالقهم ، فلما أساؤوا الظن أساؤوا الاعتقاد ، وأسؤوا مع الاعتقاد التصرفات والسلوكيات والتصورات ومنهجيات التفكير ، وما الشعر إلا أسلوب من أساليب التفكير الصياغي لما يدور في القلوب من خلجات ومشاعر وأحاسيس وانفعالات. يقول أستاذنا صاحب (العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي) ص95 من كتابه مشيراً إلى هذه القضية من الناحية العقدية ما نصه: (لا تجد مشركاً قط إلا وقد ظن بربه ظن السوء ، وهذا الظن طعن مباشر في ألوهيته وربوبيته ونفي لهما ، فلذلك تجد معبوده ليس هو الله وإن هو ادعى غير ذلك ، وإنما معبوده هو الشيطان – عليه لعنة الله – ومن هنا نعلم أن أي مشرك لم يعرف الله تعالى وإن زعم غير ذلك. وهذا معنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في أهل الكتاب فإذا عرفوا الله ، وهذا يبطل قول من يزعم أن من أقر بالعبودية لله في الإجمال دون التفصيل ، أي قد يدعو غير الله أو يذبح أو ينذر لغير الله مع إقراره أنه لا ريعبد إلا الله فهو مسلم في الدنيا وناج عند الله تعالى يوم القيامة ، فإن هذا باطل كل البطلان لأن الله تعالى لا يعبد إلا بالتوجه له وحده لا شريك له وأن يكون المتوجه له بالعبادة مسلماً خالصاً لله الواحد القهار ، فالشرك ينفي مفهوم العبادة لدى العبد هذا ، فلا يوصف بأنه عبد لله. والدليل الصحيح الصريح على ما مضى كله الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: (.....كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت.....) قلتُ: ومن المعلوم أن من كان يعبد الطواغيت والشمس والقمر يظن أنه يعبد الله! ولكنه في الحقيقة يعبد الطواغيت والشمس والقمر ، لذلك عند التوجه في أرض المحشر تبعهم ولم يتبع رب العالمين ، ولم يبق في أرض المحشر إلا من كان يعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له الدين بعد إقصاء أهل الكتاب والمنافقين كما جاء في الحديث. فعلم بهذا الحديث أن عبادة الله لا تكون إلا بالتوجه لله وحده لا شريك له في حال إسلام وإخلاص من المتوجه. وإذا كان ذلك كذلك لم يبق للمشرك أيا كان هذا المشرك نصيب من عبادة الله تعالى ، وعلم بقين أن أي مشرك فهو جاهل بربه مضرب عن عبادته شاء المشرك أم أبى! قال صاحب قرة عيون الموحدين تعليقاً على هذا الحديث: (قوله: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة سواه. فكان قولهم: لا إله إلا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة ، فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد فيأتون بما ينافي هذه الكلمة فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم

وقولهم وفعلهم وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك).هـ. هذا ولقد أفاض العلامة ابن القيم في كتابه الجميل: (طريق الهجرتين وباب السعادتين) وبالتحديد في فصل (مراتب المكلفين) وهو يقسمهم إلى طبقات نستل منها الطبقة السابعة عشر من الكتاب نقلاً عن (العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي) ص 285 (يقول ابن القيم: الطبقة السابعة عشر وهي طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبعاً لهم حيث يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون وإنا على أسوة بهم. وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار. وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم. وقد صح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة). وهذا المقلد ليس بمسلم. وهو مكلف عاقل ، والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام أو الكفر. وأما من لم تبلغه الدعوة ، فليس بمكلف في تلك الحال وهو بمنزلة الأطفال والمجانين. والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به ، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل. (وأقطع هنا كلام ابن القيم لأضيف معلومة في غاية الأهمية ، وهي أن أنواع الكفر يا أقوامنا خمسة: مبسوطة بأدلتها في كتاب أنواع التوحيد وأنواع الشرك للعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، يقول: والكفر كفران: كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع: كفر التكذيب (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوىً للكافرين). كفر الإباء والاستكبار مع التصديق (وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين). كفر الشك وهو كفر الظن (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا). كفر الإعراض (والذين كفروا عما أنذروا معرضون). كفر النفاق (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) وهناك كفر آخر أكبر هو كفر الردة (فمن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر.....). وأما الكفر الثاني والذي هو الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة فهو كفر النعمة (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)! وأعود الآن لكلام ابن القيم عندما كان يقول عن العبد الذي لم يوحد الله ولم يعبده وحده لا شريك له ولم يؤمن به ولم يتبعه كما شرع له على ألسنة رسله ، فليس بمسلم ، ثم يقول: وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل. ثم يكمل فيقول: فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين ، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً. ثم تحدث عن الجاهل المعرض والجاهل العاجز عن إدراك الهدى. والاثنان كافران: إلا أن الكافر الأول معذب لإعراضه ، والكافر الثاني غير معذب ويُمتحن في الآخرة. بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر ، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هذا في الجملة ، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه. هذا في أحكام الثواب والعقاب ، وأما في أحكام الدنيا الجارية الظاهرة ، فهي جارية على ظاهر الأمر ، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا الظاهرة ، فلهم حكم أوليائهم. وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة. وهو مبني على أربعة فصول: الأول: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه. الثاني: أن العذاب يُستحق بسببين أما أحدهما فهو الإعراض عن الحجة وأما الثاني فهو العناد لها بعد قيامها ، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة رسل الله تعالى. الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة وكذا الأشخاص ، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان ، وفي بقعة وناحية دون أخرى. الرابع: أن

أفعال الله تعالى تابعة لحكمه. ثم يخلص صاحب كتاب (العذر بالجهل) إلى سبع نقاط يلخص فيها الطبقة السابعة عشر من طبقات المكلفين لابن القيم فيقول: ونخرج من هذا النقل بما يلي من النقاط (وهي سبع): الأولى: المشرك الجاهل المقلد كافر. وهذه النقطة هي التي من أجلها تطرقت إلى ابن القيم وللأستاذ مدحت آل فراج أصلاً! الثانية: الجنة لا تدخلها إلا نفس مسلمة ، وهذا المشرك المقلد ليس بمسلم. (ولا يخفى أن عنترة ومن كان على شاكلته كان يتعلل بالتقليد)! الثالثة: المسلم هو من عبد الله وحده لا شريك له وآمن برسوله – صلى الله عليه وسلم – واتبعه فيما جاء به. الرابعة: العبد المكلف لا يخرج عن الإسلام أو الكفر. (والعقل مناط التكليف ، والذي جعله يدرك شؤون دنياه لماذا لم يجعله يدرك شؤون أخراه؟ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون). الخامسة: كفر الجهل مع عدم قيام الحجة أصحابه كفار في أحكام الدنيا لا في أحكام الثواب والعقاب ، أي الكفر المعذب عليه. السادسة: كفر الجهل بعد قيام الحجة أصحابه كفار في أحكام الدنيا وفي أحكام الثواب والعقاب. السابعة والأخيرة: المشرك الجاهل المقلد لرئيسه وإمامه ليس بمسلم سواء بلغته الحجة أم لا ، لأن الإسلام هو ترك الشرك والاستسلام لله عز وجل وحده والإيمان به وبرسوله واتباعه فيما جاء به).هـ. والآن وقد أثبتنا أنهم لم يكونوا قط معذورين بالجهل ، وأنهم أثبتوا لله – عز وجل – الربوبية والهيمنة على الكون كله وكانوا أهل مناسك وشعائر تعبدية ولو منحرفة ، وكان لدى معظمهم كثير من الأخلاقيات والآداب والمبادئ والقيم التي قل أن نجدها اليوم في كثير ممن يدعون الإسلام. ونسأل: لماذا كانوا مع ذلك كله مشركين جاهليين لا يدينون دين الحق باستثناء الحنفاء الموحدين أمثال: (زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الأيادي وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش وغيرهم ممن عبدوا الله على البقية الباقية من ملة إبراهيم – عليه السلام – وورقة بن نوفل الذي كان على دين المسيح – عليه السلام – أقول: أهل الجاهلية أتاهم الشرك من زاوية الألوهية والعبادة لا من ناحية الربوبية. وربما يقول قائل: وما فائدة هذا الكلام وما علاقته بهذي القراءة الأسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي؟ وهو سؤال وجيه وعظيم للغاية ، حيث إننا في قراءتنا الأسلوبية هذه تعمد كثيراً لا إلى ربط الشعر وأسلوبيته بالعقيدة ، الأمر الذي لا يلتفت إليه اليوم غالبية النقاد والمحققين والمدققين والباحثين في الشعر ، وكأنما الذي يعنينا في الشعر ترانيمه ، وكطأنما الذي يعنينا في الشاعر أشعاره وقصائده ، والأمر في حقيقته أكبر من ذلك! إذ بالشعر يُعرف الشاعر ، وبالشاعر يُعرف الشعر! بمعنى أن الشعر المزخرف بنقاء التوحيد والعقيدة وبهاء الفهم الصحيح للحنيفية السمحة ، لا يصدر إلا عن شاعر له ذات الصفات والخصال ، من بهاء العقيدة ونقاء التوحيد ونصاعة الفهم الصحيح للحنيفية السمحة ، والعكس صحيح ، حيث إن شاعر العقيدة الحقة والتوحيد الخالص لا يقبل أن ينسب إليه إلا الشعر الصالح الموحد ، فيصدر عنه الشعر الغزلي الصالح والشعر الهجائي الصالح والشعر الوصفي الصالح! نجد منه القصيدة الغزلية البريئة البعيدة عن الفحشاء والمنكر ، ونلمس منه القصيدة الهجائية المسخرة في خدمة أهل التوحيد الخالص وفي الدفاع عن الملة الإبراهيمية الحنيفية الحقة ، ونطالع له القصيدة الوصفية للطبيعة المخلوقة هذي التي نشاهد ونو ذلك مما يجوز الوصف فيه! ويوم يفتقد الشاعر ذلك الوصف الذي نقول نلمس منه كل ضلالة في صورة قصيدة شعرية وإن علت فيها الأصوات البديعية والأجراس الموسيقية والإيقاعات العذبة والمحسنات البيانية ، إنها لافتقاد شاعرها صفة التوحيد الخالص والعقيدة الصافية ، فقصيدته هراء لا يزيد وملء للساحة بدواوين مزركشة مزخرفة لا تزيد. وقد تُشترى ويُروج لها وتجد سوقاً عند الناس ، ولكنها عند رب الناس كاسدة آثمة مؤاخذ بها أصحابها (كاتباً وقارئاً) ونسأل الله تعالى أن يعافينا من ذلك كله. والنقد الأدبي للشعر ما لم ينطلق من القاعدة الأخلاقية والقيمية فما هو إلا ضرب من ضروب التخبط لا

يزيد ، وكتابات هنا لا وهناك لا تدعو إلى قيمة ، ولا ترشد إلى خلق ، لأنها ابتداءً جعلت كل ينابيع القيم مغلقة ، فلم تسترشد بقيم ولم تستدل بأخلاق ، ولم يكن لها من غاية الوجود الإنساني زاد على مائدتها في النقد. إن كثيراً من الشعراء في عصرنا ـ لما غاب عنهم التصور الحق للحياة وللآخرة وللعقيدة وللشريعة – وجدنا قصائدهم التي تعج بالترهات والأباطيل والتطاول على الله تعالى وشرعه وعلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وسنته ، وتحسين القبيح المنكر المحرم من الأشياء والعادات والتشريعات والشعائر ، وتقبيح الحسن المباح من الأشياء والعادات والتشريعات والشعائر! وكذلك فعل كثير من الشعراء في القديم ـ لما غاب عنهم الفهم الصحيح للعقيدة والتوحيد – وجدنا الانحراف في أشعارهم بقدر انحرافهم عن فهم العقيدة والتوحيد. وهذه باقة من الأشعار في القديم وكذلك في الحديث تشهد بصدق ما نقول له من أن الانحراف عن العقيدة والتوحيد يقود إلى الانحراف في الأسلوبية الشعرية. فهذا أحدهم وهو العباس بن الأحنف أحد شعراء العصر العباسي المعروفين المشهورين ، وهو في البيتين يستسهل معصية الله بالحب فيقول:

أستغفـــر الله إلا مـــــن مودتكـــم فإنها حسناتـــــي يـــــــوم ألقاه
فإن زعمـــت بأن الحب معصيـــة فالحـــب أحسن ما يُعصَى به الله!

وهذا هو إيلياء أبو ماض في قصيدته التي لا يعلم فيها من أين جاء إلى الدنيا يقول في مطلعها:

جئتُ لا أعلم من أين ، ولكني أتيتُ ثم أبصرتُ طريقاً قدامي فمشيـتُ

وهذا هو وديع عقل يصف مشهداً عابثاً شيطانياً في مستهل قصيدته فيقول:

شكتنـــي ثريـــــا إلى والديـــــا وقالـــت: فتاكم تجنـــــى عليـــا
حسا الخمـــــر حتى استطارت هداه فشـــــد وألـــــوى على ناهديا
وبالرغم مني ترضـــــب ثغـــــري وطـــــوّق نحري ، ولاك المُحَيـا
قد امتـــص شهدي ، وزعفر وردي وعاثـــت يـــــــداه برمانتيـــا

وهذا هو بشارة الخوري في قصيدته: (عش أنت) يجعل عشيقته إلهاً فيقول:

وجعلـــت من جفنـــــــي متكـــــ ـــأ ، ومن عينـــــي مهـــدكْ
ورفعـــــت بي عـــــرش الهوى ورفعـــــت فوق العـــرش بندك
وأعـــدت للشعـــــــراء سيـــ ـــيدهم ، وللعشـــــــاق عبـــدك

ومن قصيدة ليوسف الابن يجعل نفسه إلهاً يقول للشيء كن فيكون فيقول:

أحبكِ أنـــــــتِ ، لأنكِ أنـــــتِ لأنـــــي أنا قلتُ: كوني فكنـــــتِ!
وكنتِ خلاصة أحلام عمـــــــري وما بيـــن عيني وبينـــي سكنـــت

أحب الجنـــون ، الجنـون يوعي فلولا جنونـــي أنا ما جننـــــت

ولكـــن ظنك بي شـــــــل حبي أعـــــــوذ بحبكِ مما ظننـــــت

وهذا أحدهم يبذل روحه وأنفاسه فداء للتراب لا فداء لما يدين به فيقول:

إني لأبـــــذل أنفاسي بلا ثمـــن حتى أراك كما أهـــواك يا وطني

وشاعرٌ آخر يطلب ممن يحادثه أن يقدم التراب على الملة والعقيدة فيقول:

بلادك قدّمْهـــــــا على كل مِلـــةٍ ومن أجلها أفطر ، ومن أجلها صُمِ

وهذا أمير الشعراء يجعل التراب أفضل من جنة الله تعالى فيقول:

وطنـــي لو شغلتُ بالخلـــــد عنه نازعتْني إليه في الخلد نفســـــي

شهـــد الله لم يغب عن جفونـــــي شخصـــه ساعة ، ولم يخل حسي

ويجعل أمير الشعراء - في قصيدة أخرى – وجه التراب معبوداً مع الله فيقول:

وجـــه الكنانـــة ليس يغضب ربكم أن تجعلـــوه كوجهه معبـــودا

ولوا إليه في الـــــدروس وجوهكم وإذا فزعتم فاعبـــدوه هجـــودا

وأما الأب طانيوس منعم فيجعل عزة التراب مع الشرك محببة فيقول:

ولا فـــــرق إن كانت بلادي عزيزة عبدتُ مسيحاً ، أو تبعـــتُ محمدا

وأما يوسف السودا فيجعل بيع التراب والكفر بالله سواء فيقول:

إن بعـت ديناً بدنيا قصـــــد منفعةٍ وإن تبـــع وطناً فالكفر سيـــــانُ

وشاعر آخر يسخر من طول اللحية وعرضها ، رغم سُنيتها فيقول:

إن تطل لحيـــــة عليك ، وتعـرض فالمخالي معروفـــــة للحميـــر

علـــق الله في عذاريـــــك مِخـــــــ ـــلاة ، ولكنها بغيـــر شعيـــــر

لو غـــــدا حكمها إليّ لطـــــارت في مهـــب الريـــاح كل مطيـــر

ألقها عنـــــك يا طويلـــــة ، أو لا فاحتسبْها شـــــرارة في السعيـــر

أرع فيها الموسى ، فإنـــــك منها يشهـــد الله لإي أثـــــام كبير!

وشاعر آخر هو الأخطل الصغير يرفع سعد زغلول على الأنبياء والرسل فيقول:

جاء النبيـــون من قبل ، فما لأمـــوا وجاء (سعدٌ) فشمل الشـــرق ملتئـــم

القائـــل الحق لا تثنى أعِنتـــــــه والواحـــد الفـــرد في أثوابـــه أمم

لطف المسيح مُـــذاب في محاجـــره وعـــزم (أحمد) في جنبيه يحتـــــدم

صلى عليه النصـــــارى في كنائسهم والمسلمـــون سعوا للقبـــر ، واستلموا

وشاعر آخر يذهب إلى تفضيل الخمارات على المساجد فيقول:

دع المساجـــد للعُبـــــاد تسكنها وطـــف بنا حول خمـــار ليسقينـــا

ما قال ربك: ويـــــلٌ للألى سَكِـــروا بل قال ربك: ويـــــــلٌ للمصلينـــا!

ولعل هذا الشاعر المخمور لا يختلف عنه شعراء كثيرون تمتلئ دواوينهم بفصول تسمى الخمريات ، وكأنه طابع لا بد منه لكل ديوان يصدر في عصرنا ، ولقد يكون الشاعر مرموقاً وله من الشعر أجوده مما ينافح فيه عن القيم والمبادئ والأخلاق ، فلماذا الخمر في الديوان؟ لست أدري! وثمة شاعر آخر يسب قدر الله فيقول:

قـــــدر أحمـــق الخطـــا قهـــرت هامتـــي خطـــاه

وأصبحت المسألة هذي شهيرة جهيرة في كثير من القصائد في زماننا هذا ، يتطاول الواحد منهم على خالقه فيسب قضاءه وقدره عياناً بياناً جهاراً نهاراً! ومن لم يسب صراحة شكا القدر وهجاه ، ولست أتصور كيف بشاعر يدعي الإسلام ثم هو يسب القدر الذي هو شرط في إيمانه وإسلامه ابتداءً؟! (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره). وشاعر آخر يرفع عشيقته فوق الله فيجعلها إلهاً يغفر الذنب الذي لا يغفره الله فيقول:

وكنـــتِ لي ذنبـــــاً دعـــو تُ الله ألا يغفـــره ، فغفرتـــه!

وهذا أحد الشعراء الذين يدعون للتوفيق والمقاربة والمزج بين التوحيد والتثليث يقول:

تُفرقنا الأديـــان ، والله واحـــدٌ وكل بنـــي الدنيـــا إلى آدم تنتمي

وساوس ظل الشرق فيها مصفـــداً فما يملك الشرقـــي أن يتقدمـــا

بني الشرق لا يصرعنكمُ الدين ، إننـي أرى الغرب لولا الجد والعلم ما سما

سلـــوه إذا رام الفريســـة ، فانتحى أيرعى مسيحياً ، ويرحـــم مسلما؟

هو الموت ، أو تستجفل الشرق رجفة تزلـزل صرعـــى من بنيهِ ونوّما

ويقول الشاعر ذاته في قصيدةٍ أخرى لا تختلف كثيراً عن هذي:

يا أمة القبط والأجيـــال شاهـــدة بما لنا ولكم من صـــادق الذمـــم

هذي مواقفنا في الدهـــر ناطقـــة فاستنبئوها تريحونـــا من التهـــم

لا تظلموا الدين إن الديـــــن يأمرنا بما علمتـــم من الأخـــلاق والشيـــم

منا ومنكم رجـــال لا حلـــوم لهم ولا يفيئـــون للأديـــان والحُـــــرُم

أنتم لنا إخـــوة ، لا شيء يُبعدنـــا عنكم على عنـــت الأقـــدار والقِسَـــم

وله قصيدة أخرى بعنوان: (دنيا الممالك) يقول في بعض أبياتها:

يا أمة الإنجيـــل آمنـــا بـــه ما بالنبـــي ولا يســـوع جحـــود

الديـــن في أمـــر ونهي واحـــد والله جـــل جلاله المعبـــــود

دنيـــا الممالك لا تحَـــد ، ودينهـــا وقـــفٌ - على ديانها – محـــدود

درج الزمـــان على المـــودة بيننا وأراه ينقـــص ، والإخـــاء يزيـــد

وهذا هو أمير الشعراء يدعو للتأليف والتقريب بين التوحيد والتثليث ، فيقول في قصيدة طويلة له:

إنما نحن مسلميـــن وقبطـــاً أمـــة وحدت على الأجيـــال

سبق النيـــل بالأبـــوة فينا فهو أصـــل ، وآدم الجـــد تالي

نحن من طينـــة الكريم على الله ومن مائـــه القـــراح الزلال

ويستمر في دعوته إلى التقريب بين من يقول لا إله إلا الله ومن يقول إن الله ثالث ثلاثة فيقول:

وإلى الله من مشـــى بصليـــب في يديـــه ، ومن مشـــى بهلال

ويمتدح الأمير حفلاً للنساء في زمانه وهن يدعين إلى السفور والتهتك فينشد تائيته الشهيرة فيهن مادحاً السفور فيقول:

يمشين في ســـــــوق الثوا ب ، مساومـــات رابحـــات

يلبســـــــن ذل السائـــلا ت ، وما ذكـــرن البائســـات

فوجوههـــن وماؤهـــــا ستـــرٌ على المتجمـــــلات

مصرٌ تجـــدد مجـــــدها بنسائهـــا المتجـــددات

النافرات من الجمـــــــود كأنه شبح الممـــــــات

هل بينهن جوامـــــــداً فـــرق وبين المومیـــــات؟

لما احتضن لنا القضيـــــــــــــــــــة كن خير الحاضنـــــــــــــات

وثمة شاعر آخر لا يرى كبير فرق بين أهل الصليب وأهل التوحيد فيقول:

بيننا على آداب (عيسـى) و(أحمـدٍ) منـــازل عِز دونها يقــع النســـرُ

فنحن على الإنجيــل والذكــر أمــة يؤيدهـــا الإنجيـــل بالحق والذكـــر

ويستمر في دعوة التقريب واللافرقية تلك ، حتى يصل إلى قوله:

فلن يستطيع الدهــرُ تفريـــق بيننا وإن جـــرّ قوم بالسعايـــة ما جـــرّوا

كلانا على ديـــن به هو مؤمـــــن ولكن خذلان البــلاد هو الكفـــــر

وشاعر آخر يرفع التراب على الكعبة والملة الحنيفية السمحة فيقول:

ويا وطنـــي لقيتك بعد يـــــــأس كأني قد لقيـــت بك الشبابـــا

وكل مسافـــر سيـــؤوب يومـــاً إذا رزق السلامـــة والإيابـــا

ولو أني دُعيـــتُ لكنـــت ديني عليه أقابـــل الحتـــم المُجابـــا

أديـــر إليك قبل البيـــت وجهي إذا فهـــت الشهـــادة والمتابـــا

وثمة شاعر آخر يرفع النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى مقام الألوهية فيقول:

يا خيـــرَ الخلق مـــددتُ يـــدي لك ، فاكشـــف كربي يا سنـــــدي

وأغثنـــــي إنك معتمـــــدي وأجرنـــي من شـــر الكُـــرب

وثمة شاعر آخر يقول بعكس ما حدث به النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أبيه فيقول:

يا والـــد المصطفى حُـــزت الكمالا وجئت بالخيـــر للماضي وللآتي

ما مثل ما نلت من فضل فقد جمعـــت لك المفاخـــر بابن كامـــل الذات

لقد سمـــوت على الآباء منقبـــة كبرى وذكراً جميلاً في السمـــاوات

يا بعل آمنـــةٍ من خصصت شرفـــاً حماكما الله عن كـــل الخطيئـــات

آمنتما برســـول الله معجـــزة فأنتما الآن في فـــردوس جنـــات!

يا سيد الرســـل هب لي منك مكرمة تشد أزري ، وتقضـــي لي مراداتي

وثمة آخر يرى أن النبي قد أمده بالفيض والإمداد فيقول:

وقفٌ على المصطفى زادي وراحلتي قد صح في حبه متني وإسنـــــــادي

فمن فواضـــــله زادي وراحلتـــي ومن فضائلـــــه فيضي وإمـــــدادي

يا سيد الرســـــل أنت اليوم معتمدي فأبعد الســـوء عني أي إبعـــــاد

واسأل لي الله علماً نافعاً وهـــــدىً وصحـــــة وغنى من غير إفســـاد

وثمة شاعر آخر يدعو للتوسل والدعاء والابتهال والتضرع عند قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – فيقول:

قف أمام القبـــــــر بالأدب ماثلاً في أشرف الرتـــــــــب

في مكان القـــــرْب والقُرَب والرضا والجـــــــود والنعـم

ثم سلم ، وابك واجتهـــــــد وادع واســـــأل وارجُ واتئـــد

ثم للشيخين فاعتمـــــــــد واسألهما ، وادن ، واعتصـــــم

ثم قل: يا أشـــــرف الرســـل يا حبيـــــــــــب الله في الأزل

والذي يريد المزيد من هذه الانحرافات وتلك التجاوزات في القصائد والأشعار فليقرأ المدائح التي تحوي الشركيات والانحرافات العقدية ، والذي يريد المزيد من أشعار التخرصات والدعوة إلى تحسين القبيح وتقبيح الحسن من الشعائر والشرائع والدعوة إلى عبادة التراب والطين والأهواء والشهوات والنزوات من دون الله ، والمزيد من أشعار التقريب بين أهل التوحيد وأهل التثليث فعليه بكتاب الأستاذ محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) فلقد احتوى الكثير والكثير من هذه الأشعار ، وكذلك كتابات أستاذنا الدكتور عدنان النحوي عن الحداثة والنقد الأدبي المعاصر ، وليطالع كذلك قصائد الدكتور النحوي ففي بعضها الرد على الزنادقة والمنحرفين هؤلاء! وخلاصة القول أن الشعر يدل على شاعره وكذلك الشاعر يدل على شعره. وإنني لأسأل قائلاً: أين النقد المعاصر وأين النقاد المعاصرون من هذه الأشعار التي ما ذكرنا منها سوى قطرة من بحر؟ أين أصواتهم وأقلامهم من قصائد السُكْر والعربدة والمجون والخلاعة والتهتك والسفول والدعوة إلى التبرج والسفور علانية؟ إنه سؤال جد هام وواقعي لولا أنه يحتاج إلى إجابة من قوم صادقين مع ربهم تبارك وتعالى أولاً ثم مع أنفسهم ثانياً. إن النقد اليوم لا يتعرض إلا لشعر الهوى والتهتك والإباحية بالمدح والإشادة والشهادة لكاتبيه ومنشديه ومغنيه بالإبداع والعبقرية! وأما قصائد القيم والأخلاق والمبادئ فما أشقاها! إذ هي في دواوينها دفع شعراؤها ثمن كتابتها مرتين الأولى من دمائهم وأوقاتهم وحياتهم والثانية أنهم تجشموا تكلفة طباعتها ونشرها وتوزيعها! نعود إلى موضوعنا بصدد الأسلوب فنقول ونحن على يقين بأن الأسلوب له علاقة مباشرة بالمعتقد! ونبدأ فنعرف للنقد الأدبي بما أننا بصدد دراسة أسلوبية نقدية للأدب ، ثم نعرف لماهية نقد الشعر! ونقدم للقراء الأعزاء الأفاضل نبذة أدبية أسلوبية عن أنواع النقد الأدبي ، ونبذة أخرى أكثر أسلوبية عن النقد الأسلوبي عند العرب خلال القرن الأول والثاني ، ونعرج على النقد الأدبي الأسلوبي عند الغرب ، ونعرج على مدى العلاقة

بين النقد الأدبي الأسلوبي للأدب والشعر وبين الأخلاق والمثل والفضائل ، ونعطي القارئ فكرة حية عن الذوق الأدبي وعلاقته بالأسلوب بمحوريه التركيبي الصياغي والموضوعي الفني ، ونثبت للقارئ أن الأخلاق هي محور وأصل النقد الأدبي الأسلوبي ، ونعرج على رأي ابن بسام الشنتريني في أن القيم الأخلاقية هي أساس يقوم عليه الأدب بصفة عامة ، ونحدد للقارئ دور الناقد الأدبي من الزاوية الأسلوبية. وكيف تولد في قريحة الشاعر أي شاعر أسلوبية القصيدة ، وما مدى العلاقة بين الشعر والشاعر والشعور رابطين هذه العوامل والمؤثرات بالأسلوبية الصياغية والمضمونية الموضوعية ، ونثبت بالدليل الواقعي الأدبي أن المستمع وليس الشاعر ذاته هو الحكم على الأسلوب بنوعيه! كل هذه الأفكار نعرض لها من خلال أشعار عنترة بن شداد العبسي ونعتذر للقارئ عن عدم ترتيبية الكتاب حيث إن موضوعاته ومادته كانت حلقات تصدر في جريدة ما على كل حال! ولم تكن يوماً كتاباً مخطط له ، لكنها في الحقيقة نظرات تراءت لي مع أبي الفوارس ذلك الفارس الشاعر العاشق ، وعلى القافية يتحدث عنترة عن نفسه حديثاً فيه الفخر والحماسة وعلى البحر الوافر يقول:

صَحا مِن سُكرِهِ قَلبي ، وَفاقـــــــا ... وَزارَ النَـــومُ أَجفاني اِستِراقـــــا

وَأَسعَدَني الزَمـــانُ ، فَصارَ سَعـــدي ... يَشُقُّ الحُجـــبَ وَالسَبـــــعَ الطِباقا

أَنا العَبـــــدُ الَّذي يَلقى المَنايـــــا ... غَداةَ الـــــرَوعِ لا يَخشى المَحاقـــا

أَكُرُّ عَلى الفَـــــوارِسِ يَومَ حَـــربٍ ... وَلا أَخشى المُهَنَّـــــــدَةَ الرِقاقـــــا

وَتُطرِبُني سُيوفُ الهِنـــــــــدِ حَتّـى ... أَهيـــمَ إِلى مَضارِبِها اِشتِياقـــــــا

وَإِنّي أَعشَقُ السُمـــــرَ العَوالـــــي ... وَغَيـــري يَعشَقُ البيـــضَ الرِشاقـا

وَكاساتُ الأَسِنَّةِ لي شَـــــــــرابٌ ... أَلَذُّ بِهِ اِصطِباحـــــــاً وَاِغتِباقـــــا

إن الحرب عند عنترة والتعبير عنها قصيدة شعرية أسلوبها جم الصور ومتنوع الأجراس ، ذلك أنها الطريق إلى النصرة والتعبير عن الفروسية وإظهارها أمام من لا يقيمون وزناً إلا للألوان والمال والقوة والمنعة ، وكذلك كان الشعر عند عنترة ، فهو أسلوبية تعبيرية عن قوة اللسان ، نعم فلئن كان السيف له أسلوبيته في التعبير عن قوة البنيان ، فكذلك الشعر له أسلوبه الذي يعبر عن قوة اللسان في زمان كان يحترم الشعر والشعراء. ثم يكمل عنترة فكرته فيقول:

وَأَطـــرافُ القَنا الخَطِّيِّ نَقلـــي ... وَرَيحاني إِذا المِضمـــارُ ضاقـــا

جَزى اللَهُ الجَـــــوادَ اليَومَ عَنّي ... بِما يَجزي بِهِ الخَيـــلَ العِتاقـــا

شَقَقتُ بِصَدرِهِ مَـــــوجَ المَنايا ... وَخُضـــتُ النَقعَ لا أَخشى اللَحاقا

أَلا يا عَبـــلُ لَو أَبصَـــرتِ فِعلي ... وَخَيلُ المَـــوتِ تَنطَبِـــقُ اِنطِباقا

سَلي سَيفي وَرُمحـــي عَن قِتالي ... هُما في الحَـــــربِ كانا لي رِفاقا

سَقَيتُهُما دَماً لَو كانَ يُسقـــــــى بِهِ جَبَلا تِهامـــــــــــــةَ ما أَفاقـا

وَكَم مِن سَيِّدٍ خَلَّيـــــــــتُ مُلقىً يُحَـــــرِّكُ في الدِما قَدَمـاً وَساقـــا

هكذا عاش عنترة لقضيته وهي الحرب العواني من أجل نيل حريته وإلحاق نسبه بأبيه على الملأ ، وكذلك زواجه من عبلة بنت مالك ابنة عمه. ورأينا في قصيدته السابقة تعبيراته التي يعجز القلم عن وصفها. ولقد زعم كثير من الكُتاب أن هذه القصيدة منحولة ، واستشهدوا بقول عنترة (يشق الحجب والسبع الطباقا) بحجة أنها أي السبع الطباق مذكورة في القرآن الكريم وأن عنترة لم يدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا منهم محض تسرع في الحكم ولا شك! حيث إن كتب السيرة في غير ما مكان تصف وعلى ألسنة الناس قبل البعثة النبوية ذلك الوصف عن السماء: (سبع طباق)! أوَكلما وجدنا كلمة هي في القرآن وذكرها شاعر أو ناثر قبل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – رحنا نقول هذه القصيدة منحولة؟! لا بد من دليل قوي ينهض حجة على الاستدلال! ويكثر في كلام العرب في الجاهلية وأشعارهم القيامة – الجنة – النار – العرش – جهنم – الأسماء الحسنى لله والصفات العلا له سبحانه – بعض أخبار الأنبياء – ذكر السماء والأرض والملائكة والجن والحساب والثواب والعقاب والقضاء والقدر ، وغير ذلك مما يشابهه! وإذن فكون القصيدة منحولة في نظرهم لمجرد ذكر شيء مما سبق كالسماء ووصفها بأنها (سبع طباق) ، هذا لا يصلح أن يكون دليلاً! كذلك قالوا عن القصيدة التي استشهدنا بها من قبل في هذه الدراسة الأسلوبية والتي ذكر عنترة فيها بيته الأخير:

وآخـــــذ مال (عبلة) بالمواضـــي ويعرف صاحب الإيـــوان قـــدري

راحوا يقولون: هذه قصيدة منحولة! فسألنا: وما الدليل على كونها منحولة؟ قالوا: ذكر عنترة للإيوان ، والإيوان رمز الحضارة الفارسية ، وعنترة كان في القبيلة التي تدعى بني عبس ، وهي في جزيرة العرب ، وفارس خارج جزيرة العرب ، وعنترة لم يحارب الأكاسرة ولم يخرج بعيداً عن تخوم جزيرة العرب! نقول: إن هذا أيضاً لا يصلح أن يكون دليلاً ، لأنه لم يأت من كلام عنترة في القصيدة ما يفيد أنه حارب الفرس أو حارب خارج جزيرة العرب. وإنما هو تعبير شاعر يريد أن يصف القوة والفروسية عنده ، فأتى بشخصية هي رمز القوة والمنعة والبطش والجبروت عند الناس من أهل زمانه فقال: (ويعرف صاحب الإيوان قدري)! يعني هذه الشخصية التي ترهبون وتخافون تعرف حقيقتي ومكاني من أنني فارس فحل شجاع لا أخاف شيئاً ولا أحداً! وله قصيدة أخرى عظيمة يتبين فيها جلياً هذه الروح الإبائية وهذه الفروسية العجيبة وهي على البحر الوافر والقافية التائية يقول فيها:

إِذا قَنِعَ الفَتى بِذَميـــــــــمِ عَيـــشٍ وَكانَ وَراءَ سَجـــــفٍ كَالبَنـــــــاتِ

وَلَم يَهجِم عَلى أُسْـــــــــــدِ المَنايا وَلَم يَطعَـــن صُـــــــدورَ الصافِناتِ

وَلَم يَقرِ الضُيـــــوفَ إِذا أَتَـــــوهُ وَلَم يُروِ السُيـــــوفَ مِنَ الكُمـــاةِ

وَلَم يَبلُغ بِضَربِ الهامِ مَجـــــــداً وَلَم يَكُ صابِـــــراً في النائِبـــــاتِ

فَقُل لِلناعِيـــــــــــــاتِ إِذا نَعَتهُ أَلا فَاقصِـــــرنَ نَـــدبَ النادِبـــــاتِ

وَلا تَندُبنَ إِلّا لَيــــثَ غــــــــابٍ ... شُجاعاً في الحُـــــروبِ الثائِـــراتِ

دَعوني في القِتالِ أَمُـــــــت عَزيزاً ... فَمَوتُ العِزِّ خَيـــــرٌ مِن حَيـــــاةِ

لَعَمري ما الفَخـــــارُ بِكَسبِ مـــالٍ ... وَلا يُدعـــى الغَنِيُّ مِنَ السَـــــراةِ

سَتَذكُرُني المَعامِـــــعُ كُلَّ وَقـــتٍ ... عَلى طولِ الحَيـــاةِ إِلى المَمـــــاتِ

فَذاكَ الذِكـــــرُ يَبقى لَيسَ يَفنـــــى ... مَدى الأَيّـــــامِ في مـــــاضٍ وَآتي

وَإِنّي اليَومَ أَحمي عِـــــرضَ قَومي ... وَأَنصُرُ آلَ عَبسَ عَلى العُـــــــداةِ

وَآخُذُ مالَنا مِنهُم بِحَـــــــــربٍ ... تَخِرُّ لَها مُتـــــــونُ الراسِيـــــاتِ

وَأَترُكُ كُلَّ نائِحَـــــــةٍ تُنـــــادي ... عَلَيهِم بِالتَفَـــــــرُّقِ وَالشَتـــــاتِ

والحقيقة أن هذه القصيدة لؤلؤة في الجمال ، ولست مبالغاً إن قلت هذا عنها ، وألفاظها كما نراها حبات اللؤلؤ وأكثر! يتجلى فيها إباء وشموخ وترفع عنترة عن الدنيا وعرضها وزخرفها وزينتها! وجدنا أن بعض الأدباء أو الكُتاب كتب أن هذه القصيدة منحولة بأكملها فسألنا لماذا؟ فكان الجواب لأن بها ألفاظاً من القرآن مثل: الصافنات الجياد ، وقد وردت في سورة ص (إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) ، وبها لفظ آخر هو (الراسيات) في قوله تعالى: (وجعلنا فيها رواسي أن تميد بهم) وهذه في سورة الأنبياء! نقول: أيها الأقوام إن ألفاظ القصيدة كلها بهذا التصور واردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة! وهذا ليس بالدليل! بل كانت العرب تعرف الجبال بأنها رواسي ، وتعرف الخيل بأنها صافنات ، وكان معروفاً عندهم أن الصافنات من الخيل: أي الخيل الكريمة التي تقف على ثلاث قوائم وأما الرابعة فتضع طرف حافرها فقط على الأرض ، ففيم التمحك والتمحل معاً؟ ثم يخرج عنترة عن الطوق في قصيدة له يثأر لنفسه وللونه ولأمه وللغته ولإخوته في نص واحد لا تتجاوز أبياته الرقم سبعة ، وهي على الكامل والقافية الهمزية:

ما زِلتُ مُرتَقِيـــــاً إِلى العَليـــــاءِ ... حَتّى بَلَغـــتُ إِلى ذُرى الجَـــــوزاءِ

فَهُناكَ لا أَلـــــــوي عَلى مَن لامَني ... خَوفَ المَمـــاتِ وَفُرقَـــــــةِ الأَحياءِ

فَلَأُغضِبَنَّ عَواذِلي وَحَواسِـــــــدي ... وَلِأَصبِـــــرَنَّ عَلى قِلىً وَجَـــــواءِ

وَلَأَجهَدَنَّ عَلى اللِقـــــــاءِ لِكَي أَرى ... ما أَرتَجيـــــهِ ، أَو يَحيـــــنَ قَضائي

وَلَأَحمِيَنَّ النَفـــــــسَ عَن شَهَواتِها ... حَتّى أَرى ذا ذِمَّـــــةٍ وَوَفـــــــاءِ

مَن كانَ يَجحَدُني فَقَد بَـــــرَحَ الخَفا ... ما كُنتُ أَكتُمُهُ عَنِ الرُقَبـــــــــاءِ

ما ساءَني لَوني وَإِسمُ زَبيبَـــــــةٍ ... إِذ قَصَّـــــــرَت عَن هِمَّتي أَعدائـــي

فَلَئِن بَقيتُ لَأَصنَعَنَّ عَجائِبـــــــاً ... وَلَأُبكِمَـــنَّ بَلاغَـــــةَ الفُصَحـــــاءِ

وهكذا نجده يصدع بما عنده من أمر بدا به أنه حق وأنه صاحب حق في طلبه ، وكانت مقولة على زمانه أنه لا يقول الشعر! فقال الشعر عنترة تحدياً لأمر في مستهله لم يكن موجوداً ، ولكن وجد بعد ذلك كثمرة من ثمرات التحدي! وما شعر عنترة إلا قطرة من قطرات عرق المواجهة أفرزها ذلك التحدي لأقرانه وعاذليه! فها هو يقول لهم معتزاً بما خصّه الله تعالى من الصفات التي يطمح إليها الرجال الأفذاذ الشم:

ما ساءني لوني ورســـــــم (زبيبةً) إذ قصـــرت عن همتي أعدائـــــــــي
فلئن بقيت لأصنعـــــــــن عجائباً ولأبكمـــن بلاغـــــــة الفصحـــاء

وها نحن أولاء نرى عنترة يتبوأ اليوم مكانة مرموقة بين شعراء الجاهلية! ولقد مات منذ أكثر من 1500 عام أو يقل أو يقارب ، وشعره بين أيدينا غض طري ندي شجي ، كل الذي تغير خلو الساحة من عبس وذبيان! وصدق من قال:

أما الخيـــــــام ، فإنها كخيامهـــم لكن نســـاء الحي غير نسائهـــــا!

ويفتخر عنترة بأنه أسود وأسماه لون المسك ، وذلك في مقطوعةٍ شعرية على البحر الوافر وقافية الهمزة! يفتخر أنه لم يقارب الفاحشة مثلما يقارفها السيد الأبيض!! يعني سواد بشرف وعفة أفضل من بياض بفاحشة وعهر ورذيلة! ونحن نقول: بلال – رضي الله عنه – أفضل من أبي لهب غضب الله عليه! بلال سواد بإسلام وعفة وطهارة أفضل من أبي لهب بشرك وجاهلية وكفر ورذيلة وفاحشة! يقول عنترة:

لئن أكُ أسوداً ، فالمِسك لونـــــــي وما لســـــــــواد جلدي من دواء!

ولكن تبعد الفحشـــــــــــاء عني كبعد الأرض عن جـــــــو السماء

وكأن عنترة في هذه المقطوعة الشعرية يرد الصاع صاعين كما قلنا من قبل! لقد عيره قومه ، ولطالما آذوه ونالوا منه واستعبدوه واستذلوه ، وإذن فهو هنا ينتصر منهم ، وهذا يذكرنا ببيته الذي قال فيه:

تُعيرني العدا بســـــــــــواد جلدي وبيـــــض خصائلي تمحو الســـوادا

ويظل عنترة يصارع ويتحدى هذه الأعراف البالية والتقاليد الظالمة ، فهذه قصيدة له تحمل ذات المعاني ، وأيضا على البحر الوافر وقافية الدال حيث يستمر في عرض فكرته لا يبالي ولا يعبأ بما يخطط له علية القوم ويعتقدونه فيه:

أُعادي صَـــرفَ دَهـــــرٍ لا يُعادى وَأَحتَمِـــلُ القَطيعَـــــةَ وَالبِعـــادا
وَأُظهِرُ نُصـــحَ قَـــــومٍ ضَيَّعوني وَإِن خانَـــت قُلوبُهُمُ الـــــــوِدادا
أُعَلِّلُ بِالمُنـــــــى قَلبـــــاً عَليلاً وَبِالصَبـــرِ الجَميـــلِ وَإِن تَمادى
تُعَيِّرُني العِدا بِسَـــــــــوادِ جِلدي وَبيـــضُ خَصائِلي تَمحو السَـــوادا

سَلي يا عَبـــــــــلَ قَومَكِ عَن فَعالي وَمَن حَضَـــــرَ الوَقيعَـــــةَ وَالطِرادا

وَرَدتُ الحَـــربَ وَالأَبطـــــالُ حَولي تَهُزُّ أَكُفُّها السُمـــــــــــرَ الصِعـــادا

وَخُضتُ بِمُهجَتي بَحـــــــــرَ المَنايا وَنـــــــارُ الحَـــــربِ تَتَّقِـــدُ اِتِّقادا

وَعُـــــــــدتُ مُخَضَّباً بِدَمِ الأَعادي وَكَـــــربُ الرَكضِ قَد خَضَبَ الجَوادا

وَكَم خَلَّفتُ مِن بِكـــــــــــرٍ رَداحٍ بِصَـــــــــوتِ نُواحِها تُشجي الفُؤادا!

وَسَيفي مُرهَـــــــفُ الحَدَّينِ ماضٍ تَقُدُّ شِفارُهُ الصَخـــــــــــرَ الجَمادا

وَرُمحي ما طَعَنـــــــــتُ بِهِ طَعيناً فَعادَ بِعَينِهِ نَظَـــــــــرَ الرَشـــادا

وَلَولا صارِمي وَسِنـــــــــانُ رُمحي لَما رَفَعَت بَنو عَبـــــــــسٍ عِمادا

فلننظر له وهو يقول: (أعلل بالمُنى قلباً عليلاً) وكذلك (وردتُ بمهجتي بحر المنايا) هذه الإيحاءات الدالة على الإباء والشهامة والنجدة والمروءة والنخوة التي هي مفتقدة اليوم حيث أضحى الضحك على الناس واللعب بعواطفهم والنصب عليهم وأكل حقوقهم ذكاء ومهارة! وأضحى التلاعب والنفاق ديدناً إلا من عصم الله! عنترة العبسي نظيف من كل هذا ، فهي صراحة عنترية إذن ، وهذه قصيدة أخيرة نختم بها هذا المشهد حيث يصف عنترة نفسه فيها بأنه الأسد الهصور ، وهي لون من ألوان الفخر والحماسة ، وهو غرض قد شاع في زمانه وطابع في هذه الفترة لكثير من شعر الجاهلية ، وهو غرضبديع كانوا يعتبرون الشاعر الذي لا يجيده (أي الفخر والحماسة) ليس بشاعر! بل إن كل قبيلة بها شاعر كانت تدخره لهذا اليوم يوم يبزغ في الفخر والحماسة ليكون لها ولعليتها وأشرافها في شعره نصيب. أنشد عنترة وعلى مجزوء البحر الرملي وقافية النون المكسورة قوله:

أَنا في الحَـــربِ العَـــوانِ غَيرُ مَجهـــولِ المَكـــــانِ

أَينَما نادى المُنـــــــادي في دُجـــى النَقـــــعِ يَراني

وَحُسامي مَع قَناتـــــــي لِفِعالي شاهِـــــــــدانِ

أَنَّني أَطعَـــــــنُ خَصمي وَهوَ يَقظانُ الجَنـــــــانِ

أَسقِهِ كَأسَ المَنايـــــــا وَقِراها مِنهُ دانـــــــي

أُشعِلُ النـــــــارَ بِبَأسي وَأَطاها بِجِنانـــــــي

إِنَّني لَيثٌ عَبـــــــوسٌ لَيسَ لي في الخَلـــــقِ ثاني

خُلِقَ الرُمـــــــحُ لِكَفّي وَالحُســـــامُ الهِندُواني

وَمَعي في المَهـــــــدِ كان فَوقَ صَـــــــدري يُؤنِساني

فَإذا ما الأَرضُ صـــــــارَت وَردَةً مِثلَ الدُهـــــــــانِ

وَالدِما تَجـــــــري عَلَيها لَونُها أَحمـــــــــرُ قاني

وَرَأَيتُ الخَيـــــــلَ تَهوي في نَواحي الصَحصَحـــــانِ

فَاسقِياني لا بِكَـــــــأسٍ مِن دَمٍ كَالأُرجُـــــــوانِ

أَسمِعاني نَغمَـــــــةَ الأَســـــــــيافِ حَتّى تُطرِباني

أَطيَبُ الأَصـــــــواتِ عِندي حُســـــــنُ صَوتِ الهِندُواني

وَصَريرُ الرُمـــــــحِ جَهراً في الوَغـــــــى يَومَ الطِعانِ

وَصِياحُ القَـــــــــومِ فيهِ وَهوَ لِلأَبطـــــــــالِ داني

نقرأ قراءتنا الأسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي فنجده يخلط في قصيدةٍ له بين الغزل والفخر والحماسة والبسالة والشجاعة ، فيخاطب معشوقته عبلة بقوله:

يا (عَبلَ) قَرّي بوادِي الرَّمـل آمِنـةً من العـداةِ وإن خوفـتِ لا تخفـي

فـــدونَ بيتك أســـدٌ في أناملها بيْـضٌ تقُدُّ أَعالي البيـض والحَجَفِ

لله دَرُّ بني عَبْـــسٍ لقدْ بلَغـــوا كلَّ الفخـــارِ ، ونالوا غايةَ الشّـرفِ

خافُوا من الحرْبِ لمّا أبصروا فرَسي تحتَ العجَاجـةِ يهْوي بي إلى التلفِ

ثمَّ اقْتفوا أثري منْ بعدِ ما علمـــوا أنَّ المنيـةَ سهـمٌ غير منصـــرفِ

خضتُ الغبار ومهري أدهـــمٌ حلك فَعادَ مخْتضِبـــاً بالـــدَّمّ والجِيَـــفِ

ما زِلْتُ أُنْصِفُ خصْمي وهوَ يظْلمني حتى غـدا منْ حسامي غيرَ منتصـف

وإنْ يعيبوا سواداً قد كُسيتُ بـــهِ فالـــدرُّ يسترهُ ثـــوبٌ من الصّدف

ونتوقف عند بيته هذا الأخير الذي يعيب على من ينتقده بالسواد فيه ويثني على السواد ويرى أنه مفخرة له لا مذمة وهو يذكرنا في قوله هذا:

وإن يعيبوا ســـواداً قد كسيت بـــه فالـــدر يستـــره ثوب من الصـــدف

بقوله الذي أوردناه من قبل في قصيدة دالية على الوافر حيث وجدناه يقول فيها:

تعيرني العـــدا بســـواد جلـدي وبيـــض خصائلي تمحـــو الســـوادا

وقوله كذلك في قصيدة أخرى له على الوافر وهي مقطوعة ظريفة التحدي:

لئن أكُ أســـوداً ، فالمسكُ لونـــي وما لســـواد جلـــــــدي من دواء

ولكـــن تبعـــد الفحشـــاء عني كبعـــد الأرض من جـــــو السماء

وقوله من البحر الكامل في قصيدة همزية له أوردناها من قبل نأخذ منها بيتاً واحداً:

ما ساءني لونـــي ورســم (زبيبـةٍ) إذ قصـــرتْ عن همتي أعدائـــي

وله قصيدة أخرى في الفخر قالها في يوم تسميه بنو عبس بأنه يوم المصانع ، وهي قصيدة ومشهورة وعنترية إلى حدٍ بعيد ، عبر فيها عنترة عن فخرياته وحماساته بمنتهى الواقعية ، وبالغ في الصعود بقبيلته إلى منتهى الوصف وهو بهذا يسمو بها السمو الذي جعل الفكرة تتضح ويبلغ الإيضاح الذي يريده. يقول عنترة في هذه القصيدة:

إِذا كَشَـــفَ الزَمـــــــانُ لَكَ القِناعا وَمَدَّ إِلَيكَ صَـــــــرفُ الدَهـــرِ باعا

فَلا تَخـــشَ المَنيَّـــــةَ ، وَالقَيَنهـــا وَدافِـــــع ما اِستَطَعـــتَ لَها دِفاعـــا

وَلا تَختَـــر فِراشـــــاً مِن حَريـــــرٍ وَلا تَبـــكِ المَنـــــازِلَ وَالبِقاعـــا

وَحَولَكَ نِســـــــوَةٌ يَندُبـــــنَ حُزناً وَيَهتِكْـــنَ البَراقِـــعَ وَاللِفاعـــــا

يَقولُ لَكَ الطَبيـــبُ دَواكَ عِنـــــدي إِذا ما جَـــسَّ كَفَّـــكَ وَالذِراعـــا

وَلَو عَـــرَفَ الطَبيـــــبُ دَواءَ داءٍ يَرُدُّ المَـــوتَ ما قاسى النِزاعـــــا

وَفي يَومِ المَصانِـــعِ قَد تَرَكنـــــــا لَنا بِفِعالِنـــــا خَبَـــراً مُشاعـــا

أَقَمنا بِالذَوابِـــــلِ ســـوقَ حَـــربٍ وَصَيَّرنـــا النُفـــوسَ لَهَ مَتاعـــــا

حِصانـــي كـــــانَ دَلّالَ المَنايـــــا فَخـــاضَ غُبارَهـــا وَشَـــرى وَباعَـــا

وَسَيفي كانَ في الهَيجـــــا طَبيبـــاً يُـــداوي رَأسَ مَن يَشكـــو الصُداعـــا

أَنا العَبـــدُ الَّذي خُبِّـــــــرتَ عَنهُ وَقَد عايَنتَني فَـــــدَعِ السَماعـــــا

وَلَو أَرسَلتُ رُمحي مَع جَبـــــــانٍ لَكـــانَ بِهَيبَتي يَلقى السِباعـــــا

مَلَأتُ الأَرضَ خَوفـــاً مِن حُسامـــي وَخَصمي لَم يَجِـــد فيها اِتِّساعـــا

إِذا الأَبطـــــالُ فَرَّت خَـــوفَ بَأسي تَـــرى الأَقطـــارَ باعاً أَو ذِراعـــا

وهكذا كانت هذه القصيدة السابقة آية في الروعة وحسن السبك فهي قصيدة عربية جاهلية بالمعنى الكلي للشعر فلا حشو ولا ركاكة ، ولا كلمة مجلوبة للقافية ولا تكرار ممل ، بل إن كل بيت يمثل إضافة لمعنى جديد غير الذي سبقه وغير الذي لحقه. فهي نموذج لقصيدة قوية بلاغية. والمقطوعة الآتية نشاهد فيها هجاء عنترة للجعد ، وهو رجل من بني إبان بن عبد الله بن دارم ، وكان قد استعار من عنترة رمحاً فأعاره إياه فأمسكه عنه ولم يرده. أنشد عنترة في ذلك قصيدته:

إذا لاقَيــــتَ جَمعَ بَني أَبـــــــــــانٍ فَإِنّي لائِمٌ لِلجَعـــــــــــدِ لاحـــــــــي

كَأَنَّ مُوَشَّـــــــرَ العَضُدَيـــــــــنِ حَجلاً هَدوجـــــــاً بَينَ أَقلَبَـــــــةٍ مِـــــــلاحِ

تَضَمَّـــــنَ نِعمَتي ، فَغَـــــــــدا عَلَيها بُكـــــــــوراً أَو تَعَجَـــــــلَ في الرَواحِ

أَلَم تَعلَم لَحـــــــــــاكَ اللهُ أَنّـــــــــي أَجَـــــــمُّ إِذا لَقيـــــتُ ذَوي الرِمـــــاحِ

كَسَوتُ (الجَعـــــــــــدَ) جَعدَ بَني أَبانٍ سِلاحِـــــــيَ بَعدَ عُـــــري وَاِفتِضـــاحِ

وأما قوله: (لحاك الله) في البيت الرابع فهو مأخوذ من الملاحاة أي السباب! والمعنى: لحاك الله أي قبحك الله ولعنك ، وهناك المثل: من لاحاك فقد عاداك. وإذن فالمعنى بصفة عامة مأخوذ من هذا الباب وذاك المثل. وفي الإغارة على بني جهينة أنشد عنترة في ذلك يقول:

سلوا عنا (جهينـــــــــة) كيف باتـــــت تهيـــــم من المخافـــــة في رباهـــــا

رأت طعنـــــي ، فولـــــت واستقلـــــت وسمر الخط تعمـــــــل في قفاهـــــا

وما أبقيت فيها بعـــــد بشـــــــــر ســـوى الغربـــــان تحجـــل في فلاها

وعندما كان عنترة يغير على بني ضبة أنشد وعلى البحر الكامل وقافية اللام هذه القصيدة الطويلة التي تتميز بالجزالة والقوة وحسن التقسيم وجمال العبارة ، وكان قد قسمها لمقاطع ، ففي المستهل يبكي على الأطلال على عادة الشعراء الجاهليين في زمانه ، ثم يتحدث إلى محبوبته ابنة عمه (عبلة بنت مالك) في صورة اللوم والعتاب المألوف ، ثم يتناول الإغارة يصفها في الشعر وصفاً دقيقاً ، ثم يبين عفافه واعتصامه وترفعه عن النيل من الغنيمة ، وهذا المشهد يذكرنا بقوله في معلقته الميمية المعروفة يخاطب عبلة:

هلا سألت القـــــــوم يا (ابنـــة مالكٍ) إن كنـــتِ جاهلـة بما لم تعلمـــــــي

يخبرك من شهد الوقائـــــــع أننـــــي أغشى الوغـــى وأعف عند المغنـــم

والآن نتناول القصيدة اللامية بشيء من التفصيل وكم هي قوية وجزلة وظريفة وممتعة:

عَفَتِ الدِيـــــــارَ وَباقِـــــيَ الأَطلالِ ريـــــــحُ الصَبا وَتَقَلُّبُ الأَحـــــوالِ

وَعَفا مَغانِيَها وَأَخلَـــــــقَ رَسمَهـــا تَـــــــردادُ وَكفِ العـــارِضِ الهَطّالِ

فَلَئِن صَرَمتِ الحَبـــــلَ يا (اِبنَـــةَ مالِكٍ) وَسَمِعـــتِ فِيَّ مَقالَـــــةَ العُـــذّالِ

فَسَلي لِكَيما تُخبَـــــــري بِفَعائِلـــــي عِندَ الوَغـــى وَمَواقِـــفِ الأَهـــوالِ

وَالخَيـــلُ تَعثُـــرُ بِالقَنا في جاحِـــمٍ تَهفـــو بِهِ ، وَيَجُلـــنَ كُلَّ مَجـــالِ

وَأَنا المُجَـــرَّبُ في المَواقِـــفِ كُلِّها مِن آلِ عَبـــسٍ مَنصِبي وَفَعالـــــي

مِنهُم أَبي (شَـــدّادُ) أَكـــــــرَمُ والِدٍ وَالأُمُّ مِن (حَـــامٍ) فَهُم أَخوالـــــي

ونحن نعتبر هذه جرأة نادرة من عنترة يصدع بها ويصرح ولا يبالي ولا يخاف حيث يقول:

مِنهُم أَبي (شَـــدّادُ) أَكـــــــرَمُ والِدٍ وَالأُمُّ مِن (حَـــامٍ) فَهُم أَخوالـــــي

فهذه فوق أنها صراحة وجرأة هي مباهلة عنترية قوية! أن يساوي بين العمومة والخؤولة ، بين الأبوة والأمومة ، بين سام وحام! وهذه جرأة لا يحب العبسيون أن يسمعوها أبداً من ذلك العبد الأسود. ثم يواصل عنترة فخره بنفسه وبقبيلته مستخدماً أسلوب الخماسة والفخر فيقول:

وَأَنا المَنِيَّـــــةُ حينَ تَشتَجِـــرُ القَنا وَالطَعـــنُ مِنّي سابِـــقُ الآجـــالِ

وَلَرُبَّ قِـــرنٍ قَد تَرَكـــــتُ مُجَدَّلاً وَلَبانُـــهُ كَنَواضِـــحِ الجِريـــالِ

تَنتابُهُ طُلسُ السِبـــــــاعِ مُغـــادَراً في قَفـــرَةٍ مُتَمَـــزِّقِ الأَوصـــالِ

وَلَرُبَّ خَيـــلٍ قَد وَزَعـــتُ رَعيلَها بِأَقَـــبَّ لا ضِغـــنٍ وَلا مِجفـــالِ

وَمُسَربَلٍ حَلَقَ الحَديـــــدِ مُدَجَّـــجٍ كَاللَيـــثِ بَينَ عَرينَـــــةِ الأَشبـــالِ

غادَرتُـــــهُ لِلجَنبِ غَيرَ مُوَسَّـــــدٍ مُتَثَنِّـــيَ الأَوصـــــالِ عِندَ مَجـــالِ

وَلَرُبَّ شَـــربٍ قَد صَبَحتُ مَدامَـــةً لَيســـوا بِأَنكـــاسٍ وَلا أَوغـــالِ

وَكَواعِـــبٍ مِثلِ الدُمـــى أَصبَيتُها يَنظُـــرنَ في خَفـــرٍ وَحُسنِ دَلالِ

ونقف عند تعبيره الدقيق: (ولرب خيل قد وزعت رعيلها بأقب لا ضغن ولا مجفال) والأقب إي دقيق الخصر وضامره ، وهو من مفردات الغزل في الجاهلية وكان قد استعملها امرؤ القيس في غزلياته. وكلمة (مجفال) أي كثير الهلع وهو تعبير مشهور في شعر الجاهلية وهو مأخوذ من جفلت الناقة إذا نفرت من الهلع وشدة الخوف يصيبها! ثم يخصص عنترة لعبلة أناساً وقوماً وقبائل تسألهم بأعيانهم لتدرك عظم هذه الغارة على بني ضبة ، وساعتها تدرك مقدرة عنترة الفروسية واستعداداته الخلقية لخوض مثل هذه الإغارة وتحقيق المجد التليد لبني عبس:

فسلي بني عل وخثعـــم تخبـــــــري وسلي الملـــوك وطيء الأجيـــــال

وسلي عشائـــــــر ضبـــةٍ إذ أسلمت بكـــر حلائلها ورهـــــط عقـــال

وبني صبـــــــــاح قد تركنا منهم جـــــــزراً بذات الرمـــث فوق أثال

زيدا وســـــوداً والمقطع أقصـــدت أرماحنـــا ومجاشـــــــع بن هلال

رعناهمُ بالخيـــــل تـــــروي بالقنا وبكل أبيـــض صـــــارم فضـــال

ويستمر في الفخر بقومه في ترتيب منطقي عجيب ، وكأن هذه الأبيات في تلك القصيدة العنترية كسلاسل الذهب السبيل. إنها متسقة اتساقاً عجيباً للغاية. وعنترة يبذل جهده الجهيد في الانتصار لبني عبس عساها أن تخجل وترجع إلى رشدها وتلحقه بأبيه وهو يتبوأ فيها مكان السيد الفارس المغوار وليس مكان العبد الأسود راعي الإبل والغنم لسيده شداد وفقط ، فلنستمع إليه وهو يقول:

من مثـــل قومي حين يختلف القنـــا وإذا نـــــزل قوائـــــم الأبطـــــال

يحملن كل عزيز نفـــــس باســـل صـــدق اللقاء مجـــــرب الأهـــوال

ففِـــدىً لقومي عند كل عظيمـــــةٍ نفسي وراحلتي وسائـــــــر مالـــي

قومي صمـــــام لمن أرادوا ضيمهـم والقاهـــــرون لكل أغلـــــب صالي

وينطلق عنترة في وصف مناقب بني عبس على غيرها من القبائل بعد أن ذكر أفضاله على بني عبس وأنه صانع مجدها الأول ، على رغم عبوديته وسواد لونه واسترقاقه. تنطلق معه خيالاته الجامحة لتختلط بغبار المعركة ليذكرنا بعمر بن كلثوم في معلقته النونية على البحر الوافر حيث يقول عمرو بن كلثوم مفتخراً بقبيلته وبأسها وتعتبر قصيدته من عيون شعر العرب في العصر الجاهلي في الحماسة والفخر:

وقد علمَ القبائـــــل من (معـــــــدٍّ) إذا قبـــــبٌ بأبطحها بُنينـــــــا

بأنا المُطعمـــــون إذا قدرنـــــا وأنا المهلكـــــــون إذا ابتُلينـــا

وأنا المانعـــــون لما أردْنـــا وأنا النازلـــــون بحيث شِينـــا

وأنا التاركـــــون إذا سخطنـــا وأنا الآخـــــــذون إذا رَضينـــا

وأنا العاصمـــــون إذا أُطعْنـــا وأنا العارمـــــون إذا عُصينـــا

إذا ما الملْك ســـام النـــاس خسفًا أبينا أن نقـــــرَّ الـــــذلَّ فينا

ونشرَب - إن وردنا المـــــاء - صفوًا ويشـــرب غيرنا كـــدرًا وطينـــا

ملأنا البـــــر حتى ضـــاق عنا ومـــــاء البـــــر نملأه سَفينـــا

إذا بلَغ الفطـــــــامَ لنا صبـــيٌّ تخـــــرُّ له الجبابـــــرُ ساجدينـــا

ولكن إحقاقاً للحق فإن عمرو بن كلثوم أشعر من عنترة بكثير! ذلك أن القضية مع عنترة بدأت بالتحدي لا بالاحتراف ولا بالإبداع والذوقية الشعرية والملكة الفنية في الصياغة التعبيرية ، بل هي روح التحدي والمبارزة والانتصار للنفس والتعبير عن خلجاتها وإفادة بما يدور داخل نفسه وإفحام الخصم. ولكن عند عمرو بن كلثوم كان الشعر سجية وجبلة وطبيعة يُضاف إلى ذلك أننا سوف نسوق أبيات عنترة من ذات قصيدته اللامية التي يفتخر فيها بقومه والتي نشعر بأنها تشبه قصيدة أو معلقة عمرو بن كلثوم! يقول عنترة واصفاً مناقب بني عبس وبأس رجالها وجبروتهم:

قَومي صَمـــــامِ لِمَن أَرادوا ضَيمَهُـــم ... وَالقاهِـــرونَ لِكُلِّ أَغلَبَ صالـــــــــي

وَالمُطعِمـــــونَ وَما عَلَيهِم نِعمَـــةٌ ... وَالأَكرَمـــــونَ أَباً وَمَحتِـــــدَ خالِ

نَحنُ الحَصى عَـــــدَداً وَنَحسَبُ قَومَنا ... وَرِجالَنا في الحَـــــربِ غَيرِ رِجـــــالِ

مِنّا المُعيـــــنُ عَلى النَـــــدى بِفَعالِهِ ... وَالبَـــــذلِ في اللَزَبـــــاتِ بِالأَمـــــوالِ

إِنّا إِذا حَمِسَ الوَغـــــى نُروي القَنـا ... وَنَعِـــفُّ عِندَ تَقاسُـــمِ الأَنفـــــالِ

نَأتي الصَريـــخَ عَلى جِيادٍ ضُمَّـــــرٍ ... خُمـــصِ البُطـــــــــونِ كَأَنَّهُنَّ سَعالي

مِن كُلِّ شَوهاءِ اليَدَيـــــنِ طِمِـــرَّةٍ ... وَمُقَلَّصٍ عَبـــــــلِ الشَوى ذَيّـــالِ

لا تَأسِيَـــــنَّ عَلى خَليطٍ زايَلـــــوا ... بَعدَ الأُلى قُتِلـــــــوا بِذي أَغيـــالِ

كانوا يَشُبّونَ الحُـــــــروبَ إِذا خَبَت ... قِدمـــــاً بِكُلِّ مُهَنَّـــــدٍ فَصّـــــالِ

وَبِكُلِّ مَحبوكِ السَـــــــراةِ مُقَلِّـــصٍ ... تَنمـــــو مَناسِبُـــــهُ لِـــذي العُقّـــالِ

وَمُعـــــــاوِدِ التَكـــرارِ طالَ مُضِيُّهُ ... طَعناً بِكُلِّ مُثَقَّـــــــــفٍ عَسّـــــالِ

مِن كُلِّ أَروَعَ لِلكُمـــــاةِ مُنـــــازِلٍ ... نـــــاجٍ مِنَ الغَمَـــــراتِ كَالرِئبـــــالِ

يُعطي المَئينَ إِلى المَئيـــــنَ مُـــرَزَّاً ... حَمّـــــالُ مُفظِعَـــةٍ مِنَ الأَثقـــــالِ

وَإِذا الأُمـــــورُ تَحَوَّلَـــــت أَلفَيتَهُم ... عِصَمَ الهَوالِكِ ساعَـــــــةَ الزِلـــــزالِ

وَهُمُ الحُماةُ إِذا النِســـــاءُ تَحَسَّرَت ... يَومَ الحِفـــــاظِ ، وَكانَ يَـــــومُ نَـــزالِ

يُقصـــــونَ ذا الأَنفِ الحَمِيِّ وَفيهِـــــمُ ... حِلمٌ ، وَلَيسَ حَرامُهُـــــــــــم بِحَلالِ

المُطعِمـــــونَ إِذا السُنـــــونُ تَتابَعَت ... مَحلاً ، وَضَـــــنَّ سَحابُها بِسِجـــــالِ

وهكذا استمر عنترة في عرض مناقب بني عبس ووصف محاسن هذه القبيلة وفرسانها في وضوح وسفور وجلاء ، وإن كان هو صاحب هذا المجد إلا أنه لا ينكر عمومته وخؤولته في عبس ومكانه فيها على رغم

نيلهم منه وسخريتهم واستهزائهم المستمر صباح مساء له ، فهو يترفع في هذا المقام عن النيل منهم لنفسه ، بل يمتدحهم ويفتخر أنه واحد منهم وإن كانوا لا يفتخرون أنه واحد منهم بل يستحوون حتى من مجرد ذكر ذلك والاعتراف به! والآن نتناول قصيدة عنترية أخرى لامية على البحر الوافر قالها عندما كانت قبيلة بني طيء قد أغارت بشدة على قبيلة بني عبس التي هي قبيلة عنترة فأصابوا منهم ما أصابوا وقتلوا بعض رجالهم بل وسبوا نساء لا عدد لهن. وكان عنترة معتزلاً عنهم في جانب آخر يلتزم ما أمروه به من رعي الإبل على فرس له ، وكان هذا اتفاقاً مع الملك زهير مادام شداد لا يريد أن يلحق عنترة به ابناً. بل وكان شداد يستاء من مجرد إثارة تلك القضية فاتفق عنترة والملك زهير بن جذيمة أن عنترة في عبس إن هو إلا راعي غنم وإبل وكفى يقوم على الرعي ويتتبع مواضع الكلأ والعشب. وبينما كان عنترة في ناحية من بني عبس وعلى حاله تلك وسمع بغزو بني طيء ، وكم حز في نفس عنترة هذا الموقف العصيب ولكن ليس له أن ينقض ذلك الاتفاق ، أتاه أبوه شداد وقال له: يا عنترة! ويك يا عنترة! كر! أي قاتلْ وحارب دون قبيلتك ، ألا ترى ما نحن فيه؟! فقال عنترة في دهاء وذكاء ومكر: العبد لا يحسن الكر ، وإنما يحسن الحلاب والصبر ، والمعنى أن العبد فقط وظيفته حلب الإبل والغنم. فقال شداد في حزم وشدة – ولعل عنترة ورث عن أبيه شداد هذا الحزم وهاتيك الصرامة وتلك الشدة -: كر وأنت حر! فكر عنترة وحده ، وامتطى صهوة جواده وتقلد السيف والدرع ، وهبت في إثر عنترة رجالات عبس الذين فروا وخافوا بأس بني طيء وهزمَ عنترة السرية المغيرة من بني طيء شر هزيمة ، واستنقض الغنيمة من أيديهم وكان ميلاد هذا النص الشعري الرائع:

عقابُ الهَجرِ أَعقَبَ لي الوِصالاً ... وَصِدقُ الصَبرِ أَظهَرَ لي المُحالا

وَلَولا حُبُّ (عَبلَةَ) في فُؤادي ... مُقيمٌ ما رَعَيتُ لَهُم جِمالا

عَتَبتُ الدَهرَ كَيفَ يُذِلَّ مِثلي ... وَلي عَزمٌ أَقُدُّ بِهِ الجِبالا

أَنا الرَجُلُ الَّذي خُبِّرتَ عَنهُ ... وَقَد عايَنتَ مِن خَبري الفِعالا

غَداةَ أَتَت بَنو طَيٍّ وَكَلبٍ ... تَهُزُّ بِكَفِّها السُمُرَ الطِوالا

بِجَيشٍ كُلَّما لاحَظتُ فيهِ ... حَسِبتُ الأَرضَ قَد مُلِأَت رِجالا

وَداسوا أَرضَنا بِمُضَمَّراتٍ ... فَكانَ صَهيلُها قيلاً وَقالا

تَوَلَّوا جُفَّلاً مِنّا حَيارى ... وَفاتوا الطُعنَ مِنهُم وَالرِحالا

وَما حَمَلَت ذَوُو الأَنسابِ ضَيماً ... وَلا سَمِعَت لِداعيها مَقالا

وَما رَدُّ الأَعِنَّةِ غَيرُ عَبدٍ ... وَنارُ الحَربِ تَشتَعِلُ اِشتِعالا

بِطَعنٍ تُرعَدُ الأَبطالُ مِنهُ ... لِشِدَّتِهِ فَتَجتَنِبُ القِتالا

صَدَمتُ الجَيشَ حَتّى كُلَّ مُهري ... وَعُدتُ فَما وَجَدتُ لَهُم ظِلالا

وَراحَت خَيلُهُم مِن وَجــهِ سَيفي خِفافــاً بَعدَما كانَــــت ثِقالا

تَدوسُ عَلى الفَوارِسِ وَهيَ تَعدو وَقَد أَخَــــذَت جَماجِمَهُم نِعــالا

وَكَم بَطَلٍ تَرَكــــتُ بِها طَريحــاً يُحَــــرِّكُ بَعدَ يُمنــــاهُ الشِمالا

وَخَلَّصتُ العَــذارى وَالغَوانــي وَما أَبقَيــتُ مَع أَحَــــدٍ عِقالا

ولقد كان لهذه القصيدة صدىً في الآماد عجيب ، حيث إنها كانت حافزاً أمام شداد أن يفي بوعده! وكانت التتمة من خلال السيرة أن شداداً رأى أن يكون ذلك سراً بينه وبين ولده. وتتوالى الأحداث! والجدير بالذكر هنا أن عنترة حافظ في قصيدته هذي عن النمط العُذري والقيم العربية الأصيلة التي جاء الإسلام فحافظ على بعضها فأقرها ورفض البعض فلم يقره! لقد حافظ عنترة كذلك على القصيدة العربية في قالبها العروضي كذلك! فلم يخدع نفسه ولا أهل زمانه بالخروج عليهم بنثر يدعي أنه شعر ، ولا بشعر منثور ولا بتفعيلة الشعر كما يفعل كثير من المغالطين المفلسين من أهل زماننا! وتحت عنوان: (قضية الشكل في الشعر الإسلامي المعاصر) يقول الدكتور سيد عبد الحليم الشوربجي ما نصه بتصرف: (لا يختلف اثنان في أنَّ مضامين الشِّعر الإسلامي وأفكاره يجِب أن تكونَ مُوافِقةً مُوَافَقةً تامَّة للتَّصَوُّر الإسلامي الصحيح للكَوْن والحياة ، وأنَّ أي خُرُوج عنْ هذا الإطار يجرف العمَل الشعري عن دائرة الشِّعْر الإسلامي. فالشاعرُ له أن يعبِّرَ عنْ أحاسيسه وخلجاته ، وما يعنُّ له من أفكارٍ ورؤى وخيالات ، وما ينفعل له وجدانه من أحداث ، وما يُعايشه في مختلف جوانب الحياة ، لكن ينْبغي أن يضبطَ ذلك كله برؤية وتَصَوُّر لا يشذّان عنِ التصَوُّر الإسلامي للكَوْن والحياة. أمَّا النظْرة القاصِرة التي تزوي الشِّعْر الإسلامي وتحْصره في دائرة المناسَبات ، وزاوية التغنِّي بالتاريخ - فهي نظْرة تحتاج إلى تصحيح وتصويب وتَوْجِيه ؛ لشموليَّة الأدَب الإسلامي عامة - والشعر خاصة - لكلِّ جوانب الحياة ، لكن برُؤية إسلامية سويَّة. ولكن القضيَّة التي يثور حولها جدَلٌ وخِلاف في أوساط الأُدَباء والنُّقَّاد الإسلاميين هي قضية الشكْل ؛ خاصة وقد حملتْ لنا الساحةُ الأدبيَّة والنقديَّة المعاصِرة أشكالاً جديدةً ومتَعَدِّدة ، خرجتْ في غالبها عن إطار القصيدة العربية القديمة ، أو بتعبير آخر: (القصيدة الخليلية) ؛ باعتبار أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي له الفضْلُ الأول ، وربما الأخير في تأصيل وتقْعيد عَمُود الشِّعْر العربي ، بِوَضْعِه لعلمَي العَرُوض والقافية. وقد ظلَّت (القصيدة الخليلية) - لفتراتٍ طويلةٍ - تضرب بجُذُورها في أعماق الزمَن ، لا يستطيع أحدٌ أن يتَعَدَّاها أو يخرج من إطارها ، إذا استَثْنَيْنَا الموشَّحات الأندُلسيَّة ، كشَكْلٍ شعْرِيٍّ خرَج عن الإطار المتعارَف عليه في الشعر العربي آنذاك ، ومع ذلك لَم يكنْ خُرُوجًا عن الشكْل العام للقصيدة الخليلية ، حتى جاء العصر الحديث - وبالتحديد مع بدايات (القرن العشرين) - فحملَتْ لنا رياح التغْريبِ أشْكالاً وأنماطًا جديدةً للشِّعْر العربي ، وبدأ الخُرُوج على عَمُود الشِّعر العربي تدريجيًّا مع ظُهُور المدارس الجديدة في الشِّعر ، التي تأثَّرَتْ بشكْلٍ كبيرٍ بالمذاهب الأدَبيَّة الغربيَّة ؛ كالمدرسة الرُّومانسيَّة ، ومدرسة الديوان ، ومِن بعدهما (أبُوللو) ، بالإضافة إلى شُعَراء المهْجر ؛ فقد كان لهذه الاتِّجاهات دورٌ كبيرٌ في تغيير وتطوير عَمُود الشعر العربي (القصيدة الخليلية) ، فظَهَر الشِّعْر المُرْسَل الذي يلتزم الوزْن ، ولا يلتزم القافية ، وظهرتْ ألوان أُخَرى كثيرة ، لكنها جميعًا لَم تخرجْ عن أوزان الخليل. وإنما كان التغييرُ يرتبط عندهم دائمًا بالقافية وتنويع حرف الرَّوِيِّ داخل القصيدة الواحدة... إلخ ، ما رَصَدَهُ النُّقَّاد والمتَخَصِّصون ، بالإضافة للمضامين والأساليب الجديدة ، التي لَم يَكُنْ يَعرفُها الشِّعْر

العربي قبل ذلك ، حتى جاء النِّصف الثاني من القرن العشرين ، وبدأتْ ثورة عارِمة على شكْل القصيدة العربيَّة ، وظَهَرَ ما يُسَمَّى بـ (الشِّعر الحر) أو (شِعْر التَّفْعيلة) ، وكانتْ هذه جُرأة كبيرة على شَكْل القصيدة الخليلية ؛ إذ تَخَلَّى أصحابُ هذا اللون الشعري عن بُحُور الخليل وأوزانه ، وتَخَلَّوا تمامًا عن طريقة الشطْرَيْن التي عرف بها الشِّعْر العرَبي ، وقوَّضُوا القافية تمامًا ، وإن كان يُحْمَد لهم في بداية الأمر المُحافَظة على الإيقاع الشعري ، فارْتَضوا للقصيدة تفعيلةً واحدة أو اثنتين تسير عليها ، دون التقيُّد برويٍّ واحِد. وقدْ لاقتْ قصيدة التفعيلة - وما زالت - رُدُود فِعْل كثيرة ، ما بين مُؤَيِّد ومعارِض ومشترط ، خاصة في بداية ظُهُورها ، حتى اشتهرَ عن الأستاذ عباس العقاد - عندما كان يرْأَس لجنة الشِّعر في وزارة الثقافة المصرية في ذلك الوقت - أنه كان يرفض هذا الشَّكْل الشِّعْري رفْضًا تامًّا ، بل كانتْ تأتيه قصيدةُ التفعيلة ، فيكْتُب عليها: تُحَوَّل إلى لَجْنَة النثْر ، ومع ذلك فقد راجتْ هذه القصيدة رَواجًا كبيرًا في الأوْسَاط الإبداعية ، بل صارتْ تَتَبَوَّأ مكانةً ربَّما تَفُوق القَصِيدة الأصيلة في بعْضِ الأَوْسَاط الأدبيَّة والنَّقْدِيَّة. والحقيقةُ أنَّ الخطورةَ لا تكْمُن في شَكْل هذه القصيدة ، لكنْ هناك أمر أشد خُطُورة ارْتَبَط بقصيدة التفعيلة - ربما لَم يَنْتَبِه له كثيرون - هو المضامين الفِكْرِيَّة التي حملتْها هذه القصيدة ، ففي الغالب ارتبطتْ هذه القصيدة بمثالب كثيرة؛ منها مثلاً: الغُمُوض والإغراق في الإبْهَام ، والرَّمْزِيَّة التي تذهب بوُضُوح الفكرة وجلائها ، كذلك الأفكار التي عالجتْها ، كثيرٌ منها أفكار مستورَدة - إنْ صَحَّ التعبير- فابتعدتْ كثيرًا عن الواقع ، وغرقتْ في خيالات وأَوْهام ومُعْتَقَدات أصحابِها ، واتَّسَمَتْ بالذَّاتيَّة المُفْرِطة التي تُرَبِّي السلبية في نفس المتلَقِّي ، والإغراق في الخيالات والأَوْهام والتَّصَوُّرات الخاطئة ، والتَّمَرُّد على المَوْرُوث ، ورَفْض الثوابت والقِيَم ، بالإضافة إلى التطَوُّر الشَّكْلي الذي وصَل إلى حدِّ النثْريَّة في أحيان كثيرةٍ ، بل ظهر ما يسمَّى بقصيدة النثْر ، التي تخلَّتْ تمامًا عن إيقاع الشِّعر ، وحَصَرَتْه فيما يُسَمَّى بإيقاع المعنى ، وكان لهذا التحَوُّلِ خُطُورته الكبيرة على القَصِيدة الأصيلَة. وقد لاقتْ هذه القصيدة اهتمامًا إعلاميًّا واسعًا ، حتى يظنّ أنَّ القَصِيدة الأصيلة ساقِطة من حساباتهم ، دعا هذا الأمر كثيرًا من المبدعين أن يرْكَبوا هذه المَوْجة العارمة لضَعْف الاهتمام بالقصيدة الخليلية ؛ وربما لِصُعُوبتها على كثيرٍ منهم ، ففقدتِ القصيدةُ الأصيلة مبدعين كُثُرًا ؛ بسبب هذا الزخَم الإعلامي الذي لاقتْه قصيدة التفْعيلة. والحقيقةُ أنَّ هذا الشَّكْل الشِّعْري الجديد للقَصِيدة العربيَّة يُمْكِن أن يقبلَ على أنه لَوْنٌ جديد وتطَوُّر لشَكْل القصيدة ، لكن بِشَرْط ألاَّ يَتَخَلَّى عن الإيقاع الذي يُمَيِّز الشِّعر ، ويفرق بينه وبين النثْر ، خاصة وأن هذا اللون لَم يأتِ بأوزان جديدة ، بل اعتمدَ أوزان الشعر العربي ، ولكن كل الذي حدَث أنه طَوَّر في شَكْل القصيدة العربية المتعارَف عليه. ومِن هنا فإنَّ الشُّعَراء الإسلاميين ينبغي ألاَّ يُهْمِلُوا هذا الشَّكْل الشعري ؛ فهوَ أداة يستطيع المبدِعُ مِن خلالها أن يدلفَ إلى المتلَقِّي برُؤى الإسلام وتَصُوُّراته القويمة ، وقيَمه الرفيعة ؛ لإظهار الحقِّ وجلائه ، بل إنَّ الجوَّ النفسي والشعوري يفْرض على الشاعر أحيانًا أن ينسجَ على منواله ، ونرى أنه ينبغي ألاَّ يفرض على الشاعر شكلاً مُعينًا ، وإنما ينبغي أن تتركَ له حُرِّية اختيار الشَّكْل الشِّعْرِي. يُضاف إلى ذلك أنَّ هذا الشَّكْل الشعري أصبح واقعًا يفْرِض نفسه على الساحة الأدَبيَّة ، وله دعاتُه ومُبْدِعُوه ومُؤَيِّدوه ، بل له جُمهُوره الذي يستهويه ذلك اللون ، ويرى أنه يعبِّر عن إحساساته وأفكاره ورُؤَاه. وبالتالي ينبغي ألا يقفَ الإبداعُ الإسلامي ضد هذا الشكل الشعري الجديد ولا يرفضه ، بل إنه يُمكن أن يرتاده المبدعون كَلَوْنٍ جديدٍ منَ الألوان الشعرية والأدبيَّة ، والأدَب الإسلامي له الحريَّة في أن يمْتَطي كل الأشكال الأدبية ؛ ليستفيدَ منها في بنائه الدَّعَوي والأدبي بعيدًا عن الانزواء في أفكار نظريَّة ، لا ترقى للتطبيق أو الإبداع. ولن نخطئ القَوْل إذا قلنا بأنَّ الشِّعْر الإسلامي قد ارتادَ هذا الشَّكْل الشعري بشَكْلٍ واضِحٍ ومَلْحُوظ ، بل أظهر تفوُّقًا عاليًا ، ربما فاقَ الذين

تصَوَّرُوا أن هذا الشكل مقْصُور على أفكارهم ورُؤَاهم ، وهو أمرٌ محمودٌ حتى لا يتخلفَ الشِّعْر الإسلامي عن الساحةِ الأدبية المعاصرة ، أو يقصر في استخدام أداة من أدواتها. ولكن ينبغي ألاَّ ينكَفِئ المبدعون على هذا اللون الشعري ؛ لأنه في حقيقته لوْنٌ دخيل على تُراثنا العربي والإسلامي ، وحتى لا يأتيَ زمانٌ تختفي فيه القصيدة الأصيلة أو على الأقل تكون غريبة على الأسماع ، أو تصبح تراثًا مهجورًا ، وفي كُلٍّ هذا انتقاصٌ من أَصَالة تُراثنا العرَبي والإسلامي ؛ لأنه سيتهم بالقُصُور عن التعبير عنِ الواقع المعاصِر.
وهناك أمر آخر: هو الاحتياط لِمَا يحمل هذا الشَّكْل الشِّعْري من مضامين وأفكار ، وعدم الانْجِرار إلى الغُمُوض والذاتية المُفْرِطة التي تفصل بين المبدِع والمُتَلَقِّي ، فيفقد الشعر روحه وهدفه في شحْذ هِمَّة المتلَقِّي وإحساسه ، بل إنه ينْبغي على المبدِعين الإسلاميين أن يُخَلِّصوا هذا الشَّكل الشعري من هذه المضامين الزائفة ، وينزلوا بالقصيدة رُوحًا وفكرًا إلى المتلَقِّي ، ويُضَمِّنُوها تصوُّرات وأفكار الإسلام ، ويستلهموا تراث الإسلام ورموزه في هذا الشكل الشعري الجديد في مقابل هذه الأفكار والتصوُّرات التي تناقِض في أحيان كثيرة الرُّؤْية الإسلامية للكَوْن والحياة. كما يُمكن أن يكونَ هذا اللون سلاحًا إبداعيًّا يُوَجَّه في وجْه الأفكار والتصوُّرات والرُّؤَى المنحَرفة ، ويكون مجالاً رحبًا لإعلاء قِيَم ومبادئ وتَصَوُّرات الإسلام بل قِيَم الإنسانية السَّوِيَّة ، إذا أحسن المبدعون استخدامه).هـ. وطبعاً نوافق الدكتور الشوربجي في مبدأ التجديد في القالب الشعري ، ونقطع أن هذا التجديد يؤثر تأثيراً مباشراً على الأسلوب ، ويجعله يأخذ أنماطاً شتى توافق ذلك التجديد! ونخالفه تمام المخالفة في تبني مبدأ القصيدة النثرية أو ما يُعرف على الساحة الأدبية المعاصرة بالشعر النثري! ونرى بأن هذا ليس تجديداً بل هو تخريب يُزري بالشعر العربي! ويكفي العقاد فخراً ـ كما أورد الدكتور الشوربجي – أن يُحيل هذا النمط عندما كان يُرفع إليه إلى لجنة النثر! وذلك لأنه إلى النثر أقرب منه إلى الشعر! ونحن في دراستنا الأسلوبية هذي لشعر عنترة بن شداد نضرب على الوتر ذاته! ونرى بأن عنترة جدّد في إظهار ما للحب والعشق من أثر على القصيدة الشعرية المتعلقة به وأسلوبها! ولكنه لم يُحرف نمط القصيدة العربية ويخرج على أهل زمانه بنثر ليقول عنه شعراً! والدكتور الشوربجي وقف بالمرصاد في وجه كل من يتهم الشعر الإسلامي بأنه متقوقع منغلق ليس له جمهور ، وليس له أتباع ولا محبون! ويقلب لهم ظهر المجن ، فيكتب نصاً تحت عنوان: (الشعر الإسلامي) أقتبس منه بتصرف قوله: (الشعر الإسلامي شِعرٌ منكفئ على نفسه ، لا يُخاطب إلاَّ أفرادَه ، فهو شعر ضيّق الأفق بعيد عن روح العصر ، ومتطلَّبات المجتمع ، ولا يستطيع اختِراق مشاعِر ووجدان الإنسان المعاصر ؛ لذا فهو بعيدٌ عن السَّاحة الأدبيَّة المُعاصرة ، ولا يستطيع مُجاراتَها ، أو ملاحقة التطوُّر الَّذي هو أهمّ سمات المجتمع المعاصر ، ناهيك عن كونِه شعرًا وعظيًّا بالدَّرجة الأولى ، لا يَحمل جماليات الفنّ ، ولا روح الإبداع ، وليستْ فيه أدوات العمل الفنِّي الَّذي يرقى إلى درجة الآداب العالميَّة. فهناك دعاوى كثيرة وتُهَم متعدِّدة توجَّه إلى الأدب الإسلامي بصفةٍ عامَّة ، والشِّعر منه بصفة خاصَّة ، فهل هذه الدَّعاوى حقيقيَّة أم هي دعاوى مُخطِئة ومغرضة يتفوَّه بها ويروِّج لها أعداء الفكر الإسلامي عامَّة ، الَّذي تنامى في اتِّجاهاتٍ عديدةٍ وقطاعاتٍ كثيرة ، وجدَ أعداؤه أنفُسَهم عاجزين عن ملاحقته ومحاصرته ، فانبرَوا في كيْل الاتِّهامات الموجَّهة له ، ساعدَهم على ذلك امتِلاكُهم منابرَ الفِكْر في عالمِنا العربي والإسلامي ، فحجبوا عن الجُمْهور روعة هذا الشِّعْر ، وحرموا النَّاس من متابعتِه والحكم عليه بأنفُسهم ، وشغلوا مشاعرَهم بكل قبيح من القول والفنّ ، ثمَّ باتوا يكيلون للشِّعْر الإسلامي التُّهم. والمتأمِّل في مثل هذه الدَّعاوى يجد أنَّها بعيدة عن الواقع ، وفيها قدْرٌ كبير من الخطأ والتجنِّي ؛ فالشِّعر الإسلامي المعاصر استطاع أن يَحمل لواء القصيدة العربيَّة الأصيلة في الوقْت الَّذي تنصَّل فيه شعراءُ كثْر في عالمنا العربي منها ، وتخلَّوا عنها بالانشِغال

بفنونٍ أُخرى حينًا ، وبتشْويهها وبتْر أعضائِها وسلْخِها من هُويَّتها وأصالتها حينًا آخَر ، واستطاع الشِّعْر الإسلامي أن يُحافظ على ثوابت القصيدة العربيَّة الأصيلة ، سواءٌ في شكْلِها أو في مضمونِها أو في أساليب التَّعبير المختلفة التي عرفت بِها القصيدة العربيَّة ؛ ففي الوقْت الذي أُصيب فيه الشِّعر العربي في مقْتل مع بدايات النِّصْف الثَّاني من القرْن العشرين بتوجُّهه إلى الغرب قلبًا وقالبًا ، سواءٌ في أشكاله أو في مضامينه! وتنصُّله من أصالتِه على أيْدي شُعراء زجُّوا به في أتُّون الحداثة والعصْرنة ، فأفْقدوه رُوحه ووعْيَه تَحت دعاوى التطوُّر والتَّحديث ومواكبة العصر ، فاستوْردوا أشكالاً من التَّعبير لا تُناسب جوَّ القصيدة العربيَّة ، ناهيك عن الأفكار الكثيرة التي نبتتْ في تُربة غربيَّة غريبَةٍ عن تربتِنا العربيَّة ، نقلوها لنا كما هي دُون مراعاة لواقِع تُرْبَتنا ؛ ممَّا أثْمر نبتًا لا طعم لَه ولا رُوح فيه ، فظلموا الشِّعْر العربيَّ ظُلمًا فادحًا ، عامدين أحيانًا ، وواهمين أحيانًا أخرى. وخرجوا بالقصيدة العربيَّة عن شكلها ، ثمَّ سلخوها من مضمونِها ، وبعد أن تمَّ لهم ذلك أجْهزوا عليْها فأفقدوها رُوحها ووعْيها ، ثم ألْقَوا بها بعيدًا في أتُّون الغموض ومتاهات الإبهام وضلالات المضمون ، فحرمت القصيدة العربيَّة من المشاركة في بناء وعي الأمَّة الغائب ، بل إنَّهم أرغموها قسرًا على تغْييب وعْي الأمَّة وشغلها عن قضاياها المصيريَّة بقضايا فارغة ، لا تعبِّر إلاَّ عن نفسيَّاتٍ مريضةٍ تائهةٍ حائِرة ، لا تعرف لها غاية ، ولا تَهتدي إلى هدف ، ولا تعبر عن واقع الأمَّة الحقيقي. ووجَد شعرُنا العربي نفسَه حائرًا في دروب المذاهب والتيَّارات الغربيَّة المختلفة ، لا يَعرف له طريقًا ولا يَجد له مهربًا بعد أن جرَّه هؤلاء إلى هذا الطَّريق المظلم. والشِّعر الإسلامي له ثوابتُه الفكريَّة والعقديَّة التي ينطلق من خلالِها المُبدِع ، تاركًا مشاعرَه وأحاسيسه تحلِّق في رحابِها معبِّرة عمَّا يَجول بخاطرِه ، ولا يتعدَّى هذه الثَّوابت أيًّا كانت توجُّهات العصر ومتطلَّبات المجتمع ؛ لأنَّ الأدب عامَّة ينبغي أن يعكس الواقِع ويقوِّمه إذا أحسَّ فيه باعوجاج ، ولا ينبغي أبدًا أن يكون (إمَّعة) يسير مع الواقع حيث كان ، فإذا كان الواقع فاسدًا فسد معه ، وإذا كان صالحًا صلح معه ـ كما يدَّعي أرباب التيَّارات المنحرفة ، وأصحاب الفنّ للفنّ ، ودعاة فصْل الأدب عن القيم والمبادئ السَّائدة في المجتمع ـ وإنَّما ينبغي أن يكون صالحًا ومصلحًا على طول الخطّ ، فإذا أحسَّ باعوجاج في الواقع قوَّمه ورسم له المنهج الَّذي يسير عليْه ، وهذا هو دوْر الأدب دائمًا ؛ أن يَبني للمجتمعات المنهج السَّويَّ الَّذي ينبغي أن تَسير عليه ، ويكون هذا المنهج موافقًا لطبيعة المجتمع وتُراثه الفكري والعقدي. فالشِّعْر الإسلامي إن كان لا يَسير في ركْب الواقع ـ كما يزعُمون ـ فلأنَّه ينظُر للواقِع بعين النَّاقد البصير الحريص على مصلحة الأمَّة ، لا بِعين المنافق والمحابِي على حساب فِكْرِه واعتِقاده ومصلحة أمَّته ، أما أنَّه لا يستطيع اختِراق مشاعر ووجدان الإنسان المعاصر ، فهذه دعوى باطلة ؛ لأنَّ الشعر الإسلامي في شكلِه ومضمونه يحمل جماليَّات العمل الفنّي الرَّاقي ، ولكن ما ذنبُه إذا كانت مضامينُه لا تُرْضِي أذْواق ذوي النُّفوس المريضة ، فلأنَّه يَحمل مضامين لا ترْضاها النفوس المريضة ، ولا يُريدها أصحاب الأفكار المنحرِفة ، كِيلت له الاتِّهامات ، وصُوّبت له الضَّربات من كلّ جانب. والشِّعْر الإسلامي شِعرٌ يُخاطب النفوس السليمة ويَخترق المشاعر الحيَّة ، فهو يعمل على إثارة كوامِن الخير في النُّفوس ويُحارب دوافع الشَّرِّ فيها ، ويَحفِزها إلى العمل الصَّالح ، وليْس بالضَّرورة أن يكونَ ذلك عن طريق الوعْظ المباشِر ؛ بل يُمكن أن يغلَّف ذلك في عمل فني أدبي يقرِّب الفكرة إلى المتلقِّي ، ويُحبِّبها إلى نفسه في صورة أدبيَّة تَحمل جماليَّات العمل الفنِّي الَّذي يَخترق المشاعر والأحاسيس قبل أن يُخاطِب العقل ويطْرح الرُّؤى والأفكار. ويُخطئ مَن يعتقد أنَّ المقصود بالشِّعْر الإسلامي هو شعر المناسبات الدينيَّة أو الشِّعْر الهائم في الخيالات الصوفيَّة البعيد عن الواقع ، لا ، بل إنَّ الشِّعر الإسلامي أشمل من ذلك بكثير ، وأوْسع من هذه الدَّائرة التي حُوصر فيها ردحًا من الزَّمن ، فهو الشِّعْر الَّذي يحمل في مضامينه روعة

الفِكْرة الإسلاميَّة ، وفي أشكالِه جماليَّات لُغتنا العربيَّة الأصيلة التي تتدفَّق مفرداتُها بالمشاعِر والأحاسيس الموحية والمعبِّرة عمَّا في النُّفوس في كلِّ حالاتِها المزاجيَّة المختلفة ، وهو الَّذي يعكس الواقع ويعبِّر عنْه برؤيةٍ سليمة وَفْقَ تصوُّرات ومفاهيم الإسلام ، بعيدًا عن التصوُّرات المنحرِفة والمفاهيم الزَّائفة. ومن هذا المنطلق فلا بد من أن تكون هناك دعوة للاهتِمام بالشعر الإسلامي: ومع ذلك ؛ فإنَّ على الشعر الإسلامي دورًا كبيرًا في فرْض وجوده على السَّاحة الأدبيَّة المعاصرة كشِعر له خصائصُه وأفكاره التي ينبثِق منها ، شأنُه في ذلك شأن أيِّ تيَّار شعري آخر ، خاصَّة وأنَّ الواقع المعاصر يعجّ بالتيَّارات المختلفة ، التي تعمل على الولوج إلى فِكْر ووجدان المتلقِّي بأساليب مُختلفةٍ ومتعدِّدة ، والشِّعر الإسلامي يَحمل في طيَّاته مقوّمات التيَّار الأدبي والشِّعري الَّذي يرقى إلى فرْض نفسه على السَّاحة الأدبيَّة والشِّعْريَّة المعاصرة ؛ لكنَّه في حقيقة الأمر يَحتاج إلى جهود كثيفة بقدْر العراقيل والمعوّقات التي تقِف في طريقه ، وهنا يأْتي دوْر الشُّعراء والمبدعين الَّذين ينطلقون في إبداعهم من ثوابتِهم الإسلاميَّة ، أن يكونوا على مستوى الدَّور المنوط بهم فيتشبَّعون من الإسلام وتصوُّراتِه وينزلون إلى المجتمع واهتماماته ، ولا عَيْب أن يستفيدوا ويأْخذوا بالأدوات الفنّيَّة المختلفة المطروحة في السَّاحة الأدبيَّة التي لا تتعارض مع عقيدتِنا وشخصيَّتنا الإسلاميَّة ؛ فالحكمة ضالَّة المؤمن ، والحقيقة أنَّ الأهمَّ من ذلك هو الاهتمام بالشّعر الإسلامي ومبدعيه من خلال وسائل الإعلام ووسائل النَّشر المختلفة التي تتبنَّى الفكرة الإسلاميَّة ، وهنا أستعير كلِمة د/ عبد الباسط بدر: "فالأدباء الإسلاميون موجودون ومتوزّعون في أنحاء العالم العربي والإسلامي ، يؤْذيهم الإهمال المتعمَّد ، ويقلّل من أثرهم في ساحة الأدب ضعف إمكانات النَّشر لديْهِم وقلَّة اكتراث دور النَّشر بهم وإعراض الأجهزة الرسميَّة في معظم الدول العربيَّة عنهم ، وطبيعي أنَّ هذه المعوقات تسبب صعوبات كثيرة ، وتخنقُ مواهب كثيرة لو فتحت لها المجالات لظهَر فيها الأديب الفذُّ الذي يهزُّ ساحة الأدب". ولعلَّ هناك دورًا آخَر لا يقلُّ في أهمّيَّته عمَّا سبق ، وهو دوْر النقَّاد والدَّارسين ؛ فعليْهم عبء ثقيل ، وهو الاهتمام بالشِّعر الإسلامي ومُبدعيه ، والوقوف وراءه داعمين له ، ومُقوِّمين عَثراته ، وشاحذين هِمَم مبدعيه في إطار رؤية إسلاميَّة تنظر للأشياء بمِنظار الإسلام الذي يرى الأشياء كما هي ، دون مغابنة أو مغالاة. وهكذا لا ينبغي أن يترك المبدعون المسلمون السَّاحة الأدبيَّة خالية للتيَّارات المنحرفة ، الَّتي لا تعبِّر عن هويَّتنا العربيَّة والإسلاميَّة ، والَّتي تحاول أن تفرض سيطرتَها دون رَقيب أو حَسيب ، وإنَّما ينبغي أن يكونوا على قدْر المسؤوليَّة في إبداع أدبي وشعْري نابع من أصالتنا الإسلاميَّة والعربيَّة ، يقف في وجه الدعاوى المُخطئة والمُغرضة ، ويُناهض التيَّارات المُنحرفة).هـ. ألا إن الدكتور الشوربجي ليُشكر بكل ما تعنيه الكلمة من معان على وقوفه هذه الوقفة الجريئة في وجوه المفلسين! نعم: المُفلسين الذين لمّا عجزوا عن صِياغة القصيدة العربية الأصيلة ، راحوا يُرَوجون للشعر المنثور ، أو للقصيدة النثرية ، أو بالمعنى الأدق للهُراء الذي يُطلقون عليه زوراً وبُهتاناً الشعر الحديث!

الفصل الرابع

إنه ليس أجمل مما سطر عن عنترة بقلم نورهان مرسي حيث جاء في المقال الرائع: (لقد نسب عنترة في روايات كثيرة إلي شداد بن معاوية بن ذهل بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن غالب بن قطيعة بن عبس ، كان من أهل نجد وسمي بعنتره الفلحاء وذلك نسبةً لتشقق شفتيه ، كان من أشهر الفرسان المعروفين في الجاهلية ، وكذلك كان من شعراء الطبقة الأولي ، سرى إليه السواد من أمه التي كانت تدعى زبيبة التي كانت حبشية الأصل. اتصف بين عرب الجاهلية بأنه أحسنهم شيمة كما عُرف بعزة النفس والشجاعة وشدة بطشه ووفائه ورقة وعزوبة شعره ، أُغرم بابنة عمه عبلة فذكرها في معظم قصائده! لم يعترف به أبوه منذ مولده إنما اعترف به بعد أن كبر ، وعلى هذا فعنترة بن شداد شخصية تاريخية يجب أن نشيد بها ، حيث عُرف بين العرب بالفروسية والشجاعة والإقدام كما اشتهر بعشقه لعبلة. علا شأن عنترة وزاد تعلق عبلة به ، حتي أنها كانت سبب لباقة لسانه لأنه كلما جاء ذكر اسمها أمامه انطبق لسانه بأبيات الشعر والغزل حتي علمتْ أمها بعشقه لها ، فدعتْه للحديث واعترف لها بحبه لابنتها ، ولكنها عرضت عليه الزواج من خميسة جارية ابنتها ، لكنه أصر علي زواجه من عبلة ، حتي اشتهرتْ أبيات شعره حتي سمع بها أخو عبلة وتوعد بقتله. مرَّ عنترة بالعديد من الصراعات في حياته ، ولعل أشهر صراع مرَّ به كان من أجل الفوز بعبلة والزواج منها ، فوقف أمامه العديد من العواقب أشهرها كان اللون الأسود وأيضاً النسب وعدم اعتراف أبيه به ، فرفض عمه مالك زواجه منها وفضل عليه عدوه اللدود عمارة بن زياد ، فطلب من عنترة مهراً كبيراً بهدف التخلص منه وجعله يشعر بالعجز ، وكان هذا المهر عبارة عن ألف من النوق العصافير من العراق ، لكن لم يستسلم عنترة ومر بالعديد من الصراعات حتي استطاع أن يحصل علي المهر. لكن عمه اختلق له العديد من العواقب لكنه استطاع أن يجتازها جميعها حتي انتهي الأمر بالاعتراف به فارساً وقام أبوه بالاعتراف به وحرره من العبودية ونسبه إليه ، ثم تزوج عنترة من عبلة ابنة عمه ولم يسلم من محاولة قتل خطط لها عمارة ليلة زفافه ، فأراد قتله بالسم ورغم ذلك فشلت تلك المحاولة ومرت ليلة الزفاف بسلام. ولما أصبح عنترة من الأحرار هل تزوج من عبلة حقاً؟ هنا انقسم البعض حول حقيقة زواجهما! فرجح البعض أن أباها وأخاها رفضا هذا الزواج بشدةٍ ، وأن عبلة تزوجت من أحد أشراف القوم. أما البعض الأخر فيميل إلي أنهما تزوجا بعد أن حرره أبوه ونُسب إلي بني عبس ، وأن من شيم العرب أن الرجل يأبي أن يتغزل فيمن زوجت لغيره. ورغم عشق عنترة لعبلة والصراعات التي مر بها لكي يتزوجها فالأحداث التاريخية تكشف أن عنترة في خلال غزواته سواء الداخلية أو الخارجية قد تزوج من سبعة سيدات وأنجب منهن ثمانية أبناء ، فكانت آخر زوجاته الملكة مريمان التي أنجب منها الغضنفر والجوفران ، أما عبلة فلم تنجب أي أبناء فكانت امرأة عاقر. وعلي الرغم من زواج عنترة من سيداتٍ أخرياتٍ غير عبلة ، لكن حبه لعبلة ظل يغمر قلبه حتي وفاته فكان سرعان ما يعود إليها فهي من أحبها بصدق وأخلص لها ، فعبلة كانت زوجة عنترة وعشيقته فقط ، ولكنها لم تحظ بأن تكون أماً لأبنائه! وقد تم الحفاظ علي جميع أعمال عنترة البطولية ، وتم تسجيل شعره الشفوي وكذلك قصته الرومانسية مع عبلة التي لولا قصرها لكانت ترجمت في الأدب الإنجليزي ، ولكن تم نشر بعض المقتطفات منها علي يد السيد تريك هاملتون ، ولكن شجاعته وإقدامه لم يستطيع أحد أن ينكرهما ، ولا يمكن أن يمحوها التاريخ فقد ترك ميراثاً كبيراً من قصائد الشعر التي خلدت ذكراه إلي وقتنا هذا).هـ. ويقول الأستاذ الأديب الناقد حمد

زيدان وتحت عنوان: "عنترة بن شداد خان "عبلة" مع (ثلاثين) فتاة وتزوج عليها سبع مرات" ما نصه: (بعد زواج عنترة من عبلة بستة أشهر لم تظهر عليها أعراض الحمل ، وخاض عنترة الكثير من الغزوات والحروب ، وتزوج على عبلة سبع نساء ، وهذا ما ذكره كتاب (سيرة عنتره بن شداد)! الأولى: مهرية: التقاها فى أرض بنى دارم عندما سرق منه حصانه الأبجر ، فأعجب بها وبات عندها الليلة ، ثم تركها دون أن يعلم أنها حملت منها. وربت مهرية ابنها «ميسرة» بعيداً عن قومها ، ولم تخبر أحداً بالحقيقه حتى كبر وتبارز مع عنترة ، فأخبرته الحقيقه وأكرمها بأن جعل لها سرادق خاض بها فى منزلها! الثانية: سروة: وهي أميرة وقعت عين عنتره عليها في إحدى الغزوات ، بعد أن وجدها نائمة فى هودجها ، وقيل له أن أباها قد ذهب لإحضارعلاج لها من الجن ، فعالجها عنتره بتعويذةٍ ما وطلب من أبيها أن يتزوجها ، فوافق تحت ضغط. ومكث عنتره معها ثلاث ليالي ثم تركها ليفاجأ أبيها بحملها ، وقد تركها عنترة أيضاً دون أن يعرف بحملها ووضعت «سروة» ابنها «الغضبان» ، الذي تبارز معه عنترة أيضاً دون أن يعلم أنه ابنه! الثالثة: الهيفاء: عُرفت بقناصة الرجال وذلك لأنها كانت فارسة ومحاربة ، وكان عنتره صديق لأخيها ربيعة بن المقدم الذى أعجب بفروسيته وطلب منه أن يتزوج أخته الهيفاء ، ليتزوجها عنتره وينجب منها «عنيترة». وكانت الهيفاء صديقه مقربة من زوجة عنترة ومحبوبته «عبلة» ، ولم يتغير الوضع بعد زواج عنترة منها ، إذ كانت «عبلة» تحنو على أولادها واستمرت صداقتهما. الرابعة: غمرة: كانت فارسة ومحاربة ظلت تحارب عنترة ، ولم تيأس وهو يحاربها دون أن يعلم أنها امرأة ، وبعد أن عرف ونظر إليها أغرم بها ونسى كل حبه لعبلة ، وأوقعها عن فرسها واغتصبها عنوة وقسوة ثم تركها وهو لا يعلم أنها تحمل في أحشائها ابنه «غصوب» ، لكن «غمرة» لم تعترف بهذا الابن ، وربته على أنه عبد من المقربين إليها. الخامسة: مريم: هي أميرة من بلاد الروم أعجبت بعنترة وحدثت أخيها «الأمير بلقان» عنه ، وفذهب إلى عنترة وطلب منه أن يتزوجها ، فتزوجها «عنترة» ، وعندما أراد العودة إلى بني عبس طلبت منه الذهاب معه ، ولكنه خشى على عبله والهيفاء فتركها عند أخيها. السادسة: مريمان: أثناء وجود عنترة فى بلاط القيصر وجد الأميرة مريمان أمامه تطلب منه أن يحرر أحد فرسان الروم ، فوافق عنتره وتزوجها وهو الذي كان قد قتل أبيها قبل ذلك وقاتل أخيها. وأنجبت الأميرة مريمان لـ«عنترة» ولدين هما «الغضنفر» و«الجوفران». السابعة: درملك: هى فتاة من قبيله «بنى كنانة» تزوجها عنترة وأنجبت له صبيان ، هما «جارالمعلم» و«زيدان». و بالرغم من أن عنترة تزوج على عبلة أكثر من مرة، إلا أنه كان يعود إليها في النهاية، فقد ذكرت السيرة أنه لم يحب زوجه له أكثر من عبلة. أما عبلة نفسها فلم تكره عنترة بسبب تعدد زوجاته، علي العكس كانت تقول: «لو ملك عنتر مائه امرأة ما يريد سواي ، ولو شئت رددته إلى رعى الجمال وحق ذمة العرب أنه يبقى لشهر والشهرين لم أخليه يدنو منى حتى يقبل يدى ورجلي ، وإنى معه هذا الزمان ما رزقت منه بولد).هـ. وهناك سؤالان طرحتهما الناقدة الأديبة الأستاذة هدى عبد السلام ، والسؤالان هما: هل عنترة بن شداد من شعراء الجاهلية؟ وهل عنترة بن شداد مسلم؟ وكان في معرض إجابتها على السؤالين معاً ما نصه: (لطالما ارتبط اسم الشاعر عنترة بن شداد بمحبوبته عبلة التي كتب فيها العديد من قصائد الغزال والتي كانت أحد أسباب شهرته حتى وقتنا هذا ، وأصبحت قصة حبه مع عبلة يُضرب بها المثل في قصص الحب الخالدة على مر التاريخ ، وبخلاف شعره المميز فهو اشتهر أيضًا بشجاعته وفروسيته وأُطلق عليه اسم أبي الفوارس ، ولكن في أي عصر ظهر الشاعر عنترة؟ وما هي أبرز صفاته؟ وهاكمُ الجواب: ظهر الشاعر عنترة بن شداد في العصر الجاهلي ، وكان واحدًا من أشهر شعراء هذا العصر! اسمه كاملًا عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن

عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وُلد عنترة في عام 525 م في منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية وكان ينتمي إلى قبيلة عبس. وكان والد عنترة من أسياد قبيلة عبس ، أما أمه فقد كانت من الحبشة وكان يُقال لها زبيبة ، وكانت حُرة قبل أسرها واتخاذها جارية من قِبل والده. أُطلق على عنترة لقب الفلحاء لأنه كان لديه تشققًا في شفتيه ورثه عن أمه. وكان عنترة يعاني من الإهانة والانتباذ من سادة قبيلته، لأنه كان ابن جارية وكان عبد أسود، وكان والده يقسو عليه ويُنكره، ويعاقبه بشده على أي خطأ يرتكبه، وقد ترك ذلك أثرًا بالغًا في نفسه ظهر جليًا في شِعره. ففي الزمن الذي وُلد فيه عنترة كان العرب لا يعترفون بأبناء الإماء في النسب إلا إذا تميزوا في بطولاتهم وشجاعاتهم وأشعارهم. وبعدما أظهر عنترة شجاعة في الحروب التي شارك فيها مع قومه؛ قرر والده أن يُلحقه بنسبه. ونال عنترة حريته بعدما شارك مع قبيلته في صد الهجوم الذي شنته عليهم قبيلة طئ وأظهر فيه شجاعته وبراعته في القتال. وأما عن صفات عنترة بن شداد الخُلقية والأخلاقية فقد كانت كما يلي: - كان ذو مشاعر جياشة وعواطف رقيقة. - تمتع بعزة النفس وكان لديه كبرياء شديد. - كان فارسًا شجاعًا لا يهاب المعارك والحروب. - لم يكن يبتسم فقد كان عبوس الوجه. - كانت بنيته قوية وكان ذو جسم ضخم وعظام صلبة. - كان طويل القامة. - كان ذو بشرة سوداء وشعر مجعد. - كان لديه شقًا في شفته السفلى، ولذلك كان يُسمى بالفلحاء. أعتقد أننا بهذا أجبنا على سؤالنا الأول! وأما عن سؤالنا الثاني: هل عنترة بن شداد مسلم؟ والجواب: لا ، لم يعتنق عنترة بن شداد الديانة الإسلامية ، وذلك لأنه ظهر في العصر الجاهلي الذي سبق ظهور الإسلام. ولقد تردد أنه جاء حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف فيه الشاعر عنترة بن شداد بأنه اجتمع فيه صفات الرجل المسلم بقوله لم أسمع وصف عربي أحببتُ أن أقابله أكثر من عنترة. ولكن هذا الحديث ضعيف ولا أصل له. وتُعد قصة حب عنترة وعبلة من أشهر قصص الحب التي لا زالت تُذكر حتى الآن. وقد كانت عبلة بن مالك بن قراد العبسي هي ابنة عم عنترة ، وكان يحبها بشدة. وكانت عبلة تتسم بالجمال والكمال العقلي ، ولقد عبر عنترة عن شدة حبه لها في كثيرًا من أشعاره. فكثيرًا ما تغزل عنترة في جمال عبلة من خلال شعره، وأظهر مدى هيامه بها. ولقد تقدم عنترة إلى عمه بطلب الزواج من ابنته عبلة ؛ إلا أن طلبه قوبل بالرفض لأنه كان أسود اللون. ولم ييأس عنترة قط ، وكرر طلبه أكثر من مرة، وفي كل مرة كان عمه يرفض زواج عبلة منه ، بل كان يعرض تزويجها على فرسان القبائل العربية. وقد ذكرت بعض الروايات أن والد عبلة اشترط على عنترة إحضار ألف ناقة كمهر لعبلة حتى يوافق على زواجه منها. وعلى الرغم من الصعوبات التي لاقاها عنترة حتى يحقق مطلب عمه ؛ إلا أنه استطاع أن يحضر له ما طلبه. ولكن عمه ظل يماطل عنترة ، بل طلب من فرسان القبائل قتل عنترة وإحضار رأسه كمهر لابنته. ولم يُحدد بعد هل تزوج عنترة من عبلة أم لا ، فبعض الرويات تقول أنه تزوج منها، والبعض الآخر تقول أنه لم يستطع الزواج منها ولم يتمكن من نسيانها. ولكن كتاب (سيرة عنتره بن شداد) قد ذكر أن عنترة تزوج من عبلة ولكنها لم تنجب بعد زواجهما بستة أشهر ؛ ولذلك تزوج عليها 8 سيدات أخريات وخانها مع عدد كبير منهن وصل إلى 30 امرأة. أما محمد الحاضر ، حفيد عنترة بن شداد فقد قال في أحد الحوارات التليفزيونية أن جده عنترة لم يتزوج من عبلة. وكان معظم ما كتب عنترة بن شداد من شعر يدور حول الفخر والفروسية. وفي الكثير من القصائد التي كتبها كان يتغزل في ابنة عمه عبلة ويعبر عن ولعه بها وحبه الشديد لها. وعبر عن حنينه لعبلة من خلال وصفه لوقوفه على الأطلال والديار التي كانت تسكنها قبل أن ترحل وتذهب إلى مكان لا يعرفه. كما تميز شعره باحتوائه على لمسة حزن ، حيث كان عنترة يعبر في شعره عن مدى الظلم والإهانة والشقاء

الذين لاقاهم في طفولته وصباه بسبب عبوديته ولونه الأسود. ظهر في شعر عنترة الصفات التي كانت تميزه وهي فروسيته وشجاعته في الحروب. فكان دائمًا ما يُظهر في قصائده صفات الفارس الشجاع وما يتحلى به من مروءة وشجاعة وإقدام في مواجهة الخصوم. كما أظهر أيضًا الأدوات القتالية التي كان يستعين بها في حروبه مثل الخيل والرماح والدروع والسيوف. حيث سعى عنترة من خلال هذا الوصف أن يعبر عن شخصيته ، ويؤكد فكرة حريته التي كان جديرًا بالحصول عليها. ومن أبرز الأفكار التي ظهرت في قصائده فكرة المشاركة في الحروب من أجل الفوز بها وليس من أجل حصد الغنائم. وبصفة عامة كان شعر عنترة بن شداد يتميز برقة معانيه وسهولة ألفاظه وعذوبة أسلوبه).هـ. وكان بسطام قويًّا قلبه ، وأراد أن يطلق رأس الجواد ، فما مكنه عنتر بن شداد ، بل أدركه وزعق فيه وطعنه بعقب الرمح فألقاه على وجه الأرض ، وقال لأخيه شيبوب: شد كتافه حتى ننظر ما يجري بيننا وبين القادمين ، فنظر نجاد إلى هذا الحال فقال لمن معه: يا ويلكم ، خذا هذا الأسود ابن ملكنا بسطام وشداه في الاعتقال ، وإني أقول إنه ما قدر عليه إلا من خوفه من هذه الفرقة العبسية التي لحقت بصاحبها ، حتى تعينه على هذه القضية ، كما لحقنا نحن صاحبنا فدونكم وإياهم ، فارفعوهم على أسنة الرماح وأنا أمزق جسد هذا الأسود ، وأطلق لمولانا السراح لأني أقول: إن هذا الفارس هو عنتر ، الذي قد سار بسطام ليأتي برأسه ، ثم إنه حمل يطلب عنتر في خمسين فارساً ، وحملت بقية الثلاثمائة فارس على عمارة ورفقته مثل السود القناعس ، وقد قلوا في أعينهم وداروا بهم وتفرقوا كراديس ومواكب ، فعند ذلك لزم بنو عبس القتال خوفًا من المهالك ، فانظر أيها السامع إلى هذه الأشياء التي تحير العقول ، فإن عمارة قد أتى يقاتل عنتر فصار معيناً له بغير علمه واختياره ، واحتاج أن يقاتل معه ، ويخلص نفسه فزعا من العطب ، ولو أمكنه الهروب من ذلك لهرب ، ولكن ما قدر على ذلك لأن الأعداء قد أحدقت بهم من سائر الجهات والممالك ، فقاتل وبذل المجهود وتزاعقت عليهم الفرسان مثل الأسود ، وتواثبت الشجعان مثل الفهود ، واقشعرت الجلود ، وقدحت حوافر الخيل النار في الجلمود ، وخيم الغبار على رأسهم حتى بقي مثل الرواقي الممدود ، وفاضت الدموع على الخدود ، وقدت الصوارم الهامات والقدود ، وخفقت الرايات والبنود ، وتلهجت في الأحشاء نار الحقود ، وعادت وجوه الأبطال سود ، من كثرة الغبار الممدود ، ومما جرى عليها من نقض المواثيق والعهود ، وشربت الأودية من أدمية الفرسان والكبود ، وخسرت بنو زياد في ذلك اليوم المشهود ، ورأت مقام عنتر في ذلك الوقت محمود ، وأيقن عمارة أنه هالك من بين أهله ومفقود ، وكاد أن يموت من الحسد ، وعاد متنغصاً مكمودً ، ثم إنه افتقد أصحابه فوجدهم قد فقد منهم خمسون فارساً ، والباقون أشرفوا على الهلاك ، فعندها قال عمارة: النجاة ، ثم إنه لوى عنان جواده وولى هاربا، فتبعه عروة ومن بقي من رجاله ، وهم لا يصدقون بالنجاة).هـ. كان عنترة ابن شداد في الشعر الخاص به يزيد من ذكر محبوبته وهي ابنة عمه المعروفة باسم عبلة بنت مالك ، حيث كانت في البداية تحتقر سواد بشرته ثم بعد ذلك أعجبت بالبطولات التي يقوم بها ومن بين أبيات المعلقات التي ذكر فيها الفخر والشجاعة: (هل غادر الشعراءُ من متردّمِ). وكانت العادة المشهورة عند الشعراء الجاهليين أن الشاعر يقوم ببدء الملعقة الخاصة به بذكر الأطلال وهذا ما قام بفعله. وبعد ذلك انتقل الشاعر إلى نفسه رغبة منه أن تتحدث معه دار عبلة ويسلم عليها. ثم انتقل بعد ذلك الشاعر إلى الفخر ، حيث طلب من عبلة أن تقوم بالبحث عن أخلاقه وصفاته التي تتسم بالشجاعة. وبعد ذلك يعود الشعر مرة أخرى إلى الحب ، حيث قام بذكر الأبيات الدالة على هذا الحب ، ويعود مرة أخرى إلى الفخر عندما كان يحارب في المعركة ، حيث إن جميع الأشخاص التي رأت عنترة يحارب ميزته بصفتين ، الأولى هو أنه يقدم بكل شجاعة على القتال ، والثانية أنه يتصف بالعفة أثناء

توزيع الغنائم. وفي الأبيات الأولى من معلقة عنترة يوجد مجموعة من الخصائص الفنية التي ترتبط بأسلوب عنترة ابن شداد ، حيث يوجد العديد من الأساليب الفنية في شعر عنترة بن شداد في الفخر والشجاعة ، ومن بين الخصائص الفنية التي جاءت في المعلقة السابقة ما يلي: أولاً: الألفاظ التي تحدث بها عن عنترة تعتبر ألفاظ سهلة عن ما يتحدث به العديد من الشعراء الآخرون ، وهذا الأمر جعل بعض النقاد يرون أن الشعر الخاص به مصنوع على لسانه ، وبالتالي فإنه ينكرون شعره. ثانياً: جميع الأبيات السابق ذكرها يوجد فيها معاني واضحة للشخصية الخاصة عنترة بن شداد ، حيث يعتبر بطل من الأبطال ، بالإضافة إلى أنه شاعر من أفضل الشعراء المبدعين. ثالثاً: بالنسبة للصور التي ذكرت في الأبيات السابقة جميعها تصور البيئة الخاصة بعنترة بن شداد وهي بيئة بدوية ، حيث يتم ذكر البئر المنتشر في البادية والذي يزيد عليه عدد كبير من الواردون. بشكل عام شعر عنترة يتميز العذوبة والرقة وبشكل خاص في الغزل وذلك لأن المصدر الخاص به هو الإخلاص الشديد في الحب. رابعاً: جميع المعاني المرتبطة بشعر عنترة بن شداد آتية من المثل العليا ، حيث كان يتميز بها الفرسان العرب صور من حيث العفة والشجاعة وغيرها من هذه الصفات. وعنترة أحد أغربة العرب ، وهم ثلاثة: عنترة ، وأمّه زبيبة ، سوداء ، وخفاف بن عمير الشّريدىّ ، من بنى سليم ، وأمّه ندبة ، وإليها كان يُنسب ، وكانت سوداء ، والسّليك بن عمير السعدىّ ، وأمّه سلكة ، وإليها ينسب ، وكانت سوداء! وكان عنترة من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده. وكان لا يقول من الشعر إلّا البيتين والثلاثة ، حتّى سابّه رجل من بنى عبس ، فذكر سواده وسواد أمّه وإخوته ، وعيّره بذلك ، وبأنّه لا يقول الشعر ، فقال له عنترة: والله إنّ الناس ليترافدون بالطّعمة ، فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدّك قطّ ، وإنّ الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم ، فما رأيناك فى خيل مغيرة فى أوائل الناس قطّ ، وإنّ اللّبس ليكون بيننا ، فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدّك خطّة فيصل ، وإنّما أنت فقع نبت بقرقر ، وإنى لأحتضر البأس ، وأوفى المغنم ، وأعفّ عن المسألة ، وأجود بما ملكت (يدى) ، وأفصل الخطّة الصّمعاء ، وأما الشعر فكان أوّل ما قال قصيدة! قال أبو عبيدة: إنّ عنترة بعد ما تأوّت عبس إلى غطفان بعد يوم جبلة ، وحملت الدماء ، احتاج ، وكان صاحب غارات ، فكبر فعجز عنها ، وكان له بكر على رجل من غطفان ، فخرج قبله يتجازاه ، فهاجت رائحة من صيّف ، وهبّت نافحة ، وهو بين شرج وناظرة ، فأصابت الشيخ فهرأته ، فوجدوه ميّتا بينهما. قال أبو عبيدة: وهو قتل ضمضما المرّىّ ، أبا حصين بن ضمضم. وعلى هذا يكون عنترة بن شداد من شعراء العصر الجاهلي. فالعصر الجاهلي هو العصر السابق للإسلام ، وبالرغم من أنه لا يوجد تحديد دقيق لبداية العصر ، فإن أغلب المؤرخين يرجعون أول ما تداول من الشعر الجاهلي إلى 150 – 200 سنة قبل الإسلام. وقد نشأ الشعر الجاهلي في الجزيرة العربية ، في بوادي نجد والحجاز والمناطق المحيطة من شمال جزيرة العربية. وكانت العرب قبل الإسلام تعد قول الشعر من المفاخر. وكان الشعر وسيلتهم الإعلامية الأولى ، حيث يحتفظ الشعر الجاهلي بأخبار الحروب المشهورة في الجاهلية كداحس والغبراء ، ويرسم أسلوب حياة العرب ، فينقل كيف كانت تتفاخر القبائل بأنسابها ، أو يتفاخر الأفراد بشجاعتهم في القتال وكرمهم في العطاء ، ورصدت حتى معالم بيئتهم الجغرافية مثل حومل وعسيب وغيرها من المعالم التي ذكرت في أشعارهم. ونقلت بعض الظواهر الاجتماعية مثل ظاهرة الصعاليك ، كما نقلت قصص الحب ، والتمايز الطبقي والاختلافات الاجتماعية. وقد كان سوق عكاظ في الجاهلية ، كمهرجان يلتقي فيه الشعراء كل سنة يتنافسون في الشعر ويرون الجديد عنهم ، كما احتفى العرب بمجموعة قصائد سميت المعلقات ، أشهرها معلقة امرؤ القيس ، ومن المعلقات كذلك معلقة الأعشى وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد. ولهذا فإن

الشعر الجاهلي هو أهم مادة لمعرفة أحوال وأخبار العرب قبل الإسلام! وسؤال يطرحه الأستاذ أحمد الدعدر ويجيب عنه فيقول: (ماذا تعرف عن عنترة بن شداد؟) والجواب: (عنترة بن شداد ، شاعرٌ عربيٌّ عاش فترة الجاهلية ، ما قبل دخول الإسلام ، انتمي إلى قبيلة «عبس» ، التي اشتهرت وذاع صيتها بالحروب الكثيرة التي خاضتها ، والمعارك التي حضرتها ، وكانت قبيلته وثنية العقيدة ، تعبد الأصنام وتعظمها ، حتى دخلت في الإسلام ، وساهمت في الفتوحات الإسلامية. حسب ما ذكرت المصادر التي أرخت لتلك الفترة. وعاش عنترة زمنًا طويلًا عبدًا مغمورًا كباقي العبيد والإماء ، الذين مروا في حياة العرب في جاهليتهم ، لا يحسنون إلا الخدمة والعمل ، حتى اعترف به أبوه ، إلا أنه اعتراف جاء متأخرًا وبعد كبره ، إذ تحكي المصادر أن أباه وقع على أمه الحبشية «زبيبة» ، فأولدها عنترة ، وفي قانون الجاهلية: «الهجين يولد على العبودية ، حتى ترفع عنه العبودية باعتراف الوالد» ، وكان لعنترة إخوة من أمه عبيد أيضًا. واشتهر عنترة بالفروسية والشجاعة، وقد بلغ من شهرته أن هابته الفرسان والأبطال، وحسبت له حسابًا ، وخافت على نفوسها منه ، كما عرف بكرمه وأخلاقه ، إضافة إلى شعره ، ومعلقته المشهورة ، وغزله العفيف بمحبوبته عبلة ، ابنة عمه بنت مالك ، التي أحبها حبًا كبيرًا ، ترك عظيم الأثر في الشعر العربي ، وشاهدًا عليه ، إذ ذكرت المصادر أن عبلة من أجمل نساء قومها وأبعدهم صيتًا في العقل والنضرة ، إلا أن هذا الحب قوبل بالرفض من أبيها مالك وأخيها عمرو لسواده ، الذي لا ذنب له فيه).هـ. وشجاعة عنترة أشهر من نار على علم، وروي أن عمرو بن معدي كرب ـــ وكان معاصرًا له ـــ قال: لو سرت بظعينة وحدي على مياه مَعَدٍّ كلها ما خفت أن أُغْلَبَ عليها ما لم يَلْقَنِي حُرَّاهَا أو عبداها، فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بني عبس ـــ يعني عنترة ـــ والسليك بن السلكة ، وكلهم قد لقيت ، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت ، وأما عتيبة فأول الخيل إذا أغارت وآخرها إذا آبت ، وأما عنترة فقليل الكبوة ، شديد الجلب ، وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري. وقيل لعنترة: أنت أشعر العرب وأشدها. قال: لا. قيل له: فبِمَ شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أُقْدِمُ إذا رأيت الإقدام عزمًا ، وأُحْجِمُ إذا رأيت الأحجام حزمًا ، ولا أدخل موضعًا إلا أرى لي منه مخرجًا ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ، فأثني عليه فأقتله ، وقال عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كُنَّا ألف فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان فينا قيس بن زهير ، وكان حازمًا ، فكنا لا نعصيه ، وكان فارسنا عنترة ، فكنا نحمل إذا حمل ، ونحجم إذا حجم ، وكان فينا الربيع بن زياد ، وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نخالفه ، وكان فينا عروة بن الورد ، فكنا نأتمُّ بشعره ، فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقت ، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما وُصِفَ لي أعرابي فأحببت أن أراه إلا عنترة. وكان العرب تسمي معلقته المذهَّبة لحسنها ، ومواقفه في حرب عبس وذبيان مشهورة في أيام العرب ، أما الذي في سيرته فلا يُلتفت إليه ؛ لأن أكثره موضوع لا يخفى على الصبيان. وتحت عنوان: (عنترة بن شداد الشاعر الشهم والفارس المغوار) قال الأستاذ الأديب الناقد شحادة بشير ما نصه: (هناك تشابه كبير في أسلوبية كتابة الشعر بين عنترة بن شداد والشاعر أبو دلامة! وزاد الأمور تشابهاً فهو كون أبي دلامة عبداً حبشياً! أما عنترة فمعروف فمن هو أبو دلامة؟ والجواب: هو زند بن الجون شاعر من أهل الظرف والدعابة ، كان أسود حبشياً مولى لبني أسد ، نديم الخلفاء العباسيين السفاح والمنصور والمهدي. وأما عن فارس فرسان الجاهلية وأشعر شعرائها فهو عنترة بن عمرو بن شدَّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ، كان أشهر فرسان العرب في الجاهلية ،

ومن شعراء الطبقة الأولى ، من أهل نجد ، كان من أحسن العرب شيمةً ، ومن أعزهم نفساً ، يوصف بالحلم على شدة بطشه. يُقدَّر محق ديوان عنترة الشعري ، ولادة شاعرنا في العام 530 م ، آخذاً بعين الاعتبار لقاءه بعمرو بن معد يكرب الفارس المخضرم ، ومعاصرته لعروة بن الورد وسواه من الشعراء. وقصة عنترة ذات أبعادٍ تخيلية ، يعتبرها الغرب من بدائع آداب العرب ، وقد ترجمت إلى الألمانية والفرنسية ، ولم يُعْرَف واضعها. وكان عنترة بن شداد من الفرسان الذين يهابهم الجميع. وأما أمه فكانت أمة حبشية يقال لها زبيبة ، سرى إليه السواد منها ، وكان لعنترة أخوة من أمه عبيد ، وكان هو عبداً أيضاً! لأن العرب كانت لا تعترف ببني الإماء إلا إذا امتازوا على أكفائهم ببطولة أو شاعرية أو سوى ذلك. ولكن عنترة سرعان ما اعترف أبوه به ؛ لبسالته وشجاعته ، وكان السبب في ذلك أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس ، فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم ، فقاتلوهم وفيهم عنترة ، فقال له أبوه: كِر يا عنترة. فقال له: العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر. فقال: كر وأنت حر. فكر وقاتل يومئذ ، فأبلى واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة ، فادَّعاه أبوه بعد ذلك. هذا ويعد عنترة بن شداد أحد أغربة العرب ، وهم ثلاثة: عنترة وأمه سوداء ، وخُفَاف بن نُدْبَة السُّلَمي وأبوه عمير وأمه سوداء وإليها نُسِبَ ، والسُّلَيْك بن السُّلَكَة السعدي. وهناك خلاف كبير بين النقاد حول اسم والد عنترة بن شداد! الرأي الأول: يجعل اسم والده شداداً العبسي ، وقد نقل أصحاب هذا القول كل من الأصمعي وابن سلام وابن دريد والسيوطي...إلخ. الرأي الثاني: يجعل اسم والده عمرو بن شداد ، وقد روي ذلك عن ابن الكلبي وابن قتيبة وصاحب جمهرة أشعار العرب (أبو زيد القرشي). الرأي الثالث: يجعل اسم والده عمرو بن معاوية ، وقد تفرد أبو عبيدة بهذا القول. الرأي الرابع: يجعل شداداً العبسي عمَّاً لعنترة ، نشأ في حنجره فنُسِب إليه ، ورجح هذه القول أبو بكر عاصم بن أيوب. الرأي الخامس: يجعل اسم والد عنترة ؛ معاوية العبسي ، وقد روي ذلك ابن السكيت وابن المعتز وابن حبيب.. إلخ. وقد يرتفع نسبه فلا يقف عند والده ، وإنما يصل إلى عبس. وقبيلة عبس التي ينتمي إليها عنترة يمت عنترة بنسبه إلى قبيلة عبس ، التي سُميَت بذلك نسبةً إلى عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس. وبحسب شارح ديوان عنترة الشعري ؛ فقد اختلفت كلمة العلماء في كون قيس: ابن عيلان ، أم عيلان نفسه ، حيث رجَّح ابن عبد البر باعتباره ابن عيلان ، قائلاً في هذا الصدد: إن أكثر الناس على أن قيساً هو ابن عيلان بن مضر ، وأن الناس هو عيلان وهو ابن مضر لصلبه. وبالتالي ؛ فإن نسب عنترة يرتبط بمضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهو عدناني ، وهذا الأمر يتفق بشأنه العلماء ، ذلك لأن قبيلة عبس إحدى بطون غطفان ، وهي القبيلة المشهورة بعِظم عدد أفرادها ، والتي تفرعت منها بطون عدة ، فمنها: بنو رواحة بن ربيعة بن قطيعة ، وبنو جذيمة ، وبنو عوذ بن غالب ، وبنو جروة بن الحارث. وابن عبد ربه رغم أنه أندلسي ، إلا أنه كان عالماً بأحوال وتاريخ المشرق. وقد عدَّ بعض العلماء عبساً إحدى جمرات العرب ، إذ قال ابن عبد ربه صاحب "العقد الفريد": "وجمرات العرب أربعة ، هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عبس بن بغيض ، وإنما قيل: لها الجمرات لاجتماعهم ، والجمرة الجماعة ، والتجمير التجميع. ولقد كان عنترة بن شداد مغرماً بابنة عمه عبلة ، فقل أنْ تخلو له قصيدة من ذكرها ، عشقها في شبابه ، وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه ، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد ، فحفَّزه ذلك للمعال وعظائم الأمور ، وهاج ذلك من شاعريته ، فاجتمع له الشعر السلس القوي ، والشجاعة النادرة ، والمروءة المأثورة. وعنترة سطّر ملحمة في حبه لعبلة. وقال حينما مرَّ بدار عبلة وقد غيَّر موسم الرَّبيع شكلها بالعشب الذي يتوسَّمه النَّاس ويطلبونه:

ولقد مَــرَرْتُ بــدارِ عبلــةَ بعدما لعبَ الرَّبيعُ بربْعِها المُتَوَسِّـــم

وكأنَّه يخاطب عبلة بالقول: إن تستري نفسَكِ بالقناع (الخِمار) مني ، فاعلمي أنني طبٌّ ، حاذق ، بأخذ الفارس المستلئم ، اللابس الدرع ، فلن يعجزني أمرِك:-

إنْ تُغْدِفِي دُونـي القِنــاعَ فـإنَّنـي طبٌّ بِأخْــذِ الفـــارسِ المُسْتَأْنِمِ

يصف لعبلة كيف أنه ذكرها والرِّماح تشرب من دمه في المعركة ، والسيوف الهندية أيضاً:-

ولقد ذَكَرْتُكِ والرِّمــاحُ نواهِـــلٌ مِنِّي ، وبيضُ الهِندِ تقطُرُ مِنْ دَمي

ويقول أيضاً في سياق تفكُّره في عبلة في خِضَم المعركة:

فَـوَدِدْتُ تَـقبيـلَ السيـــوفِ لأَنَّـهَـا لَـمَعَتْ كبـارِقِ ثَـغْـــرِكِ المُتَبَسِّمِ

نُـبِّئْتُ عَمْـــراً غَيْرَ شَـاكِـــرِ نِعمَتي والكُـفْـــرُ مَـخْبَثَـةٌ لِـنَفْـسِ المُنْعِمِ

وفي شعره رقة وعذوبة ، اجتمع في شبابه بـامرئ القيس الشاعر ، وشهد حرب داحس والغبراء ، وكان عنترة ينوه عن نسبه في شعره ، من ذلك قوله:-

إنّي اِمرُؤٌ مِن خَيــرِ (عَبــسٍ) مَنصِباً شَطرِي ، وَأَحمي سائِـري بِالمُنصُلِ

وَإذا الكَتيبَـةُ أَحجَمَـــت وَتَلاحَظَـــت أُلفيتُ خَيـــراً مِن مُعَمِّ مُخـــــوَلِ

وَالخَيـلُ تَعلَـمُ ، وَالفَـــــوارِسُ أَنَّنـي فَـرَّقــتُ جَمعَهُمُ بِطَعنَـــةِ فَيصَـلِ

ويمتاز شعر عنترة بن شداد بعذوبة الأسلوب ، وسهولة اللفظ ، ورقة المعنى ، وله حلاوة الغزل ومتانة الفخر ، وديوانه مطبوع ولكن أكثره منحول عليه. وكثيراً ما يتغنى في شعره بمكارم الأخلاق كقوله:-

وَلَقَد أَبيـــتُ عَلـى الطَـوى وَأَظَلُّـهُ حَتّـى أَنالَ بِهِ كَريـــمَ المَأكَـــلِ

وعنترة أحد شعراء العرب وفرسانهم وأبطالهم ومن أصحاب المعلقات ، ومعلقة عنترة بن شداد من أجمل المعلقات ، وأكثرها انسجاماً ، وأبدعها وصفاً ، وأشدها حماسةً وفخراً. وتمتاز بالسهولة واللين البداويين فيها ، والذين قلما يوجدان في الشعر النجدي القديم ، والذين لا يخلوان من فخامة وجزالة واضحة جلية ، سهلة اللفظ ، قريبة المعنى ، ليس بينها وبين النفس حجاب من هذه الجزالة التي تكاد تبلغ الغرابة ، وإنما تسير في سهولة ويسر ، وترتفع عن الإسفاف والابتداء دون تورط في الغلظة والإغراب ، وعنترة فيها رقيق في غزله والإشادة ببطولته ، بل هو رقيق في حديثه عن أعدائه. أما قصَّة نَظمِه للمُعلَّقة؛ فيقال: إن عنترة بن شداد كان يكتفي بقول الشعر المؤلف من بيتين أوثلاثة، فخاصمه رجلٌ وعيَّرهُ بسواده وسواد أمه قائلاً عنه: إنه لا يجيد الشعر ولا يقوله. فقال عنترة : "والله إن الناس ليترافدون الطعام فما حضرتَ أنت ولا أبوك ولا جدّك مرفد الناس قط ، وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم ، فما رأيتكَ في خيل مغيرة في أوائل الناس قط ، وإنَّ اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فصل".

واسترسل عنترة قائلاً: "وإني لأحضر البأس وأوفي المغنم ، وأعفُّ عن المسألة ، وأجود بما ملكت يدي ، وأفصل الخطة الصماء ، وأمَّا الشِّعر فستعلم" ، فغاب حيناً وعاد إليه فأنشده معلَّقته! وعنترة متواجد منذ أول أيام داحس والغبراء. ومن المؤكد بأن عنترة بن شداد كان حاضراً منذ اليوم الأول من معركة داحس والغبراء التي اندلعت بين فرعين من قبيلة غطفان ، وهما عبس وذيبان. هذه المعركة استمرت قرابة أربعين عاماً وشاركت فيها العديد من القبائل الأخرى مثل طيء وهوازن. وعموماً ، يؤكد ابن الأثير في "الكامل" أن عنترة بن شداد أنشد قيس بن زهير والربيع بن زياد مرثيته في مالك بن زهير الذي قُتِل لتكون حادثته إحدى أبرز العوامل المفضية إلى اندلاع المعركة. وهنا أنشَدَ عنتر مَرثيته في مالك قائلاً:-

فـلله عيناً من رأى مِـــثلَ مـالِكِ عقيـــــرةَ قـوم أن جَرَى فَرَســـانِ

فليتهما لم يَطعما الدهـــــر بَعدها وليتهما لم يُجمعـــــا لِرِهـــــــان

وهناك تأكيدٌ آخر يفيد بتواجُد عنترة منذ أول أيَّام داحِس والغبراء ، إذ قادَ قيس بني عبس وحلفاءهم بني عبد الله ابن غطفان ، يوم المريقب إلى بني فزارة ، ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر ، فتواجهوا بذي المريقب ، واقتتلوا ، فقتل ارطأة – وهو أحد بني مخزوم - عوف بن بدر ، وقتل عنترة ضمضماً ، ونَفَراً مِمن لا يَعرف اسمه ، وهنا يقول:-

ولَقَد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَكـُن للحربِ دائِـرةٌ على ابنَي ضمضَم

الشـــاتِمَي عِرضي ولم أشتِمهما والنـاذِريَـــــنِ إذا لَمَ ألقهما دمـي

إن يَفعَلا فلـقد تَرَكـــــتُ أباهمـا جَـــزَر السِّبـاعِ وكلِّ نَسرٍ قَشعَمِ

وإذن فكان عنترة فارس المعركة وفارس الكلمة! ودلل على ذلك وأثبته بجدارة فائقة!).هـ. إن قصة عنترة بن شداد تعتبر مزيجاً بين الطموح إلى الحرية والعشق العذري العفيف في آن واحد! وكأننا بالقافلة التي ورد ذكرها في القصة وهي قافلة (عبلة) ابنة مالك بن قراد ، وكانت في قبيلة (هوازن) لحضور عرس ابنة خالتها حيث الربيع الطاغي الذي كان يغطي جوانب الوادي ويكسوه الحشيش والزهر والسماء صافية لا يشوبها سوى قطع متفرقة من السحاب الأبيض وكانت الشمس تميل نحو الغروب. وقد وقف الركب عند فم الوادي ، وكان الحادي ينشد للإبل حتى يحثها علي السير في نشاط وحيوية. وكان الحادى هو عنترة بن شداد ذلك العاشق العفيف ، والحادي هو رجل يقود الإبل ويغني لها حتى تسير في نشاطٍ وحيوية ، وكان عنترة ينشد مقطوعات من أنغام الحرب والنسيب . فمنها ما يكون من شعره ومنها ما يكون من شعر سواه! ذلك الحادي الذي كان فارع الطول أسمر اللون ورأسه مرفوع ، وكان قوامه يشبه الرمح وكان صدره فسيحاً. وذراعاه مفتولان وقامته عالية. وأ نفه أقنى ينحدر إلى فم فيه شيءٌ من الغلظ! وكانت هذه الأوصاف بطبيعة الحال تستهوي أي فتاة لحبه وعشقه والتعلق به! والحادى حين أناخ بعيره قال لمن في الهودج: منزل كريم يا عبلة ، فقالت عبلة باسمة منزل كريم يا عنترة ، فمد عنترة يده ليسندها فاتكأت على ساعده القوى ووثبت خفيفة وهي تقول: لقد أجهدك السير وأنت تأبى الركوب منذ اليوم! فقال عنترة: وكيف يصيبنى الجهد وأنا أحدو بعيرك يا سيدتي؟ والحقيقة أنه لفرط اهتمامه بعبلة كان يقود بعيرها بنفسه. وكان يغني بشعره وشعر غيره ليُطربها. وعندما نزلت من الهودج مد لها يده ليسندها فاتكأت على ساعده!

وفرش لها شملته فوق الرمال لتجلس عليها. وكان حريصاً علي تقديم إناء اللبن لها كل يوم. وكان قد رفض أن ينشد الشعر للفتيات حتى تأمره. وكان يهتم بها ولا يخدم غيرها حتى دعته الفتيات عبد عبلة ذات يوم. وكانت قافلة عبلة قادمة من قبيلة هوزان بعد حضورها عرس ابنة خالتها وكانت متجهة إلي أرض قومها في أرض الشربة والعلم السعدي. عبلة – كما وصفها رواة السيرة ومن ترجموا لها - تلك الفتاة العربية البدوية التي لونها خمري مشربٌ بحُمرة الورد ، وكانت قد ظهر فيها جمال الشباب ، وحول رأسها خِمارً من الحرير المصري ، وكانت تلبس ثوباً معصفراً من الكتان. وأما قوامها فكان كالغصن الرطيب ، وعيناها سوداوان تضيئان في حلاوة وسحر ، وفي أذنيها قرطان من الذهب تتدلى منهما حباتٌ من لؤلؤ البحرين! وأما هودجها فكانت قد طرحت عليه ثياباً ملونة مخططة من حرير يبرق في ضوء الشمس وهذا الوصف يدل على الترف والثراء بالطبع! وذات مرةٍ قررت إحدى الفتيات قراراً عجيباً وغريباً فقالت: سوف أشكو هذا العبد الآبق لأبي! إنها مروة بنت شداد أخت عنترة ، وكان ذلك القرار منها بسبب اهتمام عنترة الشديد بعبلة ، وقد دافعت عبلة عن عنترة وقالت لمروة: إنه ابن زبيبة التي أرضعتك يا هذه! وعندما فرق العبيد إلي فرق: 1- لسقاية الإبل 2- لضرب أخيبة النساء 3- فريق لإقاد النارلإعداد الطعام .ثم ذهب عنترة وحلب ناقة بيضاء في إناء ، ووضعه فوق صخرة ليبرد في الهواء! وحتى يؤمن المكان وعماره كان قد ركب جواده ، ودار حول الوادي حتى يَطمئن لعدم وجود قبائل أو أي إنسان قريب من مكان القافلة. ونسأل فنقول: ما سبب نظرة الحزن التي كانت تكسو وجه عنترة في هذا المشهد رغم وجود عبلة فيه؟ والسبب هو حزن عنترة ، لأنه لا يزيد في نظر عبلة عن مجرد عبدٍ لعمها شداد. ولأنه لا يستطيع ذكر اسمها أمام أحدٍ ، لأن مالك بن قراد لا يرضى أن يتطلع عبدٌ مثل عنترة إلى ابنته الجميلة التي يتنافس على التقرب منها سادة الشبان من كرام الأنساب والأحساب ، كما أن أخاها عمراً لا يرضى أن يُعيره أصحابه بأن عنترة العبد يطمح أن يملأ عينيه من أخته الجميلة. فكان يسيطر علي عنترة إحساسان مختلفان: الإحساس الأول: أنه عبدٌ في نظر عبلة ونظر الجميع. والإحساس الثاني: أنه بطل عبس وحامي ديارها وفارسها الأول ، ولكنه لا يُعطى حقه ولا ينال فرصته. وذهبت عبلة إلى الحوض المغمور ماءً ، وذلك لترى صورتها على صفحة الماء لتُصلح شعرها الذي اضطرب أثناء جريها مع صُويحباتها! ووصفها عنترة بأنها عرارة يانعة أو أقحوانة باسمة سقاها الندى. فقالت عبلة لما سمعته يصرح بذلك: (حسبك يا عنترة إنك تُجرئهن علىّ) ، وكذلك لأن عنترة قدّم لها وعاء اللبن ومنع منه الفتيات ، وأصر على أن يقدمه لعبلة قائلاً: هذا شرابك يا سيدتي! فماذا طلبت الفتيات من عنترة؟ وما رده عليهن؟ لقد طلبت الفتيات من عنترة أن يُنشدهن بعضاً من شعره كما ينشد لعبلة! ولكنه رفض بشدةٍ وقال: لن أنشد حتى تأمرني سيدتي (عبلة) ، وقد وافقت عبلة على إنشاده للشعر ، حتى يغيظ الفتيات وبخاصة أخته مروة ابنة عمها شداد. فقرر عنترة إنشاد الشعر ، فكان يثب في مرح ونشاطٍ وحيوية ، ويصور كيف يصرع الأبطال ويهزم الأعداء في المعركة ، حتى إذا ما وصل إلي الغزل هدأت نفسه وراح ينظر إلي عبلة أثناء إنشاده للشعر حتى انتهى من إنشاده وهو يلهث ، وصدره يعلو ويهبط في عنف. أما الفتيات فكُن يضربن ويصفقن بأكفهن علي وقع إنشاده! فلماذا لم يخش عنترة الغارات المفاجئة على موكب عبلة وصويحباتها؟ وعلام يدل ذلك؟ وماذا يفعل العرب في الأشهر الحرام خاصة أن مشهد عبلة هذا كان في شهر رجب؟ وبسبب أنه في شهر رجب وهو من الأشهر الحرام ، التي يحرم فيها العرب القتال ، ويدل ذلك علي تقديس العربي لهذه الأشهر الحرام. وكان العرب يؤدون فيها مناسك الحج ويقيمون أعياد آلهتهم. فسيطر الحزن علي عنترة بسبب أنه لا يزيد في نظر الناس عن كونه عبد شداد الذي يجب عليه خدمة سادته. وكان ينظر إلى نفسه على أنه بطل عبس وحاميها ، فهو الذي

ينتصر لهم في الحروب ، ويفرج كربتهم ويحوز لهم النصر على أعدائهم. وواجه هذا الحزن بالخروج إلي الصحراء دون أن يدري إلي أين يذهب. وأما سادات بني عبس وعليتها وكبراؤها فكانوا يسرعون إليه لينجدهم ويدافع عنهم وينتصر لهم علي أعدائهم ، وبعد المعركة يوزعون الغنائم علي أنفسهم ، ويجعلون له نصف سهم فقط دون أن يشكو أو يغضب ، وكان هذا يملأ قلب عنترة حزناً وغضباً. وكان عنترة يتعجب من نفسه ، إذ كيف يرضي البقاء في قوم يُحقق لهم النصر والغنائم ويقابلون ذلك بالإنكار والبخل واعتباره عبداً لا أكثر. وكان دائم الشعور بالحب والعطف تجاه شداد رغم قسوة شداد عليه أحياناً ، وكان عنترة يرى فيه صورة البطل وصورة السيد والمعبود. وكان يسأل أمه زبيبة: هل شداد أبوه حقاً كما قالت له في صغره؟ ولكنها كانت دائماً تهرب من الإجابة خوفاً عليه من غضب سيدها الصارم شداد. وكان هناك كثير من التساؤلات ولعل أهمها: إذا لم يكن شداد والده فما سر الإعجاب والحب الشديد له. وتدل هذه التساؤلات الكثيرة علي شدة حيرة عنترة واضطرابه ، الأمر الذي كان له كبير الأثر على أسلوبه الشعري. فما الذي دفع عنترة للخروج إلي الصحراء؟ وماذا كان يتخيل؟ إنه خرج إلي الصحراء بسبب همومه الكثيرة ، فهو يري في الصحراء راحة للنفس ، وكان يتخيل ويري صورة عبلة علي كل شيء يراه هناك. ونظر عنترة للحياة علي أنها حياة كريهة لا قيمة لها ، لأنه لا يستطيع البوح بحبه لعبلة وكان يلوم نفسه في بداية الأمر كثيراً لأنه أنشد الشعر في عبلة فسبب لها حرجاً أمام قومها ، ثم عاد يلوم نفسه علي الرضا بأن يكون عبداً وهو بطل القبيلة وحاميها. واستقر عنترة علي أن يذهب لأمه ويجبرها علي أن تقول له الحقيقة ، فإن كان عبداً كما يقولون قتل نفسه ، وإن كان ابن شداد لم يرض إلا أن يكون حراً ويعترف به أبوه! وأحس بعد هذا القرار أن نور القمر يزداد في عينه بهاء ، وأن النسيم يهب عليه أكثر رفقاً ، ورائحة الزهر تنبعث إلى شمه أذكى عطراً. ولقد عنف شيبوبٌ أخاه عنترة ، لأنه ترك حراسة خيام النساء وخلا إلي نفسه ، وكان يرى عنترة أنه لا خوف على النساء فهم في الأشهر الحرم التي يُحرم فيها العرب القتال ولكن شيبوباً كان له رأيٌ آخر ورأيه في ذلك أن الشهر الحرام لا يمنع أحداً من الانتقام! وكان عنترة يحب قرب شيبوب منه! وكثيراً ما دار الحديث بين شيبوب وعنترة ، لأنه يحس في وجوده شيئاً يشبه ما يحسه الطفل في جوار أمه. ولأن شيبوباً هو الذي يُنفس عنه وهو الرجل الذي يثق في عطفه وحنانه إذا تحدث إليه ، ويأمن جانبه إذا غاب عنه ، ويطمع في عفوه إذا عنفه ، وشريكه في حربه فهو الذي يحمي ظهره. وقد دار الحديث بينهما عن هموم عنترة وبغضه ، لأمه لأنها السبب في شقائه فهي التي أنجبته ليرعى إبل شداد ويحمي قومه ، ثم يقال هذا عبد شداد ، ثم تحدثا عن الحياة والمرأة وحب عنترة لعبلة ، وعنترة وشيبوب كانا ينظران للحياة والمرأة نظرتين مختلفتين متفاوتتين ، فيري شيبوب أن الحياة طعام وشراب ، والمرأة لا يخرج بها الإنسان لأنها هي التي تنوح عليه بعد موته وهي التي تحدث الناس بما كان منه وما لم يكن! أما عنترة فعنده الحياة لا تكتمل إلا بالحرية والحب ، والمرأة لها دور عظيم في حياة الرجل. فما هي دوافع كراهية عنترة لأمه؟ لقد اعتقد جازماً أنها سبب الشقاء الذي يشعر به في الحياة ، لأنها هي التي قذفت به إلي هذه الحياة ليرعي إبل شداد وليحمي قومه ثم يقولون عنه هذا عبد شداد. وأيضاً مسألة تهربها ورفضها الإجابة علي تساؤلاته عن أبيه كانت تزعجه جداً. فكان يرى زبيبة أشأم أم وهبت ابنها الحياة فهو يكرهها بشدة. يالأصل الذى انحدر منه كل من عنترة وشيبوب واحد ولا شك! فلقد ولد شيبوب حُراً في بلاد الحبشة ، فهو يعرف أباه ويعرف أنه كان حراً قبل أن يُسبى ويُحمل مع أمه إلى هذه الصحراء ، وكان أبوه من جلدته وليس يحب أن يكون له أب سوى ذلك الأب الذى جاء به ، أما عنترة فقد ولد عبداً وأبوه شداد ولن يكون عنترة حراً إلا إذا اعترف به والده! وكان عنترة رفيق لعب شيبوب في صغره ، وعندما كبر

وقوي ساعده رأى فيه أمله ، وعندما صار فارس عبس رأى فيه عدته وملاذه. وكان شيبوبٌ سريعاً كالظليم "ذكر النعام" منخاراه واسعان مثل منخاري الحصان الأصيل ، وكان شجاع القلب طيب النفس ، يهاب منظر الدماء. وكان لا يشعر بآلام الشوق والحب لأن جميع النساء عنده في منزلةٍ واحدة ، فليس لواحدةٍ ميزة علي الأخرى ، فكلهن يرقصن ويُغنين ويكيدن لبعضهن البعض ، فلا فرق بينهن إلا في طول الأنف وقصرها أو سعة الفم أو وضيقه. وكان يخاف علي عنترة من انكشاف حب عنترة لعبلة ، وذلك بقول الشعر في محاسنها وكان يخاف عليه "مالك بن قراد" والد عبلة وابنه المتكبر "عمرو" الذي لن يسمح بأن يقال أن عبداً ينظر لأخته نظرة حب وشوق. وكان يري أن عبلة لا تحب في عنترة سوى الشعر ، فإذا قيل لها أن عنترة يخطبها لضحكت وقالت: لا أريد منه سوى الشعر! ولقد وصل عنترة يوم العيد السنوي الذي تقيمه عبس في موسم الحج في شهر رجب ، ولم يشاركهم احتفال العيد لأنه لم يكن فارغ القلب وكان منشغلاً بحقيقة نسبه إلي شداد. واتجه إلي بيت أمه التي استقبلته بلهفةٍ وشوق شديدٍ وترحاب ، وفتحت ذراعيها لتحتضنه! أما عنترة فقد كان قاسياً عليها. وحينما وصل إلي بيت أمه جلس علي فروةٍ في جانب الخباء والغضب يظهر علي وجهه ، وعندما سألته أمه عمّا أصابه لم يجبها. وكان قد اتهمها بأنها سبب شقائه وتعاسته ، ولقد أثر ذلك عليها ولذلك بكت وقالت: لو كانت راحتك بفقد عيني أو ببذل حياتي لكى أهب لك السعادة لبذلتها راضية سعيدة. ومن هنا نجده أهان أمه وسبّها بالمرأة البائسة ووصفها بالكلبة التي تقضي علي جرائها. فتوددت زبيبة لعنترة مع كل هذه القسوة وحاولت تهدئته وإقناعه بأنه فارس عبس وأنها لا تخفي عنه شيئاً ، بل تخبره بكل ما يقوله القوم عنه. وكانت قد غضبت بشدة عندما قال لها: يا امرأة! لأنه بذلك لا يختلف عن أبيه شداد وأعمامه الذين ينظرون إليها علي أنها مجرد خادمة وأَمَة ، وردت عليه بأنها هي الحرة "تانا بنت ميجو" وليست زبيبة الأمَة ، واعترفت بأنها كانت حرة من الحبشة. وأن اسمها "تانا بنت ميجو" ، وليست زبيبة وأنها تكره قومه وجهلهم وكبريائهم. وأنها تحب دينها النصراني. وتكره دين وأصنام قومه. وأنه ابن شداد حقاً. فقرر عنترة أن يحمل والده شداد علي الاعتراف به ، وأقسم علي أن يسلب الأموال ويقطع الطرق ويقاتل شداداً وقومه حتى يموت وهو يقاتل إن لم يعترف به شداد ابناً له ويلحق نسبه به في ملأ غفير من العرب ، ويكون له ما للحر من حقوق بين علية القوم وكبرائهم وأن يكون له شأن في بني عبس. والحقيقة التي تثبتها المراجع التاريخية وكتب المغازي والسير والتراجم أن "تانا" امرأة حبشية حُرة ، ولكن بعض اللصوص اختطفوها وولديها "شيبوب" و "جرير" وكثيراً من النساء والأطفال ، وكانوا يعاملونهم بقسوةٍ وغِلظة ، ويُلقون إليهم بفضلات الطعام ، حتى كان يموت منهم الكثير فيرمونهم علي جانبي الطريق. حتى أتي شداد وقومه وقاتلوا اللصوص وقضوا عليهم ، وأصبحت هي وأبناؤها ملك شداد لأنهم وقعوا في الأسر وهذه هي عادة العرب آنذاك ، وقد حفظت الجميل لشداد لأنه أكرمها وأنجب منها عنترة! ولكن لماذا خافت من مواجهة عنترة لأبيه شداد؟ والجواب: لأن كلاً منهما عنيدٌ متكبرٌ لا يقبل الذل أو الضعف والدنية ، ولو تواجها لانتهت المواجهة بهلاك أحدهما ، وهي تحبهما ولا ترضى بفقد أحدهما. فهدأت ثورة عنترة وطلب من أمه السماح والعفو ، واستقر علي ألا يرضي بأن يكون عبداً وهو من صلب سيد عبس ، وقرر الذهاب إليه يطلب منه الاعتراف به ولكن أمه خافت عليه وبكت كثيراً ، وطلبت منه ألا يفعل ذلك ولكنه أصرّ علي ذلك ولم يستمع إليها. واجتمعت عبس في البراح الواسع الذي تعودت أن تقيم فيها احتفالاتها وذلك للاحتفال بيوم عيد "مُنَاه". واعتاد أهلها أن يقيموا الأفراح والموائد ويغنوا ويلعبوا ويرقصوا. وكان عنترة قد ذهب إلى الاجتماع بدون هدف ، لأنه لم يكن يعرف ماذا يريد بذهابه ، لم يذهب ليتبارى ولا لكي ينشد أشعاره ، لم يذهب ليشارك القوم احتفالهم ، ولكنه ذهب

ليلتقي شداد فيسأله عن حقيقة نسبته إليه وليجبره علي الاعتراف به. ودارت خواطر كثيرة في ذهن عنترة حين ذهب للاحتفال ، منها أن ينعم بلقاء عبلة ، ومنها الهروب من الوحدة ، ومنها الانشغال بزحمة العيد عن التفكير فى همومه وآلامه ، ومنها لقاء شداد ليسأله عن حقيقة ما أخبرته به أمه ، وأثناء ذهابه لأرض البراح أحس عنترة بأن هناك ضجة يحملها إليه النسيم كأنه لم يشاهد مثلها من قبل. وكانت هناك تساؤلات دارت في رأس عنترة أثناء ذهابه لأرض البراح حول وجود عبلة في هذا الحفل تغني وترقص ولا تهتم بما يقاسي من حزن وألم. ولقد أسرع الفرسان إلى عنترة يتسابقون إليه ويتجاذبونه ليجلس معهم ، ولكنه رفض وقال لهم: سأعود إليكم بعد تحية ساداتي. وعندما رأي عبلة غضب بشدة وقال لنفسه: "أكل هؤلاء ينظرون إليها؟ ولكنها حينما رأته سكتت عن الغناء ، ونظر كل منهما للآخر. وأما عبلة وعنترة عندما تلاقت عيونهما تبسمت عبلة ومالت برأسها في خجل وسكتت عن الغناء! أما عنترة فلم يبتسم لها ولم يلق إليها تحية بسبب غضبه وثورته. وكان سرادق الملك زهير بن جزيمة فكان عظيم الأبهة ، حيث كان الملك زهير جالساً علي تخت منصوب مفروش عليه النمارق والوسائد ، وحوله السادة والأشراف من كل مكان ، ويطوف العبيد بكؤوس من فضةٍ يصبون فيها من خمر الشام والعراق من أباريق أنيقة منقوشة بصور الطير والحيوان. وإذا بسؤال: ألا تجد لك مكانا يا عنترة؟ فمن القائل الذي تفوه به؟وما الغرض من الاستفهام هنا؟ وما جواب عنترة؟ وما أثر ذلك على الاحتفال برمته؟ أما القائل فهو عمارة بن زياد أجمل فتيان عبس وأكرمهم وأعلاهم حسباً وأشرفهم نسباً ، والغرض من الاستفهام السخرية والتهكم. ورد عنترة قائلاً: لو أنصفت لقمت لي من مكانك يا عمارة! فهب عمارة من مكانه ثائراً وقال: تعال وخذ مكاني إن استطعت يا ابن زبيبة! فقال عنترة: كل عبس تعرف أمي كما تعرف أمك ، فتعال إليَّ إذا شئت. فجرّد عمارة سيفه واندفع نحوه ، وأقبل عنترة إليه وهب الناس يحجزون بينهما ، وأقبل شداد فأخذ عنترة من يده وخرج به من السرادق ، وانفض الناس عائدين إلى منازلهم ، فلم يكن لهم فى ذلك اليوم عيد! واتهمشداد عنترة بأنه جاء ليفسد عليهم عيدهم. وهنا بدأ عنترة يعدد صفات شداد في رفق ولين ، فقال له: أنت فارس عبس وشيخها وأنت ملاذ الخائف ومطعم الجائع ..... ثم أخبره بحديث أمه بأنه ابن شداد. فحاول شداد التهرب وقال له: ألست أعطيك ما يعطي الأب لابنه ، وأدخلك بيتي وأجلسك في مجلسي ، وأعاملك أفضل مما أعامل به العبيد؟ فردّ عنترة على "شداد" فقال: إني لا أنكر كل هذا ، ولكني أريد أن أعرف الحقيقة وتقولها لي إنني ابنك ولو مرة واحدة. وكان هدف عنترة الوحيد من فكرته تلك هو الحرية ، فيقول نعم حينما يشاء ، ويرفض حينما يريد. وقد استفز شداد حينما قال له: أترضى أن تكون عبداً ، أترضى أن تقع في الأسر ولا تدافع عن حريتك؟ وهدده بأنه إن لم يعترف به ابناً على الملأ ، فسوف يضع السيف في صدره ويقتل نفسه ، أو يضرب في الأرض فلا يعرف الناس مكانه ، أو يهيج في الناس فيقتلهم ويرعبهم. فأقسم شداد أنه لم يصبر علي أحد صبره علي عنترة وهدده بقتله ، ففتح عنترة صدره وهو يقول: أرحني يا سيدي من العبودية. فقال له شداد: أنت تعلم أن هذا الأمر لا أملكه وحدي ، وهنا أحس عنترة أنه انتصر ، وأن شداد يعترف به ولكن في ذل وانكسار. ولذا طلب منه شدادٌ أن يمهله بعض الوقت ليخبر قومه ، حتى يستطيع أن يمهد لهذا الأمر العظيم تمهيداً ويعد له عُدته إعداداً ، ولكن عنترة ثار واستشاط غضباً وقال: إذن أنا العبد حتى يرض كل هؤلاء ، وقرر عنترة اعتزال قومه ومجالسهم ، وأن يفعل أفعال العبيد من رعي للإبل وحلبها وإبعاد الذئاب عنها ، وألا يقاتل معهم ولا يدافع عن قبيلته لأنه عبد. أما القتال والدفاع عن القبيلة فهو شرف كبير للأحرار فقط حق المشاركة فيه. وساء حال عنترة بعد اعتزاله لقومه ، فكان شديد الغضب من أبيه وقومه الذين تنكروا له ، فخرج إلي الصحراء لا يدري إلى أين يذهب ، يكره أن تقع عيناه

علي الحي الذي فيه قومه. وفي أثناء خروجه من الحي تذكر عبلة التي تعلق بها أمله وكانت صورتها أمامه مثل نجم بعيد يصعب الوصول إليه. وكان يتخيل أنه يقتحم زحاماً شديداً صاخباً ، رغم أنه كان في الصحراء مما يدل علي شدة غضبه وثورته العنيفة. وظل عنترة يسير حتى وصل إلي الوادي الفسيح الذي ترعي فيه إبل شداد فقد كان فيه حياته الأولي وموضع لهوه وأسماره. فقد كان يشعر فيه بالراحة كلما وقعت عيناه علي مناظره البهيجة ، وكان يجد عزاءه فى صحبة الإبل والخيل وفي الخروج لصيد الوعول والظباء أو الإقاع بالذئاب والضباع. وقضي عنترة أيامه ولياليه في رعي الإبل وصيد الحيوانات ، وكاد أن ينسي قومه ، إلا أن صورة عبلة كانت تذكره دائماً بهم فيزداد حِنقاً وحِقداً عليهم بسبب رفضهم الاعتراف به ، ثم لجأ للخمر لعله ينسي مما أدي لظهور الضعف عليه بسبب الإفراط في شربها بل إنها كانت تزيد من غضبه علي قومه. وكثيراً ما كان يتذكر عبلة ، وهنا كانت تحدثه نفسه بأن ينزل عن كبريائه ويعود إلي الحلة ولو لوقتٍ قصير لعله يفوز بنظرةٍ من عبلة أو يسمع صوتها. ولكن خبراً أليماً سمعه عنترة فأذهب نومه ونغص حياته! والخبر هو خِطبة عبلة وجاء به أخوة شيبوب. فمن الذي خطب عبلة؟ وما موقف أهلها؟ والجواب: خطبها عمارة بن زياد ، ودبّت الفرحة في الحي حتى أن أباها ذبح عشرة من الإبل. واستقبل عنترة هذا الخبر في ذهول وغضب شديد ، وسكت فترة طويلة كأن شيبوب ألقمة حجراً ، ووقف ينظر إلي الصحراء في دهشةٍ وذهول. وحاول شيبوب أن يخفف وقع النبأ على عنترة فنصحه بألا يجري وراء السراب ، وأن يعرف الحقيقة التي تؤكد أن علبة لا تحب منه غير شعره ، كما أن أباها مالك لن يرفض رجلاً من أشراف القوم ويزوج ابنته من عبدٍ ولو كان عنترة وطلب منه أن يُحَكم عقله ولا يطيع هذا الوهم الذى يضله. وحاول أن يخفف وقع النبأ عليه فقال: إنك بغير شكٍ فارس بني عبس ، وإنك جدير بأن تكون سيدها ولكن قضاؤك ظلمك وجعلك حيث أنت ، ولست بأول من ظلمته الحياة. والحقيقة أن عنترة قبل الرق أول الأمر لأنه كان قريباً من عبلة ، وثار عنترة علي العبودية لأنها تبعده عن عبلة ، وقال: إن حبه لعبلة ملك عليه عقله ، ولا يستطيع أحد أن ينتزعها من قلبه لذلك فلن يرض أن تتزوج من غيره. أما شيبوب فذكّر أخاه عنترة بأنه لا يملك شيئاً يعينه علي الزواج بها أو منع زواجها من غيره ، ورد عليه عنترة بأنه يذكره بأنه لا يزيد على كونه عبداً ولا يستطيع أن يمحو صورته من عيون قومه. وأنه لن يجد أباً ينصره ولن يجد نسباً يمهد له السبيل ولن يجد المال الذى يعينه على بعض أمره ولكنه يملك نفسه التى لا ترضى إلا الموضع الذى يرضاه ولو كان ذلك قهراً. وطلب عنترة من شيبوب أن يحدثه عن عبلة نفسها ، وألا يواجهه بهؤلاء لأنه لا يعرف أحداً منهم وإنما يعرف عبلة ويحبها ، فقال شيبوب أتحسبها ترضى بك وتدع عمارة بن زياد؟ وكان عنترة يرى أن مالكاً لا يُلام على رضاه بعمارة زوجاً لعبلة ، ولو كان مكانه لفعل ذلك! ولكن ماذا يفعل وقد أحب عبلة ولا يستطيع الحياة بدونها ، ولو كانت لغيره لكان في ذلك قتله وليس أمامه إلا اقتحام المصاعب ، حتى وإن قابله الموت فهو نتيجة الأمرين. ويوم مُناة عاب شيبوب على عنترة أنه أظهر للجميع حبه لعبلة عندما نظر إليها أمام القوم وسكتت هي عن الغناء ، فتأكد الجميع من أن شعره فيها هي ، مما أوقعها في حرج شديد. أما عنترة فقد أصرّ علي أن يقاتل شداد وقومه إنصافاً لنفسه ولحريته ، طالما ينكره الجميع وأن يحارب مالكاً إذا وقف بينه وبين حبه لعبلة وأن يحارب عمارة إذا تجرأ على الزواج من عبلة. ووثب إلي جواده وعاد إلي الحي ، وشيبوب من وراءه ، وحُجته فى ذلك أن كل فرد من عبس لا ينظر إلا لنفسه فلا لوم عليه إذا نظر لنفسه. وعندما عاد عنترة لأرض الحلة لم يمر يوم إلا ويحدث قتالٌ بينه وبين آل عمارة بن زياد ، وقد أشعل نار البغضاء والشحناء مع آل عمارة. وخرج فرسان عبس تحت قيادة الملك "زهير بن جذيمة" متجهين إلي طيئ لغزوها ، ولم يخرج عنترة لأنهم لم يعترفوا

بنسبه لشداد ولكى ينتقم منهم وقد كان قلب عنترة يحترق لعدم مشاركته في غزوهم ولكنه كان يقاوم ذلك الشعور وأصرّ علي البقاء. وأصرّ عنترة علي القعود عن القتال تشفياً في قومه الذين رفضوا الاعتراف بحريته. ولم يتمكن عنترة من رؤية عبلة بعدما عاد إلي أرض الحلة لأنها ضُرب عليها الحجاب منذ خِطبتها لعمارة بن زياد ، ولأن أباها وأخاها أمراها بعدم الخروج من المنزل بسبب أحاديث الناس حول حب عنترة لها. وحدّث عنترة نفسه عندما جلس علي الربوة في الوادي حيث كان مشغولاً بحديث نفسه عن عبلة وزواجها من عمارة بن زياد ، وهل كانت راضية عن زواجها ، وكان كلما تخيلها مع ذلك الشاب عمارة شعر بلهيب يملأ قلبه وأن الضوء يُظلم في عينيه. وفكّر عنترة في اختطاف عبلة من بيوت عبس والفرار بها إلي حيث لا يراهما أحد ، ولكنه لام نفسه علي ذلك حتى لا يُدخل الهم والحزن على قلبها ولكي لا يَجُرُ عليها المشقة في حياتها. ولذلك كان يقنع بأن ينظر من بعيدٍ إلي خبائها وبأن يقول الشعر فيها. وأثناء جلوسه علي الربوة سمع صيحة عالية كأنها هزيم الرعد ورأي خيلاً تقبل نحو ديار عبس ، ثم خرج إليهم فرسان عبس الذين لم يتمكنوا من صدّ هذا الهجوم العنيف لقلة عددهم. وما هي إلا ساعة حتى كان العدو يحارب فرسان عبس ويحطم البيوت. وكان عنترة في هذه اللحظة شديد الاضطراب ، فكلما أراد النزول لقتال الأعداء منعته الأَنَفَة والكبرياء عن مساعدة قومٍ رفضوا حريته. وخرج فرسان عبس إلي الوادي للدفاع عن أهلهم ولكن لقلتهم فشلوا في هزيمة جيش طيئ فتراجعوا إلي فم الوادي حتى تشتتوا ، وأصبحت المعركة تدور بين البيوت التي يدمرها فرسان طيئ أثناء المعركة ، وهجم فرسان طيئ على الحلة فدمروا ببيوت بني عبس ، وجمعوا الأموال وسبوا النساء لأن ذلك أعلى انتصار للعرب في المعارك. ولم يصمد أمامهم فرسان عبس لقلتهم وعدم وجود إلا العجائز والشيوخ في عبس فقد خرج جيش عبس لقتال طيء التي خدعتهم وهجمت على الحلة من طريق آخر. وتخيل الفارس عنترة أن المعركة اقتربت من بيت عبلة وأنها أسيرة في يد أحد فرسان طيئ ، فلم يستطيع أن يتمالك نفسه ونزل عن الربوة واتجه إلي فرسه وركب عليه متجه إلي المعركة. ووقف عنترة لأنه رأى أباه شداد قادماً نحوه ، فلم يشأ أن ينزل إلا بعد أن يطلب منه ذلك شداد نفسه. وتحركت في نفس عنترة عاطفتان: عاطفة الفارس وهي الدفاع عن قومه ونصرتهم ، وعاطفة الحقد والكراهية والتشفي في قومه الذين ظلموه وأصروا على أنه عبد. وطلب شداد من عنترة أن ينصر قومه وينقذهم من العار ، فردّ عليه بأن العار أن يطلب الحر من العبد النصر ، فالحر هو الذي ينصر الأحرار والعبيد وليس العكس. ووصف عنترة الحرية بأنها لا تُهب ، إنما ينتزعها من أرادها ، فإن وُهبت الحرية الحقيقية كانت كقطعة لحم تلقي لكلب جائع ، أما الحر فهو الذي ينتزعها وهذا هو اليوم الذي يستطيع عنترة انتزاع حريته! وطلب عنترة من شداد أن يقول له يا ابن شداد ولو مرة واحدة ، فرد عليه شداد بأن الاسم لا يغني عن الرجل إذا كان في نفسه عبداً. ثم قال له: إنك عنترة بن شداد! والعبد هو من يقول لك غير ذلك. فقال لوالده: الحق بي يا أبي وقاتل بجانبي ، وأسرع للميدان يقاتل أعدائه وهو ينشد شعراً يزيده حماساً لقتال عدوه. حقيقة لقد حطم الفرسان المغيرون أعمدة البيوت بيوت بني عبس وقطعوا حبالها ، وبعثروا أثاثها. وقد خرجت النساء لتحتمي بالصخور وجوانب الوادي. وانقسم الفرسان فمنهم من يجمع المال ومنهم من يطارد النساء ليسبيهن وذلك لأنه أكبر شرف عندهم. وكان هم عنترة الأول أن يري بيوت مالك بن قراد ، وقد وجدها خالية محطمة مبعثرة الأثاث. وقد أوشك الأعداء أن يقضوا علي كل من يقف أمامهم ولم يبق من فرسان عبس إلا قلة من كهول وشيوخ القبيلة لا يستطيعون ردّ الأعداء وكانوا يحاولون الدفاع عن أرضهم في أماكن متفرقة. وقد ظهر علي خيولهم التعب وأصبحوا عاجزين عن صد الأعداء ولذلك كانوا مستعدين للفرار من وجه العدو. أما فرسان طئ فعندما أحسوا

بالنصر هدأوا عن القتال وأقبل بعضهم علي سلب أموال البيوت ، وقد طارد البعض النساء لسبيهن وذلك أن أعظم غنائم الحرب هي الأسري والسبايا من النساء فهو أكبر فخر وزهو للفارس. وهنا هجم عنترة عليهم كأنه صخرة انحدرت من أعلي الجبل ، وقد كان يضرب بالسيف حيناً ويطعن بالرمح حيناً ، حتى تمكن من تشتيتهم ، وكان حضور عنترة للمعركة قد قذف في قلوب الأعداء الرعب والخوف الشديد. وأما فرسان بني عبس فعندما علموا بقدوم عنترة وسمعوا صيحته دبّ الأمل في نفوسهم وعاد مَن هرب منهم واتجهوا إليه وقد عادت إليهم شجاعتهم فلم يستطع العدو أمامهم الثبات وفر من أمامهم. وأما عنترة فبعدما شتت الأعداء وتأكد من هزيمتهم أمر فرسان بني عبس بمطاردة ما بقي من الأعداء. أسرع إلي وادي الجواء يبحث عن عبلة وينادي علي أهل قراد بأسمائهم حتى علم من أخته مروة بنت شداد أنهم أسروا عبلة. فشعر كأن طعنة قد أصابت قلبه وقال: لهم الويل مني ، وأسرع إلي الطريق المؤدي لبلاد طئ يقتفي أثر الفرسان الذين أسروها. وكان شيبوب قد تنكر في زي امرأة عجوز ووقف أمام فرسان طئ عندما أسروا عبلة ، فظنوا أنه خادمتها فأخذوه معهم. وتوقف عنترة عندما سمع صوت امرأة تستغيث به ، وليس من عاداته أن يترك امرأة تستغيث به ، ولو كان رجلاً لتركه وسار حيث يريد. فقد ظن بأنها إحدي نساء عبس أو أنها سبية من قبيلة أخرى وتريد الاستنجاد به ولكنه تعجب كثيراً منها عندما رأي طريقة جريها علي الرمال كأنها رجل وكانت في النهاية أخاه شيبوب. وعندما عرف عنترة مكان عبلة أوقفه شيبوب وأخبره بحيلته لكي يذهب مع عبلة ، وأخبره بمكان عبلة وأنها مع الفرسان عند ماء "الربابية" فاتجه إليها مع أخيه شيبوب ، وقتل أحد الفرسان. وفرّ الآخران بعدما أصابتهم الجراح ، ثم عاد بعبلة إلي القبيلة التي امتزجت فيها أفراح النصر بالحزن علي القتلى وبخاصة الحزن علي أسر عبلة ، ثم تحولت إلي أفراح بعدما أنقذ عنترة عبلة ، ولم يبق في الحلة إلا الفرحة الشاملة بالانتصار وعودة عبلة ، وقضت عبس أياماً في عيدٍ متصل إذ كانت نجاتها إحدى العجائب التي جرت المقادير بتدبيرها! تقول الكاتبة الأديبة الناقدة الفذة إيمان الحياري ما نصه: (أما عنترة بن شدّاد فهو عنترة بن شدّاد هو ابن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ، وهو من أشهر الفرسان والشعراء العرب في العصر الجاهلي ، وقد نشأ في منطقة نجد وورث سواد لونه من أمّه الحبشيّة التي كانت تدعى زبيبة ، وكان عنترة معروفاً بين العرب بأخلاقه العالية ، كما كان يتصف بالحِلم على الرغم من شدة بطشه في الحروب ، ومن الجدير بالذكر أنّ أشعاره امتازت بالرّقّة والعذوبة ؛ فلا تكاد تخلو من ذكر لمحبوبته وابنة عمه عبلة التي تناقلت الأخبار قصة حبّه لها ، ومن الجدير بالذكر أيضًا أنّ عنترة عاش عمراً طويلاً شهد خلاله حرب داحس والغبراء ، وكان قد التقى في فترة شبابه بالشاعر امرؤ القيس ، كما كان يُلقب ب"الفلحاء" نظراً لوجود تشقق في شفتيّه. هناك في منطقة نجد في العام 525 للميلاد لأَمَة من الحبشة يُقال لها زبيبة كما سبق ذكره ، وكان أبوه سيّداً من سادات عبس ، وقد تعلّم عنترة الفروسية مبكراً حتى أصبح من أشهر فرسان العرب في ذلك الوقت ، فظهرت فروسيته بجلاء في حرب داحس والغبراء التي أبلى فيها بلاءً حسناً ، أما بالنسبة لنسبه فقد وردت أقوالٌ متعددة فيه ، وهي: قيل إنّه عنترة بن عمرو بن شدّاد. قيل إنه عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزم بن ربيعة. قيل إنه عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الرّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. قول البغدادي والكلبي إنّه عنترة العبسي بن شدّاد بن عمر بن قراد ، وأنّ شدّاد هو جدّه ، فغلب على اسم أبيه عمر ونُسب إليه ، والأصل أنّه عنترة بن عمر بن شدّاد ، وقيل إنّ شدّاد هو عمّه تكفّل برعايته بعد وفاة والده. أسرة عنترة بن شدّاد كان والد عنترة من أشراف قومه ، وكانت أمّه أَمَة حبشيّة أخذ منها سواد لونه وتشقق في شفتيّه ؛ ولهذا كان يلقب بالفلحاء -

كما سبق ذكره ـ ولذلك كان يعتبر من أغربة العرب ، وكان عنترة عبداً ؛ لأنّ العرب في ذلك الوقت كانت لا تعترف بأبناء الإماء في النسب إلا إذا أظهر هؤلاء الأبناء تميّزاً في الشجاعة والبطولة والشاعريّة ، وهذا كان حال عنترة مع أبيه الذي لم يلحقه بنسبه إلا بعد مشاركته في حروب قومه وما أظهره في تلك الحروب من شجاعة وبطولة ، وكان لهذا الأمر بالغ الأثر في نفسه ويذكره دوماً في أشعاره. والحقيقة أنه كان فارسًا له تعابير جسدية إن اجتمعت بالشخص فهو يكذب! بالفعل هناك بعض العلامات الجسدية والتعابير التي تظهر على الشخص الكاذب ،... فلقد ذكر المؤرخون الكثير والكثير عن أخلاق عنترة التي كانت تتجلّى فيها رقة قلبه وقوة عاطفته ، ورغم الحياة القاسية التي كان يعيشها إلا أنّه كان على قدرٍ عالٍ من نقاء النفس ، وقد جمع عنترة إلى جانب هذه الأخلاق شهرة واسعة في الفروسية والشجاعة التي كانت لا مثيل لها بين أقرانه بحيث ظهرت هذه الشجاعة بقوة في حرب داحس والغبراء ، وقد استطاع عنترة من خلال هذه االخصال التعويض عمّا أصابه من دنيوية وعبودية بسبب لونه. وقصة حبّ عنترة بن شدّاد وابنة عمه عبلة بنت مالك شائعة وذائعة الصيت في أدبنا العربي! فلقد أحبّ عنترة ابنة عمه عبلة بنت مالك التي كانت أكثر نساء قومها جمالاً وأشهرهن نضجاً ونسباً ، وقد عانى الكثير في سبيل هذا الحبّ وواجهته عوائق كثيرة ؛ فقد امتنع عمّه من تزويجه إياها بسبب سواد لونه ، ورغم النسب الذي كان يجمع بينهما إلا أنّ أباها وأخاها كانا ينظران إليه نظرة الأسياد إلى العبد ويتعاملان معه بكل تكبّر وازدراء ، وكانا في كثير من الأحيان يخفيان عبلة عنه عند إحدى القبائل المجاورة حتى لا يتمكن من رؤيتها ، فكان عنترة يبعث في أثرها إحدى الجواري لتأتيه بأخبارها ، وكان لموقف عمّه هذا الألم البالغ في نفسه الذي كان يبثّه في قصائده الغزليّة. لم تذكر أغلب الروايات الكثير عن أخبار عبلة إلا ما كان من حبّ عنترة وهيامه بها ، وقصائده الغزليّة الجميلة التي قالها في ذكر محاسنها ، وخلّت هذه الروايات من ذكر فيما كانت عبلة تزوجت به أم بغيره ، غير أنّ هناك بعض المصادر التي أكدت زواج عنترة بها ، ومن هذه المصادر القصة الشعبيّة لعنترة التي أوردت زواجه بها ، إلا أنّ هذه القصة لم تكن تستند في سيرته إلى دليلٍ قوي ، وقد كان فريقٌ من الباحثين يميل إلى هذا القول مستندين في قولهم إلى عدّة أسباب ، ومنها: أنّ والد عنترة قد لحقه بنسبه وبذلك قد زال عنه خِسّة النسب وقبحه بعد أن أصبحت عبلة أمام الملأ ابنة عمّه ، كما كان عنترة من الفرسان العرب المشهورين بشجاعته ، وهذا ما لا يستطع مَنْ يتقدم لخطبة عبلة الإغفال عنه خوفاً من قيام عنترة بالانتقام منه لأجل حبّه وكرامته ، وقد يكون هذا السبب دافعاً لوالد عبلة وأخيها للموافقة على مصاهرته بعد أن علا شأنه واحتل المكانة التي يستحقها في قبيلته. نجد من الأسباب الأخرى التي استند إليها هذا الفريق هو شعره ، فلا تكاد تخلو قصائده من وصف لحبّه لها وذكر لمحاسنها حتى في حروبه وغزواته ، وقد يكون ذكر هذا الغزل صعباً عليه وتأبى نفسه العزيزة على قوله لو كانت عبلة تزوجت من غيره ، فكان من الواجب على عنترة بما عُرف عنه من أخلاق حميدة تناسي هذا الحب والتوقف عن أشعاره الغزليّة فيه بعد أن أصبحت عبلة ابنة عمّه أمام قومه ؛ حرصاً على كرامتها وكرامة زوجها وأبيها وبما يليق به وبأخلاقه ، غير أنّ فريقاً آخر من الباحثين ذكر أنّ عنترة لم يتزوج من عبلة بل بقي حبّه معلّقاً بها ، وأنّ والدها امتنع عن مصاهرته وزوّجها لرجلٍ من أشراف قومه ، وسواءً تزوّج عنترة بابنة عمّه عبلة أم لم يتزوج يبقى شعره الغزليّ الذي نظمه بها أجمل غزل قاله لأنّه كان يمثل ألم الحرمان واللوعة والظلم الذي كان يعيشه ، حيث كان يُظهر فيه الصراع العنيف بين هذا الحبّ ولونه الأسود ومكانته الوضيعة بين قومه. شعر عنترة بن شدّاد وأبرز سِماته ترك عنترة ديواناً من الشعر زخر بفنون عدّة كان معظمّها في الفخر والغزل العذري والحماسة ، وكان أبرز ما فيه معلقته التي اشتهر بها ،

وامتازت أشعاره بالأسلوب العذب والألفاظ السهلة والمعاني الرقيقة. موضوعات شعر عنترة بن شدّاد اشتهر عنترة بشجاعته وببطولاته التي كان يظهرها في الحروب ، وقد صّور هذه البطولات في شعره ورسم في قصائده المتنوعة صورة الفارس البطل الشجاع بكلّ ما فيه من صفات وأخلاق حسنة ، وأظهر ما تحلّى به من شجاعة وإقبال على القتال بدون خوفٍ أو وجل ، وبيّن أيضاً اهتمام هذا الفارس بأدواته القتاليّة من خيلٍ وسيفٍ ودروع ورماح ، وحاول عنترة ربط صورة هذا الفارس بنفسه ، وكان يهدف من ذلك إبراز نفسه وشخصيته ، وتأكيد فكرة حريته وجدارته بها ، وكان حبّه لعبلة الدافع القوي الذي يحاول من خلاله إثبات وجوده وشخصيّته. الوصف الفنّي والأفكار في شعر عنترة بن شدّاد استحوذت قصائد عنترة على أفكار عدّة كان أبرزها فكرة التعفف التي كانت واضحة في شعره ، ففي الوقت الذي يعتقد المحارب أنّ الحروب هي لكسب الغنائم نرى عنترة يتعالى عن هذه االغايات ؛ لأنّه كان يشارك بها من أجل الحروب نفسها ، وليس لأجل الغنائم والمكاسب تاركاً هذه الأمور لغيره من المحاربين. نجد في شعر عنترة كغيره من الشعراء الجاهليين ظاهرة الوقوف على الأطلال ؛ لأنّ هذه الظاهرة كانت أصدق تعبير عن عواطف الشاعر تجاه محبوبته وحنينه لها ، فهذه الأطلال هي الأماكن التي عاش فيها الشاعر أو مرّ منها ، أو ارتبطت بذكرى حدثت معه وهزّت وجدانه ، فكان يقف وسط هذه الديار التي سكنتها محبوبته ثمّ تركتها ورحلت عنه إلى مكانٍ بعيد ، سائلاً إياها الحديث وإخباره بأخبارها ، وكان يبقى واقفاً وسط هذه الديار مناجيّاً إياها تأسر قلبه اللوعة والحنين لرؤيتها ، والملاحظ في وصف عنترة للديار والأطلال في معلقته الميل إلى الإطالة والتكرار شأنه في ذلك شأن الشعراء الجاهليين الآخرين. أبرز الأغراض الشعريّة عند عنترة بن شدّاد الفخر: كان الفخر من أهم الأغراض الشعريّة عند عنترة ، وكانت أشعاره في الفخر تتصف بالقوة والحماسة ؛ إذْ كانت من أسلحته في معركته العنيفة من أجل انتزاع حريته وإثبات نسبه والردّ على أعدائه ، ومن أجل أيضاً الفوز بابنة عمه عبلة التي رفض أهلها تزويجه إياها لأنهم لا يرونه كفؤاً لها بسبب سواد لونه ، فكان عنترة يستعين بشعر الفخر للتعويض عن عقدة السواد التي لازمته من أجل تأكيد حقه في الحرية ، فقدّم نماذج شعريّة عدّة أظهر فيها صورة الفارس الشجاع المنتصر الذي ينتمي لقبيلته ويتمسك بقضاياها ، وحاول ربط هذه الصورة بنفسه من أجل تأكيد مكانته بين قومه ، واعتراف المجتمع الذي يعيش فيه بهذه المكانة وبما كان يتصف به من قيم وأخلاق. الهجاء: كان الهجاء في العصر الجاهلي مرتبطاً بموقف الشاعر من مجتمعه وما فيه من قيم راسخة ؛ فهو من أكثر الأغراض الشعرية تأثيراً في المجتمع ، حيث كان الشاعر يستخدمه كسلاح قوي ومؤثر في ذكر عيوب الأعداء ، ووصفهم بأبشع الصفات والأفعال ، وكان غزو القبائل لبعضها البعض شائعاً في ذلك الوقت ، فكان عنترة يجد نفسه في هذه الحروب لإبراز شجاعته في الدفاع عن قومه الذي كان يسعى جاهداً لإثبات نفسه بينهم في الوقت الذي لا يعترفون له بنسب أو مكانة ، فكان عنترة في تلك الحروب يتعرض للمهجو بالهجاء الصريح المباشر دون تلميح مقرناً إياه بالفخر بنفسه وبشجاعته بحيث يتناسب هذا الهجاء مع مكانته كفارس وبطل لقومه طمعاً في نيل المكانة التي يستحقها بينهم. وأما عن الغزل العفيف في شعره: فقد اشتهر عنترة بالغزل العفيف قولاً وفعلاً ، فقد أحب ابنة عمّه عبلة حبّاً شديداً وقال فيها أشعاره الغزليّة الجميلة التي كانت تنبع من قلبه المتيّم بها ، وكان غزل عنترة لعبلة نموذجاً للغزل العفيف الذي يصدر عن شاعرٍ يتمتع بأخلاق رفيعةٍ حيث كانت تذوب في أشعاره العاطفة القوية الصادقة ، وتبرز فيها أشواقه العميقة ولوعته للقائها ، فهو لا ينساها في كل حالاته سواء في الحرب أم السلم ، فكان يقتحم ساحات القتال بكل شجاعة وبطولة مستقبلاً الموت من أجل أن يحظى برضاها وبقلبها. وأما عن الحماسة: فقد كان شعر الحماسة عند عنترة يُمثّل

الصورة الحيّة للتعبير عن شجاعته في ساحات القتال ، فكان في شعره يصف أدق التفاصيل في منازلته العدو ، حيث كان يستخدم شجاعته في الحروب كوسيلة للتخلص من عقدته النفسيّة في كونه عبداً أسود ، واصفاً في هذه الأشعار كيف ينال من العدو بعد أن يتمكن من إصابته بطعنة قاتلة مخاطباً العدو والدهر بالاعتراف بذاتيته إلى حدّ المبالغة في إظهار جبروته بحيث يبدو كأنه مستمتع بهذا الأمر ، كما كان يصف الأسلحة وصوت السيوف وطعنات الرمح ، وكان يعتمد في هذا الوصف على وقائع تاريخية تاركاً الحرية لخياله في تضخيم الحوادث القتاليّة ، كأن هذه المعارك كانت ملحمة من الملاحم الحربيّة. ومعلّقة عنترة بن شدّاد المعلّقات هي عبارة عن قصائد ظهرت في العصر الجاهلي ، وكان عددها سبعاً ، وقد تميّزت بالجودة وعمق المعاني ، وسعة الخيال والبراعة في الأسلوب ، وكانت تسمى أيضاً بالمذهبيّات لأنّها كانت تكتب بماء الذهب ، وقد ورد عن الباحثين روايات متباينة بسبب تسميتها بهذا الاسم إلا أنّ أغلب هذه الروايات اتفقت على أنّ السبب يعود إلى تعليقها على أستار الكعبة المشرفة ، وكان لهذه المعلقات قيمة أدبيّة تمثّلت في تناول مواضيع مختلفة عن الحياة الجاهليّة ، ومن أشهر شعرائها: امرؤ القيس ، وزهر بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، وعنترة بن شداد ، وعلقمة بن عبده ، وطرفة بن العبد ، والأعشى. وترك عنترة بن شدّاد ديواناً من الشعر كان معظمه في الحماسة والفخر والحب العذري كما سبق ذكره ، وتضمّن أيضاً الكثير من الشعر المنحول الذي تعددت الأقوال في الثابت منه ، وكان أشهر ما في هذا الديوان معلّقته االشهيرة ، وهي عبارة عن قصيدة طويلة تحتوي على ما يقارب تسعة وسبعين بيتاً من الشعر على وزن البحر الكامل ، وقد جاء شعر عنترة على نوعين هما: النوع الغنائي الوجدانيّ ، والنوع الأخر قصصي ملحميّ ، ورغم الاختلاف بين هذه النوعين إلا أنّهما كانا مترابطين ؛ بحيث لا يُقال أحدهما دون الآخر ، ولا يُفهمان إلا مع بعضهما بعضاً ، وقد نظم عنترة هذه المعلقة خلال حرب السباق بعد أن شتمه شاعرٌ من قبيلته وعايره بسواد لونه ولون أمه وإخوته ، فنظم عنترة معلّقته رداً عليه تضمنها الافتخار بنفسه ، وتعداد لمناقبه وصفاته. وكان عنترة يستهلّ معلقته بمقدّمة تتضمن ذكريات وعبر ، وبعد ذلك يصف محبوبته عبلة وناقته مفتخراً بنفسه وأخلاقه الرفيعة وشجاعته وإقدامه في الحروب ، فهو يُظهر نفسه كما وصفه طه حسين بصورة الشاعر العربي الأصيل الذي يتصف برقّة القلب دون ضعف ، وبالشّدة دون عنف! والذي يشرب الخمرة دون التفريط بأخلاقه ومروءته ، ومتى عاد إلى عقله وصحوته عاد كريماً معّطاءً ، وهو فارسٌ شجاعٌ في الحرب عفيف النفس لا يطمع لغنائم هذه الحرب ولا إلى مكاسبها. وقد كان مطلع هذه المعلقة ما يلي:

هَلْ غَــادَرَ الْشُّعَـــــرَاءُ مِنْ مُتَـرَدَّمِ أَمْ هَل عَرَفْتَ الْــدَّارَ بَعْـدَ تَوَهُّـــمِ

يَا دَارَ (عَبْلَــةَ) بِالجَــواءِ تَكَلَّمِـــي وَعِمِي صَبَاحاً دارَ عَبْلَةَ ، وَاسْلَمِي

والجدير بالذكر أن كتاب سيرة عنترة بن شدّاد الملحميّة قد قاموا بجهدٍ جهيدٍ في تدوين سيرته! حيث قام العرب في نهاية العصر العباسي بكتابة سيرة عنترة بن شدّاد نظراً لشهرته في الشعر وفي الفروسيّة ، إلا أنّ كاتب هذه السيرة بقي مجهولاً عند العامة ، ووردت روايات متباينة في معرفة هويته ، فقيل إنّ كاتبها هو الأصمعي لتكرار اسمه في مواضع كثيرة من هذه السيرة غير أنّ هذه الحجة لا تصلح لتكون دليلاً وخصوصاً أنّ أسماءً أخرى ورد ذكرها فيها ، ومنهم: أبو عبيدة وجهينة ونجد بن هشام وآخرون ، كما قيل إنّ الأديب يوسف بن إسماعيل المصري وهو كاتب لدى الحاكم بأمر الله الفاطمي قد ألّفها بناءً على طلب

الخليفة ؛ حتى يتغاضى الناس عن حادثةٍ وقعت في قصره ، وتناقلتها الألسن ، وهذا القول غير مؤكد ؛ لأنّه لم يرد عن المؤرخين ذكر لكاتب في العصر الفاطمي بهذا الاسم ، كما لم يذكر وقوع أي أحداث مريبة في عهد أيّ قائدٍ فاطمي ، وورد عن بعض المستشرقين أنّ هذه السيرة لم تكتب إلا في القرن السادس الهجري وأنّ مؤلفها هو واحد من أطباء وشعراء العراق المعروفين الذي كان يلقب بالعنتري مستنداً في روايته على كتاب ابن أبي أصبيعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" والتي ورد فيها أنّ العنتري كان في البداية يكتب أقوال عنترة ثمّ صار بعد ذلك معروفاً بنسبته إليه. شملت سيرة عنترة كافة الأحداث التي مرّ بها في حياته ؛ حيث جاءت متشابكة تارةً ومتشعّبة تارةً أخرى ، وكان موضوعها يتمحور حول حياة عنترة الشاعر والفارس الشجاع والعاشق ، وما واجهه من صعوبات ومخاطر في سبيل حبه لابنة عمه عبلة نتيجة سواد لونه ، فتضمنت الفترة التي وقع فيها بالأسر ، ثمّ حربه مع الغساسنة ، ومقابلته كسرى ملك الفرس ، وانتقاله إلى مكّة المكرمة وكتابة معلّقته بماء الذهب وتعليقها على أسوارها ، ثمّ ورد فيها أيضاً العلاقة التي كانت تربطه بدريد بن الصمّة والربيع بن زياد وعمرو بن معد يكرب وحاتم الطائي وسفره إلى بلاد الشام ومقابلته قيصر الروم ، وتطرّقت السيرة أيضاً لوصف حياة العرب في العصر الجاهليّ ، فذكرت عاداتهم ووصفت صفاتهم في الكرم والمروءة والشجاعة والوفاء والتضحية ومساعدة الضعيف وحُسن الجوار ، كما استعرضت النظام السياسيّ والاجتماعيّ للعرب في تلك الفترة. وكانت وفاة عنترة بن شدّاد توفي عنترة بن شداد عام 600 ميلادي عن عمر ناهز 90 عاماً بعد أن عاش حياةً حافلة بنظم الشعر ، والمشاركة الواسعة في الحروب والغزوات ، وقد اختلف الرواة في طريقة موت عنترة ، ووردت عنهم روايات متباينة ، ومن أبرز هذه الروايات نذكر ما يلي: رواية ابن حبيب وابن الكلبي وصاحب الأغاني: ذُكر فيها أن عنترة غزا بني نبهان من قبيلة طيء فقتل منهم شيخاً طاعناً في السن ، وكان منهم رجلٌ قويٌ يقال له وزر بن جابر النبهاني وكان يلقب بالأسد الرهيص ، فرمى عنترة برمح ، وحينها لم يستطع عنترة تفادي رميته لكبر سنه وضعف بصره ، فأصاب ظهره وقطعه مما أدى إلى مقتله ، وهذه الرواية من أكثر الروايات تداولاً وترجيحاً في سبب وفاته. وأما رواية أبي عمرو الشيباني فتقول هذه الرواية: إنّ عنترة غزا قبيلة طيء مع قبيلته ولكن عبس انهزمت ووقع عنترة عن فرسه ولم يستطع ركوبها مرة ثانية بسبب كبر سنه فدخل في مكان كله شجر كثيف فرأه طليعة الجيش الذي يتولى مراقبة العدو من مكانٍ عالٍ فما إن رأى عنترة حتى نزل إليه وخاف أن يأسره فرماه برمح أدى إلى موته. وأما رواية أبي عبيدة: فورد فيها أنّ عنترة خرج في يوم من أيام الصيف ليتقاضى ثمن بعير كان له عند رجلٍ من قبيلة غطفان ، فهبّت عليه رياحٌ قوية أدّت إلى وفاته. وأما رواية القصّاص الشعبي: فهي من الروايات التي نُسجت بخيالٍ بارع ومفادها أنّ السهم المسموم الذي رمى به الأسد الرهيص عنترة وأصاب ظهره ، أحس حينها باقتراب منيته فظلّ راكباً فرسه متكئاً على رمحه ، وطلب من الجيش أن ينسحب وينجو من بأس العدو ، أمّا عنترة فبقي ثابتاً على حاله حامياً ظهر جيشه حتى انسحب ونجا بنفسه دون أن يجرؤ العدو اللحاق به خوفاً من قائده عنترة ، وفي هذه الأثناء لفظ عنترة أنفاسه الأخيرة وعندما طالت وقفته شكّ العدو في أمره فأطلق جواداً إلى فرسه لتهييجه ، فعندها اندفع الفرس بصاحبه ، فوقع عنترة على الأرض ميّتاً بعد أن تمكّن من حماية قومه من نصر محقق للأعداء).هـ. ولقد استاء عنترة من تقاليد الجاهلية البالية عندما كانت تقصيه لسواد لونه! فأنشد يقول:

لَئِن أَكُ أَســـــوَداً فَالمِسكُ لَونـــــي ... وَما لِسَـــــوادِ جِلـــــــــدي مِن دَواء

وَلَكِن تَبعُـــدُ الفَحشـــــــــاءُ عَنّي ... كَبُعـــدِ الأَرضِ عَن جَـــــــوِّ السَماءِ

والجدير بالذكر أننا في قراءتنا الأسلوبية لشعر عنترة ينبغي أن نشير إلى دور البيئة والنشأة الطاغي في تأصيره على شعر عنترة! فلقد نشأ عنترة في أحضان قبيلة بني عبس في جنوب الجزيرة العربية ، وكان أسود اللون صلب العظام طويل القامة فارع الطول عنيف المراس ، فكان إذا نظر تطاير من أحداقه الشرر ، مما يشي بأنه كان له تأثير كبير في نفوس من حوله! ففرح به والده شداد فرحاً شديداً ، ولكنه ما كان يصرح للناس بهذا الفرح ولا يبديه أمامهم مطلقاً لذات السبب الذي هو سواد لونه. وما زال الفتى الأسود ينمو ويكبر ويشتد عوده ، حتى شاع ذكره وذاع صيته في بني عبس ، ليس ذلك فقط ، بل في جزيرة العرب آنذاك ، ليس ذلك فقط ، بل تناقلت العرب سيرته وأوصافه في كل صوب وحدب! وأصبح علماً يُشار إليه بالبنان! ولما سمع به الملك زهير الذي هو رأس قبيلة بني عبس ، أمر بإحضاره للمثول بين يديه ، فلما جاؤوه به رآه من أعجب الغلمان وأشجع الفتيان ، وكان عمره لا يزيد على أربعة أعوام على ما تقول السيرة الشعبية وغيرها ، مما يجعل الخبر يرقى لمرتبة الصحة. وأدرك الملك زهير أن هذا الفتى سيكون له شأن وشأن كبير في قابلات الأيام! ذلك أن أشباه الملك زهير كانت لهم فراسة عجيبة في معرفة الرجال وأوصافهم وأقدارهم ومناقبهم! غير أن الملاحَظ أن عنترة كلما كبر اشتد وظهر بأسه وبدت معالم شخصيته! وكان مع صغر سنه شديد البطش ، شديد الغيرة ، شديد الحمية ، شديد الأنفة! فإذا تجاسر عليه أحد أذاقه الويل والثبور حتى كثرت الشكوى فضاق والده شداد بشكاوي القوم فأعطاه قطيعاً من الأغنام. وأراد أبوه بذلك أن يقصيه عن مضارب بني عبس ويبعده عن الصدام مع الآخرين ليسلم من التبرير والشكوى كل حين! مما كان له أكبر الأثر في شعر عنترة بعد ذلك! حيث ولدت الأنفة والعزة والحمية والغيرة والشهامة تلك المناقب التي قل أن يجتمعن في رجل حر آنذاك ، فما بالنا إن كان عبداً! أقول: أثرت هذه المناقب والخلال مجتمعة في شعر عنترة ، فكانت الصور والإيحاءات التي صنعها خيال عنترة ، والتي أثرت شعره وجعلته في الذؤابة من أشعار بني قومه! بل في أشعار العرب أجمعين في تلك الفترة من فترات التاريخ! وكان للملك زهير عبيد ترعى إبله ، كما كان لكل ولدٍ من أولاده رعاة وعبيد ، ولزهير ولد يقال له شاس ، ذو بأس وقوة ، وله عبد يسمى راجي طويل القامة شديد السواد ، وكان لبني عبس غدير يقال له ذات الآصاد ، وهو أحسن غدير في البلاد. وفي يوم من الأيام اجتمع على الغدير الرعاة والأرامل والأيتام ووقف العبد راجي يسقي إبل سيده ، ويمنع سائر الناس ، فتقدمت منه عجوز كانت ذات نعمة ، وأخذت تستأذنه لكي يسمح لها أن تسقي غنماتها ، فما كان من العبد إلا أن لطمها على وجهها لطمة تلقيها على ظهرها وتكشف للرجال سوأتها ، فتضاحك العبيد! وكان عنترة حاضراً ، فأخذته النخوة العربية وصاح في العبد قائلاً: ويلك كيف تفضح الأحرار؟ فهجم العبد على عنترة ولطمه لطمة لو أصابت غيره لمات! فإذا بعنترة يُمسك العبد ويرفعه ويلقيه على الأرض ، ثم يضربه ضربة تقضي عليه ، فهجم العبيد على عنترة بالعصي والحجارة ، فتلقاها بعصى معه وضرب باليمين والشمال فلم يستطيعوا أن يصلوا إليه. وقد عفى الملك عنه ولم يعاقبه بعد سماع القصة ، وعلم أن عنترة إنما كان يدافع عن العرض. وأياً ما كانت درجة المصداقية في حدوث هذه القصة فإنها تدلنا دلالة أكيدة على ما كان لعنترة من قوة في الدفاع عن القيم والأخلاق! مما كان له أكبر الأثر على شعره والأساليب التي كان يعمد إليها في قصائده! وتذكر الرواية أنه لقي ترحيباً كبيراً من القبيلة رجالها ونسائها بفعلته تلك ، فلما عاد إلى الحي وجد أن فعله قد انتشر في القبيلة بأسرها ، وأحاطت به النساء والبنات تسأله عن حاله ، وكان ممن أحاط به إحاطة السوار بالمعصم

كما يقولون عبلة بنت عمه مالك. وكانت عبلة أجمل من القمر كما تذكر روايات التراجم والسير ، وكانت تمازحه وتكثر الكلام معه وهي في عمر أصغر من عنترة. ولعل هذا التلطف منها أغرى عنترة بأن يعشقها عشقاً تتحدث به العرب قاطبة! ولقد عرف عنترة بأنه حامي حمى بني عبس من بعد تلك الواقعة في الانتصار للمرأة العجوز تلك! وكان يُكثر من قوله متناولاً تفاخره بقوته وشجاعته ومروءته:

أَنا في الحَـــربِ العَـــوانِ ... غَيـــرُ مَجهـــولِ المَكـــان

أَينَما نـــــادى المُنـــادي ... في دُجـــى النَقـــعِ يَرانـــي

وَحُسامـــي مَـــع قَناتـــي ... لِفِعالـــي شاهِـــــــــدانِ

أَنَّني أَطعَـــنُ خَصمـــي ... وَهـــوَ يَقظـــانُ الجَنـــانِ

أَسقِهِ كَـــأسَ المَنايـــا ... وَقِراهـــا مِنهُ دانـــــــي

أُشعِلُ النـــــارَ بِبَأســـي ... وَأَطاهـــــا بِجِنانـــــــي

إِنَّني لَيـــثٌ عَبـــوسٌ ... لَيـــسَ لي في الخَلـــقِ ثانـــي

خُلِقَ الرُمـــحُ لِكَفّـــي ... وَالحُســـامُ الهِندُوانـــــي

وَمَعي في المَهـــــدِ كانا ... فَـــوقَ صَـــدري يُؤنِسانـــي

ويتضح من أسلوب هذه الأبيات أن عنترة كان يُغلب جانب الفخر والاعتداد بالنفس! وهذه المزية أو وتلك السمة بالمعنى الأدق كانت طابعاً يدمغ شعر عنترة بصفةٍ عامة! وإذا تجاوزنا جانب الفخر بالذات والاعتداد بالنفس وطرقنا باب الشعر الغزلي العنتري لوجدناه لم يقل جودة عن شعر الاعتداد بالنفس والفخر بالذات! فلقد أكثر عنترة من التغزل بابنة عمه عبلة بأشعاره ، حتى تناشدت بها العرب وقيل بعضها بين يدي شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد. وكان في مجلس شرب ، وكان عندهما عمرو أخو عبلة ، فقال شاس: لقد أعجب هذا العبد بنفسه وترفع عن العبيد! فقال الربيع: (والله ما أطمعه في ذلك إلا أبوك وأخوك مالك ، فثارت نفس عمرو وقال: (والله لئن سمعته يذكر أختي في شعره لأسفكن دمه!) فلما كان الصباح ركب عنترة جواده وأخواه بين يديه يسوقان الجمال في المرعى ، وكان أخوه شيبوب (أو شيبوبة) من أفرس الشباب إذا عدا لحق بالغِزلان ، وكان أولاد الملك زهير قد ذهبوا إلى وليمة عند عمهم أسيد ، حيث طلبوا منه ألا يبعدهم عن الحي ويسقيهم على بعض روابي الأعيان! فأرسل عبيده بالأغنام والطعام والمُدام (أي الخمر) إلى ربوةٍ خضراء مشرفة على الصحراء حولها عيون جارية ، ولحق بهم أولاد الملك زهير العشرة وهم: شاس ، وقيس ، ودرقة ، ومالك ، وخداش ، والحارس ، وكثير ، وجندل ، وجندب ، ونهشل. ولما جلس القوم أكلوا وشربوا ، ثم مد مالك عينيه فرأى عنترة عند سفح الجبل ومعه أخواه فقال لإخوته: (هذا عنترة بن شداد الذي افتخر على العرب وساد ، ثم أمر أحد العبيد بأن يذهب ليدعوه إليهم ليشاركهم مجلسهم هذا ، فقال شاس لأخيه: (إني أراك تحسب هذا العبد شيئاً كبيراً وتنسب إليه قدراً خطيراً ووالله لولا خوفي أن أنغص على أبي وليمة الأمس لضربت رأس هذا العبد النحس ، ولئن حضر الآن على هذا المُدام

لأضربن عنقه بهذا الحسام ، وبينما شاس وأخوه مالك في هذا الحوار ، إذ سار في الجو الغبار وانجلى عن ثلاث مائة فارس ، كأنهم الليوث والعوابس ، فلما خرجوا من تحت الغبار وقربوا من المرعى ورماحهم تتلوى كالأفاعي ، انفصل منهم عشرة فرسان أبطال شجعان. وكان أولئك القوم من بني قحطان ، خرجوا من أرضهم حتى أتوا أرض بني عدنان ، وصادف مرورهم على مراعي بني عبس فرأوا الجماعة يشربون المُدام ، فقال بعضهم لبعض: (احملوا بنا على هذه العصابة لنأخذهم أسارى ثم إنهم حملوا عليهم ، وبادروهم بضرب السيف فلما رأى ذلك بنو عبس تواثبوا إلى الخيول ، واختطفوا الرماح ، وطبقت عليهم فرسان اليمن ، فسمع عنترة بن شداد صياحهم وقد مدوا إلى بني عبس رماحهم ، فخاف عليهم أن تنصبهم الأعداد ، لا سيما لأجل مالك بن زهير الذي أحبه ، فصاح في أخيه شيبوب وأسرع حتى أدرك مقدم القوم (فاتك بن محبوب) فانقض عليه ، وطعنه بين ثدييه ، فانطرح قتيلاً بدمائه وحمل بعده على الرجال ، ففرقهم ذات اليمين وذات الشمال ، ونثرهم بالحسام فوق الرمال. وأنشد يقول:

حَسَناتي عِندَ الزَمـــانِ ذُنـــــوبُ ... وَفَعالـــي مَذَمَّـــــةٌ وَعُيـــــوبُ

وَنَصيبي مِنَ الحَبيـــــبِ بِعـــادٌ ... وَلِغَيـــــري الدُنُـــوُّ مِنهُ نَصيـــب

كُلُّ يَومٍ يُبـــري السُقـــامَ مُحِـبٌّ ... مِن حَبيـــبٍ وَما لِسُقمي طَبيـــــبُ

فَكَأَنَّ الزَمـــانَ يَهوى حَبيبـــاً ... وَكَأَنّـــي عَلى الزَمـــانِ رَقيـــب

إِنَّ طَيفَ الخَيـــالِ يا عَبـلَ يَشفي ... وَيُـــداوى بِهِ فُـــؤادي الكَئيـــبُ

وَهَلاكي في الحُـــبِّ أَهوَنُ عِندي ... مِن حَياتـــي إِذا جَفاني الحَبيـــــبُ

يا نَسيـــمَ الحِجـــازِ لَولاكِ تَطفا ... نـــارُ قَلبي أَذابَ جِسمي اللَهيـــــبُ

فلما شاهدوا ذلك الهول. لم يبق منهم إلا من طلب الهرب ، ونظر عنترة إلى ذلك وتفقد أولاد الملك زهير لخوفه على مالك ، ورآهم سالمين وكان العبيد الذي في المراعي قد نقلوا الخبر إلى بني عبس ، فخاف الملك زهير على أولاده ، وركب في فرسانه ومضت من خلفه الفرسان ، ولما وصلوا إلى مكان القتال إذا بعنترة قد فرق القوم ، فعاد بنو عبس إلى الخيام وعنترة بين أيديهم كأنه الأسد الضرغام. ففرح الملك زهير على سلامة أولاده ، وشكر عنترة على حسن جهاده ، وسألهم عن الحادثة فحدثوه بجلية الخبر ، وما فيهم إلا من أثنى على عنترة وشكره ، ولما وصل الملك زهير إلى مضاربه جدد لأولاده الوليمة وأجلس عنترة إلى جانبه وسقاه من شرابه ، وخلع عليه من ملابسه خلعة موشاة بالذهب ، وأركبه فرساً من أجود خيل العرب وقلده بسيف محلىً بالذهب وقال لأبيه شداد: (لا تخفض بعد اليوم منزلة عنترة برعي الجمال بعد ما بدا منه ، ولا تمنعه من غزو الأبطال ، حتى يقال أن لبني عبس شاباً يذل الفرسان ، وسماه زهير من ذلك اليوم "حامي حمى بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس". وبالطبع يبدو على هذه الرواية أثر الوضع والمبالغة! ولكننا هنا نوردها لأنه وردت في السيرة الشعبية كما أيدتها روايات أخرى عند أكثر من ثلاثة رواة! وعموماً سواء حدثت أم لم تحدث ، أو حدث نصفها أو حدثت كلها ، أو حدث جزء يسير منها ثم بولغ في الباقي لتبلغ هذا المدى ، هذا الأمر يعنى به وبسرده الرواة والمؤرخون وكُتاب التاريخ والتراجم

ومن شابههم ونحا نحوهم من الباحثين والدارسين! ولكننا هنا نرصد في قراءتنا الأسلوبية لشعر عنترة كل شيء يتعلق بالأسلوب أو كان له أثر في الأسلوب مما جعل شعر عنترة يتجه هذا الاتجاه أو ذاك! بقطع النصر عن التثبت من صحة الأخبار وتحقيقها والتثبت منها ، هذا له أناس آخرون لا يعنيهم الأسلوب ولا الشعر بقدر ما يعنيهم الخبر ومدى صحته! وأيما باحث أراد التوثيق والتثبت من قراءة نقدية أدبية أو أسلوبية فأراه قد حجّل واسعا وأخطأ الطريق! حيث إن التثبت والتحقق والتوثيق له مظانه وكتبه! وإذا نحن تجاوزنا شعر الفروسية وذهبنا إلى شعر العشق وجدنا عنترة الشاعر العفيف المؤدب الذي يعف كل العفاف عن يصف محبوبته للناس ويعريها ليروا ما أخفته ثيابها من المفاتن ومسوح الجمال! كما صنع بعض شعراء الجاهلين الغابرين وكما يصنع اليوم بعض شعراء الجاهلية المعاصرون! لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك انتسب عنترة! إنما عف في شعره الذي تناول فيه عبلة ابنة عمه! نعم عف عفافاً غرق فيه كما يقول بعض الباحثين المنصفين! ولنتأمل قوله يداعبها ويسامرها:

أَلا يا عَبـــــلُ قَد زادَ التَصابـــــــــي ... وَلَجَّ اليَـــومَ قَومُكِ في عَذابـــــــي

وَظَلَّ هَـــــواكِ يَنمو كُلَّ يَـــــــومٍ ... كَما يَنمـــــو مَشيبي في شَبابـــي

عَتَبتُ صُـــروفَ دَهـــري فيكِ حَتّى ... فَني وَأَبيـــكِ عُمري في العِتـــــابِ

وَلاقَيتُ العِـــدا وَحَفِظـــــتُ قَوماً ... أَضاعونـــــي ، وَلَم يَرعَوا جَنابـــي

ويوماً بعد يوم ازاد ولعه بعبلة وتوله بها كثيراً ، ولم تعد له طاقة بفراقها أو البعد عنها! نعم لقد ارتفع موضع عنترة في قبيلته بني عبس ، وزاد في عبلة طمعه في أن يكون لها زوجاً يوماً ما ، وكانت هي سبب فصاحته وإبانته ، وإن صح التعبير كان حبه لها وعشقه إياها سبباً في نضج شعره ورهافة أسلوبه ، لأنه كلما ذكرها انطلق لسانه بالشعر الرقيق ، حتى وقعت هيبته في قلوب الأنام ، وسمعت بذلك الشعر أم عبلة وأبوها وأخوها ، غير أنهم لم يكترثوا به ، فلما كثر الحديث عند أم عبلة دعت عنترة إليها ، وقالت له: "يا عنترة ، سمعت أنك تحب ابنتي وتذكرها في شعرك". وكانت عبلة بجانبها وقد أرخت ذوائبها ، وسمعت أمها تقول لعنترة ذلك المقال ، فتبسمت عن ثغر نادر المثال فازداد بعنترة الهيام ، وقال: "ياسيدتي. هل رأيت من يبغض مولاته! أي والله أحبها ، وحبها لا أنكره وصورتها لا تبرح ناظري! وقالت له: "سأطلب لك من زوجي أن يزوجك خمسية جارية ابنتي عبلة فليس لها شبيه في الجمال ، ولا حاز مثلها رجل من الرجال ، فتبسم عنترة في حسرةٍ وقال: والله ما أتزوج غير من يهواه الفؤاد ، فهمست عبلة في أذن عنترة قائلة: "بلغك الله أمانيك"! وشاعت أبيات عنترة في جميع القبائل فازداد حقد أخي عبلة ، وأثار عليه شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد ، فواعداه على قتله. وذلك لما ذاع صيت عنترة في القبائل من حولهم! ومن هنا وجدنا أشعاراً لعنترة تتناول ذلك بأسلوبية يبدو فيها الهجوم على عادات وتقاليد الجاهلية كما يبدو فيها الصراع من أجل انتصار الحب العذري البريء! وكان لشداد بنت من غير سمية يقال لها "مروة" ، وكانت متزوجة في بني غطفان برجل يقال له الحجاج بن مالك ، فاتفق أن الحجاج زوج أخته ، فلما جاء وقت العرس وأعلنت في الحي الدعوة جاءت مرة لكي تدعو شداد أباها وعمها وأخاها وأقاربها ، واجتمع الرجال والنساء. وفي السير بعد أن استأذنوا من الملك زهير هذا وقد سبقت النساء الفرسان بنصف يوم وخرجت النساء بعدهم في الهوادج. وقد أرخين الذوائب وأبرزن وجوهاً مثل البدور ، والجواري أمام

الهوادج والعبيد متقلدين السيوف ، وعنترة معهم - وهو من دون العبيد - راكب على جوادٍ يمشي إلى جوار عبلة يحدثها شعراً يصف حبه وعشقه المفرط الذي ملك عليه جوانحه وجوارحه قائلاً:-

يا عَبلَ إنَّ هَواكِ قَد جـــــازَ المَـــدى ... وَأَنا المُعَنّــى فيكِ مِن دونِ الـــــوَرى

يا عَبـــلَ حُبُّكِ في عِظامي مَع دَمـــــي ... لَمّا جَـــرَت روحي بِجِسمي قَد جَـــرى

وَلَقَد عَلِقتُ بِذَيـــــلِ مَن فَخَـــــرَت بِهِ ... عَبسٌ وَسَيفُ أَبيـــــهِ أَفنى حِميَـــــرا

يا شَـــــأسُ جِرني مِن غَـــــرامٍ قاتِلٍ ... أَبَـــداً أَزيـــــــدُ بِهِ غَراماً مُسعَـــرا

وكما تقول السيرة مالت الشمس إلى الاصفرار فحملوا الرجال ، ونزلوا على غدير هناك فتولى عنترة حراسة النساء إلى اليوم التالي. وتلك مهمة لا يندب لها إلا الرجال الأشاوس والفرسان المغاوير! فلما أرادت العبيد أن ترفع الهوادج ، وإذا بالغبار قد ملأ القفار ثم انكشفت الغبرة عن مائة فارس كأنهم الليوث في أوائلهم فارس ينادي (الثأر الثأر.. البدار.. البدار)! وكان شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد بعد أن تآمروا على اغتيال عنترة ووضعا عليه العيون! فلما علما بسيره مع بني عبس إلى بني غطفان اتفقا على أن يبادروه بمن لديهم من الفرسان. وكمنوا له في وادي الغزال ، وحاولوا أن يهاجموه في الظلام وإذا بهم يُفاجأون بمائة فارس قد أغاروا عليهم ، ونادوا بهم أثبتوا يا فتيان قبل أن تطير رؤوسكم ، فلما سمع بسام عبد الربيع ذلك المقال نبه أصحابه للقتال وقال للفرسان: من أنتم وما شأنكم؟ فقال المقدم لبسام: (لقد أتينا لسفك دمائكم ونهب أموالكم لا سيما إذا كان فيكم عبد السوء عنترة بن شداد). وكان هؤلاء الجماعة من قوم يقال لهم بنو المصطلق والمقدم عليهم غالب بن وثاب وكان عنتر قد قتل له أخاً. فسار في مائة فارس يطلب بني عبس يأخذ الثأر ، وهو يقول: إن كان عبد بني عبس قد قتل أخي ، فأنا أقتل ساداتهم وأعود برأس ذلك الأسود ولم يزل سائراً حتى أشرف على وادي الغزال ، وكمن بمن معه من الرجال ثم أنفذ أحد العبيد ليأتيه بالخبر ، فمضى وعاد وأخبره بأن بني عبس قادمون في الأثر ، وبعد قليل تصل النساء وبينهم عنترة. فلما سمع بسام كلام المقدم قال: أسعدنا الحظ لأن كلاً منا ما أتى إلا لقتل عنترة ، ونحن أيضاً أرسلنا موالياً من بني عبس في طلبه حتى نسقيه كأس عطبة. لأنه أصاب بعضنا بالظلم والعدوان. فقال مقدم القوم: لا نريد منكم مساعدة ، ولكن عاهدونا على أنكم لا تكونون علينا ، فعاهدهم بسام ، وقد رأى ذلك صواباً في قضاء حاجة مولاه فطاوع غالباً وجاراه ، وقال لأصحابه: ستكونون على أي حال منصورين. لأننا رأينا عنترة وقد أضعف هؤلاء القوم وأصبحوا في مثل عددنا ما نمكنهم من أخذ الحريم ، وإن رأيناهم قتلوه قاتلناهم حتى تدركنا الرجال. نخلص نحن النساء ونبلغ من قتل عنترة ما نشاء. فقال: افعل ما تريد. فلما علم عنترة ومن معه من الفرسان بهذا القصد وبهذا التوجه صمم على المواجهة وحفز فرسانه على ذلك ، وعمد إلى تلقين الخصوم درس العمر في ألا يفكروا في مثل هذا بعد اليوم! نعم أراد أن يضع حدا لفكرة التخلص منه! وأراد أن يُعْلمهم أن الخلاص منه سيكون ثمنه غالياً! وأنشد من شعره هذا الوعيد المغاضب والتصميم على المواجهة مستخدماً أساليب صاغها من قبل في شعره عن الاعتداد بالنفس والفخر بالذات! فأنشد يقول معرضاً بعبلة وزاجراً الخصوم:-

دَعني أَجِـــدُّ إِلى العَليـــاءِ في الطَلَـــبِ ... وَأَبلُـــغُ الغايَةَ القُصـــوى مِنَ الرُتَـــبِ

لَعَلَّ عَبلَـــــةَ تُضحي وَهيَ راضِيَـــةٌ ... عَلى سَـــوادي وَتَمحو صورَةَ الغَضَبِ

إذا رَأَت سائِرَ الســـــــاداتِ سائِـــرَةً ... تَزورُ شِعـــري بِرُكنِ البَيتِ في رَجَـــبِ

يا عَبلَ قومي اِنظُري فِعلي ، وَلا تَسلَي ... عَنّي الحَســـــودَ الَّذي يُنبيكِ بِالكَـــذِبِ

إِذ أَقبَلَت حَدَقُ الفُرســـــانِ تَرمُقُنـــــي ... وَكُلُّ مِقـــــدامِ حَـــــربٍ مالَ لِلهَـــــرَبِ

فَما تَرَكـــــتُ لَهُم وَجهـــــاً لِمُنهَـــزِمٍ ... وَلا طَريقـــاً يُنَجّيهِم مِنَ العَطَـــــــــبِ

فَبـــادِري وَاِنظُري طَعناً إِذا نَظَـــــرَت ... عَينُ الوَليـــــدِ إِلَيهِ شـــــابَ وَهوَ صَبي

خُلِقتُ لِلحَـــــربِ أُحميها إِذا بَـــرَدَت ... وَأَصطَلي نارَها في شِـــــدَّةِ اللَهَـــــبِ

بِصـــــارِمٍ حَيثُما جَرَّدتُهُ سَجَـــدَت ... لَهُ جَبابِـــــرَةُ الأَعجامِ وَالعَـــــــــرَبِ

وَقَد طَلَبـــــتُ مِنَ العَلياءِ مَنزِلَـــــةً ... بِصارِمـــــــــــي ، لا بِأُمّي لا وَلا بِأَبي

فَمَن أَجابَ نَجا مِمّا يُحـــــــــاذِرُهُ ... وَمَن أَبى ذاقَ طَعمَ الحَـــرْبِ وَالحَـــرَبِ

وجاء الفرقاء على غير موعد ، وأشهروا مرهفات نصالهم ، وقصدوا عنترة ، وكان يحرس وقتئذ ركب النساء والأولاد ، فلما اقتربوا منه صرخت النساء وبكى الأطفال ، ونظر عنترة إلى عبلة فرأى دموعها تنحدر على خديها ، وسمية وأم عبلة تصيحان بالويل والحرب. وقد خشين على العرض من أن يُهتك ، فتقدم عنترة إلى أم عبلة وقال لها: أتزوجينني عبلة حتى أرد هذه الخيل من أول حملة ، فقالت ويلك يا عنترة. أفي مثل هذا الوقت يكون المزاح والأجساد قد كرهت الأرواح. فقال عنترة: "لا" وحق خالق الصباح. إن وعدتني بذلك رددتُ هذه الخيل كلها على أعقابها ، وأعطيتك كل عددها فقالت: "دونك الخيل ولك ما تريد". غير أنها لم تكن تضمر له الوفاء. إنما فعلت ذلك نشداناً للنجاة من الموت المزمع أو الأسر الموعود أو السبي المحقق! حيث كانت هذه عادة العرب في مثل هذه الحروب! أما عنترة فلما سمع ذلك منها سُر ، وركب الجواد وتهيأ وأمر العبيد بترك الجمال. وحل الرحال وقال لأخيه شيبوب: احم بنبالك ظهري ، وأنا أتلقى الخيل بصدري ، وما كاد يهجم عليه القوم حتى صاح بهم ، وإذا بسيفه قد طوق النحور. وخاض في الأحشاء ، ولم يلبث أن أهلك منهم ثلاثين فارساً. وذلك بمساعدة الفرسان الذين كانوا معه وقد أحاطوا به وتحلقوا من حوله! تلك الحقيقة التي تغفلها السيرة الشعبية لتبرز عنترة وحده فارساً! ونسأل لو صحت رواية السيرة الشعبية من تمكن عنترة من ثلاثين فارساً فهل يصدق ذلك عقل صبي لم يناهز فضلاً عن عقل رجل بالغ عاقل؟! إن هذا لشيء عجاب! الأمر الذي عمد إليه بعد ذلك مخرجي الأفلام الجاهلية عن عنترة ، وهم يصممون على أن يحاكوا السيرة الشعبية في مبالغاتها المكشوفة! لقد كان مع عنترة فرسان صناديد ورجال دهاقين ساعدوه على إنجاز مهامه! وهذا لا ينقص من فروسيته وشجاعته! وكان جواد عنترة قد جهد ومل ووهن عزمه واضمحل. فنزل عنه وركب غيره من الخيل المغيرة ، وعاد إلى المجال. أما عبيد بني عبس فلما رأوا ما فعل عنترة بالقوم انقطعت ظهورهم ، وقال لهم بسام: "ويلكم.. اشكروا الله أن وقع لنا هؤلاء القوم.. وقاتلوا عنا في هذا اليوم ، فقد فدونا بأنفسهم من هذا البلاء. ونظر مقدم القوم غالب إلى ما أصاب أصحابه من العذاب وقال: يا للمصيبة! لو علمتُ أن الأمر يُفضي إلى هذه الحالة لسبقت إلى قتل هذا الشيطان قبل أن يفعل ما فعل ، ولكني أهملت أمره ، ثم وثب إلى الميدان فصدم عنتر صدمة تهز الجبال ، وحمل عليه حتى طعنه بين ثدييه وانقض على باقي أصحابه ، فشردوا في الجبال فنظرت عبيد

الربيع إلى فعاله فولوا الأدبار ، وعاد عنترة وسنانه تقطر من الدم فلقيته عبلة وهي تبتسم ، وأمر العبيد فجمعت أسلاب القتلى وساقوا الخيول. وأنشد من شعره معرضاً بعبلة وأمها وأبيها الذين لا يقابلون الإحسان بالإحسان! ويذكر بعضاً من جمائله عليهم وانتصاراته المتلاحقة بينما لا يجد إلا مجرد الثناء والمدح من أعلاهم شأناً الملك زهير ومن أدناهم شأنا كالعبيد والجواري! وبدا في أبياته التي غطى بها المشهد السابق هذا الذي أشير إليه! والأسلوب هنا يميل إلى اللوم والعتاب والتوبيخ والزجر أكثر من الفخر أو الانتصار للنفس! معرّضاً بمراده الذي هو الزواج من عبلة ليس إلا!

إلى كَم أُداري مَن تُريـــدُ مَذَلَّتـــــي ... وَأَبـــذُلُ جُهدي في رِضاها وَتَغضَـــبُ

عُبَيلَةُ أَيّـــــامُ الجَمـــــــالِ قَليلَةٌ ... لَها دَولَـــةٌ مَعلَومَـــــةٌ ، ثُمَّ تَذهَـــبُ

فَلا تَحسَبي أَنّي عَلى البُعـــدِ نـــادِمٌ ... وَلا القَلـــبُ في نـــارِ الغَـــرامِ مُعَذَّبُ

وَقَد قُلتُ إِنّي قَد سَلَوتُ عَنِ الهَـــوى ... وَمَن كانَ مِثلي لا يَقـــولُ ، وَيَكـــذِبُ

هَجَرتُكِ فَامضي حَيثُ شِئتِ ، وَجَرِّبـي ... مِنَ الناسِ غَيري ، فَاللَبيـــبُ يُجَـــرِّبُ

وساروا في أمان فوصلوا والناس في الولائم وأخبرت النساء رجالهن وما جرى من عنترة ، فما كان منهم إلا من أثنى عليه ، وأخبروه كيف صان عنترة الحريم ، فزادت رغبة شداد فيه وقبله بين عينيه وأخذه بيده ليجلسه بين الشرفاء فأبى وعاد ووقف مع العبيد وقال: لا والله يا مولاي فعجبت فرسان العرب من أدبه وأجلسوه بين الفرسان ، وما أن عاد القوم إلى مضاربهم حتى سمعوا الصياح في جميع الجنبات والغبار قد خيم على الروابي. فقال شداد: لقد نزلت بنا الدواهي ، واقتحموا المضارب فرأوا النساء في خوفٍ والبنات في شدة الهلع وقد أثخن الغزاة من بقي من فرسان بني عبس بالجراح ، وكان السبب في ذلك أن الملك زهيراً كان قد ركب في فرسان بني عبس وسار بهم إلى بني قحطان يطلب عدواً ، وكان الملك زهير قد بلغه أن المتغطرس سائر إليه ، فشق ذلك عليه وقام بفرسان بني عبس ليلقاه في الطريق ، وترك في الحي أخاه زنباغ في نفر قليل وسار هو في طريق والمتغطرس في طريق آخر في تلك البطاح ، فوصل المتغطرس إلى ديار بني عدنان ، فوجد الحي خالياً من السكان والتحم بمن بقي في الحي من الرجال ، وفي ذلك الوقت أشرف شداد بن قراد وعنترة وشيبوب فقال شداد لعنترة: هيا وأرني اليوم منك ما سمعت عنك! فقال: نعم يا مولاي ليس الخبر كالعيان ، ثم وثب إلى فرسه وانتظم بين الفرسان ، ونادى فيهم: اقتحموا القوم لنأخذهم أسارى ، وسل حسامه وانقض على الأعداء وهو يصرها ، وأبصر المتغطرس بن فراس هذا الحال وهو قائم على رابية في تلك التلال ، فهاله أن رأى خيله ترتد وقد وجلت سروجها من أصحابها ، فتحدر من الرابية بمن معه وقد أكثروا الصياح فرجعت الخيل المنهزمة لما رجع أميرها والتهبت نيران الحرب وزاد سعيرها فالتقاها عنترة ومن معه من الفرسان بالصدور حتى أنزلوا بالأعداء البلاء. ومن العجائب الغريبة أن بساماً عبد الربيع بن زياد خرج في هذا اليوم ، وقاتل مع بني عبس قتالاً يُحير الأذهان وانهزم حتى أقبل عنترة ومن معه من الأبطال المشهورين ، فشاهد من عنترة فعالاً تحير منها عقله فزاد حسده وصار يتوقع فرصة في الحرب ، وحمل على المتغطرس مع بقية الفرسان ليتمكن من عنترة في هذا المجال ، ولما اشتد القتال صوب بسام إلى عنترة بن شداد ليقتله ويفوز بالحظوة عند مولاه الربيع بن زياد وما دانى عنترة ليطعنه في ظهره حتى أصابته نبلة في صدره فوقع قتيلاً ، وكان الذي قتل بساماً هو شيبوب أخو عنترة ،

وكان عنترة قد أوصاه بأن يُنزل عبلة من الهودج ويُلاحظ خدمتها وخدمة النساء فظل شيبوب عندهن ، حتى رأى الأعداء حول عنترة فخاف عليه وعدا نحوه ، ورأى بساماً قد عدا إلى أخيه عنترة ، فأرسل له نبلة ألقاه بها. وكان المتغطرس قد وصل وأخذ يرد جماهير رجاله وقد هربوا من وجه عنترة ، فشق عليه ذلك واستقبل عنتر فصدمه بالرماح ، وسالت الدماء من كثرة الجراح فاشتد بعنترة الغضب واقتحمه اقتحام الأسد ، وطعنه بشدة فغاص الرمح في أحشائه ففر من بقي من أصحابه ، وتبعهم فرسان بني عبس حتى بددوهم في تلك الفلوات وقامت عبيد بني عبس فجمعت الأسلاب وعادوا إلى الأحياء بعد أن فرقوا الأعداء. وأقبل الملك زهير وهو لا يصدق أن أهل الحي في خير ، فخاف أن يكون هذا من عدم التوفيق ، ولما رأوه أقبل استقبلوه بالبشرى ، وأخبروه ما فعل عنترة ، فقال الملك: لله در عنترة ، ولئن طال عمره ليسودن على كل محارب ، ثم إنه ترجّل ودخل على تماضر زوجته. وبعد أن رحبت بمقدمه أخذت تمدح عنترة وتقول: والله لقد حمى الحريم ، فعظمت عنده منزلته ، ثم أمر بذبح الأغنام واجتمعت حوله السادات والفرسان والأمراء الشجعان وحضر الربيع بن زياد وأتى أيضاً بنو قراد وزخمه الجواد ومالك وشداد. وهنا انتحى عنترة وأنشد بيتين رائعين يبدو من خلالهما أسلوب المعاتب الشريف العفيف ، فهو لا يلوي على فراق القبيلة ولا البعد عنها ولا النيل منها! كما أنه يعزم على أن يُجل ساداتها وأشرافها ويطلب إليهم أن يحققوا له مأربه من الزواج بابنتهم الحُرة بنت الأحرار عبلة بنت مالك! فقال واصفاً شعوره شِعراً:-

لَو كانَ قَلبي مَعي ما اِختَـرتُ غَيرُكُمُ ... وَلا رَضيـتُ سِواكُم في الهَـوى بَدَلا

لَكِنَّهُ راغِـبٌ في مَن يُعَذِّبُـهُ ... فَلَيسَ يَقبَـلُ لا لَومـاً وَلا عَذَلا

وكان عنترة قد وقف للخدمة مع العبيد فقال الملك: لن تجلس إلا بين السادات ، ولا شربت قدحي إلا معك! ثم أمره بالجلوس بالقرب منه ، فتقدم وبشّ في وجهه وتبسّم ، وقد قدم للجميع الطعام ، ودارت عليهم الكاسات وعزفت القيان ، وضربت بمزاهرها الجواري المولدات ، وطابت لهم الأوقات ، وقد جعل الملك زهير عنترة خاصته وندیمه وسميره وكليمه ، وكلما أراد أن يقف في الخدمة منعه وسقاه ، وقربه وأدناه ، إلى أن لعبت الخمرة بعقل شاربها ، وتفرقت العرب إلى مضاربها ، وتقدم الملك زهير شداد إليه وقربه وخلع عليه ، وأركبه فرساً من كرائم أفراسه ، وخلع على عنترة خلعة لا يلبسها إلا الأكابر ، وعممه بعمامة معلمة بالذهب ، وقلده بسيف يدعو إلى العجب ، وخرجوا من بين يدي الملك زهير وهم بأنعم بال ، وأوفر خير. ولما قرب شداد من أبياته ، ترجل عنترة ومشى في خدمته حتى وصل إلى خيمته والطيب يفوح من ثيابه ، وقبل عنترة يديه وقال له: يا مولاي لماذا لم تعرف حقي كما عرفه القريب والبعيد ، وتبلغني منك ما أريد؟ فقال: قل لي ما حاجتك حتى أقضيها وأبلغ نفسك وأمانيها؟ وكان شداد يظن أنه يطلب نوقاً يقتنيها أو أبياتاً يسكن فيها. فقال: يا مولاي إني أحب أن تلحقني بك في النسب وتنزع عني عار العبودية بين العرب ، وأنا أكافئك بشيء لا يقدر عليه إنسان وأترك سادات العرب تخدمك في كل مكان ، وأساويك بملوك الزمان! فلما سمع شداد كلام عنترة قال: والله لقد حدثتك نفسك بأمر يحفر لأجله رمسك ، ولقد لعبت خلعة الملك زهير بعطفيك ، ودخل كلامه في أذنيك ، وأردت أن تضعني وترتفع ، وتتركني حديثاً لمن تحدث وسمع ، والله ما بقي لك جواب على هذا الكلام إلا ضرب الحسام. فهان على عنترة الهوان وأحس بالخزي والعار والذل فأنشد معرضاً بقرار يضمره وتحدثه به نفسه وهو مفارقة مضارب بني عبس إلى غير رجعة:-

ذَكَـرتُ صَبابَتي مِن بَعدِ حيـنِ ... فَعادَ لِيَ القَديـمُ مِنَ الجُنـونِ

وَحَنَّ إِلى الحِجـــــــازِ القَلبُ مِنّي ... فَهاجَ غَرامُـــــهُ بَعدَ السُكـــــونِ

ولكن شداد والد عنترة بدلاً من أن يرق لحال ولده ويعطيه حقه كان قد جرد حُسامه. وهجم عليه ففرت العبيد من بين يديه وسمعته زوجته سمية ، فخرجت من الخباء مكشوفة الرأس منشورة الذوائب منزعجة الحواس ، ووقعت على صدر شداد وقبضت السيف بيدها وقالت: "لا أمكنك من قتله لأنني ما أنسى فعاله وما أظنك تنكر صنيعه وأعماله ، وإن كان قد طلب منك شيئاً فإن السكر قد غير عقله". وما زالت بزوجها حتى سكن غضبه ، ثم أدخلته الخباء واضجعته والسكر قد غلب عليه. وأما عنترة فإنه استعظم ذلته واستكبر فعلته واستحيا أن يصبح في أبيات بني قراد ، فقام وقصد أبيات مالك ابن الملك ، ومضى إليه وأمر العبيد أن يستأذنوا له بالدخول عليه ، وكان مالك قد عاد من وليمة أبيه وهو فرحان بما نال عنترة من المرتبة الرفيعة لأنه من أصدقائه ومحبيه ، فلما همّ أن ينام دخل عليه عبده واستأذن بدخول عنترة عليه فاندهش لذلك ، وقال لعبده مُره بالدخول فوالله هذه أبرك الليالي بزيارة عنترة ، والمكان من الرقيب خالي ، فدخل وهو كئيب حزين"! فقال له مالك: "أهلاً وسهلاً ومرحباً ، ثم قربه وأجلسه جانبه وسأله عن حاله ، فحدثه بما فعل أبوه شداد حين طلب أن يُلحقه به في النسب ، وكيف أراد قتله من شدة الغضب ، وأنه لولا سُمية لجرّعه كأس المنية! فقال له مالك: والله يا عنترة لقد جنيت على نفسك بما عملت ، فما الذي حملك على ما فعلت؟ فأطلعني على أمرك ، ولا تخفه في صدرك ، وأنا أبلغ معك في تدبيري غاية الجهد. فاضطرب عنترة عند ذلك بما سمع من كلام مالك وقال: والله يا مولاي ما حملني على هذا إلا الهوى الذي هدد كتمانه مني العزائم والقوى: ولولا تلهب قلبي النيران لما وضعت نفسي في الهوان ، فاعلم يا مولاي أني أحب عبلة بنت عمي مالك بن قراد وهي التي طيرت من عيني لذيذ الرقاد ، وابتلتني بطول العناء والسهاد ، وما طلبت من أبي النسب إلا لكي أتسبب إلى وصالها بهذا السبب ، وألقي نفسي في سبيلها في كل عطب ، لأملأ عين أبيها بالفضة والذهب ، فإما أن أبلغ الأرب أو أهلك على بعض فرسان العرب ، والآن وقد انقطع مني الرجاء ، ولم يبق لي في هذه الأرض مقام إلا مع الوحوش في البرايا والآكام حتى ألقى كأس الحِمام ثم زاد به الأمر فتنهد وبكى. وأنشد مستخدماً أسلوب الرضوخ للواقع بلواعج الأسى ودغاول الجوى:-

سَأُضمِـــــرُ وَجدي في فُـــؤادي وَأَكتُمُ ... وَأَسهَـــــرُ لَيلي وَالعَواذِلُ نُـــــــوَّمُ

وَأَطمَـــعُ مِن دَهـــــــري بِما لا أَنالُهُ ... وَأَلـــــزَمُ مِنهُ ذُلَّ مَن لَيسَ يَرحُـــــمُ

وَأَرجو التَدانـــــي مِنكِ يا اِبنَـــةَ مالِكٍ ... وَدونَ التَدانـــــي نارُ حَربٍ تَضَـــــرَّمُ

فَمُنّي بِطَيـــــفٍ مِن خَيالِكِ وَاِسأَلـــــي ... إِذا عادَ عَنّي كَيفَ بـــــاتَ المُتَيَّـــمُ

وَلا تَجزَعـــي إِن لَـــجَّ قَومُكِ في دَمي ... فَما لِيَ بَعدَ الهَجرِ لَحـــــــــمٌ وَلا دَمُ

أَلَم تَسمَعي نَوحَ الحَمائِـــمِ في الدُجى ... فَمِن بَعضِ أَشجاني وَنَوحي تَعَلَّمـــوا

وَلَم يَبقَ لي يا عَبلَ شَخصٌ مُعَـــرَّفٌ ... سِوى كَبِدٍ حَـــرّى تَـــــذوبُ فَأَسقَمُ

وَتِلكَ عِظـــامٌ بالِياتٌ وَأَضلُـــــــعٌ ... عَلى جِلدِها جَيـــشُ الصُـــدودِ مُخَيِّمُ

وَإِن عُشتُ مِن بَعدِ الفُـــراقِ ، فَما أَنا ... كَما أَدَّعـــي أَنّي بِعَبلَـةَ مُغـــــــرَمُ

وَإِن نـــامَ جَفني كانَ نَومـــي عُلالَةً ... أَقــولُ لَعَـلَّ الطَيـــفَ يَأتي يُسَلِّـــمُ

أَحِـــــنُّ إِلى تِلكَ المَنـــازِلِ كُلَّما ... غَدا طائِـــرٌ في أَيكَةٍ يَتَرَنَّـــــــمُ

بَكَيتُ مِنَ البَيـــــنِ المُشِـــتِّ وَإِنَّني ... صَبورٌ عَلى طَعـــنِ القَنا لَو عَلِمتُـــم

فلما انتهى عنترة من شكواه ، وتصاعدت زفراته تساقطت الدموع على وجناته ، فقال له مالك: أنا أعلم أن عبلة تحتجب عنك اليوم في خِباها حتى لا تراها ، لأن أباها علم أنك تطلب من أبيك أن يُلحقك بنسبه وتطلب الزواج منها ، وخيرٌ لك أن لا تلم بأبياته فلربما ألقاك في بعض المهالك ، ولا تأمن على نفسك بعد ذلك ، والصواب أن تقيم عندي ها هنا حتى أتحدث مع أبي وندبر لك تدبيراً حسناً ، فقال عنترة: والله يا مولاي ما عدت أستطيع أن أقيم في الحي إلى أن تنطفي هذه النار ، ولم تعد لي عين أبصر بها عمي مالك ، وأخوه وولده عمرو والربيع ابن زياد وأخوك شاس. وقطع هو ومالك ساعات الليل في الحديث عن الغرام واستعانا على السهر بشرب المُدام ، إلى أن صار وقت الفجر وكان ضوء النهاء يتنفس فركب عنترة الجواد واعتد من بيت مالك بعدة الجلاد ، وسار حتى بعد عن الأبيات وهو لا يدري إلى أين يذهب من الجهات ، وقد ضاقت عليه المذاهب وغلقت في وجهه كل الجوانب ، وصار يهيم ذات اليمين وذات الشمال بين الروابي والتلال ، إلى تضاحي النهار واتسع البر في عينيه ففاضت دموعه وتهاطلت على خديه وتذكر فعل أبيه وقومه معه بعد ذلك الصنيع الذي صنعه ، فأنشد يقول مستخدماً أسلوب لوم الخصوم وإلقاء اللائمة عليهم:-

أُعاتِـــبُ دَهـــراً لا يَلينُ لِعاتِـــبِ ... وَأَطلُبُ أَمناً مِن صُـــروفِ النَوائِـــبِ

وَتوعِدُني الأَيّـــامُ وَعـــداً يغُرُّني ... وَأَعلَمُ حَقّاً أَنَّهُ وَعـــدُ كـــــاذِبِ

خَدَمتُ أُناســـاً ، وَاتَّخَـــذتُ أَقارِباً ... لِعَوني ، وَلَكِن أَصبَحوا كَالعَقـــارِبِ

يُنادونَني في السِلمِ: يا اِبنَ زَبيبَـــةٍ ... وَعِندَ اصطِدامِ الخَيـــلِ يا اِبنَ الأَطايِبِ

وَلَولا الهَـــوى ما ذَلَّ مِثلي لِمِثلِهِـــم ... وَلا خَضَعَت أُسْـــدُ الفَلا لِلثَعالِـــــبِ

سَيَذكُرُني قَومي إِذا الخَيـــلُ أَصبَحَت ... تَجـــولُ بِها الفُرسانُ بَينَ المَضـــارِبِ

فَيا لَيتَ أَنَّ الدَهـــرَ يُدني أَحِبَّتـــي ... إِلَيَّ كَما يُدنـــــــي إِلَيَّ مَصائِبـــي

ثم إنه سافر في غير مقصد ، وأصبح الحي يموج بحديثه وحديث أبيه شداد ، وشمتت به الأعادي والحساد وقالوا: يا فضيحتنا بين العرب إذا علموا أن العبيد شاركونا في الحسب والنسب. وسمع مالك أبو عبلة هذا الحديث فزاد به الغضب ، وقال: ما بقي لنا غِنى عن قتل هذا العبد. فإذا انتصر له الملك زهير وولده مالك ، وعجزتُ عن ذلك ، قتلت أنا ابنتي عبلة. فلما علم عنترة بمقالة عمه مالك حزن وسيطر عليه الوجوم وأذاقه الجوى كأسه المريرة فأنشد مستخدماً أسلوب التعريض بعبلة إذ حبها سبب في كل هذا:-

أُحِبُّكِ يا ظَلـــومُ فَأَنتِ عِنـــدي ... مَكانَ الـــروحِ مِن جَسَدِ الجَبـــانِ

وَلَو أَنّي أَقولُ مَكـــانَ روحـــي ... خَشيتُ عَلَيكِ بـــادِرَةَ الطِعـــانِ

ومن هنا تجلت لنا شخصية عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي (525 م – 601 م) ، الذي هو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل البعثة (الجاهلية) ، والذي كان قد اشتُهر بين العرب بشعر الفروسية ، وله معلقةٌ مشهورة مطلعها:

هَلْ غَـــادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَـــــرَدَّمِ؟ أَمْ هَلْ عَرَفْــتَ الــدَّارَ بَعْدَ تلـــــوم؟

وهو على ذلك الإباء وتلك الشهامة من أشهر فرسان العرب وأشعرهم ، فهو شاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة ، وقد احتار العلماء باسمه فبعضهم يقول عنتر والبعض الآخر عنترة وذلك بسبب تعدد الفرضيات حول منشأ اسمه كشدة البأس أو للونه الأسود الذي يشبه بعض أنواع الذباب ، لُقب بالفلحاء أيضًا لتشققٍ في شفته. ولأنه وُلد في الجزيرة العربية في الربع الأول من القرن السادس الميلادي ، ووفقًا للأخبار التي تناقلتها العرب عنه فقد شارك في حرب داحس والغبراء ، وعليه حُدد ميلاده عام 525م ، وما يُعزز ذلك الأخبار التي كانت تقول بأنه عاصر كل من عمرو بن معدي كرب والحطيئة وهما أدركا الإسلام. وُلد عنترة من أميرةٍ حبشية يقال لها زبيبة ، أُسرت في هجمةٍ على قافلتها ، وأُعجب بها شدّاد والده ، فأنجب منها عنترة ، بالإضافة إلى أن لديه أخوين عبدين كحاله وهما جرير وشيبوب (أو شيبوبة). وإذا أتينا على ذكر عنترة الشاعر ، سيذكر له في هذا الباب الكثير ، فهو صاحب معلقاتٍ وأشعارٍ عديدة ، ورغم أن حبه لعبلة ابنة عمه هو الذي شكّل جانبه الشعري الأكبر ، لكننا نجد في معلقته الكثير من الصور التي يصف فيها الحرب وبأسه فيها. ولقد ذاق عنترة مرارة الحرمان وشظف العيش ومهانة الدار لأن والده لم ينسبه إليه ليحمل نسبه ، وكان والده هو سيده وكان يعاقبه أشد العقاب إذا ما اقترف خطأً أو زلّة ، وكانت سمية زوجة أبيه تدس له عند أبيه وتحوك له المكائد ، ومن ذلك أنها أثارت عليه والده مرّةً ، وقالت له: "إن عنترة يراودني عن نفسي". فغضب أبوه غضبًا شديدًا وعصفت برأسه حميته ، فضربه ضربًا مبرحًا بالعصا وأتبعها بالسيف ، ولكن سمية أدركتْها الرحمة في النهاية فارتمت عليه باكيةً تمنع ضربات أبيه ، فرقّ أبوه وكفّ عنه. وفي بطولات عنترة يُحكى الكثير ، فهو لم ينل حريته إلاّ لقاءها ، من ذلك أن بعض أحياء العرب أغاروا على قومٍ من بني عبس ، فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون وقاتلوهم عما معهم وعنترة معهم ، فقال له والده: "كُرَّ يا عنترة" ، فقال عنترة: "العبد لا يُحسِن الكَرَّ إنما يحسن الحَلبَ والصَّرَ" ، فقال: "كُرَّ وأنت حُر"! فهمَّ عنترة بهم وأبلى بلاءً حسنًا يومئذ ، فاستحق بذلك أن ينسب إلى أبيه ويحمل اسمه. قيل لعنترة في أحد الأيام هل أنت أشجع العرب وأشدها؟ فقال: "لا" ، فقيل: "فلماذا شاع عنك هذا بين الناس؟" قال: "كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ، ولا أدخل إلا موضعًا أرى لي منه مخرجًا ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة التي يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله". ورغم ذلك ، هذه الآراء تؤكد اقتران الحيلة والحنكة في فن الحرب عند عنترة وأقرانه في عصر السيف والرمح والفروسية. ومن الفروسية إلى الحب والعشق: أحبّ عنترة ابنة عمه عبلة بنت مالك حبًّا شديدًا ، وكانت من أجمل نساء قومها وأبعدهم صيتًا في اكتمال العقل ونضرة الصبا ، ويقال إن أكثر الأشياء التي أعاقت هذا الحب هو صلف عمه مالك ، وأنفة ابنه عمرو. تقدم عنترة إلى عمه مالك يخطب ابنته عبلة ، ولكنه رفض أن يزوج ابنته من رجلٍ أسود. ويقال: إنه طلب منه تعجيزًا له وسدًا للسبل في وجهه ألف ناقةٍ من نوق النعمان المعروفة بالعصافير مهرًا لابنته ، ويقال: أن عنترة خرج في طلب عصافير النعمان حتى يظفر بعبلة ، وإنه لقي في سبيلها أهوالاً جسامًا ، ووقع في الأسر ، ثم تحقق حلمه في النهاية ، وعاد إلى قبيلته ومعه مهر عبلة ألفًا من عصافير الملك النعمان. ولكن عمّه عاد

يماطله ويكلفه من أمره شططًا ، ثم فكر في أن يتخلص منه ، فعرض ابنته على فرسان القبائل على أن يكون المهر ، لكن النهاية الحقيقية بقيت طي الكتمان بالنسبة للمؤرخين العرب ، ولم تعرف الحقيقة وإنما اقتصرت على بعض الفرضيات. ولقد تزوّج بثمانيةِ نساء زيجاتٍ مُؤكّدة ، ومن زوجاته: الهيفاء ومريم ودر ملك ، وفي رواياتٍ أخرى يُقال أنّه تزوّج تسعَ نساءٍ كانت منهنّ عبلة بنت مالك. رُزِقَ بأكثر من عشرة أولاد مُعظمَهُم إخوة غير أشقّاء ، منهم: جار المعلم وزيدان وميسرة والغضنفر والجوفران وعنيترة. ومن أبرز قصائد عنترة بن شداد التي تنوعت فيها الأسلوبيات ما بين الشجاعة والفروسية والحب والعشق واللوم والعتاب والفخر والاعتداد بالنفس! ومن أشهرها "معلّقة عنترة بن شداد" ، وقصيدة "سلي يا عبلة الجبلين عنا" ، وقصيدة "أتاني طيف عبلة في المنام" ، وقصيدة "هذه نار عبلة يا نديمي" ، وقصيدة "عفت الديار وباقي الأطلال" ، وقصيدة "قف بالمنازل إن شجتك ربوعها" ، وقصيدة "إذا كشف الزمان لك القناعا" ، وقصيدة "إني أنا عنترة الهجين" ، وقصيدة "هديكم خير أبا من أبيكم". ولطالما كانت حياة عنترة الشخصية هي الجزء الأكبر والأهم في شهرته ، حيثُ اشتُهِرَ بحبّه لابنة عمه "عبلة بنت مالك" ونظّمَ فيها أجمل قصائد الغزل والحب والعتبِ أحيانًا ، إلا أنّنا إذا أردنا الخوض في حديث زواجهما أو ارتباطهما الرسمي فسنجد تناقضاتٍ في العديد من المصادر والمراجع والأحاديث المنقولة. ففي الروايةِ الأولى ؛ نُقِلَ أنّ عنترة بن شداد تزوّجَ عبلة بنت مالك إلا أنّه لم يُرزَق منها بأولاد ، فتزوّج وعاشرَ ثماني نساءٍ أخريات ورُزِقَ منهنّ بأكثرِ من عشرةِ أولاد ، وجميع هذه الزيجات لم تؤثّر بحبه لعبلة أو تعلّقه فيها. أمّا الرواية الثانية ؛ فتقول أنّ عنترة لم يحظَ بفرصة الزواج من عبلة ، وتزوّج الزيجات المذكورة سابقًا وأنجبَ أولاده وظلَّ يحبّ عبلة حتّى وفاته ، أمّا عبلة فقد أُجبِرَت على الزواج من أحد فرسان القبيلة! يقول الأستاذ الأديب أيمن عبد السميع وتحت عنوان يتساءل معنا فيه: (هل كانت أم عنترة سنداً له فى نيل حريته؟) ما نصه: (من أسماء الأمهات التى خلدتها الحكايات الشعبية في التاريخ العربي ، على سبيل المثال لا الحصر ، بلقيس ملكة سبأ ، والزبَّاء ملكة تدمر ، والأميرة خضراء الشريفة بنت الأمير قرضاب حاكم مكة ، وزبيبة أم عنترة بن شداد العبسي. واهتمت السير الشعبية بشخصية أم البطل الشعبي ، لأنها تكون غالباً نقطة انطلاقه نحو مستقبله الذى سيعيشه ، فهل كانت الأم في هذا السياق تمثل قيداً على مسيرة ابنها بطل السيرة الشعبية ، أم سنداً له؟ وفي «إلياذة العربي» ، سيرة «عنترة بن شداد العبسي» ، تحتشد بأفكار شديدة الثراء ونتائج لافتة للنظر ، كما أنها من أهم السير الشعبية العربية التى مازالت حية إلى يومنا هذا. و«زبيبة» الجارية السوداء (أم عنترة) أو «تانا» ابنة «ميجو» ، هي سيدة حُرة حبشية ، أخذتها قبيلة بني عَبس أسيرة في إحدى غزواتها ضد بني جُديلة ، وتنازل «شداد العبسي» عن نصيبه في غَنيمة الغزوة في مقابل حصوله عليها هي وولديها «جَرير» و«شَيبوب» ، وكانا طفلين وقت أسرهما ، وألزمهما برعاية أغنامه وإبله ، وفي صراع مع حياة الأسر والظروف الغبراء ، ولدت زبيبة طفلها «عنترة» من سيدها «شداد» ، وجاء جسده حالك السواد فَتنكَّر له أبوه اشداد ، لسواده ، وشبَّ عنترة بين أخويه في رعي الغنم ، وضاعت منزلته بين أقرانه لسواده ، وكان اسمه منذ ولادته عنترة بن زبيبة! و«عنترة» في اللغة هو المَثل الذي يُضرب للشجاعة ، كما اشتق لسان عامة الشعب منه مفردات كثيرة التى تتصل بهذا المعنى عن قريب أو عن بعيد ، فالشخص القوى يصفونه بـ «المُتعنتر» ، والحِمل الثقيل الذى لا يقوى على حَمله إلا من أوتي قوة عنترة يُطلق عليه «حِملٌ متعنتر» ، كما أن لِباس النساء الذى يُبرز ثدى المرأة ويقويه يسمى «عَنتري». وكانت «زبيبة» حجر عَثرة فى حياة «عنترة» ، ابنها المغلوب على أمره. ففي الفصل الثاني من رواية «أبو الفوارس عنترة» ، للأديب «محمد فريد أبو حديد» ، حدَّث

عنترة أخاه «شيبوب» وهو يغرس رمحه بحنق في الرمال: إنها أمي التي قذفت بي إلى هذه الأرض لأرعى إبل شداد ، ولأحميها من الذئاب. أمي زبيبة ، قذفت بي إلى بني عبس ، لأحارب من أجلهم ، وأحوز لهم الغنائم ، ثم ينظرون إليّ بمؤخر أعينهم قائلين: هذا ابن زبيبة السوداء ، هذا عبد شداد! إنها الغُصَّة والمرارة في حلق عنترة وهو يحاور أمه متبرماً من حياته التي يعيشها تحت العبودية: امسكى أيتها المرأة دموعك ، التي تسحر قلبي ، فأجيبي سؤالي «أأنا ابن شداد حقاً؟» فترد الأم بين شهقاتها: «إنك ابن شداد يا ولدي. وما كنت يوماً أكذبك ، لحظتها دموع عنترة وقال بصوت مخنوق ، وراح يمسح بحنو على رأس أمه: «لا عليك يا أمي فقد قسوتُ عليك». ونتيجة لصراع النفس البشرية مع الحقيقة الواقعة ، اعتبر عنترة أمه «زبيبة» المُعَوِقَة في مسيرة حياته ، لكن الحقيقة ان المسكينة زبيبة لم تختر لون بشرتها ، ولا رحَّبت بالأسر تحت رحمة العبودية لسيدها شداد ، كل هذه الظروف ألجمتها عن المقاومة ، وجعلت منها طائراً مكسور الجناح ، تقبلت العجز والهوان ، لكن تمرد ابنها البطل فك رباط لسانها فتكلمت ، وراح البطل العبسى يعبر عن مشاعره الجيَّاشة ، وكشَّر عن أنيابه ، وتحرَّق لنيل حقوقه الإنسانية باعتراف والده بنسبه. وفي النهاية نجد أن زبيبة ساندت موقف ابنها الفارس المغوار ، الذي ملأ أصقاع الأرض بقدراته الحربية التي لا تضاهى ، وكانت أمه تشجعه وتذكره دوماً بحقه في اسم والده شداد ، كما أرضعته تمردها ، وسخطها على حياة العبودية ، وشجعت على ترعرع علاقة الحب الطاهر بينه وبين معشوقته «عبلة» ابنة عمه منذ طفولته ، وعبلة كانت ترمز للتحرر).هـ. ونحن في قراءتنا الأسلوبية لشعر الشاعر العاشق والفارس المغوار عنترة بن شداد ، ذلك الفارس الشجاع ، و أحد أشهر شعراء العرب ، وقبل أن نتطرق لسيرة هذا الشاعر ينبغي أن نبين كيف نشأ عنترة عبداً راعياً ، وتلك عادة جاهلية أصيلة ، فأبناء الإماء لا ينسبون إلى آبائهم إلا إذا أثبتوا بسالة وبطولة ترفع قدرهم ومنزلتهم ، وقد عاش عنترة يحارب عبوديته آملاً في الحرية والشرف الرفيع! وكان ابن شداد قوي الهيئة ، حاد البصر ، يصرخ فيبث في قلوب خصومه الرعب ، ولهذا بالرغم من كونه عبدا فقد كانت له هيبة وقوة ، فلا يستطيع الناس أن يعتدوا عليه. وحدث ذات يوم ، أن أغارت إحدى القبائل على عبس وسرقت إبلهم ، فهرع شداد إلى عنترة حيث كان مستلقياً على هضبة يشاهد ما يحدث ، فدعاه أبوه إلى أن يدافع عنهم ، فقال جملته المشهورة: العبيد لا تحسن الكر والفر ، بل تحسن الحلاب والصر! عندها أدرك أبوه منزلة وقدر عنترة فوعده أن يمتعه بحريته ويفخر به ، عندها انطلق عنترة كسهم يشق غبار الظلمة الحالكة بنور الخلاص والشجاعة والإقدام ، فقهر العدو بكل قوة ، وتمكن من استرداد الإبل ، فأضحى عنترة فارس عبس المغوار ، الذي يدافع عن حمى قبيلته ، بسيفه القاطع. وما إن عرف عنترة بالشجاعة والإقدام ، حتى صارت شهرته تبلغ القاصي والداني ، فأضحى قائدا لكتائب عبس ، يدافع عن معاقلها ، ويغزو أعدائها. لكن الحدث الذي سيقلب حياته ويجعل سيرته على الألسنة ، هو بسالته الشديدة في حرب داحس والغبراء الشهيرة ، حيث أبلى شجاعة منقطعة النظير ، وأثبت لقومه بل للقبائل والملوك ككل أنه الفارس الأسود الذي يتحدى بسيفه سواد الليل ، وأنياب الأسود ، بل وأعتى الشدائد والكرب. لكن بالرغم من كل هذا ، إلا أن حساده كانوا دائما يعايرونه بسواده وعبوديته ، وفلح شفته (تشققها) ، مما سبب له ألما لازمه طوال حياته ، كعادة الشعراء العشاق ، أحب عنترة بنت عمه عبلة ، وقاسى العذاب والشدائد في حبه مثلما قاساه في حروبه ، بل أشد. ومن جملة هذه المصاعب أن عمه كان يأبى من عبدٍ أسود أن يطمع في الزواج من ابنته الشريفة الأصل ، ذات النسب والعفة. فظلّ عنترة يناجي عبلة بأشعار عذبة رقيقة ، يستعرض فيها شجاعته وبطولاته ، وبأنه يستحق أن يفوز بقلبها ويحكي شغفه وتعلقه بها ، وذلك في أبيات تنمّ عن كرامة نفس وأخلاق قلما تميز بها شاعر آخر. وعموماً

اختلف الرواة في نهاية قصة عنترة وعبلة ، فمنهم من يقول بأن عم عنترة طلب منه 1000 ناقة مهراً لابنته ، وقد تمكن عنترة من ذلك بعد أن واجه الأهوال والصعاب ، فتاه في الصحاري ، وأسر عند الملك النعمان ، وفي النهاية تزوجها. بل وتتعدى الروايات ذلك إلى أن عنترة اتخذ أكثر من زوجة ، لكن حسبنا هنا أن نأخذ فقط من المصادر الحيادية الصريحة ، أمثال شوقي ضيف وحنا الفاخوري وغيرهم ممن تحدثوا عن تاريخ الأدب العربي ، أنهم لم يذكروا نهاية قصة العاشقين ، واكتفوا بذكر أن عنترة ضل طوال حياته يتغزل بعبلة وينشد شعراً فيها. وفي ذلك يقول الدكتور والمؤرخ حنا فاخوري : " ومما زاد عنترة ألما أنه أحب ابنة عمه عبلة ، فنفرت منه ونفر بها ذووها لظواهر الشاعر – سواد وفلح شفته – ثم لكونه غير أصيل في عروبته من جهة أمه. فقضى عنترة حياته يسترضي ابنة عمه ، ويتحبب إليها بذكر مآتيه العظيمة من شجاعة ، وفصاحة ، وكرم أخلاق ، مما يغطي سواد جلده وشوائب نسبه. اشتهر عنترة بشعر الحماسة والفخر ، ولا عجب في ذلك ، فنحن نقف أمام فارس مقدام يحق له أن يفخر ويزأر كأسد مقبل في بيداء موحشة. كما عرف شعره أبيات جميلة من الغزل العفيف بمحبوبته عبلة ، إذ لم تخلو أي قصيدة من التغني بها ، لكن أشهر ما في شعر عنترة معلقته الخالدة التي مطلعها:

(هل غادر الشعـــــراء من متردم؟ أم هل عرفت الدار بعد توهـــــم؟)

على أمواج البحر الكامل نظم عنترة معلقته الميمية ، والتي يبلغ عددها نحو 79 بيتاً – حسب قول المؤرخين – والباعث على نظمها أن رجلا عاير عنترة بسواده ، وسواد أمه وإخوته ، فأخذ عنترة يحاججه بمكارم أخلاقه وشجاعته ، فطال بهما الحديث حتى قال له الرجل : "أنا أشعر منك". فأجابه عنترة وقال: "ستعلم ذلك". ثم أنشد معلقته مفصلاً فيها مفاخره. على نهج شعراء عصره بقي عنترة وفيا للقاعدة الشعرية الراسخة ، والتي تقوم على الوقوف على الأطلال ، ووصف النياق ، والفخر والغزل ، وهذا ما سيعاينه المطّلع على القصيدة ، حيث يستهل عنترة معلقته بالوقوف على الديار وذكر الأحبة ومعزة الصحبة ، ثم يذكر محبوبته عبلة ويحسن وصفها ، وبعدها ينتقل إلى وصف الناقة ، لينتقل إلى غرض القصيدة وموضوعها الأساسي وهو الفخر!

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَـــــواءِ تَكَلَّمـي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَـةَ وَاسلَمي

فَوَقَفتُ فيها نـاقَتـــي ، وَكَأَنَّهـــا فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَـــةَ المُتَلَـــوِّمِ

فيتغنى شاعرنا بكرم أخلاقه ، وأصالة طبعه وشرفه ، وسخاء يده وعطائه فهو القائل: "إني لأحتضر البأس ، وأوافي المغنم ، وأعف عند المسألة ، وأجود بما ملكت يدي! ثم يبرع في وصف شجاعته في الحروب التي خاضها ، وكان البطل الدائم فيها ، كما يصف فرسه واحترامه له وعطفه عليه.

إنْ تغدفي دوني القنـــاع ، فإنني طبٌّ بأخـــذ الفارس المستلـــئم

أثني عليَّ بما علِمْتِ ، فإننـــــي سمحٌ مخالقتي ، إذا لم أظلـــــم

وإذا ظُلمْتُ فإنَّ ظُلميَ باســـــلٌ مـــــرٌّ مذَاقَتهُ كَطعم العَلْقـــــم

هَلّا سَأَلتِ الخَيلَ يا اِبنَـــــةَ مالِكٍ إن كُنتِ جاهِلَـــةً بِما لَم تَعلَمـــي

تألم عنترة لأنه كان مستعبداً وهو الحر ، وأسود البشرة وهو الأبيض السريرة ، ومحسوداً تهزأ به قبيلته وهو الكريم النفس ، ومحروماً وهو المحب الخالص المحبة والعفيف في محبته. وقد رافقه الألم طوال حياته يعمل في عقله فيزيد أفكاره شخصية وابتكارا ، ويعمل في خياله فيصفيه ، ويعمل في قلبه فيرقق عاطفته ، ويعمل في كلامه فيسهل ألفاظه فيبعث فيها موسيقى لطيفة الأنغام. وأكثر ما يتجلى في شعر عنترة الغنائي غرض الغزل . فغزله يصدر من قلب متيم بحب عبلة حبا شريفا وشديدا جدا ، وهو لا يرغب في سواها ، وهي عالمة بهذه الرغبة الملحة الأمينة. كما نجد أن الشعر الملحمي طاغيا في شعر وشخصية الشاعر ، حيث أراد أن يسكت حساده ، ويملأ عين عبلة فتنسى لونه وما يرميه به خصومه ، فأشاد بأمجاده في ساحات القتال وحسن بلائه في حرب داحس والغبراء. لذا نجد أن أسلوب الملاحم هو أبرز أسلوب شعري يتميز به شعره ، فهو يبدو في حماسياته وفخرياته ذا نفس ملحمي يتجلى في الوصف والقصص وفي الجو الذي يخلقه خيال الشاعر ، كما يتجلى في موسيقاه الشعرية وألفاظه الشديدة التأثير. لقد كان الفارس الشجاع ، والشاعر البارع مثالا للشخصية الفذة التي تملك عزة وأخلاقاً قلما تميز بها شاعر آخر ، وهو بعكس الشاعر الماجن امرؤ القيس ، كان رجلاً عفيفاً مؤدباً ، ويتحاشى كل مواطن اللهو والدنس ، ولا يتحرش بالنساء ، وفي ذلك يقول:

وأغض طرفي ما بـــدت لي جارتي حتى يـــواري جارتـــي مأواها

وهو الشاعر العاشق الذي يحمل في قلبه حباً عفيفاً طاهراً لحبيبته عبلة ، وبأنه يرغب بها بكامل جوارحه وعواطفه وسكنات قلبه ، فيقول:

ولئن سألت بذاك عبلة خبـــــرت أن لا أريـــد من النســـاء سواها

هذا العشق الذي جعل الشاعر يتألم ويتجرع العلقم ، لما تعرض له من الصد والهجران من عمه ، فكانت عبلة سهلا ممتنعا يجابه عنترة لأجله الأهوال ، ويبكي مرارة الفراق فتسيل أدمعه بكلمات رقيقة حارقة:

وقد أبعدونـي عن حبيـــب أحبـــه فأصبحت في قفر عن الأنس نازح

ويقول أيضاً:

أعاتب دهـــراً لا يلين لناصـــــــح وأخفي الجوى في القلب والدمع فاضحي

وهو الشاعر الأبيّ الذي يعتز بشجاعته وبسالته في ساحات القتال ، وهي رسالة يوجهها لكل حاسد ينتقصه لأجل سواد لونه ، فيقول:

إن كنت في عدد العبيـــد فهمّتـــي فوق الثريـــا والسِمـــاك الأعـــزل

وبذابلي ومهنـــــدي نلـــت العلا لا بالقرابـــة والعديـــد الأجـــزل

ولقد أضحت أسطورة الفارس عنترة تجري على الألسن ، وتروى على الكتب ، فنسجت عنها روايات وملحمات كلاسيكية تجسد شحصية الفارس الأسود الذي يتحدى بسيفه كل شديد وصعب ، ويقدم من أجل حبه ما يعجز أي إنسان على الإتيان به. وإلى جانب ذلك فقد كان أحد فرسان الشعر الجاهلي ، ومن أصحاب

المعلقات السبع الخالدة في ديوان الشعر العربي ، فكانت سيرته تمتد في كل زمان ومكان).هـ. وهناك أسئلة تتردد كثيراً ، والناس فيها بين متحقق متبين متثبت وحاطب ليل! منها على سبيل المثال: هل ورد حديث صحيح في فضل عنترة بن شداد؟ هل صح ورود حديثٍ شريفٍ عن فضل عنترة بن شداد ، وفيه أنه اجتمعت فيه صفات الرجل المسلم؟ هل تمنى النبي – صلى الله عليه وسلم رؤيته لغضه لبصرع عن جارته؟ ولقد أجاب عليها - بكل تحقق وتثبت وروية وحيدةٍ وموضوعيةٍ - الأستاذ الفاضل محمد المنجد فقال ما نصه: (يقول الزركلي في ترجمة عنترة: هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة ، سرى إليه السواد منها! وكان من أحسن العرب شيمة ، ومن أعزهم نفساً ، يوصف بالحِلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعذوبة. وكان مغرماً بابنة عمه "عبلة" ، فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر ، وشهد حرب داحس والغبراء ، وعاش طويلاً ، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي. ينسب إليه "ديوان شعر" أكثر ما فيه مصنوع. و"قصة عنترة" خيالية يعدها الإفرنج من بدائع آداب العرب ، وقد ترجموها إلى الألمانية والفرنسية ، ولم يعرف واضعها. وللمستشرق الألماني (توربكي) كتاب عن "عنترة" طبع في هيدلبرج سنة 1868 م ، ولمحمد فريد أبي حديد "أبو الفوارس عنتر بن شداد" ولفؤاد البستاني "عنتر بن شداد".هـ. الأعلام 91/5. ولم يرد في كتب السنة والآثار – فيما علمنا - أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنترة بن شداد العبسي (المتوفى سنة 22 قبل الهجرة) في حديثٍ واحدٍ ، ومع ذلك وجدنا بعض الناس ينقلون أن النبي صلى لله عليه وسلم يقول: (لم أسمع وصف عربي أحببتُ أن أقابله أكثر من عنترة)! ولكن هذا أيضا لا أصل له ، فلا تجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز التحديث به إلا على وجه الرد والتضعيف).هـ. وهناك سؤال يفيدنا كثيراً في قراءتنا الأسلوبية تلك وهو: هل كان حب عنترة لعبلة مزيفاً؟ وفي معرض الجواب على هذا السؤال يقول الناقد الأديب الأستاذ عماد البليك ما نصه: (دائما ما رويت قصة حب عنترة وعبلة من وجهة نظر واحدة بوصفها قصة الهيام الخالد والإخلاص الكبير الذي يبديه كل طرف للآخر ، ساعة يكون مفهوم الحب تجرداً وغاية في التسامي الروحي والشغف الإنساني والوله. وقد دخلت هذه القصة التاريخ الإنساني ، العربي بالتحديد.. كعلامة على العشق الكبير شأنها كقصة قيس بن الملوح وليلى، وروميو وجوليت على المستوى العالمي، وغيرها من القصص. لكن الحقيقة التي ربما تصدم الكثيرين أن عنترة بن شداد ذلك الفارس المغوار الذي أحبته عبلة ربما لم يكن مخلصا لها كما ينبغي. فالرجل قد خانها وهو في ذروة حديثه عن الحب والهيام والفتنة، ومع ثلاثين امرأة ، بل كان قد تزوج من بعضهن بشكل معلن. فهل يا ترى كان لعنترة فلسفة خاصة في هذا الحب الذي يشغف بأكثر من امرأة، في حين كان اهتمامه الأساسي بامرأة واحدة فقط؟ بالنسبة للفترة التي عاش فيها عنترة فهو من مواليد 530م على الأرجح، وتشير العديد من النصوص إلى أنه عاصر الشاعر عروة بن الورد الذي عاش في الفترة نفسها. بحسب الرواية المتوارثة ، ظل عنترة منبوذاً عن القبيلة إلى أن بلغ الشباب وقاتل ببسالة دفاعاً عن قومه فتم الاعتراف به وتحرر من العبودية التي ينظر بها الناس إليه ، ليصبح حراً ومن ثم يحب ابنة عمه عبلة بنت مالك ذات الحُسن والصيت ، وراح يدبّجُ القصائد في جمالها وهيامه بها ، وأن حبه لها أفنى عظامه. وكتب المعلقة الشهيرة ضمن المعلقات السبع في عصر ما قبل الإسلام. وإذا كان عنترة قد خاض عشرات المعارك مع القبيلة ليحرر نفسه ويحقق الفوز، فإن المعركة الأشرس كانت من أجل عبلة حتى ظفر بها حبيبة وزوجة. ذلك لأن شقيقها وزوج أختها المسماة "مروة" تآمرا عليه. لكنه كسب معركته بعد أن استجاب لطلب والد عبلة بأن يحضر مائة من

"النوق العصافير" وهي نوع من الإبل النادرة، وكان أمرا تعجيزيا استطاع عنترة بحسب "الأسطورة" المتداولة أن يقهره ويأتي بهذه النوق التي لم يكن يملكها سوى ملك العراق النعمان بن المنذر، وهنا جاءت الاستجابة لطلب الزواج رغم أنف الرافضين. بعد الزواج بدأت قصة الخيانة المعلنة ، فعبلة كانت تعلم بما يفعله عنترة ، رغم أنه استمر في تدبيج القصائد. كان ذلك الشغوف بالنسبة للمجتمع يظهر الآن بوجهه الحقيقي. صحيح أن الرجل يمكن أن يتزوج كثيراً ويمتلك الجواري ولكن الحبيب الحقيقي لا يفكر بسوى امرأة واحدة. فماذا كانت ردة فعلها؟ كان أن مضت ستة أشهر على الزواج دون حمل.. عبلة لم تحمل ، وهي الزوجة التي تحلم بأن تكون أماً وتنجب من فارس أحلامها كما أن عنترة هو الآخر يريد أن يرى نسله. تقول الحكاية: هنا لعب الشيطان برأس الفارس عنترة الذي كثيرا ما يذهب للحروب لأنه بطل القبيلة فراح وتزوج من ثماني نساء، دون أن تتكلم عبلة أو تعترض. وإن كان لأحد أن يشكك في ذلك فهو على أي حال قد ورد في السيرة المتناقلة عن عنترة كما ذكرت أسماء هؤلاء الزوجات، ومنهن واحدة كانت أميرة في بلاط قيصر الروم اسمها مريمان ، تزوجها عنترة بعد أن حرر أحد فرسان الروم ، وعبلة تظل في القلب. لكن زواج عنترة وتلاعبه مع النساء جهراً وسراً ، لم يمنعه من الهيام بعبلة التي كان يعود لها من فترة لأخرى وبعد كل معركة. وقد كانت عبلة متأكدة أو تتوهم – لا أحد يدري تماماً - أنه لا يحب غيرها وأن حلمه من وراء كل هؤلاء النساء إنجاب الذرية. وبالفعل فقد أنجب ولدين على الأقل من كل امرأة تزوجها. ولهذا فقد ظلت عبلة تقول: "لو ملك عنترة مائة امرأة ما يريد سواي ، ولو شئت رددته إلى رعي الجمال". قد نكون بحسب الرواية متأكدين من حب عبلة لعنترة.. لكن هل كان عنترة يحب عبلة حقاً؟ أم أنه حب مزيف؟).هـ. منازل الطين في عيون الجواء تتنفس شعر عنترة بن شداد. بلدة عيون الجواء القديمة التي تقع في الشمال الغربي من منطقة القصيم على بعد حوالي 30 كلم عن بريدة، تفوح برائحة البطولة والتراث عبر شعر عنترة بن شداد الذي ذكر الجواء كثيراً في شعره وفي معلقته الشهيرة. وحينما تقودك قدماك نحو البيوت الطينية في البلدة التراثية في عيون الجواء فإن شعر عنترة بن شداد الذي يذكر فيه الجواء سيكون حاضرا في ذاكرتك، فالكل يحفظ بيته القائل:

يا دار عبلـــة بالجـــواء تكلمـــي وعمي صباحـــاً دار عبلـــة واسلمي

بلدة عيون الجواء أو الديرة القديمة تتميز بتخطيط عمراني فريد يعتمد على الصداقة مع البيئة والمحافظة عليها ، إضافة إلى أن التخطيط العمراني لهذه البلدات التراثية يعتمد على التواصل الاجتماعي الحقيقي عبر الشراكة في كل شيء ، وذلك من خلال المنازل التراثية القريبة من بعضها بعضاً ، وهو ما يجعل الجيران متشاركين في كل شيء. والدكتور عيد اليحيى الباحث في خطى العرب ومقدم البرنامج على شاشة "العربية" يشير إلى أن بلدة عيون الجواء التراثية تعد إحدى أميز البلدات التراثية التي أقيمت على طرازها المعماري القديم بالشراكة بين البلدية وهيئة السياحة لإعادة الترميم لهذه البلدة التي لم تنته مراحل التجديد والبناء. وقال اليحيى إن البلدة لها تاريخ مميز بالتجارة الحديثة والقديمة عبر ورود "العقيلات" لها سابقاً عندما كانوا ينقلون تجارتهم نحو الشام ومصر عبر وصول الحملات لتلك المواقع. من جانبه ، يرى المهندس صالح الضالع رئيس بلدية عيون الجواء والمشرف على ترميم الديرة القديمة بعيون الجواء أن اهتمام المجتمع المحلي بهذا الموقع كان دافعا للبلدية لإعادة الحياة له والتجديد من جديد لهذا الموقع. وبين الضالع أنه تم الانتهاء من المرحلة الأولى للموقع ، وهو جاهز لإقامة الأنشطة والفعاليات وإقامة الاحتفالات ومناسبات الأعياد في تلك المواقع ، متوقعاً أن يتم البدء في المرحلة الثانية ، وهي تجهيز

المنازل والبيوت المحيطة ببعض المواقع في الديرة القديمة. قال الدكتور أحمد بلبولة ، أستاذ الأدب بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، إن شخصية عنترة بن شداد هي إحدى الشخصيات التاريخية التي يفخر بها التاريخ العربي ، لأنه كان مبدعا في كل المجالات التي خاضها ، كشاعر أو فارس أو عاشق أبدع في كل تلك الفنون ، لافتاً إلى ضرورة أن يقرأ الشباب سيرة الفارس عنترة بن شداد ويقفوا على بطولاته. وأضاف أستاذ الأدب العربي ، خلال لقائه مع الإعلامية «قصواء الخلالي» أن عنترة بن شداد كان بطلاً ملحمياً ينتمي إلى الجيل المتأخر من الشعراء الذين استلهموا التراث ، مشيراً إلى أن العديد من المشاهد في شعر عنترة بن شداد تدل على أن شخصية «عبلة» في شعره غير حقيقية ومستوحاة من خياله. وأوضح أن شعر عنترة قدم «عبلة» على أنها محبوبة صغيرة وفتاة كبيرة ، وأم ، وقدمها على أنها من قبيلة بينها وبين قبيلته معارك وحروب ، وبعض الكتابات قدمتها على أنها ابنة عمه أو من قبيلته ، وهو ما يدعم فكرة أن شخصيتها مستوحاة من خياله في أشعاره).هـ. وعن شعر عنترة بن شداد في الحرب تقول الأستاذة الأديبة ليلى جبريل ما نصه: (شعر عنترة بن شداد في الحرب ما من أحد يجهل عنترة بن شداد سواء كان متعلمًا أم جاهلاً ، فقد كان من أشهر شعراء العرب في العصر الجاهلي ؛ نظرًا لتكريس شعره لحب عبلة ، وقد تحاكت به العرب قديمًا ، بل ومازالت سيرته على الألسنة حتى الآن. لضراوته غير المعهودة وتضحيته فداءً لقبيلته ، وعلى الرغم من أنه كان عبدًا إلا أنه أصبح من أصحاب الأمجاد التي تحاكت بها القبائل ، ولهذا يجدر بنا معرفة نبذة عنه وعن نشأته وحبه لعبلة، وبسالته في الحروب. من عنترة بن شداد؟ اشتق اسم عنترة من ضرب من الذباب ، وكان الأقدمون يجهلون اسمه الحقيقي ، عما إذا كان عنتر أم عنترة ، ولكنهم كانوا ينادونه بعنتر بناءً على ما يقوله في شعره:

يدعُونَ عنتـــرُ والرّمـــاحُ كأنّها أشطـــانُ بئر في لبَـــان الأدهـــمِ

وفي قول آخر:

ولقد شفَى نفسي وأبـــرَأ سُقمها قيل الفَـــــوارس ويك عنتر أقدمِ

معنى اسمه يتمثل في الشجاعة في الحرب، وكانت هذه من صفات عنترة؛ لهذا احتار الأقدمون في كون عنترة اسمًا له أم لقبًا. ولُقب عنترة بالفلحاء وجاءت من الفلح ، أي الشق في شفتيه السفلى ، كما كان يُلقب بأبي الغلس. لسواده الذي كالغلس والذي ورثه عن أمه زبيبة الحبشية ، وكُني بأبي الفوارس ؛ لفروسيته. شاهد أيضًا: موضوع تعبير عن شعراء المعلقات ميلاده ونشأته وُلد عنترة بن شداد في ربع القرن السادس الميلادي الأول في شبه الجزيرة العربية في منطقة نجد. واشترك في حروب كثيرة ، مثل: حرب الغبراء وداحس ، وكانت أمه أمة تسمى زبيبة من الحبشة. أحبها سيدها شداد وكان من عبس وأنجب منها عنترة ، وكان لعنترة أخوان من أمه هما: شيبوب وجرير. وكان عنترة عبدًا كأمه ؛ لأنه على عادة العرب لم يكونوا يعترفون ببني الإماء إلا إذا امتازوا عليهم بشاعرية أو بطولة وما إلى ذلك. نسب عنترة هو عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة، وقدقيل أنه عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. صفات عنترة بن شداد كان عنترة يختلف عن بقية أقرانه ولا عجب في ذلك ، فقد وُلد لأب عربي سامي ، وأم حبشية حامية. فتميز بضخامة حجمه وكبر شدقيه وشدة وقوة منكبيه ، وكان له وجه عابس وشعر متلفلف ، فقد كان يشبه أبيه

شداد. ذكر المؤرخون صفات عنترة التي تتجلى في رقة قلبه ، ورغم الحياة القاسية التي عاش فيها وعانى منها إلا أنه يتميز بقوة عاطفته ونقاء نفسه. وإضافة إلى ذلك فقد اجتمعت كل صفات الفروسية فيه ، فقد أظهر شجاعة لا مثيل لها. وظهرت ضراوته في حرب الغبراء وداحس بقوة ، وقد كان هذا تعويضًا له لما عاناه في حياته من العبودية والدونية ؛ بسبب لونه الأسود. حياة عنترة في العبودية تعرض عنترة في حياته إلى ضيق العيش والذلة والمهانة وذاق أنواع العذاب ومرارة الحرمان ، فقد كان سيده هو أبوه الذي يعاقبه عقابًا ليس فيه هوانًا، فقد كان يعاقبه على أبسط زلاته وكانت سمية زوجة أبيه تزيدها اشتعالاً. فكانت تدس له المكائد دسًا، وفي مرة قالت لأبيه: "إن عنترة يراودني عن نفسي" ، مما أدي إلى غضب أبيه بشدة وأوسعه ضربًا مبرحًا وأنهال عليه بالسيف. ولكن أدركت سمية خطورة الموقف واستردت رحمتها وكفت أبيه عنه، فقد شهد حرب الغبراء وداحس، كما أنه لعب دورًا عظيمًا في تلك الحرب. فقد أثبت ضراوته وفروسيته وأتعب الأبطال المشاركين في الحرب. كما كان لهذه الحرب الفضل في التخلص من عبوديته واعتراف أبيه بنسبه. نظرًا لمحاربته بشجاعة ووقوفه بجانب قبيلته، فنال الشرف والفروسية والضراوة. كما نال حب عبلة وتزوج بها بعدما جمع نوق النعمان مهرًا لها. شاهد أيضًا: بحث عن عنترة بن شداد مع المراجع ومن شعر عنترة في الحرب يصف فيه شجاعته: أَنا في الحَربِ العَوانِ غَيرُ مَجهولِ المَكان أينما نادى المنادي في دجى النقع يراني وَحُسامي مَع قَناتي لِفِعالي شاهِدانِ أَنَّني أَطعَنُ خَصميوَهوَ يَقظانُ الجَنانِ أسقه كأس المنايا وقراها منه داني أ شعِلُ النارَ بِبَأسيوَأَطاها بِجِناني إنَّني لَيثٌ عَبوسٌ لَيسَ لي في الخَلقِ ثاني خلق الرمح لكفي والحسام الهندواني ومعي في المهد كانا فوق صدري يؤنساني).هـ. كان عنترة شاعرًا مجيدًا فصيح الألفاظ ، بيِّن المعاني نبيلها. كان كأنما الحماسة أنزلت عليه آياتها. وكان رقيق الشعر. لا يؤخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الألفاظ وخشونة المعاني. وكان يهوى ابنة عمه "عبلة بنت مالك بن قراد" فهاجت شاعريته لذلك ، وكان كثيرًا ما يذكرها في شعره ، وكان أبوها يمنعه من زواجه بها ، فهام بها حتى اشتد وجده ، وقيل: إنه قد تزوجها بعد جهد وعناء! أما معلقته فهي الشعر الثابت له بلا اختلاف. أما غيرها فمنها ما هو ثابت له، ومنها ما هو مختلف فيه، ومنها ما ليس له قطعًا. كأكثر ما في ديوانه المشهور. وسبب نظمها ما حكوا من أنه جلس يومًا في مجلس بعدما كان قد أبلى وحسنت وقائعه واعترف به أبوه وأعتقه فسابَّه رجل من بني عبس، وعاب عليه سوادَ أمه وإخوته وأنه لا يقول الشعر. فسبَّه عنترة وفخر عليه. وقد استهل معلقته بالغرام وشكوى البعد وغير ذلك من أنواع النسيب. ثم تخلص إلى الفخر والحماسة ، وذكر وقائعه ومشاهده في المعارك الضارية مع أعدائه ، فقال في المطلع:-

هَلْ غَادَرَ الشّعَـــرَاءُ مِنْ مُتَـــرَدَّمِ؟! ... أَمْ هَلْ عَرَفْـــتَ الـــدّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ؟!

والمتردم: الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي، والتردم أيضًا مثل الترنم، وهو ترجيع الصوت مع تحزين. يقول: هل تركت الشعراء موضعًا مسترقعًا إلا وقد رقعوه وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار ، أي لم يترك الشعراء شيئًا يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغه فيه ، وتحرير المعنى: لم يترك الأول للآخر شيئًا ، أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعًا أرقعه ومستصلحًا أصلحه ، وإن حملته على الوجه الثاني كان المعنى: إنهم لم يتركوا شيئًا إلا رجعوا نغماتهم بإنشاء الشعر وإنشاده في وصفه ورصفه ، ثم أضرب عن هذا الكلام وأخذ في فن آخر فقال مخاطبًا لنفسه: هل عرفت دار عشيقتك بعد شكّك فيها ، وأم ههنا معناه بل أعرفت ، وقد تكون أم بمعنى بل مع همزة الاستفهام.

يَا دَارَ عَبْلَـــةَ بِالْجِـــوَاءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَاحًـــا دَارَ عَبْلَةَ ، وَاسْلَمِي

الجو: الوادي والجمع الجواء ، والجواء في البيت موضع بعينه. عبلة: اسم عشيقته ، وقد سبق القول في قوله: عِمِي صباحًا. يقول: يا دار حبيبتي بهذا الموضع تكلمي وأخبريني عن أهلك ما فعلوا، ثم أضرب عن استخباره إلى تحيتها فقال: طاب عيشك في صباحك وسلمت يا دار حبيبتي:-

فَوَقَفْـــتُ فِيها نَاقَتي ، وكَأَنَّهـــا ... فَـــدَنٌ لأَقْضِيَ حَاجَـــةَ الْمُتَلَـــوِّمِ

الفدن: القصر ، والجمع الأفدان. المتلوم: المتمكث. يقول: حبست ناقتي في دار حبيبتي، ثم شبه الناقة بقصر في عظمها وضخم جرمها ، ثم قال: إنما حبستها ووقفتها فيها لأقضي حاجة المتمكث بجزعي من فراقها وبكائي على أيام وصالها. فعاشت عبلة بعده زمناً يسيراً برفقة أولاده ، محمومة البال متحسرة الخاطر على أعز رفيق عرفته من صغرها ووهبته كل قلبها وكل ما تملك إلى أن دنا أجلها ولبت داعي ربها فدفنت بالقرب منه ، هكذا عاش هذا الفارس الشاعر العاشق العربي ، عاش فارساً بطلاً ومحباً عفيفاً ومات شاعراً مجيداً!

الفصل الخامس

وها نحن أولاء نصل إلى نهاية المطاف في قراءتنا الأسلوبية في شعر أبي الفوارس وأمير شعراء الحب العُذري عنترة بن شداد العبسي! فسوف نحاول أن نقدم عنترة أصلاً ونسباً في فصلنا الخامس الذي هو خلاصة الدراسة الأسلوبية وثمرتها! فمن عنترة؟ وما شعره؟ وبم تميز كفارس شاعر وكشاعر فارس؟! وتحت عنوان: (عنترة بن شداد) تقول الأستاذة الأديبة إيمان الحياري ما نصه: (عنترة بن شدّاد عنترة بن شدّاد هو ابن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ، وهو من أشهر الفرسان والشعراء العرب في العصر الجاهلي ، وقد نشأ في منطقة نجد وورث سواد لونه من أمّه الحبشيّة التي كانت تدعى زبيبة ، وكان عنترة معروفاً بين العرب بأخلاقه العالية ، كما كان يتصف بالحلم على الرغم من شدة بطشه في الحروب ، ومن الجدير بالذكر أنّ أشعاره امتازت بالرّقّة والعذوبة ؛ فلا تكاد تخلو من ذكر لمحبوبته وابنة عمه عبلة التي تناقلت الأخبار قصة حبّه لها ، ومن الجدير بالذكر أيضًا أنّ عنترة عاش عمراً طويلاً شهد خلاله حرب داحس والغبراء ، وكان قد التقى في فترة شبابه بالشاعر امرؤ القيس ، كما كان يُلقب بـ"الفلحاء" نظراً لوجود تشقق في شفتيّه. نسب وحياة عنترة بن شدّاد وُلد عنترة في منطقة نجد في العام 525 للميلاد لأَمَة من الحبشة يُقال لها زبيبة كما سبق ذكره ، وكان أبوه سيّداً من سادات عبس ، وقد تعلّم عنترة الفروسية مبكراً حتى أصبح من أشهر فرسان العرب في ذلك الوقت ، فظهرت فروسيته بجلاء في حرب داحس والغبراء التي أبلى فيها بلاءً حسناً ، أما بالنسبة لنسبه فقد وردت أقوالٌ متعددة فيه ، وهي: قيل إنّه عنترة بن عمرو بن شدّاد. قيل إنه عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزم بن ربيعة. قيل إنه عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الرّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. قول البغدادي والكلبي إنّه عنترة العبسي بن شدّاد بن عمر بن قراد ، وأنّ شدّاد هو جدّه ، فغلب على اسم أبيه عمر ونُسب إليه ، والأصل أنّه عنترة بن عمر بن شدّاد ، وقيل إنّ شدّاد هو عمّه تكفّل برعايته بعد وفاة والده. أسرة عنترة بن شدّاد كان والد عنترة من أشراف قومه ، وكانت أمّه أَمَة حبشيّة أخذ منها سواد لونه وتشقق في شفتيّه ؛ ولهذا كان يلقب بالفلحاء ـ كما سبق ذكره ـ ولذلك كان يعتبر من أغربة العرب ، وكان عنترة عبداً ؛ لأنّ العرب في ذلك الوقت كانت لا تعترف بأبناء الإماء في النسب إلا إذا أظهر هؤلاء الأبناء تميّزاً في الشجاعة والبطولة والشاعريّة ، وهذا كان حال عنترة مع أبيه الذي لم يلحقه بنسبه إلا بعد مشاركته في حروب قومه وما أظهره في تلك الحروب من شجاعةٍ وبطولةٍ ، وكان لهذا الأمر بالغ الأثر في نفسه ويذكره دوماً في أشعاره. صفات وأخلاق عنترة بن شدّاد ذكر المؤرخون الكثير عن أخلاق عنترة التي كانت تتجلّى فيها رقة قلبه وقوة عاطفته ، ورغم الحياة القاسية التي كان يعيشها إلا أنّه كان على قدرٍ عالٍ من نقاء النفس ، وقد جمع عنترة إلى جانب هذه الأخلاق شهرة واسعة في الفروسية والشجاعة التي كانت لا مثيل لها بين أقرانه بحيث ظهرت هذه الشجاعة بقوة في حرب داحس والغبراء ، وقد استطاع عنترة من خلال هذه االخصال التعويض عمّا أصابه من دنيوية وعبودية بسبب لونه. قصة حبّ عنترة بن شدّاد وعبلة أحبّ عنترة ابنة عمه عبلة بنت مالك التي كانت أكثر نساء قومها جمالاً وأشهرهن نضجاً ونسباً ، وقد عانى الكثير في سبيل هذا الحبّ وواجهته عوائق كثيرة ؛ فقد امتنع عمّه من تزويجه إياها بسبب سواد لونه ، ورغم النسب الذي كان يجمع بينهما إلا أنّ أباها وأخاها كانا ينظران إليه نظرة الأسياد إلى العبد ويتعاملان معه بكل تكبّر

وازدراء ، وكانا في كثير من الأحيان يخفيان عبلة عنه عند إحدى القبائل المجاورة حتى لا يتمكن من رؤيتها ، فكان عنترة يبعث في أثرها إحدى الجواري لتأتيه بأخبارها ، وكان لموقف عمّه هذا الألم البالغ في نفسه الذي كان يبثّه في قصائده الغزليّة. لم تذكر أغلب الروايات الكثير عن أخبار عبلة إلا ما كان من حبّ عنترة وهيامه بها، وقصائده الغزليّة الجميلة التي قالها في ذكر محاسنها، وخلّت هذه الروايات من ذكر فيما كانت عبلة تزوجت به أم بغيره ، غير أنّ هناك بعض المصادر التي أكدت زواج عنترة بها ، ومن هذه المصادر القصة الشعبيّة لعنترة التي أوردت زواجه بها ، إلا أنّ هذه القصة لم تكن تستند في سيرته إلى دليلٍ قوي ، وقد كان فريقٌ من الباحثين يميل إلى هذا القول مستندين في قولهم إلى عدّة أسباب ، ومنها: أنّ والد عنترة قد لحقه بنسبه وبذلك قد زال عنه خِسّة النسب وقبحه بعد أن أصبحت عبلة أمام الملأ ابنة عمّه كما كان عنترة من الفرسان العرب المشهورين بشجاعته ، وهذا ما لا يستطع مَنْ يتقدم لخطبة عبلة الإغفال عنه خوفاً من قيام عنترة بالانتقام منه لأجل حبّه وكرامته ، وقد يكون هذا السبب دافعاً لوالد عبلة وأخيها للموافقة على مصاهرته بعد أن علا شأنه واحتل المكانة التي يستحقها في قبيلته. نجد من الأسباب الأخرى التي استند إليها هذا الفريق هو شعره ، فلا تكاد تخلو قصائده من وصف لحبّه لها وذكر لمحاسنها حتى في حروبه وغزواته ، وقد يكون ذكر هذا الغزل صعباً عليه وتأبى نفسه العزيزة على قوله لو كانت عبلة تزوجت من غيره ، فكان من الواجب على عنترة بما عُرف عنه من أخلاق حميدة تناسي هذا الحب والتوقف عن أشعاره الغزليّة فيه بعد أن أصبحت عبلة ابنة عمّه أمام قومه ؛ حرصاً على كرامتها وكرامة زوجها وأبيها وبما يليق به وبأخلاقه ، غير أنّ فريقاً آخر من الباحثين ذكر أنّ عنترة لم يتزوج من عبلة بل بقي حبّه معلّقاً بها ، وأنّ والدها امتنع عن مصاهرته وزوّجها لرجلٍ من أشراف قومه ، وسواءً تزوّج عنترة بابنة عمّه عبلة أم لم يتزوج يبقى شعره الغزليّ الذي نظمه بها أجمل غزل قاله لأنّه كان يمثل ألم الحرمان واللوعة والظلم الذي كان يعيشه ، حيث كان يُظهر فيه الصراع العنيف بين هذا الحبّ ولونه الأسود ومكانته الوضيعة بين قومه. شعر عنترة بن شدّاد وأبرز سِماته ترك عنترة ديواناً من الشعر زخر بفنون عدّة كان معظمّها في الفخر والغزل العذري والحماسة ، وكان أبرز ما فيه معلقته التي اشتهر بها ، وامتازت أشعاره بالأسلوب العذب والألفاظ السهلة والمعاني الرقيقة. موضوعات شعر عنترة بن شدّاد اشتهر عنترة بشجاعته وببطولاته التي كان يظهرها في الحروب ، وقد صّور هذه البطولات في شعره ورسم في قصائده المتنوعة صورة الفارس البطل الشجاع بكلّ ما فيه من صفات وأخلاق حسنة ، وأظهر ما تحلّى به من شجاعة وإقبال على القتال بدون خوفٍ أو وجل ، وبيّن أيضاً اهتمام هذا الفارس بأدواته القتاليّة من خيلٍ وسيفٍ ودروع ورماح ، وحاول عنترة ربط صورة هذا الفارس بنفسه ، وكان يهدف من ذلك إبراز نفسه وشخصيته ، وتأكيد فكرة حريته وجدارته بها ، وكان حبّه لعبلة الدافع القوي الذي يحاول من خلاله إثبات وجوده وشخصيّته. والوصف الفنّي والأفكار في شعر عنترة بن شدّاد استحوذت قصائد عنترة على أفكار عدّة كان أبرزها فكرة التعفف التي كانت واضحة في شعره ، ففي الوقت الذي يعتقد المحارب أنّ الحروب هي لكسب الغنائم نرى عنترة يتعالى عن هذه االغايات ؛ لأنّه كان يشارك بها من أجل الحروب نفسها ، وليس لأجل الغنائم والمكاسب تاركاً هذه الأمور لغيره من المحاربين. نجد في شعر عنترة كغيره من الشعراء الجاهليين ظاهرة الوقوف على الأطلال ؛ لأنّ هذه الظاهرة كانت أصدق تعبير عن عواطف الشاعر تجاه محبوبته وحنينه لها ، فهذه الأطلال هي الأماكن التي عاش فيها الشاعر أو مرّ منها ، أو ارتبطت بذكرى حدثت معه وهزّت وجدانه ، فكان يقف وسط هذه الديار التي سكنتها محبوبته ثمّ تركتها ورحلت عنه إلى مكانٍ بعيد، سائلاً إياها الحديث وإخباره بأخبارها ، وكان يبقى واقفاً وسط هذه الديار

مناجيّاً إياها تأسر قلبه اللوعة والحنين لرؤيتها ، والملاحظ في وصف عنترة للديار والأطلال في معلقته الميل إلى الإطالة والتكرار شأنه في ذلك شأن الشعراء الجاهليين الآخرين. أبرز الأغراض الشعريّة عند عنترة بن شدّاد الفخر: كان الفخر من أهم الأغراض الشعريّة عند عنترة ، وكانت أشعاره في الفخر تتصف بالقوة والحماسة ؛ إذْ كانت من أسلحته في معركته العنيفة من أجل انتزاع حريته وإثبات نسبه والردّ على أعدائه ، ومن أجل أيضاً الفوز بابنة عمه عبلة التي رفض أهلها تزويجه إياها لأنهم لا يرونه كفؤاً لها بسبب سواد لونه ، فكان عنترة يستعين بشعر الفخر للتعويض عن عقدة السواد التي لازمته من أجل تأكيد حقه في الحرية ، فقدّم نماذج شعريّة عدّة أظهر فيها صورة الفارس الشجاع المنتصر الذي ينتمي لقبيلته ويتمسك بقضاياها ، وحاول ربط هذه الصورة بنفسه من أجل تأكيد مكانته بين قومه ، واعتراف المجتمع الذي يعيش فيه بهذه المكانة وبما كان يتصف به من قيم وأخلاق. الهجاء: كان الهجاء في العصر الجاهلي مرتبطاً بموقف الشاعر من مجتمعه وما فيه من قيم راسخة ؛ فهو من أكثر الأغراض الشعرية تأثيراً في المجتمع ، حيث كان الشاعر يستخدمه كسلاح قوي ومؤثر في ذكر عيوب الأعداء ، ووصفهم بأبشع الصفات والأفعال ، وكان غزو القبائل لبعضها البعض شائعاً في ذلك الوقت ، فكان عنترة يجد نفسه في هذه الحروب لإبراز شجاعته في الدفاع عن قومه الذي كان يسعى جاهداً لإثبات نفسه بينهم في الوقت الذي لا يعترفون له بنسب أو مكانة ، فكان عنترة في تلك الحروب يتعرض للمهجو بالهجاء الصريح المباشر دون تلميح مقرناً إياه بالفخر بنفسه وبشجاعته بحيث يتناسب هذا الهجاء مع مكانته كفارس وبطل لقومه طمعاً في نيل المكانة التي يستحقها بينهم. الغزل: اشتهر عنترة بالغزل العفيف قولاً وفعلاً ، فقد أحب ابنة عمّه عبلة حبّاً شديداً وقال فيها أشعاره الغزليّة الجميلة التي كانت تنبع من قلبه المتيّم بها ، وكان غزل عنترة لعبلة نموذجاً للغزل العفيف الذي يصدر عن شاعرٍ يتمتع بأخلاق رفيعة حيث كانت تذوب في أشعاره العاطفة القوية الصادقة ، وتبرز فيها أشواقه العميقة ولوعته للقائها ، فهو لا ينساها في كل حالاته سواء في الحرب أم السلم ، فكان يقتحم ساحات القتال بكل شجاعة وبطولة مستقبلاً الموت من أجل أن يحظى برضاها وبقلبها. الحماسة: كان شعر الحماسة عند عنترة يُمثّل الصورة الحيّة للتعبير عن شجاعته في ساحات القتال ، فكان في شعره يصف أدق التفاصيل في منازلته العدو ، حيث كان يستخدم شجاعته في الحروب كوسيلة للتخلص من عقدته النفسيّة في كونه عبداً أسود ، واصفاً في هذه الأشعار كيف ينال من العدو بعد أن يتمكن من إصابته بطعنة قاتلة مخاطباً العدو والدهر بالاعتراف بذاتيته إلى حدّ المبالغة في إظهار جبروته بحيث يبدو كأنه مستمتع بهذا الأمر ، كما كان يصف الأسلحة وصوت السيوف وطعنات الرمح ، وكان يعتمد في هذا الوصف على وقائع تاريخية تاركاً الحرية لخياله في تضخيم الحوادث القتاليّة ، كأن هذه المعارك كانت ملحمة من الملاحم الحربيّة. معلّقة عنترة بن شدّاد المعلّقات هي عبارة عن قصائد ظهرت في العصر الجاهلي ، وكان عددها سبعاً ، وقد تميّزت بالجودة ، وعمق المعاني ، وسعة الخيال والبراعة في الأسلوب ، وكانت تسمى أيضاً بالمذهبيّات لأنّها كانت تكتب بماء الذهب ، وقد ورد عن الباحثين روايات متباينة بسبب تسميتها بهذا الاسم إلا أنّ أغلب هذه الروايات اتفقت على أنّ السبب يعود إلى تعليقها على أستار الكعبة المشرفة ، وكان لهذه المعلقات قيمة أدبيّة تمثّلت في تناول مواضيع مختلفة عن الحياة الجاهليّة ، ومن أشهر شعرائها: امرؤ القيس ، وزهر بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، وعنترة بن شداد، وعلقمة بن عبده، وطرفة بن العبد، والأعشى. ترك عنترة بن شدّاد ديواناً من الشعر كان معظمه في الحماسة والفخر والحب العذري كما سبق ذكره ، وتضمّن أيضاً الكثير من الشعر المنحول الذي تعددت الأقوال في الثابت منه ، وكان أشهر ما في هذا الديوان معلّقته االشهيرة ، وهي عبارة عن قصيدة طويلة

تحتوي على ما يقارب تسعة وسبعين بيتاً من الشعر على وزن البحر الكامل ، وقد جاء شعر عنترة على نوعين هما: النوع الغنائي الوجدانيّ ، والنوع الأخر قصصي ملحميّ ، ورغم الاختلاف بين هذه النوعين إلا أنّهما كانا مترابطين ؛ بحيث لا يُقال أحدهما دون الآخر ، ولا يُفهمان إلا مع بعضهما بعضاً ، وقد نظم عنترة هذه المعلقة خلال حرب السباق بعد أن شتمه شاعرٌ من قبيلته وعايره بسواد لونه ولون أمه وإخوته ، فنظم عنترة معلّقته رداً عليه تضمنها الافتخار بنفسه ، وتعداد لمناقبه وصفاته. كان عنترة يستهلّ معلقته بمقدّمة تتضمن ذكريات وعبر ، وبعد ذلك يصف محبوبته عبلة وناقته مفتخراً بنفسه وأخلاقه الرفيعة وشجاعته وإقدامه في الحروب ، فهو يُظهر نفسه كما وصفه الأديب طه حسين بصورة الشاعر العربي الأصيل الذي يتصف برقّة القلب دون ضعف ، وبالشّدة دون عنف ، والذي يشرب الخمرة دون التفريط بأخلاقه ومروءته ، ومتى عاد إلى عقله وصحوته عاد كريماً معّطاءً ، وهو فارسٌ شجاعٌ في الحرب عفيف النفس لا يطمع لغنائم هذه الحرب ولا إلى مكاسبها. وقد كان مطلع هذه المعلقة ما يلي:

هَلْ غَـــادَرَ الْشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَـــرَدَّمِ أَمْ هَل عَرَفْـــتَ الْـــدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـــمِ

يَا دَارَ عَبْلَـةَ بِالجَـــوَاءِ تَكَلَّمِـــي وَعِمِي صَبَاحـــاً دارَ عَبْلَـةَ وَاسْلَمِـي

كتاب سيرة عنترة بن شدّاد الملحميّة قام العرب في نهاية العصر العباسي بكتابة سيرة عنترة بن شدّاد نظراً لشهرته في الشعر وفي الفروسيّة ، إلا أنّ كاتب هذه السيرة بقي مجهولاً عند العامة ، ووردت روايات متباينة في معرفة هويته ، فقيل إنّ كاتبها هو الأصمعي لتكرار اسمه في مواضع كثيرة من هذه السيرة غير أنّ هذه الحجة لا تصلح لتكون دليلاً وخصوصاً أنّ أسماءً أخرى ورد ذكرها فيها ، ومنهم: أبو عبيدة وجهينة ونجد بن هشام وآخرون ، كما قيل إنّ الأديب يوسف بن إسماعيل المصري وهو كاتب لدى الحاكم بأمر الله الفاطمي قد ألّفها بناءً على طلب الخليفة ؛ حتى يتغاضى الناس عن حادثة وقعت في قصره ، وتناقلتها الألسن ، وهذا القول غير مؤكد ؛ لأنّه لم يرد عن المؤرخين ذكر لكاتب في العصر الفاطمي بهذا الاسم ، كما لم يذكر وقوع أي أحداث مريبة في عهد أيّ خليفة فاطمي ، وورد عن بعض المستشرقين أنّ هذه السيرة لم تكتب إلا في القرن السادس الهجري وأنّ مؤلفها هو واحد من أطباء وشعراء العراق المعروفين الذي كان يلقب بالعنتري مستنداً في روايته على كتاب ابن أبي أصبيعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" والتي ورد فيها أنّ العنتري كان في البداية يكتب أقوال عنترة ثمّ صار بعد ذلك معروفاً بنسبته إليه. شملت سيرة عنترة كافة الأحداث التي مرّ بها في حياته ؛ حيث جاءت متشابكة تارةً ومتشعّبة تارةً أخرى ، وكان موضوعها يتمحور حول حياة عنترة الشاعر والفارس الشجاع والعاشق ، وما واجهه من صعوبات ومخاطر في سبيل حبه لابنة عمه عبلة نتيجة سواد لونه ، فتضمنت الفترة التي وقع فيها بالأسر ، ثمّ حربه مع الغساسنة ، ومقابلته كسرى ملك الفرس ، وانتقاله إلى مكّة المكرمة وكتابة معلّقته بماء الذهب وتعليقها على أسوارها ، ثمّ ورد فيها أيضاً العلاقة التي كانت تربطه بدريد بن الصمّة والربيع بن زياد وعمرو بن معد يكرب وحاتم الطائي وسفره إلى بلاد الشام ومقابلته قيصر الروم ، وتطرّقت السيرة أيضاً لوصف حياة العرب في العصر الجاهليّ ، فذكرت عاداتهم ووصفت صفاتهم في الكرم والمروءة والشجاعة والوفاء والتضحية ومساعدة الضعيف وحُسن الجوار ، كما استعرضت النظام السياسيّ والاجتماعيّ للعرب في تلك الفترة. وفاة عنترة بن شدّاد توفي عنترة بن شداد عام 600 ميلادي عن عمر ناهز 90 عاماً بعد أن عاش حياةً حافلة بنظم الشعر ، والمشاركة الواسعة في الحروب والغزوات ، وقد

اختلف الرواة في طريقة موت عنترة ، ووردت عنهم روايات متباينة ، ومن أبرز هذه الروايات نذكر ما يلي: رواية ابن حبيب وابن الكلبي وصاحب الأغاني: ذُكر فيها أن عنترة غزا بني نبهان من قبيلة طيء فقتل منهم شيخاً طاعناً في السن ، وكان منهم رجلٌ قويٌ يقال له وزر بن جابر النبهاني وكان يلقب بالأسد الرهيص ، فرمى عنترة برمح ، وحينها لم يستطع عنترة تفادي رميته لكبر سنه وضعف بصره ، فأصاب ظهره وقطعه مما أدى إلى مقتله ، وهذه الرواية من أكثر الروايات تداولاً وترجيحاً في سبب وفاته. رواية أبي عمرو الشيباني: تقول هذه الرواية إنّ عنترة غزا قبيلة طيء مع قبيلته ، ولكن عبس انهزمت ووقع عنترة عن فرسه ولم يستطع ركوبها مرة ثانية بسبب كبر سنه فدخل في مكان كله شجر كثيف فرأه طليعة الجيش الذي يتولى مراقبة العدو من مكانٍ عالٍ فما إن رأى عنترة حتى نزل إليه وخاف أن يأسره فرماه برمح أدى إلى موته. رواية أبي عبيدة: ورد فيها أنّ عنترة خرج في يوم من أيام الصيف ليتقاضى ثمن بعير كان له عند رجلٍ من قبيلة غطفان ، فهبّت عليه رياحٌ قوية أدّت إلى وفاته. رواية القصّاص الشعبي: هي من الروايات التي نُسجت بخيالٍ بارع ومفادها أنّ السهم المسموم الذي رمى به الأسد الرهيص عنترة وأصاب ظهره ، أحس حينها باقتراب منيته فظلّ راكباً فرسه متكئاً على رمحه ، وطلب من الجيش أن ينسحب وينجو من بأس العدو ، أمّا عنترة فبقي ثابتاً على حاله حامياً ظهر جيشه حتى انسحب ونجا بنفسه دون أن يجرؤ العدو اللحاق به خوفاً من قائده عنترة ، وفي هذه الأثناء لفظ عنترة أنفاسه الأخيرة وعندما طالت وقفته شكّ العدو في أمره فأطلق جواداً إلى فرسه لتهييجه ، فعندها اندفع الفرس بصاحبه ، فوقع عنترة على الأرض ميّتاً بعد أن تمكّن من حماية قومه من نصر محقق للأعداء. ولا ينبغي أن ننسى جوهر الذات في حروب عنترة! فلقد نال عنترة بن شداد مقاماً متميزاً ورفعة بين شعراء البطولة والعشق بين عتاة الشعر ، مما سما به منزلة مشهودة في الملاحم والسير العربية لأن محارب بني عبس وفارسها العتيد عنترة بن شداد الذي صنع اعتباره بشجاعة المبارز الذي لا يصمد أمامه خصم ولا يعييه في ميدان الحرب جهد ، ولا يثنيه عناء وهو صاحب العصيان اللين على أعراف العرب المتوارثة التي حرمته من مكانة مستحقة كونه ابن أمةٍ لأحد وجهاء قبيلة عبس فأبوه شداد العبسي! كانت حرب بن شداد في زمنه ذات بعدين أولهما قائم على البطولة والشجاعة في المعارك كأشجع من يكون في القبيلة يحميها ويرد عنها الأعداء ، وثانيهما قضيته الشخصية في مواجهة إنكار أبيه وتجاهل القبيلة لمكانة هو خليق بها ، لكن البطل المغوار لم يستسلم وكافح دون يأس أو تخلى عن انتمائه حتى نال مقاما كان حرياً به. لكن السؤال الأهم في شأن عنترة هو لماذا اختار المخيال الشعبي هذا الفرد البطل تحديداً ، كي ينسج من سيرته ملحمة جعلت مؤرخي الملاحم الشعبية يولوجونها بين روائع الملاحم الشعبية ، ليس على الصعيد العربي فقط ، وإنما بتصنيفها من الموضوعات الرئيسية في الأدب العالمي؟ وقد شاع أمر عنترة كما رصد المؤرخ "فيليب حتي" في مؤلفه الضخم "تاريخ العرب" للدرجة التي شبه فيها هذا المؤرخ بطلنا العربي المحارب الأشوس الصنديد والشاعر المفوه بأخيل البطل المركزي في إلياذة هوميروس معتبراً بن شداد رمزاً لعصر البطولة العربية. والإجابة عن هذا التساؤل هو الطبيعة الشخصية ذات الثراء الدرامي والإنساني التي استقرت وتبدت جلية في سمات عنترة ، فكم من رجال أبلوا في حروب القبائل في زمن ما قبل الإسلام وكانوا ذائعي الصيت بما توارثوه أيضا من حسب نسب. ها هنا تنجلي الحقيقة الفارقة في أن عنترة بن شداد هو البطل الحلم لكل المظلومين والمطحونين والساعين للترقي. لم يكن نضاله قاصراً على ميادين القتال ، بل تجاوزها كإنسان تعرض للضيم والإجحاف أخذ يدافع عن ذاته وكينونته، فما جنايته في أن لون بشرته مختلف ، وما ذنبه في أن أمه أمة حبشية ، وما جريرته في أن الأعراف جعلته عبداً ومع هذا تغلب

انتماؤه لقبيلته على محنته معها ، فلم يحقد على أهله ولم يتسلل الغل عليهم إلى قلبه رغم ما تعرض من ضيق العيش والمهانة ، وما ذاقه من عذاب وحرمان وكان أبوه وهو سيده يتمادى في عقابه على أبسط زلة بكل قسوةٍ وعنفٍ ، حتى كاد أن يقتله ذات مرة بعد دسيسة كاذبة من زوجة أبيه التي كانت تلاحقه بالمكائد. ورغم كل هذا الظلم وقف ذات يوم عصيب يحمي نساء القبيلة في غياب رجالها ، وهذا أمر جلل لدى العرب ، وعندما اشتد الخطب في معركة مع قبيلة طيئ دعاه أبوه لإنقاذ قبيلته رد عليه بالقول "لا يحسن العبد الكر إلا الحلاب والصر" أي لقد قللتم من قدري فكيف لي بالهجوم على العدو وأنتم تحطون من شأني بحلب النوق والنعاج وربطها وشد ضروعها ، فصاح به أبوه "كر وأنت حر" ، فهاجم عنترة ابن القبيلة الذي سقطت عنه العبودية ليسعف القبيلة وينجدها في المعركة. كان التماس الاعتراف بكينونته وجدارته وطلبه للحرية وإعلاء الذات مدعاة لإلهام الوجدان الجمعي حيال قيم ومعاني الحرية والشهامة والبطولة ، فهو لم يذعن للتمييز والاستعلاء العنصري للون البشرة والأصل والنسب ، وكلها صفات وشيم للبطل الرافض للنفي والإقصاء تستهوي الجموع وتطربهم حين يأتي ذكرها في الحديث عن عنترة بن شداد. ومن هنا استمدت الملحمة طاقة الانتشار والذيوع بين العامة والخاصة. وجانب آخر ساعد على رسوخ تجربته الحياتية ونبه إليها لدى الكافة يتمثل في طبيعة تجربته الشعرية ، فمن ناحية الخصائص الفنية تماهت فرديتة في التغني بالفروسية والشجاعة في الاعتزاز بالذات ، وما تغنى به كان واقعاً صادقاً وحقيقياً أفرد له صوراً مدهشة لوقائع ما جرى ، كما أنه تجاوز سرد الأحداث بحكي أحاسيسه الداخلية وما اعتراه من أسى ومعاناة ، أما فيما يتعلق بالخصائص اللغوية فقد تجلت مفردات شعره متوافقة مع طبيعة الموقف فإن ذُكرت الحرب كانت ألفاظه السلسة حاسمة قوية ، بينما كانت في الغزل لينة رقيقة وبصفة عامة كان شعره بعيدا عن الغموض والغرابة. وتحت عنوان: (عنترة شاعر المعاناة والتحديات) يقول الأستاذ ماجد محمد الوبيران ما نصه: (جرت العادة في دراسة الشخصيات الأدبية بتقديم وصف لحياة الشخصية من حيث ذكر مولدها ، ونشأتها ، وتعليمها ، وغير ذلك ، لكنني سأنحو في مقالتي هذه منحًى آخرَ ، وهذا المنحى علمني إياه بعض أساتذتي في الجامعة ، حين كنت شابًّا أتلقى العلم عنهم في مرحلة فحين كنت في السنة الثانية درست مادة النقد الأدبي على يد الدكتور محمد الخطيب، وهو البكالوريوس! أستاذ جامعي من مصر، وبحكم حبي لشعر الغزل في تلك المرحلة ؛ فأذكر أني سألته عن شخصية الشاعر قيس بن الملوح ، وما يقوله بعض النقاد من أنها كانت شخصية غير حقيقية! وما أزال أذكر رده الرائع الذي ينُمُّ عن عقلية متزنة متذوقة للأدب ، حاكمة على النص ؛ وذلك حين قال: ليس مهمًّا أن تكون شخصية حقيقية ، أم خيالية ؛ الأهم هو ذلكم الإرث الأدبي الذي تركه لنا ؛ فقيمة الأشخاص ليست في أسمائهم ، بل بما قدموه من أجل تخليد تلك الأسماء! وقد خرجت من كلامه بتصور عظيم ، ومفهوم سام ؛ هو منهج للناقد الحصيف ، والمحكم المنصف ، حين يضع أمام عينيه النتاج الأدبي الذي سيتعامل معه من خلال نقده له ، والحكم عليه حكمًا سليمًا بعيدًا عن الأسماء ، والألقاب ، والشخصنة. وتكرر المشهد نفسه في السنة الرابعة مع الأستاذ الدكتور عبد الله أبو داهش ، حين درس لنا مادة الشخصية الأدبية ؛ حيث أعلن من محاضرته الأولى أن الشخصية المختارة هي شخصية الشاعر الكبير محمود سامي البارودي ، وأن دراستنا له لن تكون من خلال ما كُتب عنه في الدراسات التي تناولته من حيث مولده ، وحياته ، ومناصبه ، ونفيه ، وغيرها ، لكنها ستكون دراسة له من خلال شعره ، وهو ما دعانا في كل محاضرة إلى اكتشاف البارودي من جديد ، ومن خلال شعره الذي قاله في مناسباته المختلفة ، وأحواله المتباينة ، وظروفه المتقلبة ؛ فزادت قناعتي بهذا الأسلوب في الدرس ، وامتلأت نفسي بحب هذه الطريقة التي تجعل

الناقد يقرأ المبدع قراءة جديدة ، ومن منظوره النقدي الخاص ، وطبيعة نفسه ، وشعوره الذي لن يخذله! والشاعر الجاهلي الكبير عنترة بن شداد ترك لنا إرثًا أدبيًّا كبيرًا ، نال كثيرًا من اهتمام النقاد ، والدارسين ، بل وتجاوز ذلك إلى عالم الفن ، والمسرح ، والرواية ؛ وذلك بسبب الكاريزما التي تمتع بها عنترة ؛ فصار محط أنظار كثير من المعجبين بشخصيته ، المهتمين بنتاجها الأدبي. وعنترة هو شاعر التحديات ، والمعاناة التي بدأت معه منذ شبابه ، وقوته ، وفتوته ؛ فقد بدأت تلك المعاناة مع أقرب الناس إليه ، وهو أبوه شداد ، فكانت المعاناة الأولى (غربة الجسد) المؤطرة بالعنصرية ، والإقصاء ؛ حيث عانى عنترة مرارة الحرمان ، ومهانة القرابة ؛ فأبوه لم يستلحقه بنسبه ؛ لأن أمه جارية ، واستمع له يطلق صرخة في فضاء عالمه الغريب ؛ هي صرخة الألم مع إيمانه بقدراته ، وثقته الكبيرة في نفسه! وبعد فترة من الزمن ، وكثير من محاولات إثبات الذات من قبل عنترة في الحروب ، والنزال خضع والده للحقِّ ، ومنح عنترة اعتباره ، وحقه في النسب! وعلى الرغم من هذه المعاناة المريرة التي لحقت به وهو في سن مبكرة ، إلا أن عنترة لم يُخْفِ حبه لوالده في تعبير عن شعور الإنسان الطبيعي المحب لوالديه ؛ بل وتغنَّى عنترة بأمه التي طالما عُيِّر بها مما يدل على حبه لها ، وفخره بها ؛ وشبَّ عنترة ، واشتد عوده ، وقَوِيَ بأسه ، ومال فؤاده إلى حب ابنة عمه عبلة التي تقدم لخطبتها ؛ فبدأ معها معاناةً جديدةً هي معاناة (الحب المتعثر) ؛ حيث رفضه عمه بسبب لونه ، ومع إصرار عنترة ، بالغ عمه في تعجيزه ، وطلب مهرًا لعبلة ألف ناقة من نوق النعمان المعروفة بالعصافير ، وهو ما سعى فيه عنترة محتملًا الخطر والأهوال حتى عاد بالمهر ، لكن عمه عاد للمماطلة ، وكثرة التكليفات ، والتخطيط للتخلص من عنترة! وفي مرحلة حب عنترة لعبلة ، ومحاولاته الظَّفَرَ بها عاش معاناةً جديدةً هي معاناة (القلب التائه)؛ فالقلب ميَّال لعبلة الحسناء العاقلة باعتبارها الحب الأول ، في حين كانت فروسيته ، وشجاعته ، وقوته ، وشدة بأسه أسبابًا لفتت أنظار النساء إليه ؛ فأبدَين إعجابهن به ؛ ويبدو أن قسوة عمِّه عليه ، ومبالغته في مهر ابنته ، وتحميل عنترة ما لا يطيق ، ومضايقته ، وتهديده ؛ جعلته ينجذب لكثيرات من النساء ؛ حيث هام بهن ، واقترن ببعضهن. وهذا يعني أن عنترة كان صاحب فلسفة خاصة في الحب الذي هو حقٌّ مشروع لفارس جَمَعَ أداة الحرب ، وشاعر ملك الكلمة ، وحكم القافية ، لكن عشيرته لم تعرف قيمته ؛ حيث ظل منبوذًا فيهم بسبب لونه ، ولا يمكن أن تعد تلك خيانة منه لعبلة كما يرى بعض النقاد والنفسانيين ، ولك أن تشنف أذنيك ، وتمتع عينيك بجمال شعره ، وشعوره ؛ وإلى جانب القوة ، والصلابة ، والبيان ، والفصاحة ؛ فقد حمل عنترة بين جنبيه نفسًا سامية ذات أخلاق كريمة في صبرها ، وإخلاصها ، ووفائها ، وصادق حبها ؛ فهو القائل:

وأرضى بالإهانـــة مع أنـــاس أراعيهم ، ولـــو قتلـي أحلُّـــوا

وأصبِر للحبيـــــب وإن جفانـي ولم أترك هـواه ولســـتُ أسلـو

عسى الأيام تنعم لي بقـــــرب وبعد الهجـر مُرُّ العيـــش يحلـو

وعنترة الفارس هو عنترة الإنسان الذي قد ينهار فجأة ، وتخونه قواه ، وتحركه الذكريات الجميلة ؛ فيعتصره الحنين ، وتفيض عيناه بالدمع:-

لمن طللٌ بـــوادي الرمـــل بالي مَحـت آثـارَه ريحُ الشمـــــــالِ

وقفـــتُ به ، ودمعي من جفونـــي يفيضُ على مغانيـــه الخوالـــــي

أُسائـــــــل عن فتاة بني قـــراد وعن أَترابهـــــا ذاتِ الجمـــــالِ

وكيف يُجيبني رســـــمٌ مُحيـــل بعيدٌ لا يـــــرد على ســـؤالـــــي

ولا تكاد المعاناة تفارق عنترة ، ولا تنفك عنه بسبب ذلك العيب الذي أُلحق به، ولا ذنب له فيه ؛ فالمرء لا يعاب بلونه ، ذلك اللون الذي ظل هاجسًا لدى شاعرنا الذي كأني به يرسخ هذا المعنى ، ويكرس اعتزازه به حتى في نظرته للمخلوقات حين انصرف عن النظر إلى الحمامة كعادة الشعراء بالنظر إلى الغراب الأسحم يناجيه ، ويبثه أحزانه وآلامه ، معربًا عن اعتزازه بلونه ، وقوة بأسه متحدياً بذلك البيئة الظالمة:

إذا صاح الغـــــرابُ به شجانـــي وأجـــرى أدمُعي مثـــــل اللآلي

وأخبرني بأصنـــــاف الرَّزايـــا وبالهِجـــران من بعد الوصـــــالِ

واللافت للنظر أن كثيرًا من قصائد عنترة قد جاءت على قافية (اللام) ، وهذا الاختيار لم يكن مصادفة ؛ لأن من صفات حرف (اللام): التوسط بين الشدة والرخاوة ، وهكذا كان عنترة ، ومن صفاته أيضًا: الانحراف ، وقد وجدنا هذا في حبِّه لعبلة ، وميله لغيرها ، ومن صفاته: الجهر ، وهو الذي طالما جَهَرَ بحقه المشروع كإنسان ، ومن صفاته: الانفتاح ، وهكذا كان عنترة شخصًا راقيًا ، وإنسانًا ساميًا رائعاً متفتحًا. وليس هذا فحسب ، وقد جاءت كثير من كلمات المعجم حاملة معاني الرفض ، والألم ، والحزن مبدوءة باللام ، أو مختومة به ؛ مثل: (لا ، لطف ، لعج ، لقس ، لهب ، لون ، أصل ، أمل ، أهل) ، وغيرها! وهكذا كانت حياة عنترة ، وهي الحياة التي قد يمر بها أي إنسان ، حياة ملؤها المعاناة مع جميل الصبر ، والتحديات مع قوة العزم ، والتحلي بالأخلاق الكريمة! رحل عنترة تاركًا لنا إرثًا أدبيًّا سَنِيًّا ، ونتاجًا فكريًّا زاخرًا بالمعاني ، والأفكار ، والمفردات ، والصور ، والأنغام ؛ مما جعله شاعرًا من شعراء العربية العظام! ويحل الفارس والشاعر العربي عنترة بن شداد ضيفاً على شاشات ليالي رمضان الكريم ، وسيطل عنترة بهيئة الكويتي فيصل العميري شاباً ، ثم يطل رجلاً وكهلاً بصورة سلوم حداد القادم من بادية تدمر السورية ، وعلامات عنترة لا تزال واضحة على محياه بتأثير أشعة الشمس ، وتقمصه لدور الفارس العربي الذي شغل الخيال الشعبي طوال قرون· بولادة عنترة بن شداد العبسي في شمال نجد ، شرقي المدينة المنورة ، نشهد دراما صراع إنسانية عميقة وعنيفة ، فعنترة ولد لأم حبشية ، ولم يعترف أبوه شداد بأبوته له ، وعامله كعبد من عبيده يرعى النوق ، ويقوم بالحلب والصر ، لكن عنترة الذي استشعر عروبته وشهامته وحريته منذ أن وعى الدنيا ، كان ينصرف إلى تعلم الفروسية والقتال ، وكانت له قوة جسدية مميزة ، وقلب حار جريء ، ومخيلة شعرية قدمت للعرب أعذب الشعر· ولهذا كان يشعر في داخله أنه حر أكثر من كل الآخرين ، وأن العبودية لا تعنيه ، وإن كان ظل يجاهد حتى نال حريته ، واعتراف أبيه بنسبه ، وإقراره بزواجه من ابنة عمه عبلة التي أحبها· وتركز أحداث المسلسل على صراع عنترة للانعتاق من العبودية إلى الحرية ، حتى أصبح البطل الذي ذاع صيته ، وتناقلت الألسن قصائده الرائعة· كما يتطرق العمل إلى معارك عنترة ومواقفه ، وحمايته لقومه ونصرته للمظلوم ، وصراعه مع الملوك ، لا سيما مع الملك زهير الذي وضع المكائد لعنترة· كما نشهد تصدي هذا البطل الفارس لغزوات بني فزارة على قومه ، وكيف تصدى لهم ، وقلب الموازين ، ثم كيف تصدى لأحد ملوك اليمن وقاتله قتالاً مريراً· ''كر وأنت حر''· إنها عبارة شهيرة قالها شداد والد عنترة ، وكانت بداية الحرية للبطل عندما استجاب للنداء وحمى قومه وعشيرته· يقول

سلوم حداد: كانت بداية دخول عنترة للتاريخ عندما أغار بعض العرب على عبس ، وسلبوا إبلهم ، فقال له أبوه الذي كان ينكر نسبه: "كر يا عنترة" ، فرد: "العبد لا يحسن الكر وإنما يحسن الحلاب والصر". فقال أبوه: "كر وأنت حر" ، وكأن البطل المظلوم كان ينتظر هذه الكلمة السحرية ، ليثبت لكل أحياء العرب وقبائلهم أنه لم يخلق للعبودية والرعي ، فقاتل قتالاً شديداً ، وكان وحده جيشاً حتى هزم المغيرين ، واستعاد إبل قومه. لتبدأ بعد ذلك حكاية حبه لابنة عمه عبلة التي شغلت العرب ، واستهوت قلوبهم ، من خلال قصائد عنترة التي تناقلتها نسمات الجزيرة العربية ، ورددت أصداءها في كل مكان. وهنا ستكون قصة حب عنترة لابنة عمه "عبلة" العمود الأساسي لهذا العمل ، وكذلك ستكون علاقته المميزة التي تربطه بأخيه شيبوب. يقول سلوم حداد: إنه بعد الأعمال التاريخية التي قدمها عن قامات كبيرة وفرسان شجعان ظل يحلم بأن يقدم عملاً كبيراً عن عنترة. وهو سعيد لأن فرصة تقديم هذا العمل قد أتيحت له ، لذا فقد انهمك فيه بحب وعشق كبيرين ، لأن هذا الفارس والشاعر العربي ، ظل يحتل مساحة واهتماماً كبيرين في الخيال والوجدان الشعبي العربي. ويتحدث كاتب العمل غسان زكريا عن صعوبة استخدام السيرة الشعبية كمرجع تاريخي للحدث ، فالسيرة الشعبية ، لا سيما لعنترة بن شداد مكتوبة في مئات الكتب والنسخ والطبعات ، ومحفوظة لدى رواة كثيرين ، وهذه السيرة لا ينطبق عليها ما ينطبق على المخطوطات النادرة. ولا سيما أن المراجع الموثوقة لا تورد سوى شذرات قليلة تصف المرحلة أكثر مما تروي أحداثها. وهنا كانت الصعوبة في أن تقدم عنترة كحقيقة والأحداث كوقائع. ولهذا ربما يفاجأ المشاهد بقلة التشابه بين السيرة الشعبية التي سمعها من حكواتي المقهى أو من أبيه وجده ، وبين الحكاية المقدمة في العمل ، ذلك أننا رغبنا أنا والمخرج والفنان سلوم حداد في تقديم رؤية جديدة للحكاية والعصر الذي شهد وقائعها. ويشير غسان إلى الجهد الكبير الذي بذله المؤرخ الدكتور محمد محفل ، في تقديم المعلومات التاريخية وتدقيقها ، وفي مراجعة حلقات المسلسل حلقة حلقة للتأكد من الدقة التاريخية للعمل. وعقب الفنان سلوم على ما قاله كاتب العمل ، فقال: لقد حاولنا أن نقدم قراءة مختلفة للتاريخ وللسيرة الشعبية ، لتقديم صورة جيدة وبسوية مغايرة عما هو متداول أو معروف بين الناس عن سيرة عنترة الشعبية. ويضيف مخرج العمل رامي حنا إلى قول سلوم: لقد حاولنا قراءة قصة عنترة بذهنية فنية تحاكي العصر ، وسيكون الفرق بين عنترة الذي يعرفه الناس ، وبين عنترة الذي نقدمه لهم هو الزمن. مشاركة عربية واسعة يقع المسلسل في ثلاثين حلقة ، وقد تم تصويره في بادية تدمر السورية ، ويشارك فيه نخبة من الفنانين العرب من سوريا والأردن والمغرب والكويت ، وفي مقدمتهم الفنان الكويتي فيصل العميري الذي يجسد شخصية عنترة في بداية شبابه ، وسلوم حداد الذي سيلعب الشخصية بعد أن تبلغ مبلغ الرجال ، وستلعب كندة حنا شخصية عبلة في فترة صباها ، وكذلك الأردنية صبا مبارك. كما يجسد محمد حداقي شخصية شيبوب ، وقد تم اختيار حسين الجسمي لغناء "تتر" المسلسل ، الذي اختيرت كلماته من شعر عنترة ولحنها طاهر ماملي ، وقد وقع الاختيار على الجسمي لأن طبقة صوته مناسبة بشكل كبير لشعر عنترة. كما تشارك في العمل أيضاً كل من سلاف فواخرجي ولورا أبو أسعد ووفاء موصللي ورضوان عقيلي وقاسم ملحو ، ومن مصر أحمد راتب ، ومن المغرب محمد مفتاح. وقد وصفت سلاف فواخرجي قبولها بدور صغير في المسلسل ، بأنه أغراها ، وأضافت: لا يضرني أبداً أن أشارك كضيفة شرف في مسلسل "عنترة" ، طالما أنه دور أغراني كممثلة لتأديته ، وقد شعرت أنه جميل جداً وأقرب إلي من دور عبلة. اهتمام شعبي منذ أن أعلن عن العمل بإنتاج مسلسل "عنترة بن شداد" حفلت الأوساط الثقافية والفنية بتعليقات عبرت عن اهتمام كبير بهذا الحدث الفني. لكن ما شهدته بادية تدمر ، كان تعبيراً حياً وساخناً عن اهتمام الجمهور

وبحكاية عنترة بن شداد ، فقد تابع جمهور كبير تصوير حلقات المسلسل ، وكان بعضهم بالسيرة الشعبية يحضر منذ الصباح الباكر ليتابع التصوير بشغف. وقد أحدث موت عنترة حزناً كبيراً لدى الجمهور الحاضر وشوهدت دموع بعضهم ، وكأن هذا الفارس الشاعر قد مات اليوم. وفي المسلسل قاتل عنترة أحد ملوك اليمن ، وبعد إصابته إصابة مميتة دافع عن أهله حتى ينقذهم ، فاتكأ على رمحه ، وهو فوق صهوة جواده. وبموته بكته الصحراء وبكاه العرب. لذا لا عجب أن يبكيه جمهور المتفرجين اليوم ، فهو حاضر في الخيال الشعبي العربي بطلاً وشاعراً وعربياً أصيلاً تعرض لظلم كبير. يتوقع سلوم حداد أن يحقق عمله نجاحاً كبيراً ، ولا سيما أنه يجمع بين التاريخ المحقق والخيال الشعبي. كما يتناول الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي ساد شبه الجزيرة العربية عامة ، وفي نجد خاصة ، في الفترة التي عاش فيها عنترة. كما يقدم العمل صورة للشعراء الصعاليك الذين ظهروا في عصر عنترة ، ومنهم عروة بن الورد والشنفرى والسليك بن السلكة. لكن نجمه المطلق سيكون عنترة نفسه فروسية وقتالاً وشعراً وإنسانية! وفي كتابه الرائع: (القواعد الذهبية في سياسة عنترة بن شداد) يقول الدكتور يحيى أحمد المرهبي ص421: ما نصه بتصرف: (الواقع أن كلا منا له شخصيته الخاصة به ، ولا يخلو أحد منا من شخصية. إنما الفرق بين بعض الناس وبعضهم الآخر هو في قوة الشخصية وضعفها ، وليس في وجودها وعدمها. ولكلّ أمّة فضائل ورذائل ، ولكلّ قوم محاسن ومساوئ ، ولكلّ طائفة من الناس في صناعتها وحلّها وعقدها كمال وتقصير ، وهذا يقضي بأنّ الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مُفاضة على جميع الخلق ، موزَّعة عليهم كلّهم! فللفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ، وللرّوم العلم والحكمة ، وللهند الفكر والرويّة والخفّة والسّحر والأناة ، وللتُّرك الشجاعة والإقدام ، وللزّنج الصبر والكدّ والفرح ، وللعرب النّجدة والقِرى والوفاء والبلاءُ والجودُ والذِّمام والخطابة والبيان. وقد بان بهذا الكشف أنّ الأمم كلّها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة ، واختيار الفكرة." (أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة). وحتى لا يُفهم من كلام أبي حيان التوحيدي أن الصفات التي ذكرها خاصة بكل أمّة ومقصورة عليها دون سواها ، فيمكن القول أن هذه الصفات قد تكون غالبة في أمَّة من الأمم ، ولكنها موجودة في غيرها تقلّ أو تكثر. وكانت هناك قواعد عنترة بن شداد! وقوة النفس هي القوة الحقيقية التي يتسلح بها أحدنا ، والجبناء في كل زمان ومكان كثيراً ما يمتلكون قوة الجسد ، والتي قد لا تنفعهم شيئاً ، وكثير من الشجعان لا يملكون قوى جسمية خارقة ، والذي يميزهم هو القدرة على المخاطرة والإقدام حين يحجم الناس! وقد جمع علي عزت بيجوفيتش بين الذكاء والشجاعة ، ولكنه كان يُقدِّرُ الشجاعة أكثر من الذكاء ، وقد كتب يقول: "لم يُغَنِّ الشعب للذكاء ، وإنما غنَّى للشجاعة ، لأنها الأكثر ندرة! وقد نال عنترة الشهرة لأنه اتبع ثلاث قواعد كانت بمثابة رؤيته السياسية التكتيكية والاستراتيجية وهي: أولاً: أنه يُقدِم إذا رأى الإقدام "عزما" ، ويحجم إذا رأى الإحجام "حزماً! وثانياً: لا يدخل مدخلاً إلا إذا رأى منه مخرجاً! وثالثاً: أنه يهجم على الضعيف أولاً فيضربه ضربة يهلع لها قلب الشجاع ، ثم يرجع إلى الشجاع فيضربه ولذلك كان عنترة يشنُّ على أعدائه حربا نفسية ، فقد جمع بين السيف والقافية ، وكان يُعلي من شأن نفسه ويفتخر بها ، ويُدخل الرعب في قلوب أعدائه ، ومن ذلك قوله:

إني لأعجب كيف ينظـــر صورتي يوم القتـــــال مُبـــــارزٌ ويعيـــشُ

وإذن فالمسألة من العزم إلى الفعل! إن القرار لا يكون قراراً إلا إذا أضيفت إليه نتائجه ، والشجاعة لا تكون شجاعة إلا إذا حكمت الطريق كله وواجهت الموقف من أوله إلى آخره. وما أصدق ما قاله (الإمام علي بن

أبي طالب رضي الله عنه: "إن من البلية أن يكون الرأي عند من يملكه لا من يبصره!" ، وما حال العرب خاصة والمسلمين عامة اليوم والتي لا تسرُّ صديقاً ولا تغيظ عدواً إلا لأنهم لا يملكون قرارهم ، ولا تقوم بهم عزيمتهم ، وكأنَّ قول (تشرشل) ينطبق عليهم تماماً: "لقد قرروا ألا يكون لهم قرار ، وشددوا العزم على ألا يكون لهم عزيمة". وهو ما يكشف عن أن إهمال العدة ليس من شأن المؤمنين الصادقين ، بل هو شعبة من شعب النفاق. وعلاج ذلك أن تتحول الرغبة إلى عزم ، والعزم إلى خطة ، والخطة إلى فعل! وقد عبر (الحافظ ابن الجوزي) عن ذلك بأسلوبه الأدبي البديع ، فقال: "من عزم على أمر هيَّأ آلاته ، لمَّا كان شغل الغراب الندب على الأحباب ، لبس السواد قبل النَّوْح! إن اشتداد الأزمة علامة على قرب الفرج ولحظات الإحباط هي أنسب اللحظات للمبادرات الشجاعة ، كما يقول (نيلسون مانديلا) ، وهو رجل خبير ومتمرِّس كما هو معروف عنه ، ولهذا يكثر الخلط بين الرأي والشجاعة ، ومن منهما حقه التقديم ومن حقه التأخير. والبيت الشعري المشهور الذي يَستشهد به من يقدِّمُ الرأي على الشجاعة ، وهو قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ ، وهي المحل الثاني

إلا أن هناك وجهة نظر أخرى في الجمع بين الرأي والعزم ، فقد قال الشاعر بين يدي أحد الأمراء:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فقال له الأمير:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

وفي الختام ، يمكننا أن نختم هذا المقال بهذا المثل الذي يكشف عن واقع الحال ، فيروى أن ضفدعا وضع في ماء على نار هادئة ، ثم بدأ تسخين الماء تدريجياً ، وكان الضفدع يُعدِّل درجة حرارة جسمه فتظل المياه عادية ومقبولة ، إلى أن وصل الماء لدرجه الغليان ، ومات الضفدع في هذه التجربة! وبدأ العلماء القائمون على التجربة في دراسة سلوك الضفدع ، الذي كلما ارتفعت درجة حرارة الماء يعدِّل حرارة جسمه ، على الرغم من أن الوعاء الذي وضعوا فيه الضفدع كان مفتوحاً ، وبإمكان الضفدع أن يقفز ، ومع ذلك لم يحاول الضفدع القفز حتى في حالة غليان الماء ، إلى أن مات. وتوصَّل العلماء إلى أن الضفدع استخدم كل طاقته في معادلة درجة حرارته وتأقلمه مع المناخ الذي حوله على الرغم من صعوبته ، إلى أن وصل لدرجة أنه لم يتبقَ عنده طاقة للتأقلم ، ولا حتى لإنقاذ نفسه! واستنتجوا أن الذي قتل الضفدع ليس الماء المغلي ، ولكن إصرار الضفدع على أقلمة نفسه إلى حد أفقده الطاقة اللازمة لإنقاذ حياته! حتى في حياتك ، عندما تكون في علاقة ، أي نوع من أنواع العلاقات الإنسانية ولست مستريحاً لها ، وتحاول أن تأقلم نفسك وتعدِّل من نفسك وتستخدم طاقتك الجسدية ، والنفسية ، والعقلية ، والعصبية ، إلى أن تصل إلى مرحلة أنك تفقد طاقتك كلها ، عندها ستفقد نفسك. لا تستهلك طاقتك كلها ، اعرف متى تقفز وتنقذ ما تبقى منك ومن حياتك ، واستفد من قواعد عنترة بن شداد الذهبية ، إن لم تكن الثلاث ، فالقاعدتين الأولى والثانية! والحقيقة أن القصيدة السياسية التي تتناول الواقع المعاش عانت الكثير من العقابيل والعراقيل! وذلك أن شاعرها يكون بين اتجاهين كلاهما شاق وعسير! فأما الأول فهو التسبيح بحمد من هو في سدة الحكم! وهذا بالطبع يناقض إرادة الشاعر الحر الأبي العزيز ، حيث إنه لا يماهي بشعره الواقع ولا يتماشى معه

بالطبع! والثاني أن ينتقد الواقع فيصف المشكلات ، ويضع الحلول لهذه المشكلات! وكم عانى شعراء هذا النوع معاناة أقلها السجن أو النفي وأعلاها القتل والموت المحقق! وهذا نوع من الشعراء يستعصي على الكسر والاحتواء لأنه عتي المراس! وهناك نوع من الشعراء المرتزقة مدح وسبح بحمد غير الله وتعاطى مع الواقع وقال ما ليس بحق وقرع بشعره الطبل وأحرق بشعره البخور وقرأ بشعره الفنجان وضرب بشعره الودع ومسح بشعره الجوخ! ونسأل سؤالاً مهماً: شعر من من النوعين السابقين بقي وخلده التاريخ وتغنت به الجماهير الحرة الأبية العزيزة؟ لا شك أنه النوع الأول الذي أشعاره عرائس من الشمع ومجسمات من الدمى لا توهب لها الأرواح ولا تنبض بالدماء ولا تدب فيها الحياة إلا إذا روّاها شعراؤها بدمائهم وأوذوا وعذبوا ونكّل بهم وربما ماتوا في سبيلها! أما النوع الثاني من الشعراء فمات شعرهم وهم أحياء بعدما نفق من مدحوهم وسبحوا بحمدهم! فشتان بين هذين النوعين من الشعراء! ونقلاً عن نون بوست وتحت عنوان: (ثنائية الشاعِر والحاكِم في تاريخ الشعر العربيّ الفصيح) تقول الأستاذة الناقدة غيداء أبو خيران ما نصه: (لقد كتب المتنبي الكثير من القصائد في مدح سيف الدولة الحمداني! لطالما أثارت العلاقة الثنائية ما بين الشعر والسياسة جدلًا واسعًا وإشكاليةً كبيرة ، يرجع أصلها إلى مئاتٍ بل آلافٍ من السنين الغابرة ، لدور الشعر في وتأثيره في قوى السياسة والسلطة من جهة ، ونزعة السياسة لإخضاع الشعر والاستحواذ عليه والتحكّم في أشكاله ونصوصه. وبالتالي ، يجد الشاعر نفسه أمام خيارين اثنين ؛ مهادنة السلطة والخضوع لها أو التصدّي لها ولهيمنتها ومناكفتها بطرقٍ عديدة. وعن تلك العلاقة الجدلية يقول الشاعر الروسيّ الحائز على جائزة نوبل للآداب *يوسف برودسكي* إنّ الحاكم يعرف في قرارة نفسه أنه لا يمثّل على الأرض سوى سلطةً مؤقتة وعابرة ، فيما يحتفظ الشاعر لنفسه بسلطةِ الدائم والأبديّ. أمّا الضغينة والخلافات التي قد تحدث بينهما ، فيُرجع برودسكي سبب ذلك إلى شعور الحكّام وأصحاب السلطة العارم بالنقص إزاء سلطة الشعراء العالية على مرّ الزمان. وقد عُرف الشعر السياسيّ العربيّ منذ القِدم ، أي منذ الجاهلية ، كوسيلةٍ لمناصرة القبيلة والدفاع عنها ومدحها وهجاء أعدائها ، أو لأغراض الدعوة للحروب وبثّ الحماسة في نفوس المقاتلين والمحاربين. وبالتالي ، نستطيع القول بأنّ العداوة والخلافات ليستا دومًا ما يحكم علاقة الشاعر بالسلطة ، ثمّة العديد من الشواهد والأمثلة التي شهدها تاريخ الأدب والسياسة العربيّ على علاقاتٍ وصداقاتٍ عميقة بين ثنائيّة السلطة- الشِعر أو الحاكم - الشاعر ، لا سيّما حين يسلك الشاعر مسارًا مناصراً أو مؤيّدًا للحاكم أو الحزب أو الدولة. وخير مثال على ذلك العلاقة التي كانت بين أبي الطيّب المتنبّي وسيف الدولة الحمدانيّ. فقد تكون العلاقة الثنائية المشهورة بين كلٍ من أبي الطيّب المتنبّي وسيف الدولة الحمدانيّ واحدةً من أهم الأمثلة التي يمكننا طرحها في هذا السياق. وكثيرًا ما يُقال أنه لولا المتنبّي وشِعره ، لما ذاع صيت سيف الدولة ولما خلّده التاريخ أو عرف الناس والأجيال اللاحقة من أمره شيئًا ، ولربّما أصبح مثله مثل غيره من الأمراء والحكّام الذين لا نعرف عنهم ولم تخلّدهم ذاكرتنا الجَمعية كما خلّدت اسم سيف الدولة. لقد قام المتنبي بكتابة 22 قصيدة في مدح سيف الدولة الحمداني! وترجع بداية القصّة إلى عام 343 للهجرة ، حين حقّق سيف الدولة أبرز انتصاراته ضدّ الروم ، قرب قلعة الحدث الحدودية على الرغم من قلة عدد جنوده بجنودهم. ولمّا عاد سيف الدولة بجيشه إلى حلب منتصرًا ، استقبله عددٌ من الشعراء مرحّبين مادحين ، لكنّ قصيدةً واحدةً دون غيرها كانت هي ما خطف الألباب ونالت إعجاب الجموع ، لتخلّد معها اسم سيف الدولة لأكثر من أحد عشر قرنٍ لاحقًا ، وهي قصيدة المتنبّي الشهيرة (على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ). ومنذ تلك القصيدة أصبح المتنبي مقربًا إلى الأمير ونديمًا له في مجالسه ، ورفيقًا له في سفره ومصاحبًا له في حروبه وغزواته. وقد أمضى

المتنبي ما يقارب التسع سنوات في بلاط الحمدانيّ ، قام خلالها بكتابة 22 قصيدة في مدح سيف الدولة. ولكثرة حاسديه ومنافسيه في اللغة وفي حبّ سيف الدولة ، ساءت العلاقة بين الأمير والشاعر لدرجة أنّ المتنبي اضطر لترك حلب والخروج إلى مصر. أمّا بداية النهاية فكانت مع قصيدة *واحرَ قلباه*، والتي بدأ فيها المتنبّي مادحًا سيف الدولة ومبجّلًا فيه ومعظّمًا إيّاه ، لكنه تحوّل عن ذلك ليمدح نفسه وشعره وقدراته اللغوية الفذّة ، فما كان من سيف الدولة سوى الغضب ورمي المحبرة في وجه أبي الطيّب ، لا سيّما وأنّ علاقتهما في تلك الفترة كانت تتزعزع مع أقوال الوشاة والحاسدين. ومن المتنبي وسيف الدولة في العصر العباسي ، إلى أحمد شوقي والسلطان عبد الحميد الثاني في العصر الحديث! فقد تكون إحدى الأمور التي نجهلها عن أمير الشعراء أحمد شوقي ، هي علاقته القريبة من السلطان عبد الحميد الثاني ، إذ ناصره مطوّلًا ومدحه بقصائده في المناسبات والأحداث المختلفة ، مثل القصيدة التي كتبها إبان الحرب بين تركيا واليونان عام 1897م ، وقصيدة أخرى في عيد جلوس السلطان أثناء زيارته لإسطنبول عام 1904م ، وقصيدة أخرى يهنئه بنجاته من قنبلة عام 1905م ، وغيرها الكثير. وقد قال شوقي في قصيدته التي كتبها أثناء نزوله ضيفًا عند السلطان في إسطنبول: (إيه عبد الحميد! جلّ زمانٌ أنت فيه خليفة وإمامُ). وعلى غرار الكثيرين ، لم يدم هذا المدح والحبّ طويلًا ، فقد رحّب شوقي بالانقلاب الحاصل ضد السلطان عبد الحميد عام 1908م ، الأمر الذي يكون دليلًا آخر على إشكالية العلاقة بين الشاعر والحاكم أو السلطان أو الأمير ، تلك العلاقة المحكومة دومًا باللبس والشكوك المتبادلة نظرًا للتصادمات الحاصلة بينهما لا سيّما لتبدّل السياسة واختلاف أحوالها دائمًا وأبدًا من جهة ، ما يجعل الشاعر في موضع الخادم لبلاط أيديولوجيا ضيّقة).هـ. وعن دور الشعر والشعراء في صناعة المستقبل يقول الأستاذ الناقد محمد أمين بني تميم ما نصه: (كان للشعر منذ القِدم مكانة فريدة بين العرب ، وكان الشعراء يعدون ألسنة قبائلهم وذوي الرأي فيهم ، يندبونهم عند الملمات ، ويستعينون بهم وقت الشدائد ، ويلجأون إليهم في الحروب! وكانت العرب تنشد الشعر للغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأمجاد وسماتها الأجواد ، لتهزّ نفوسها إلى الكرم وتدل أبناءها على حُسن الشيّم. وبما أن الحياة العربية كانت قائمة على نظام القبيلة التي تمثل الوحدة السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، لذلك اقتضى هذا النظام إلى من ينطق باسمه ويحميه ، فكان الشاعر هو الذي يسجل مآثر قومه ، ويذيع مفاخرهم . وينشر محامدهم . ويخوّف أعداءهم . ويخذل خصومهم. ومن هنا جاءت أهمية الشاعر ، الذي كان يعبّر عن وجهات نظر قومه بأسلوب شعرى تتناقله الرواة في الحياة العربية آنذاك ، حيث كانت القبائل تحفظ أشعار شعرائها ، ويرويها أبناؤها ، ويدونونها لأجيالهم القادمة ، فصارت القبائل تهنئ بعضها بعضاً إذا نبغ بينهم شاعر ، وكانوا لايهنأون إلا بثلاث: غلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج ، كما من المعروف بأن هذه الثلاث كانت تعد مصادر القوة في الحياة العربية. كان الشعر ولازال ديواناً لفضائل العرب ، وسجلاً لمفاخرهم ، ووسيلة لتخليد مآثرهم ، وكما يقول محمد بن سلام الجمحى: «كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يصيرون» ، وكان يعد من أشرف الكلام عندهم وأقدسه ، حيث قال ابن خلدون: «اعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفاً عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد ثوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز مقدرته ، حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام وموضع حجهم» ؛ كما كان للشعر تأثير كبير في نفوس الناس ومشاعرهم ، لما يستعمله الشعراء من كلام

مؤثر وساحر يترك أثراً بليغاً في نفس سامعه ، ولهذا عدّوا «السحرة» في جملة أوئل من كان ينظم الشعر من القدماء ، وكان الرجل لايسمّى الكامل إلا إذا كان يكتب ويُحسِن الرمي ويُحسِن العلوم ويقول الشعر. وكانت العرب تسمّى الشاعر بالعالم والحكيم ، كما سُئل كعب الأحبار هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة؟ فأجاب كعب: «أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال ، وهكذا جعل كعب ، الأشعار كالأناجيل لقدسيتها». فمن هذا المنطلق نلاحظ بأن الشعراء منذ القدم كانوا يحملون مسؤوليات قومهم بما لديهم من موهبات ، مما جعل منهم واقع الحياة ومعاناة الأمة أن يصبحوا ضميرها وطليعتها النيّرة ، وأن يحملوا رسالة إنسانية تقدمية حضارية مستقبلية يخوضون من أجلها صراعاً مستمراً على جبهات عدة ، ويستنهضون من أجل الفوز في ذلك الصراع هماً وطاقات حيوية! وبهذا التفاعل الخلاق مع الواقع المرير والحلم ، يسجّلون مواقف ويقدمون تصورات وبدائل في رؤية أو كشف مؤثر وربما مثير ، مما يعطيهم أصالة في محليتهم وانبثاقا منها من جهة ، وعمقاً وشمولاً إنسانيين من جهة أخرى ، يجعلانهم حاضرين في وجدان شعوبهم وعصرهم وفي العصور والأجيال القادمة. وبهذه الفاعلية يحملون طاقة على التأثير والتنوير والتحرير والتحريض والتثوير والتغيير ، مما يجعلهم دائماً مشروع بناء وهاجس استشراف الإنسانية لآفاق المستقبل. لقد كافح شعراء العرب الاستعمار منذ احتلاله البلاد العربية ، بكل أجناسه وأشكاله وممارساته الإرهابية من خلال بصيرتهم النافذة في التاريخ وتحررهم من قيود الأنظمة السياسية وانتمائهم الوحيد لشعوبهم وقيمهم الوطنية والإنسانية والإسلامية ، لأن سلطة الخطاب الشعرى متجذرة في تاريخنا القومى منذ كان الشاعر اللسان العابر والعين الباصرة لأمته ، ولذلك طمح الشاعر أن يمثل الضمير العربى بكل آلامه وتطلعاته كي يجمع في نبرةِ إنسانية بين توقد الشعور التاريخي والرغبة العارمة في مواجهة الواقع المرير وتجاوزه. فمن هذا المنطلق نلاحظ بأن الوطن العربى المحتل منه وغير المحتل ، هو وجع الشاعر الممتد من مشرقه إلى مغربه ، خاصة لما حلّ به من معاناة ونكبات في مختلف بقاعه التي لازالت بعضها تنزف وتعاني ، وبما فيها فلسطين التي لم يحظ قطر عربي أخر باهتمام الأدباء العرب مثلما حظيت ، لما حلّ بها من ويلات ومجازر وتصفيات جراء الاغتصاب والاحتلال الصهيوني لها ، وبما أنها كانت ولازالت بضعة من جسد الأمة العربية والإسلامية إن لم نقل أهمها ، أخذت تكبر قضيتها يوماً تلو يوم ، حيث أصبحت أهم القضايا الإسلامية وأشرفها ، خاصة مما أفرزته هذه المأساة من أخطار وتداعيات شكلت في حجمها تهديداً مباشراً للأمن العربى والإسلامى ومشروعهما الحضاري. ومنذ «وعد بلفور» وماتلاه من وعود واختراقات صهيو- أمريكية دخل الشعر العربي في الصراع والمواجهة ، مستشعراً حجم المسؤولية ، حيال الواقع العربي المأزوم ، ومن خلال معايشة الأدباء لما يجري من أحداث ووقائع على الساحة العربية عموماً والفلسطينية خصوصاً ، اهتز وجدانهم وجعلهم يشعرون بمحنة الإنسان والوطن والأمة ، مما دفعهم إلى اتخاذ مواقف عديدة وتصورات مثيرة أحياناً ، تبعاً لمناخهم النفسي والثقافي ودرجة انتمائهم القومي فضلاً عن إيقاع العصر وتحولاته. ويمكننا القول بأن تصوير الواقع العربي ومرارة الحياة العربية في قصائد الشعراء العرب من المغرب العربي مروراً بفلسطين إلى مشرقه ، يصدر عن إحساس الشعراء العميق بالواقع المرير ، لأن الشاعر يرى معاناة الحياة العربية بما فيها الانحطاط الثقافي والانحراف الفكري والتأخر الحضاري والزيف السياسي والتشتت الإجتماعي ، ليست إلا قضية حياة أو موت للأمة! ولذلك لم يكتف الشاعر العربى في طريقه لاستكمال مشروعه المستقبلي بالتصورات واتخاذ المواقف الكلامية ، بل يدخل صلب الصراع ويواجه ثقافة التضليل والتشويه والتخدير والتحميق والتحمير التي تقوم بترويجها مختلف الأنظمة

السياسية من المتغطرسة الغربية إلى المستبدة الشرقية بشكل أو بآخر ، لأنه يعي وعياً قومياً وحضارياً ، مما يجعله أن يطمح للكشف عن حقيقة معاناة الأمة العربية أينما يقطن أبناؤها وفي أي ظرف يعيشون. إن الشاعر العربي بما أنه يشعر بحجم المسؤولية تجاه أمته ، ويرى الكوارث السياسية كيف تجتاح بلاده طولاً وعرضاً ويميناً وشمالاً ، فمن الطبيعي أن يقوم بمواجهة التحديات خاصة لأنه يرى أن وجود الأنظمة السياسية المزيفة الشرقية أو المنتمية للغرب تشكل خطراً محدقاً وجسيماً على حضارته العربية والإسلامية. مما يجعله يباشر محتجاً بتوجيه الانتقادات للزعماء والوجوه السياسية كاشفاً عن وجوههم الأقنعة ، معرياً سلوكهم المنحط الذي أصيبت الأمة العربية والإسلامية إثره بخيبات أمل لا تعد ولا تحصى. إن الشاعر عندما يشعر بضياع الوطن واستباحة المقدسات يسعى أن يكون أنفذ بصيرة وأكثر واقعية والتصاقا بهمّ الأمة ، إذ يستوعب معطيات الواقع ويتوغل في أغواره وخفاياه ليستخلص العبر والنتائج التي توحي بالكارثة ، وهي نابعة من رؤية الشاعر للماضي والحاضر واستشرافه على المستقبل. وأخيراً وليس آخراً يمكننا القول بأن الشاعر العربى يتعاطى مع حال الأمة بحساسية مفرطة وشعور عميق بانحطاط الواقع الذي بدأ يتغير مؤخراً بفضل الثورات التي اجتاحت البلاد العربية ، لأنه لديه هدفاً واحداً وهو التنبيه لخطورة ما يجري في الشارع العربي من اختراقات وتدخلات والتفافات من جانب القوى الخارجية ، كما الحال بالنسبة لانحرافات بعض القوى الوطنية التي تعاني منها الأمة ، مما يجعله أن يصرخ متكاتفاً مع كل مواطن عربى في ساحات التحرير بأعلى صوته ، ولكن بفنه وأسلوبه الخاص ، فاضحاً كل المؤامرات التي يتم تنسيقها خلف الكواليس السياسية بما فيها الدينية والدنيوية ويطالب بالحرية والكرامة الإنسانية للشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، رافضاً كل اتفاقيات بيع الوطن واستعباد الشعوب واستحمارها واستثمارها من جديد ، وذلك تحت المسمّيات المزيّفة الشرقية والغربية).هـ. ونقلاً عن جريدة صوت بلادي يقول الأستاذ الناقد عمرو الزيات ، وتحت عنوان: (مستقبل الشعر في مصر والعالم العربي) ما نصه بتصرف زهيد: (لا ريب أن الشعراء هم أقدر الناس تعبيراً عن آلام الوطن وآمال أبنائه ، والشعر هو ترجمان النفوس والمعبر عن مكنوناتها ؛ لذلك كانت المقولة المعروفة (الشعر ديوان العرب)! فمنذ عصور الجاهلية ، والشعراء يسجلون في أشعارهم أخبار الحرب ، وطبيعة البيئة التي يعيشون بها ، وهو المصدر الأوفى لبيان تقاليد العرب ورحلاتهم ، وظل كذلك حتى ظهور الإسلام ؛ فمضى مع الدعوة الجديدة مدافعاً عن الدين مصورا للصراع بين المسلمين والمشركين ، ثم انتقل لمرحلة أخرى مع قيام دولة الأمويين ، فكان له الدور الأكبر في مساندة الأحزاب السياسية ، وكان لكل حزب شعراء يدافعون عن أفكاره السياسية ، وبعد قيام دولة بني العباس واتساع الدولة ، والتأثر بالحضارات الأخرى ، وانتعاش الحياة الثقافية ، وظهور علوم القرآن واللغة كان الشعر – شأنه شأن ظواهر الحياة – قد بلغ قمة الازدهار والتطور ، وظهر جيل من الشعراء الذين خلدوا أنفسهم على مر الزمان مثل المتنبي وأبي العتاهية والمعري وابن الرومي وبشار وأبى نواس وغيرهم. وفي عصر المماليك أصيب الشعر بحالة من الجمود والتراجع بلغت ذروتها إبان الحكم العثماني ؛ حيث فرضت اللغة التركية لغة رسمية ، وأقبل ليل الضعف. ووسط كل هذا الركود للحركة الأدبية عموماً وضعف الشعر خصوصاً لاح نجم في سماء الفكر والثقافة هو رب السيف والقلم محمود سامي البارودي حيث رد الحياة للشعر العربي وبعثه من مرقده ، وكان لتلاميذه دور عظيم في تطور الشعر وازدهاره وعلى رأس هؤلاء التلاميذ أحمد شوقي ورفاقه. ومع تطور الصحافة والترجمة والتأثر بالثقافات الأجنبية حدثت الطفرة الأدبية ؛ فظهرت المدارس الرومانسية ، وكان خليل مطران أباً روحياً لكل من جاء بعده من مدارس الديوان وأبوللو والمهجر ، ثم تراجعت الرومانسية بعد

الحرب العالمية الثانية ، وظهرت المدرسة الواقعية. وكانت المدرسة الجديدة أكبر خطر على الشعر العربي ومازالت ؛ حيث خرج الشعراء عن أصول العربية عروضياً ولغوياً بدعوى التجديد ، وأصبح كل ناظم شاعراً ؛ حيث لا قيود تفرض على الشاعر ، وكل من استطاع رص كلمات ركيكة تقترب من العامية يعد شاعراً ، وربما حصد الجوائز الدولية والعالمية ، وأنجب الواقع مولوداً غير شرعي ، حار أربابه فيه ؛ فأطلقوا عليه قصيدة النثر ، والشعر الحر ، وشعر التفعيلة ، وكلها أنواع مستوردة لا تناسب لغتنا العريقة ، وحاول هؤلاء – جهلاً منهم - أن يلبسوا العقل العربي قبعة الغرب. وثمة أصوات شعرية في عصرنا قادرة على تغيير خارطة الشعر العربي بما تملكه من موهبة طاغية وقدرة لغوية فائقة ، تلك الأصوات الشعرية لم يكتب لها السيطرة على المشهد الثقافي بعد ؛ رغم أنها قادرة على النهوض بالثقافة العربية والشعر العربي. إن المؤسسات المحلية والعربية المهتمة بالشعر وبإقامة المسابقات الشعرية لا تسمح لأي من تلك الأصوات بالظهور ؛ بل تتعمد قتلها بوسائل كثيرة ، وقد يكون الفائز معلوماً للجنة التحكيم قبل بدء المسابقة لأسباب كثيرة ليس هذا أوان تفصيلها. من تلك الأصوات الشعرية في عصرنا الدكتور السيد خلف أبو ديوان رائد ومؤسس مدرسة الجن، المدرسة التى ألقت أحجاراً في مياه الحياة الأدبية ؛ فطفق المثقفون يسرعون إليها بين معجب بها خاش على مكانته ، وبين حاقد عليها لضعف ملكته وموهبته ، أما الراسخون في العلم فيعترفون للسيد خلف بأنه الرجل الذي يمتلك وسائل التغيير ، ولديه مفاتيح أبواب المستقبل المشرق للشعر العربي الموصدة. والسيد خلف شاعر من طراز العظماء ، كان له الفضل في إحياء البحور الشعرية الخليلية المهجورة التي فر من منها الشعراء بدعوى صعوبة الكتابة عليها أو قربها من الغناء والموسيقى ، ولو ذهبت تستقصى ما كتب على تلك البحور منذ الجاهلية لوجدتها لا تتجاوز بضع مقطوعات تؤكد وجود البحر الشعري ، ولا تثبت شيوعه ، دعا الرجل للمساجلات الشعرية بين الشعراء وعودة المشاغبات الشعرية من هجاء وغيره ، ولا شك أن في ذلك شحذاً للقرائح ، وتجديداً في اللغة وإثراء لها ، ومن غريب الأمر أن يستجيب الشعراء لذلك ، ويصبح المخالفون له مطبقين منهجه وما دعا إليه ، وهي تحية معكوسة لو أرادوا لحجبوها ؛ لكنها مبذولة رغما عنهم. إن مستقبل الثقافة عموماً والشعر خصوصاً رهن بمنح تلك المواهب والطاقات فرصتها ، وتخلي أصحاب المصالح وسماسرة الأدب عن أساليبهم المقيتة للسيطرة عن الوسط الأدبي والحقل الثقافي. وتقع على الدولة مسئولية أخرى هي رعاية تلك المواهب وتشجيعها لا قتلها ومحوها).هـ. وصدق من قال: (لقد أجمع ثلاثة باحثين في الشعر العربي على أن الأزمة شاملة وقاتلة ، وموغلة ومتجذرة ، أزمة في الشعر ونقده ، وفي محيطه العربي الموبوء. واتفق المتدخلون على أنه لا بدّ من حركة جماعية من أجل التفكير في الشعرية العربية التي تتجه نحو الانحدار، من أجل الوقوف عند أعطابها وإخفاقاتها الكبرى. وجاء ذلك في ندوة "نقد الشعر المعاصر في العالم العربي" ، التي احتضنها معرض الدار البيضاء الأخير للكتاب في المغرب ، بمشاركة الناقد السوري صبحي حديدي والناقد المغربي بنعيسى بوحمالة ، والناقد والشاعر المغربي محمد بودويك. ولقد انطلق الناقد السوري صبحي حديدي في ندوة "نقد الشعر المعاصر في العالم العربي" ، التي احتضنها معرض البيضاء الأخير للكتاب في المغرب ، من مستويين ، يعتبرهما بمثابة ضفتين يجري بينهما ماء الشعر ونقده. مستوى يعتبر النقد مقترحاً جمالياً. ذلك أن النقد ، حسب منظوره ، إنما يقترح قراءة معينة أمام القارئ ، تستند إلى عدّة معرفية ونظرية ، وإلى أدوات منهجية وتحليلية في مناقشة وإضاءة النص ، قد لا تتوافر للقارئ ، أو لا تتاح له فرصة الاطلاع عليها. ويقدم الناقد هذه القراءة ويقترحها على القارئ ، من أجل أن يتبناها ، ولو سلبياً ، أي أن يرفضها مثلاً. وإذا ما أحكمت هذه القراءة النقدية الأولى ، يمكن أن نمرّ مع صبحي حديدي إلى المستوى

الثاني ، بحيث تفسح القراءة النقدية المجال أمام خط نظري قد يتحوّل - إذا كان هو الآخر موفقاً - إلى مشروع نظرية أو ركيزة نظرية أو منهج. وقد استشهد المتدخل في هذا الباب بمفهوم "البديل" كما ظهر عند إليوت ، وهو يحلل مسرحية هاملت وشخصيته. فلقد صار هذا المفهوم قاراً ، "الموضوعي وبات أداة منهجية مفيدة للغاية. يدعونا صبحي حديدي في هذا اللقاء إلى أن نقوم بإطلالة على نقد الشعر في العالم العربي ، والعالم ككل ، وهو يلاحظ أن الزمن الراهن لم يعد يتيح الفرصة لرسوخ "الناقد النجم" و"الناقد المرجعية" ، على حدّ توصيفه ، وهو الناقد الذي تطمئن إليه كل القراءات ، وله سلطة في تحديد جودة أو رداءة الشعر ، أو تقديم وعرض الإطار النظري لدراسة الشعر. مثلما حدث في كلاسيكيات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، مع شوقي ضيف وإحسان عباس مثلاً. فاليوم انتهينا إلى نوع من الانحدار الشعري فكل يكتب وفق ما يشاء ومن منطلقات خاصة ، في غياب الأخلاقية العالية. لهذا ، ومع أفول الناقد النجم ، والناقد المرجعي والمركزي ، يرى حديدي أن ما يظل ممكنا اليوم هو ائتلاف جماعة من النقاد حول عدد من المفاهيم والمقولات النظرية ، انطلاقاً مما يمكن اعتباره قواسم مشتركة تزوّد القارئ بعدّة معرفية تسمح له بأن يطلّ بذاته على الشعر المعاصر. وهنا ، يقول المتدخل: أراهن على حركة جماعية في نقد الشعر أكثر مما أراهن على مشاريع نقدية. ومن جهة ثالثة ، يقرّ المتدخل بأن الشعر قد استحال إلى "فن نخبوي" اليوم. ومن هنا، يوجه دعوة إلى أهمية المراجعة ، مراجعة المنجز الشعري ، ويتعلق الأمر بالمراجعة الصحافية الجادة ، التي لا ينبغي النظر إليها على أنها ابتذالية أو تبخيسية. ذلك أن هنالك العديد من المراجعات الصحافية المهمة في الصحف والدوريات ، في ما يرى حديدي. وهنا ، ينبهنا المتدخل إلى أن القارئ الغربي بات يحجز الكتاب قبل صدوره ، فقط لأنه قرأ عنه مراجعة كتبها صحافي متخصص قبل ظهور الكتاب بأيام. وهنا ، يخلص صبحي حديدي إلى أن أسئلة المشهد الشعري العالمي لم تعد تطبيقية ، لأن تلك الأسئلة تكاد تنحصر في القراءات الشعرية اليوم. الأسئلة الراهنة التي يطرحها المشهد الشعري اليوم تتعلق بسؤال القلق في خصوص مصير الشعر والفن عموما، مصير الشعر إزاء الميديا، ومختلف وسائل التواصل، وراهن الشعر مع طرائق القراءة الرقمية ، حيث هنالك برامج تثبت لنا رقمياً من هو الشاعر الأكثر قراءة ، وما هي قصيدته التي قرأها أكبر عدد من القراء ، وكم مدة قضوا أمامها. وهي معطيات لا يمكن أن تتوافر للناقد بالمعنى الكلاسيكي. ويتساءل المتدخل عمّا إذا كانت الأزمة الشعرية تتمثل في معضلة قراءة الشعر أم في معضلة كتابة الشعر؟ كما ينبهنا إلى أن حرب داحس والغبراء ، التي لا تزال مندلعة ، ما بين الشعر والنثر ، وغياب الديمقراطية في قبول الإشكال الذي ظهر مع قصيدة النثر ، قد أثر على قراءة الشعر العربي إلى اليوم. والناقد المغربي بنعيسى بوحمالة تحدث بدوره عما أسماه "عطب الممارسة الشعرية العربية" ، من خلال استثناءات قليلة. وهذا ما أفضى في نظره إلى "خراب اللحظة الشعرية الراهنة ، وهو شيء مرير" ، على حدّ تعبيره. ومن خلال تتبعي للمشهد الشعري العربي ، يقول المتدخل: "لا يعطيني هذا التتبع ذلك الانجذاب - الذي كان لي - إلى أسماء نيّرة في تاريخ الشعر العربي الحديث والمعاصر". فالناقد المغربي ينظر إلى النقد باعتباره عملا تشاركياً. وإلا فلماذا تجدنا منجذبين إلى نصوص بعينها دون أخرى؟ يتساءل بوحمالة ثم يجيب بقوله: أسئلة المشهد الشعري العالمي لم تعد تطبيقية ، لأن تلك الأسئلة تكاد تنحصر في القراءات الشعرية اليوم. وبكل حسرة ، يؤكد المتدخل أنه لا يستطيع أن يقارن ما بين المنجز الشعري العربي في الخمسينات والستينات ، وما يُقترح علينا اليوم من نصوص راهنة "لقد انتهى العصر الذهبي لممارسة الشعرية العربية. كان كل شيء واضحاً كوضوح ذلك التاريخ بتفصلاته الكبرى". ويستحضر المتدخل هنا تجربة السياب إلى غاية تجربة أدونيس ودرويش ،

تجربة جماعة بغداد في مقابل جماعة بيروت. وأمام هذه التجارب ؛ يضيف المتدخل "لم يكن للنقد إلا أن يظهر ويتألق". على أساس أن تألق الممارسة النقدية العربية كان جزءاً لا يتجزأ من تألق الشعرية العربية. واليوم ، يواصل بوحمالة "انتهينا إلى نوع من الانحدار الشعري. فكل يكتب وفق ما يشاء ، ومن منطلقات خاصة ، في غياب الأخلاقية العالية التي لازمت الكتابة الشعرية. ومفادها أنه لكي تكتب عليك أن تقرأ للأسلاف ، قبل أن تصل إلى القطيعة". مثلما فعل بودلير ، الذي تتلمذ على الممارسة التشكيلية والموسيقية ، وأقفل على نفسه الباب وأعاد قراءة الشعر الغربي من هوميروس إلى فيكتور هيغو. ويرى بوحمالة أن المشكلة اليوم هي الانطلاق من الصفر في كتابة القصيدة ، وهو ما ينتج نصاً بلا ذاكرة ، ولا شجرة أنساب. هذا فضلاً عن الميوعة التي أتاحتها وسائل ووسائط الاتصال ، إلى جانب "المجازر في اللغة وفي التصوير الشعري" ، على حدّ توصيفه. كل ذلك في "مناخ موبوء ولا مسؤول ، فما الذي يمكن أن يقوم به ناقد؟" يتساءل الناقد والشاعر المغربي محمد بودويك عزف على الإيقاع نفسه ، معلناً أن هنالك إجماعا على الأزمة ، وهي أزمة "موغلة في الشعر العربي المعاصر والنقد العربي المعاصر" سواء بسواء ؛ أزمة في المصطلح ، وفي القراءة ، وفي المقاربة والخلفية الفكرية. والأزمة ، فيما يقوله بودويك هي "شاملة وكلية ؛ أزمة نقد وشعر وفكر وتربية وتعليم وصحة وسكن ، أزمة مؤسسات وأزمة ثقة ، أزمة دولة في العالم العربي ، وأزمة أمية طاغية وفاشية في الوطن العربي". هذا في مقابل التغني بحداثة مجلوبة منقولة مستلفة عصيّة على الاستنبات والإقامة. ويرى المتدخل أن النقد لاحق ولا يمكن أن يسبق النص ، فالنص هو الذي يعطي الكلمة للنقد).هـ. وهكذا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذه القراءة الأسلوبية في شعر أبي الفوارس: (عنترة بن شداد العبسي)! ونكون قد وضعنا النقاط على الحروف ، وأثبتنا شاعرية عنترة إلى جوار فروسيته! وقدمنا للمكتبة العربية هذا الكتاب في القراءة الأسلوبية لشعر (عنترة) كنموذج لشعر الجاهلية! ونعد بأن تكون لنا دراسة أسلوبية لنموذج من شعراء الخضرمة وهي إدراك الجاهلية والإسلام! وإن كان في العمر بقية إن شاء الله ، تكون لنا دراسة ثالثة أسلوبية لنموذجد من شعراء الإسلام!

الخاتمة

الحمد لله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. أحمده حمد الشاكرين فنعم العبد من لربه حمد. وأسجد له سجود العابدين ، فنعم العبد من لربه سجد. وأعبده لا أشرك في عبادته سواه ، ونعم العبد من لربه وحده عبد. الحمد لله سبحانه وتعالى الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته ، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته ، وأدت له الشهادة جميع الكائنات أنه الله الذي لا إله إلا هو بما أودعها من لطيف صنعه وبديع آياته ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، ولا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ولا شبيه له في أفعاله ولا في صفاته ولا في ذاته ، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه وجرى به قلمه ونفذ فيه حكمه من جميع برياته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تفويض عبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، بل هو الله تعالى الله في مبادئ أمره ونهاياته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا والد له ، ولا كفؤ له ، الذي هو كما أثني على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخِيرته من بريته ، وسفيره بينه وبين عباده وحجته على خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ، أرسله على حين فترة من الرسل وطموس من السبل ، ودروس من الكتب ، والكفر قد اضطرمت ناره وتطاير في الآفاق شراره ، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب ، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى إليهم عربهم وعجمهم فمقتهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقد استند كل قوم إلى ظلم آرائهم وحكموا على الله سبحانه وتعالى بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم ، وليل الكفر مدلهم ظلامه ، شديد قتامه ، وسبل الحق عافية آثارها مطموسة أعلامها ، ففلق الله سبحانه بمحمد صلى الله عليه وسلم صبح الإيمان ، فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً ، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، فهدى الله به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة ، وبصر به من العمى وأرشد به من الغيّ ، وكثر به بعد القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، واستنقذ به من الهلكة ، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمّة وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، وشرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين فقال سبحانه: (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر ذكر معه كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين ، وصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه ، كما عرفناه بالله وهدانا إليه ، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: فإن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبد بمعرفته ويجمع قلبه على محبته شرح صدره لقبول صفاته العلى وتلقيها من مشكاة الوحي ، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول وتلقاه بالرضا والتسليم وأذعن له بالانقياد ، فاستنار به قلبه واتسع له صدره وامتلأ به سروراً ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به على لسان رسوله ، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء ، أعظم ما كان إليه فاقة ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأن شرفه أيضا بحسب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها

ومحبته وذكره والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب واليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد ، والله تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً ، وعنها نافراً منفراً ، فالله له أشد بغضاً ، وعنه أعظم إعراضاً ، وله أكبر مقتاً ، حتى تعود القلوب إلى قلبين: القلب الأول: قلب ذِكرُ الأسماء والصفات قوته وحياته ونعيمه وقرة عينه ، لو فارقه ذكرها ومحبتها لحظة لاستغاث ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته نافر عن سماعها معرض بكليّته عنها زاعم أن السلامة في ذلك. كلا والله إن هو إلا الجهالة والخذلان ، والإعراض عن العزيز الرحيم ، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك وكفى بالعبد عمىً وخذلاناً أن يضرب على قلبه سرادق الإعراض عنها والنفرة والتنفير والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله والإيمان به وبصفاته وأسمائه. والقلب الثاني: قلب مضروب بسياط الجهالة ، فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود ، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود ، قد قمش شبهاً من الكلام الباطل وارتوى من ماء آجن غير طائل تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجاً ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً بما يسومها تحريفاً وتعطيلاً ويؤول معانيها تغييراً وتبديلاً ، وقد أعد لدفعها أنواعاً من العدد وهيأ لردها ضروباً من القوانين وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال: تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين ، قد أعد التأويل جُنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيماً وتشبيهاً يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء ولكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجدال والمراء ، خلع عليه كلام الباطل خلعه الجهل والتجهيل ، فهو يتعثر بأذيال التفكير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب يتكفف أربابها ، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد وغاية الإحسان ، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة الملآنة بالخيبة والحرمان ، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد والشبهة والعناد ، فإذا بذلت له النصيحة ودعي إلى الحق أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد. فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان ، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان ، والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ، ولهذا أمر الله في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى:{فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً}. وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغِلظة عليهم كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى: {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير}. فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق ، ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ، وكفى بالعبد عمىً وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته ، وأعدوا لها عدتها ، وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم ، وقد حمي الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت الأقران النزال النزال ، وهو في الملجأ والمغارات ، والمدخل مع الخوالف كمين وإذا ساعد القدر وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين ، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين ، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه إني معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين ، فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان ، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله

لمواقف الخزي والهوان ، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان ، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن ، فكأن قد كشف الغطاء وانجلى الغبار وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والضلالة ، فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من موافقتهم إذا قيل:{احشروا الذين ظلموا وأزواجهم}. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم ، وقد قال تعالى: {وإذا النفوس زوّجت} ، قالوا فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته ، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته ، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً. وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو وبين معطل لذلك ، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه ، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه ، فقال له: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول فيها ما قاله ربنا وتعالى وما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم ، نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله كم غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً ، فالمشبّه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إلها واحداً صمداً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فكما أننا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك نقول في صفاته أنها لا تشبه الصفات ، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فلا نشبه صفات الله بصفات المخلوقين ، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل تشنيع المشنعين ، وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسمية الراوفض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا مجبرة. ولا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى كما تسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية. وأما القرآن فإني أقول أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه جبريل حقاً ، وبلغه محمداً صلى الله عليه وسلم وحياً ، وإن {كهيعص} ، و{ حم عسق} ، و{الر} ، و{ق} ، و{ن} ، عين كلام الله حقيقة ، وإن الله تعالى تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال أنه قول البشر فقد كفر. والله يصليه سقر ، ومن قال ليس لله بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فإذا انتفي كلام المرسل انتفت رسالة الرسول ، ونقول أن الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه وإنه يدبّر الأمر من السماء الى الأرض ، ثم يعرج إليه ، وأن المسيح رفع بذاته إلى الله وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى الله حقيقة ، وأن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه ، وأنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى وأن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وأن أيدي السائلين ترفع إليه وحوائجهم تُعرض عليه فإنه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار ، فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك ، ثم

أسرّها في نفسه وخلي بشياطينه وبني جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال. وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلساً يبيتون في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول والله بما يعملون محيط وأتوا على مجلسهم ذلك بما قدروا عليه من الهذيان واللغظ والتخليط ، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوه ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم ما لفقوه من المكر وتمموه فحبس الله سبحانه عنهم أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء إليه ، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر ، وأخرج الناس لهم من المخبآت كمائنها ، ومن الجوائف والمنقلات دفائنها ، وقوى الله جأش عقد المثبت وثبت قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى إلى عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين ، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه ، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتوه ، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم ، حتى بلغه دانيهم لقاصيهم ، فلم يذعنوا لذلك واستعفوا من عقدة مطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث مناظر في مجلي عالم على شريطة العلم والإنصاف تحضر فيه النصوص النبوية والآثار السلفية وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين ، فقيل لهم لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان وما لكم بمقاومة فرسانه يدان فدعاهم إلى مكاتبة ما يدعون إليه ، فان كان حقاً قبله وشكركم عليه ، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت ، وتبين لكم حقيقة ما لديه ، فأبوا ذلك أشد الإباء ، واستعفوا غاية الاستعفاء ، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في مواقف الابتهال حاسري الرؤوس ، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال. وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه إلى هذا، فوطن نفسه عليه غاية التوطين ، وبات يحاسب نفسه ، ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين ، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، وينجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ، ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً ، وأتوا من الأعذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار ، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه يشهده القريب والبعيد ، ويقف على مضمونه الذكي والبليد وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد والمثبت المرمي بالتجسيم. وقد خاصم في هذا المجلس بالله وحاكم إليه بريء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة وتحيز إلى فئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان أصحابه عليه والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ولا إلى شيء مما لديه ، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ، فإن أزمة الأمور بيديه وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجردٍ عن هواه قاصدٍ لرضاء مولاه ، ثم يقرأها متفكراً ويعيدها ويبديها متدبراً ، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين ، فإن رأى حقاً تبعه وشكر عليه ، وإن رأى باطلاً رده على قائله وأهدى الصواب إليه ، فإن الحق لله ورسوله ، والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله ، والله عند لسان كل قائل وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وما كان أهل التعطيل أولياءه ، إنْ أولياؤه إلا المتقون ، المؤمنون المصدقون: {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون}. وهذه أمثالٌ حِسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد ، ذكرناها قبل الشروع في المقصود ، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود ، وقد قال تعالى ، وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين:{ وتلك الأمثال نضربها للناس}. {وما يعقلها الا العالمون} ، وقد اشتمل منها على

بضعة وأربعين مثلاً ، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول لست من العالمين ، وسنفرد لها إن شاء الله كتاباً مستقلاً متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنته من كنوز العلم وحقائق الإيمان ، والله المستعان وعليه التكلان. المثل الأول: ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف ، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل. وثياب المشبه متضمخة بدم التشبيه وشرابه متغير بدم التمثيل ، والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة على شفا جُرف هار. وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. المثل الثالث: شجرة المعطل شجرة الزقوم ، فالحلوق السليمة لا تبلعها. وشجرة المشبه شجرة الحنظل ، فالنفوس المستقيمة لا تتبعها. وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. المثل الرابع: المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت ، والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه إلى البهموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً إلى الحي الذي لا يموت. المثل الخامس: مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل فانطفأ وما أنار ، ومصباح الشبه قد غرقت فتيلته في عسكر التشبيه فلا تقتبس منه الأنوار ، ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. المثل السادس: قلب المعطل متعلق بالعدم فهو أحقر الحقير ، وقلب المشبه عابد للصنم الذي نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. المثل السابع: نقود المعطل كلها زيوف فلا تروج علينا ، وبضاعة المشبه كاسدة لا تنفق لدينا ، وتجارة الموحد ينادي عليها يوم العرض على رؤوس الأشهاد هذه بضاعتنا ردت إلينا. المثل الثامن: المعطل كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن ينجسك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة ، والمشبه كبائع الخمر ، إما أن يسكرك وإما أن ينجسك ، والموحد كبائع المسك إما أن يحذيك وإما أن يبيعك وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. المثل التاسع: المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأغرقه الطوفان ، والمشبه قد انكسرت به اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح ، وقد صاح به الربان: اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ، إن ربي لغفور رحيم. المثل العاشر: منهل المعطل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فرجع خاسئاً حسيراً. ومشرب المسبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً. والأصل أن توحيد الأسماء والصفات ينبغي أن يكون واضحاً كل الوضوح في حس المسلم المؤمن القانت الموحد! ها نحن أولاء قد ختمنا دراستنا النقدية التي عنونا لها بـ: (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد) ، ونسأل الله تعالى أن نكون قد أصبنا هدفنا ، من صياغة نقد أسلوبي هادف يمزج بين القيم الأصيلة والنقد! فلا يكون النقد بمعزل عن القيم والعقائد!ّ وكنا قد ألمحنا غير مرة لما يحمل أسلوب الشعر عند عنترة بن شداد من قيم عربية أصيلة ومُثُل إسلامية ، وإن لم يكن عنترة مسلماً!

فهرست كتاب (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي)

مسلسل	عنوان الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	7
2	موضوع الغلاف	9
3	المقدمة	11
4	الافتتاحية	13
5	ترجمة عنترة بن شداد	17
6	ماهية القراءة الأسلوبية!	26
7	الفصل الأول	28
8	الفصل الثاني	53
9	الفصل الثالث	98
10	الفصل الرابع	145
11	الفصل الخامس	185
12	الخاتمة	203
13	فهرست	208

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -! ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر).
28 - اللهمّ تقبـلْ مِني شِعـــري! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المُخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)
7 – مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)
8 – مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صَديقاً وصِهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم المَيّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مُحَللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلمَ وفهِ التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
55 – رسالة إلى دائنة! (ابنة السويدي)
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طِبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طِبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – الكائنات الفضائية!
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
86 - تلميذي البار شكراً!
87 - القصيدة الزينبية (محاكاة لزينبية ابن عبد القدوس) 2
88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
90 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
91 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
94 - زواجٌ بالإكراه!
95 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
98 - امرأة تزوجتْ رجلين!
99 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
100 – مروءة ولى زمانها!
101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
102 – زلزال تركيا المدمر!
103 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
104 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
105 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
106 – دمه وماله وعِرضه!
107 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
108 – رمضان أشرقْ!
109 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
110 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
111 - القطة وإمام المسجد – وليد مهساس
112 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
113 - حللت أهلاً ونزلت سَهلاً يا عيد الفطر!
114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
115 – المقابر تتكلم 7
116 – شبعة من بعد جوعة (رسالة إلى أسرة وضيعة)
117 – فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسب بالقرآن!)
118 – عظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
119 – لا تقولوا: ضحية زوجته!
120 – غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
121 – منتقبة لا مُنقبة!

122 – نقابي حِشمتي!
123 – منتقبة لها دَورُها!
124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
125 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
126 – لا يؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
127 – النقاب ثلاثة أنواع!
128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
129 – ليتني أطعتُ صِحابي!
130 - غِريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
131 - منتقبة ذات علم وخلق!
132 – الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
133 – الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
134 – المنتقبة الصغيرة!
135 – تدل على الرجال مواقفهم (محمود هلال)
136 – وليس العري كالستر!
137- إعصار ليبيا المدمر (دنيال)
138 - المنتقبة والعصفور!
139 - عروسة المولد!
140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
141- العدل بين الزوجات أولى!
142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروس تموت وهي ترقص!
143 - المنتقبة الفارسة
144 - ممارسات تُزري بالمنتقبة!
145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
146– ذات النقاب والفارس!
147 – منتقبتان في الحديقة!
148 – المنتقبتان الضرّتان!
149 - المنتقبة والبحر!
150 - المنتقبة والقطة المبتلاة!
151 - المنتقبة واليتيمتان!
152 - دعاء مغترب!
153 - لباقة منتقبة!
154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
156 - عندما يتبرج النقاب!
157 – هدية امرأة منتقبة!
158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
159 - منتقبة تتزود للآخرة!
160 - من فات قديمه تاه!
161 - أبتاه عُذراً!
162 – نقاب غطته الدماء!
163 – النقاب للستر ، لا للنشر!

164 – أطفال تحت الأنقاض
165 – مراعاة شعور الآخرين مروءة
166 – القارئ المرتل ظافر التائب
167 – نجومٌ في ظلمات حياتنا!
168 – إحدى الحسنيين!
169 – أرسلوا النعوش والأكفان!
170 – الحجاب ليس حِكراً على النساء!
171 – السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
172 – مراعاة شعور الآخرين مروءة!
173 – الوقت كالسيل لا كالسيف!
174 – النفس وظلمات التيه!
175 – جرح المتهم البرئ!
176 – رسالة إلى الشاعر الفولي عصران!
177 - البدوية المنتقبة!
178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
179 - النصر حفيد الصبر!
180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
181 - بريءٌ دَهته المنايا!
182 - فيم الصمت عن أرض الرباط؟
183 - القمر المنتقب الصغير!
184 – المقابر تتكلم 8
185 - الأزهري الصغير معاذ!
186 - المنتقبات الخمس الصديقات!
187 - النقاب تشريع لا تقليد!
188 - منتقبة تشتكي إلى الله!
189 – عهد المنتقبات!
190- رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
191 – تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
192 - لك حُبي واحترامي!
193 - لا وقت للدُمَى ، يا بُنَي!
194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
195 – سنرحل ويبقى الأثر! (المشالي & عطية)
196 – لماذا تبكي النّساء؟!
197 – هرقل والمُلك الزائل!
198 – هل في القزع جمال؟!
199 – في مكتب مدير المدرسة (1)!
200 – في مكتب مدير المدرسة (2)!
201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
202 – أخت من الأب!
203 – مالك بن دينار وابنته!
204 – تذكَرْ يوسف وموسى!
205 – التجمّل الباطل في وسائل التواصل!

206 – حَميد الله الهندي!
207 – البذاذة من الإيمان!
208 – مُحْيي الدين عبد الحميد!
209 – كلابُها أصدق أهلها!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!

38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا أوباش؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر

80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 – قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)

122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 – النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!
126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1 . Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye, My Poetry!
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life